

# سليم حسن

## عصر القديمة

الجزء الأول

في عصر ما قبل التاريخ

نهاية العهد الأهناسي



2000

مهرجان القراءة للجميع



**موسوعة مصر القديمة**  
**الجزء الأول**

## صورة الغلاف

### رأس بديل

رأس نحتت من الحجر الجيري الملون، يرجع تاريخها إلى الأسرة الرابعة، وهي ضمن مجموعة متحف الفنون الجميلة في بوسطن، والصفة المميزة لأسلوب النحت في الأسرة الرابعة وما بعدها، تتضح فيما يسمى بالوجه البديل أو الاحتياطي، وهو وجه بسيط، يتمسك بالشكل بوضوح وجلاء تامين.

محمود الهندي

# موسوعة مصر القديمة

## الجزء الأول

في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العصر الإهناسى

سليم حسن





## مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الجزء الأول

سليم حسن

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندي

المشرف العام :

د . سمير سرحان





## تقديم

هذه الموسوعة التاريخية القيمة، لا غنى عنها لكل المتخصصين والدارسين لتاريخ مصر القديم والآثار المصرية القديمة.. ولا غنى عنها أيضاً لكل المثقفين الراغبين فى التزود بالمعرفة التاريخية لجذور الحضارة المصرية التى تغلغت بين الشعوب التى تسكن أراضى المنطقة الجغرافية الواسعة الممتدة من مصر إلى بلاد النوبة والسودان وليبيا والمناطق السورية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط واليونان.

ومؤلف هذه الموسوعة الضخمة هو الأستاذ الدكتور سليم حسن.. وهو من أوائل المصريين الذين أسسوا علم الآثار المصرية فى اللغة العربية.. بل هو الثانى فى الترتيب بين ثلاثة من العلماء المصريين الأفاضل وهم:

الرائد الأول أحمد كمال باشا، وسليم حسن، وعالم الآثار الشامخ سامى جبرة.

وهم الذين جمعوا بين العمل الكشفى بالحفائر الأثرية التى قاموا بها فى مختلف المناطق الأثرية فى مصر، واكتشفوا آثاراً رائعة جديدة، وأثروا علم «الآركيولوجى - علم الآثار، وعلم «الأنثروبولوجى - علم دراسة حضارة الإنسان، بما كتبوه وصنفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن تلك الآثار التى اكتشفوها، وعن الآثار الأخرى التى لم تكن لها تسجيلات علمية، وأيضاً بما ألفوه من بحوث علمية تتناول تاريخ مصر القديمة من كافة النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.



ويتتبع السيرة الذاتية للدكتور سليم حسن مؤلف هذه الموسوعة، نلاحظ على الفور أننا أمام عبقرية شخصية مصرية فذة تتميز بالوطنية الصادقة والشجاعة النادرة والمقدرة الفائقة على العمل والبحث والدراسة على مدى ثمانية وستين عاماً هي العمر الذي عاشه في خدمة العلم والتاريخ والآثار.. فقد ولد في ٨ أبريل ١٨٩٣م في قرية ميت ناجي التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وانتقل إلى رحمة الله في ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.. وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩م، وحصل على دبلوم المعلمين، والتحق بالمدرسة المسائية العليا لدراسة الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة التي أنشأها أحمد كمال باشا، وحصل على دبلوم الدراسات العليا.

وفي عام ١٩١٩م عمل مدرساً في مدرسة أسيوط الثانوية، ثم في مدرسة الناصرية بالقاهرة، واختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المصري المقررة على مختلف مراحل التعليم في المدارس المصرية.. وفي عام ١٩٢١ عين في وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصري بالقاهرة، ثم أوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣م، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤م.. وفي أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا بجامعة السوربون بباريس.

وعندما عاد إلى مصر عين أستاذاً لكرسي الآثار عام ١٩٣٥م، وأتيح له عندئذ القيام بحفائر أثرية ضخمة لحساب المتحف المصري وجامعة فؤاد الأول في منطقة الأهرام وأبي الهول بالجيزة وفي منطقة سقارة، حيث اكتشف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد

والقطع الأثرية التى ألقت الأضواء العلمية على تطور نظام الحكومة والإدارة والنظم الاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة .. كما قام بعدة رحلات كشفية إلى بلاد النوبة حيث أجرى مجموعة من الحفائر أسفرت عن اكتشافات أثرية هامة.

وفى عام ١٩٣٦م عين وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية، وهو أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً على العلماء الأجانب، الأمر الذى أثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده .. وكان الدكتور سليم حسن قد اتصل بالقصر الملكى لإسترداد مجموعة القطع الأثرية التى كانت فى حيازة الملك فؤاد الأول فأعادها الملك إليه لعرضها بالمتحف المصرى بالقاهرة .. ولكن عندما تولى الملك فاروق عرش مصر بعد وفاة أبيه طالبه بإرجاع هذه القطع الأثرية باعتبارها من الممتلكات الخاصة لأبيه، فرفض الدكتور سليم حسن هذا الطلب وازدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى أن صدر قرار بإحالاته إلى المعاش عام ١٩٣٩م، وكان عمره آنذاك حوالى ستة وأربعين عاماً.

وكان هذا القرار بإحالاته إلى المعاش فاتحة خير للدكتور سليم حسن، حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى، فانكب على تأليف تلك الموسوعة التاريخية الرائعة التى تتكون من ١٦ جزءاً، وتأليف كتابه القيم فى الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الذى يتكون من جزءين، بالإضافة إلى البحوث العلمية التى تنشر فيها اكتشافاته الأثرية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية. كما نشر ترجمة عربية لكتابه العلمى عن أسرار أبى الهول الذى كان قد كتبه باللغة الإنجليزية، كما أصدر أيضاً كتابين عن تاريخ أوروبا وتركيا. كما

ترجم إلى اللغة العربية كتاب بريستيد عن «فجر الضمير».. وهكذا بلغت أعماله حوالى ٥٠ عملاً ما بين مقالات وبحوث علمية وكتب.

وكان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد تعاطف مع هذا العالم الجليل وتفهم قدره الذى يشرف مصر والمصريين، فأصدر قراراً بإيفاده لزيارة متاحف العالم التى تعرض مجموعات من القطع الأثرية المصرية.. كما أصدر قراراً بتعيينه مستشاراً للمتحف المصرى بالقاهرة عام ١٩٥٩م.

وفى عام ١٩٦٠م كرمته «أكاديمية نيويورك» التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة فانتخبته عضواً فيها بأجماع الأصوات.

هذا وتعتبر موسوعة الدكتور سليم حسن، التى نقدم أجزاءها فى هذا التقديم المختصر، أعظم موسوعة فى التاريخ المصرى القديم وتاريخ الحضارة المصرية القديمة، فهى تعد الموسوعة المتكاملة الوحيدة - فى أية لغة من لغات العالم - التى وضعها وصنّفها عالم واحد بمفرده، تناول فيها شرحاً دقيقاً وتحليلاً مستفيضاً عن مراحل وتاريخ الحضارة المصرية بدءاً من عصور ما قبل التاريخ حتى قرب نهاية العصر البطلمى.

وبالرغم مما يقال - حقيقة وصدقا - إن علم الآثار يعتبر من العلوم المتجددة باستمرار بسبب ما يتم كشفه تباعاً من آثار جديدة قد تؤدى إلى تصويب ما كان مستقراً من قبل من معلومات أثرية، وبسبب التفسيرات الحديثة لقواعد اللغة ونصوصها القديمة مما قد يؤدى أيضاً إلى إعادة النظر فى المعانى والتفسيرات السابقة، إلا أن موسوعة الدكتور سليم حسن قد أسست فى اللغة العربية دراسة علم الأنثروبولوجيا التاريخية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية باحتوائها

على الدراسات والبحوث المتعلقة بعلاقة الثقافة الشعبية المصرية المعاصرة بالتراث المصرى القديم ورموزه الطوطمية والعقائدية ، كما أثبتت مدى تأثير اللغة المصرية القديمة فى اللغة المصرية العامية الدارجة ، وتأثيرها أيضا فى مجال موروثات الأدب الشعبى .

هذا ويمكن - من الناحية العلمية - اعتبار هذه الموسوعة الجليلية تصنيفاً واضحاً لمدرسة مصرية صميعة وأصيلة فى فلسفة التاريخ .

ونقدم فيما يلى عرضاً موجزاً غاية الإيجاز لعناوين كل جزء من الأجزاء الستة عشر التى تتكون منها هذه الموسوعة مع عرض للبحوث والموضوعات التى يتضمنها كل جزء من هذه الأجزاء ، علماً بأن عدد الصفحات الاجمالية لهذه الموسوعة يتجاوز ١٢ ألف صفحة .

### الجزء الأول وعنوانه :

#### من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الإهناسى

ويتضمن معلومات غزيرة وقيّمة عن عصور ما قبل التاريخ، والعصور الحجرية [القديم والمتوسط والحديث]، وعصر المعادن، وحضارة كل من الوجه البحرى والوجه القبلى، وتاريخ الفنون فى تلك الحقبة التاريخية، وظهور رموز وعلامات وحروف اللغة المصرية القديمة، ودراسة أصل المصريين الأوائل، وقيام هؤلاء المصريين الأوائل بتنظيم وابتداع تقويم السنة الشمسية، وبداية وحدة مصر، وأصول الديانة المصرية، وبداية العصر العتيق، الذى يتضمن الأسرتين الأولى والثانية، ثم يليه عصر الدولة القديمة، الذى يتضمن الأسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة.. مع بيان أسماء وتواريخ الملوك فى جميع هذه الأسرات.. وانتهاء عصر الدولة القديم بثورة اجتماعية عارمة استغرقت تاريخ الأسرات من السابعة حتى العاشرة .



## الجزء الثانى وعنوانه :

### فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى

ويتضمن هذا الجزء دراسة ممتعة عن تنظيم الحكومة المركزية فى عصر الدولة القديمة والحكومات الفرعية المحلية فى المقاطعات والأقاليم المصرية، والسلطة القضائية، والثروات الطبيعية فى مصر، والنباتات والحبوب وبساتين الفواكه، والآلات الزراعية التى كان يستخدمها الفلاحون القدماء، وطرق صيد الحيوان واستئناسه واستخدام لحومه وجلوده وفرائه، ومبادئ الرفق بالحيوان، وأسماك النيل والبحيرات وطرق صيدها والأدوات المستخدمة فى الصيد، ودراسة عن الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، والمعادن، ونظم الشئون الاجتماعية، وطرق المواصلات، وتجارة مصر الخارجية، والفنون والحرف، والكتابة وتطور الأدب المصرى القديم، والشعر والأغاني، وتنظيم الجيوش المصرية والحروب التى خاضتها مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، والنظام الاجتماعى للأسرة المصرية.

## الجزء الثالث وعنوانه :

### العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية وليبيا.

ويتضمن تاريخ الأسرة الحادية عشرة وأسماء ملوكها الذين حاربوا لإعادة وحدة الأقاليم المصرية.. وتاريخ الأسرة الثانية عشرة وأسماء ملوكها والآثار التى تركوها، والحروب التى خاضوها خارج مصر، والتحصينات التى أقاموها فى النوبة والبلاد الآسيوية، وعلاقة مصر بجزر البحر المتوسط، ودراسة ممتازة عن الرخاء الاجتماعى فى عصر هذه الأسرة، مع دراسة متوسعة عن العمارة وفن النحت

وازدهار الأدب المصرى، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتعميم المسؤولية عن السلوكيات الأخلاقية، والعقائد الدينية التى سادت فى ذلك العصر.

## الجزء الرابع وعنوانه :

### عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية

ويتضمن هذا الجزء دراسة عن حالة ضعف نظام الحكم فى عصر الأسرة الثالثة عشرة مما أتاح الفرصة أمام قبائل الهكسوس الرعاة التى تسالت إلى مصر أن تفرض سيطرتها وتستولى على حكم البلاد.. ويفرد المؤلف بحثاً مستفيضاً عن تاريخ الفترة التى وقعت فيها مصر تحت حكم ملوك هذه القبائل.. وكيف تولدت روح المقاومة لدى الشعب المصرى ضد هذا الاحتلال البغيض.. وكيف بدأ ملوك الأسرة السابعة عشرة فى شن الهجمات والدخول فى معارك ضد المحتلين حتى تمكن الملك «أحمس الأول» من طردهم خارج البلاد، وأسس الأسرة الثامنة عشرة. ويستعرض المؤلف تفاصيل القسم الأول من تاريخ هذه الأسرة المتضمن تاريخ الملوك: أمنحوتب الأول، وتحوتمس الأول، وتحوتمس الثانى، والملكة حتشبسوت، وتحوتمس الثالث عبقرى العسكرية المصرية ومؤسس الإمبراطورية المصرية.. ثم تاريخ ابنه أمنحوتب الثانى الذى تولى الملك بعده. كما أفرد المؤلف دراسات مستفيضة عن نظام الحكم واختصاصات الموظفين، والحياة الاجتماعية فى عصور هؤلاء الملوك.

## الجزء الخامس وعنوانه :

### السيادة العالمية والتوحيد

فى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تفاصيل القسم الثانى من تاريخ ملوك الأسرة الثامنة عشرة، بادئاً بالملك تحوتمس الرابع، ثم

أمنحوتب الثالث، ثم أمنحوتب الرابع «أخناتون» ، وسمنخ كارع، ونفرتيتى، وتوت عنخ أمون، والملك آى، وحوورام حب .. مع دراسات تفصيلية عن نظام الحكم فى عهد هؤلاء الملك مع التركيز على عصر أخناتون وديانة التوحيد التى نادى بها والثورة الفنية والأدبية التى قادها.

## الجزء السادس وعنوانه :

### عصر رمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية

وفى هذا الجزء يستعرض المؤلف تفاصيل بداية عصر الأسرة التاسعة عشر التى بدأها الملك رمسيس الأول، وتلاه إبنه الملك المحارب سبتى الأول وماشيده من آثار تتمثل فى المنشآت المدنية والمعابد الدينية ، ومقبرته العظيمة بوادى الملوك، مع دراسة مفصلة عن حروبه ونظام الحكم فى عهده .. ويفرد المؤلف أكثر من ٥٠٠ صفحة من هذا الجزء ليقدم فيها دراسات واسعة عن عهد رمسيس الثانى الذى أعاد أمجاد الامبراطورية المصرية، وأضاف إليها المزيد من مناطق النفوذ، وسجل معاركه الحربية الخالدة وعلى رأسها معركة «قادش» التى انتصر فيها على الحيثيين ، وعقد معهم تلك المعاهدة الدبلوماسية الشهيرة. كما وصف المؤلف نظام الحكم فى عهده والمنشآت الدينية الضخمة التى أقامها فى بلاد النوبة وفى معظم أنحاء القطر المصرى، وعلى رأسها المعبد الشامخ فى أبى سمبل، والمنشآت الإضافية الضخمة بمعبد الأقصر، ومعبد الرمسيم بغرب طيبة .. وأردف المؤلف بدراسة متوسعة عن أبناء رمسيس الثانى وبناته، وعن علاقة مصر التجارية بآسيا الصغرى وسائر أقاليم الامبراطورية، وعن المستوى الحضارى الذى بلغته مصر فى عهده.

## الجزء السابع وعنوانه :

### عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة فى تاريخ ليبيا

يبدأ هذا الجزء باستكمال دراسة تاريخ بقية ملوك الأسرة التاسعة عشرة من أبناء رمسيس الثانى وأحفاده وعلى رأسهم الملك مرنبتاح الذى قاد حروبا ضارية ضد الليبيين وشعوب البحر المتوسط الذين تكرر زحفهم إلى وادى النيل رغبة فى الاستيطان، وحروبه كذلك ضد دولة إسرائيل والنصب التذكارى الذى قال فيه «لقد قضيت على إسرائيل وقطعت بذرتها، وكان هذا النص أول ذكر فى الآثار المصرية لكلمة إسرائيل .. ويستمر المؤلف فى استعراض تاريخ الملوك الذى خلفوا مرنبتاح على عرش مصر، وكانوا ملوكا ضعافا انتهى بتاريخهم عصر الأسرة التاسعة عشرة، وبدأ عصر الأسرة العشرين التى أسسها الملك رمسيس الثالث الذى واصل الحروب المصرية ضد الليبيين والنوبيين وشعوب البحر، وسجلت فى عهده مناظر تفصيلية للموقعة البحرية التى قادها ضد شعوب البحر .. وذكر المؤلف كل المنشآت المدنية والمعابد الدينية التى أقامها رمسيس الثالث فى طول البلاد وعرضها، كما أفرد المؤلف دراسة واسعة عن الحصار المصرية فى عهد هذا الملك، وعن الحياة الاجتماعية، وقصة أول إضراب قام به العمال فى عهده، وتفاصيل المؤامرة التى دبرت لقتله.

## الجزء الثامن وعنوانه :

### نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين.

وفى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تاريخ الملوك الرعامسة فى الأسرة العشرين، بدءا من رمسيس الرابع حتى رمسيس الحادى عشر، مع شرح واف لتاريخ كل ملك من هؤلاء الملوك وأهم أعماله،

والآثار التي تركها، بالإضافة إلى التركيز على دراسة القانون الجنائي المصري الذي كان سائدا في ذلك العصر، وكيفية إجراء التحقيقات والمحاكمات الجنائية، وكيفية تنفيذ العقوبات المحكوم بها. كما بين المؤلف عوامل ضعف نظام الحكم في أواخر عصر الرعامسة ، الأمر الذي أدى إلى انتهاء عصر الأسرة العشرين وبداية عصر الأسرة الحادية والعشرين، حيث أستولى كهنة آمون على عرش مصر، وبدأ حكم الكاهن «حريجور» الذي أسس هذه الأسرة وأصبح أول ملك من ملوكها.

### الجزء التاسع وعنوانه :

نهاية الأسرة الحادية والعشرين وحكم دولة الليبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين .

يستعرض المؤلف في هذا الجزء أسماء وتاريخ بقية ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وكذلك أسماء وتاريخ ملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، مع استعراض الآثار التي تركوها والمقابر التي أقاموها لأنفسهم، وكبار رجال الدولة الذين تعاونوا معهم في حكم البلاد .. ثم يفرد المؤلف دراسة مستفيضة خاصة بالعبرانيين، فشرح أصلهم ، والمملكتين اللتين أقاموهما في فلسطين وهما مملكة إسرائيل ومملكة يهودا، مع التركيز على عصر الملكين داوود وسليمان. كما شرح أوجه حياتهم الاجتماعية العامة ، وعقائدهم الدينية، والنبوءات التي تنبأ بها أشهر أنبيائهم.

### الجزء العاشر وعنوانه :

تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيمنخي

يتضمن هذا الجزء شرحا وتحليلا لروابط الوحدة بين مصر والسودان منذ عصور ما قبل التاريخ .. ثم استعراضا ضافيا للعلاقات

المصرية النوبية خلال العصور التاريخية، سواء فى العصر العتيق ثم فى عصر الدولة القديمة فالدولة الوسطى فالدولة الحديثة .. وحصرأ شاملاً للمنشآت المدنية والدينية والعسكرية التى أقامتها مصر فى بلاد النوبة، خصوصاً بالنسبة للحصون التى أقيمت لحماية مناجم الذهب وطرق المواصلات، مع التطور فى التعاون العسكرى بين الجنود المصريين والجنود النوبيين الذين اشتركوا فى فرق الجيش المصرى .. ثم قيام النوبيين بتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين التى حكمت مصر.

### الجزء الحادى عشر وعنوانه :

تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور

فى هذا الجزء يستكمل المؤلف دراساته عن تاريخ الملوك النوبيين الذين حكموا مصر فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين (فى القرن الثامن قبل الميلاد) .. ويستعرض الحروب التى خاضوها لتثبيت أركان حكمهم، والآثار التى شيدوها فى مختلف أنحاء الديار المصرية والبلاد النوبية .. ويفرد المؤلف القسم الأخير من هذا الجزء لتقديم دراسة عن تاريخ مملكة آشور وعلاقتها بمصر، وازدهار الامبراطورية الآشورية حتى سقوطها فى نهاية الأمر.

### الجزء الثانى عشر وعنوانه :

عصر النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الإغريق

وفى هذا الجزء يعرض لنا المؤلف تاريخ الأسرة السادسة والعشرين التى اتفق المؤرخون على تسمية عصرها بعصر النهضة

المصرية، ويتوسع المؤلف فى شرح تاريخ الملوك الستة الذين تتألف منهم هذه الأسرة، وعلى رأسهم الملك «بسماتيك الأول»، مؤسس هذه الأسرة، حيث يذكر لنا بالتفصيل جميع الأعمال التى قام بها كل ملك من ملوك هذه الأسرة والتى أدت إلى تحقيق نهضة حقيقية فى مسار التاريخ المصرى القديم، وانعكست على الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى علاقات مصر بالدول والبلاد المجاورة .. ثم أفرد المؤلف فى القسم الثانى من هذا الجزء دراسته ممتعة عن تاريخ الحضارة الإغريقية التى ظهرت فى بلاد اليونان، وعرض لنا فى هذه الدراسة كيفية ظهور الأساطير الإغريقية الأولى، وملحمتى الإلياذة والأوديسة، والتاريخ القديم لبلاد اليونان، وحروبها مع طروادة، وظهور ونمو المدن المستقلة، وتاريخ الحروب التى دارت بين الإغريق والفرس، وتاريخ الاسكندر المقدونى والغزوات الحربية التى قام بها.

### الجزء الثالث عشر وعنوانه :

#### من العهد الفارسى إلى دخول الإسكندر الأكبر مصر

يبدأ هذا الجزء بدراسة تاريخ الفتح الفارسى (فى القرن السادس قبل الميلاد) والآثار السيئة المترتبة على هذا الغزو، وثورة المصريين ضد هذا الغزو المقيت فى نهاية عهد الملك الفارسى «دارا» .. وهى الثورة التى أدت إلى طرد الفرس من مصر، وتأسيس الأسرة الثامنة والعشرين، وتلتها الأسرة التاسعة والعشرون، حيث قام ملوكها المصريون بمواصلة الحروب ضد الفرس وصدد هجماتهم المتكررة . وفى هذا الجزء أيضا يستعرض لنا المؤلف أحوال الجيش المصرى بعد طرد الفرس من مصر .. ثم يفرد لنا فى القسم الأخير من هذا الجزء

دراسة تفصيلية واسعة عن تاريخ المملكة الفارسية وكيفية نشأتها، وتاريخ ملوكها الأوائل، وماهية الديانة واللغة والعادات الاجتماعية فى بلاد فارس القديمة. ومن أهم البحوث التى تضمنها هذا الجزء الثالث عشر ذلك البحث التاريخى الرائع لقناة السويس، وكيف فكر المصريون القدماء فى توصيل النيل بالبحر الأحمر منذ عصر الأسرة الثانية عشرة.

#### الجزء الرابع عشر وعنوانه:

##### الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة فى مصر

يتضمن هذا الجزء دراسة واسعة عن أثر الحضارة المصرية القديمة فى الحضارة الإغريقية، ومجىء الاسكندر بجيشه إلى مصر، وتأسيس مدينة الاسكندرية، ورحلته إلى واحة سيوه، وموت الاسكندر فى بابل، وتقسيم امبراطوريته بين قادة جيشه، وكيف أصبحت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس الذى توج نفسه ملكا عليها وأصبح على رأس أسرة البطالمة الذين حكموا مصر من بعده على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون.. ويتوسع المؤلف فى شرح نظام الحكم فى عهد بطليموس الأول وبطليموس الثانى، وازدهار الصناعة والتجارة والعمارة، وأحوال الحياة الاجتماعية، وموقف المصريين من الحكم البطلمى، وأحوال اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصر فى ذلك العصر.

#### الجزء الخامس عشر وعنوانه:

##### من أواخر عهد بطليموس الثانى إلى آخر عهد بطليموس الرابع

يعتبر هذا الجزء أوسع دراسة باللغة العربية عن العصر البطلمى الأول فى مصر، حيث يتجول بنا المؤلف القدير فى تفاصيل تاريخ



كل من بطليموس الثانى والثالث والرابع، والآثار الرائعة التى تركها كل منهم فى مختلف أنحاء الديار المصرية، وشرح الوثائق والبرديات التى ترجع إلى تاريخهم والتى تحتفظ بها الآن متاحف أوروبا خصوصاً فى إنجلترا وفرنسا، وتتضمن هذه الوثائق التى كتب أغلبها بالخط الديموطيقى عقوداً للزواج وعقوداً لبيع المنشآت العقارية، وعقوداً لقرض الأموال.. الخ، كما تتضمن الدراسة أيضاً أحوال الشعب المصرى بمختلف طبقاته خلال عهود هؤلاء البطالمة.

### الجزء السادس عشر وعنوانه :

من عهد بطليموس الخامس إلى نهاية عهد بطليموس السابع ويعتبر هذا الجزء آخر أجزاء الموسوعة التاريخية التى كتبها الدكتور سليم حسن، حيث لم يسعفه العمر لاستكمال دراسة بقية عصر البطالمة الذى انتهى بمصرع كليوباترا السابعة وبداية العصر الرومانى (عام ٣١ ق.م). ويتجول بنا المؤلف القدير فى رحاب تاريخ كل من بطليموس الخامس الذى ينسب إليه المرسوم الملكى المدون على حجر رشيد باللغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية والديموطيقية واللغة اليونانية، وهو الحجر الذى فتح الطريق أمام شامبليون ليفك رموز وعلامات وحروف الكتابة الهيروغليفية، وفتح الطريق بالتالى أمام المؤرخين وعلماء الآثار لقراءة معالم التاريخ المصرى القديم المدون على جدران المعابد والمقابر والنصب التذكارية وصفحات البردى.. ثم ينتقل المؤلف إلى استعراض تاريخ بطليموس السادس لتتعرف على سوء الأحوال والعلاقات التى سادت بين أفراد الأسرة البطلمية، الأمر الذى أدى إلى تدخل الرومان فى شئون مصر.. وفى عهد بطليموس السابع

حدثت ثورة فى طيبة اشترك فيها الشعب المصرى ضد حكم هذا الملك، الأمر الذى يثبت معه مدى كراهية المصريين لهؤلاء الحكام الأجانب الذين دب فى أخلاقهم الفساد من كل الوجوه .. ومع ذلك وبالرغم من سوء أحوال مصر فى الداخل والخارج، نجد أن فى عهد هؤلاء الملوك الثلاثة كانت تقام المعابد والمباني الدينية العظيمة التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن، وبخاصة معبد إدفو ومعبد كوم امبو ومعبد فيلة وغير ذلك من روائع الآثار المصرية.

### **مختار السوفى**



الإهداء

إلى روح صديق العزيز

أحمد عبد الوهاب باشا

طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته .

إلى الذين أرادوا الإساءة إلىّ فأحسنوا ، وباعدوا بيني وبين الوظيفة

قربوا بيني وبين الإنتاج وخدمة العلم والوطن

إلى الذين شجعوا الدراسات المصرية

إلى كل أولئك أهدى هذه الموسوعة في تاريخ الدولة الفرعونية القديمة .



## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره ، وأسأله السداد والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق . (وبعد) فهذه محاولة جريئة أردت بها أن أجمع في مؤلف واحد تاريخ شعب عريق قديم ، له عقيدته وفلسفته في الحياة ، وله ثقافته ونظامه وطرائق معيشته ، ولم آتخذ من تاريخ الفرعون نموذجاً لتاريخ شعبه ( كما جرت العادة بذلك في الكتب ) ، ولم أجعل حياته وعاداته ونظمه وثروته ومعتقداته مقياساً للحكم على أحوال رعيته ، فقد يكون الفرق بينهما كبيراً ، والهوة سحيقة ، بل جعلت حال الشعب أساساً لما كتبت ، وفي ذلك ما يقربنا من الحقيقة ، ويجنبنا مزالق الخطأ والضلال .

وإذا لازمنا التوفيق ، وأمكنا أن نبني تاريخاً من المادة التي وجدناها مبثورة في مقابر الدولة القديمة ومعابدها ، كان ذلك من غير شك أساساً متيناً ودعامة قوية لدرس كل مدنات العالم ؛ إذ أن مصر هي المنبع الأول الذي ظهرت لنا منه كتابات مدونة ، في الوقت الذي كانت فيه كل ممالك العالم تقريباً تهيم على وجوهها في الغابات ، وتبته في الجاهل والأحراج . ومن هذه المدينة المصرية اعترف العبرانيون والإغريق والأسويون ، ومن ثم تسربت إلى أوروبا .

وإنك لتجد فارقاً واضحاً يفصل بين المدينة المصرية القديمة وبين ما عداها من مدينة الإغريق وغيرهم ، ذلك أن المصرى كان يفكر دائماً في دائرة الحس ولا يسمح لعقله بأن يخلّق في أجواء المقولات والمعاني ؛

فهو لا يؤمن بالحب وإن كان يقدس المحبوب ، ولا يعرف الشجاعة ولكنه يقدر الرجل الشجاع ، وتبعاً لطريقته هذه في التفكير كان لابد له من أن يجسم آلهته ويصورها ويتخذها من الحيوان والكائنات مظاهر يقدسها ويعبدها مع اعتقاده بالوحدانية . ويظهر أن شمس مصر الحارة التي كانت تلهب جسم المصرى ، وتشعره دائماً بوجودها هي التي أرهفت عنده قوة الحس ، كما أن انتقابها واحتجابها في أوروبا مال بالأوروبيين عن محيط المحسوسات إلى المقولات .

ولقد اقتصرنا في تاريخنا على الدولة القديمة وبداية العهد الإقطاعي لاتساع الموضوع وتشعب نواحيه وضرورة الإلمام بجميع أطرافه ، ولم نستطع أن نجزم في كثير من الأمور برأى قاطع لأن هناك تراثاً تحت الأرض لما يكشف عنه الزمن ، ولم يسمح لنا القدر بالتعرف عليه ، وإذاعة ما طواه من خبر يقين وسردفين ، ومن التجديف والجرأة أن تقدمه للقراء حقيقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وهناك موضوعات جديدة حاولت سبكها على غير مثال سابق ، بل لم يطرق الكثير منها من قبل لقلة المصادر وغموضها ، فأطلقنا للخيال بعض الحرية لينسج من العناصر التاريخية القليلة التي وجدناها عن هذه الموضوعات ثوباً قشياً تظهر به بين أترابها من الموضوعات التاريخية الأخرى ، وتقصد بذلك أن نكسو عظام الحقائق التاريخية الجافة لحما ثم نبث فيها روحاً يحركها فتصبح حية يراها القارئون ويمثلونها .

وإن من يعرف اللغة المصرية القديمة ، وصعوبة فهمها ، واحتمال اللفظ كثيراً من المعاني يلتمس العذر لعلاء الآثار في اختلافهم وتمدد آرائهم

وتباين مذاهبهم فى موضوعات كثيرة ، على أنا أوردنا أقوم هذه الآراء ، وأثرها إلى المنطق والعقل وأقواها حجة ودليلا .

ولقد آثرت الأسلوب السهل فى إبراز موضوعات هذا الكتاب لوعودة موضوعاته ولتناسب المعانى إلى ذهن القارىء ، فى غير إجهاد فكر أو إعمال عقل ؛ ومن الأسف أن قليلا من الكلمات الأعجمية أو العربية المحرفة قد اضطررتنى إلى الاعتراف به واستعماله حينما وجدت رديفه العربى غريبا أو قليل الاستعمال . ولقد كانت رغبتنا فى أن يبدو كل موضوع من موضوعات الكتاب وحدة متماسكة مكتملة الاجزاء ، ظاهرة الاستقلال بجميع عناصرها ؛ سببا فى أن تعرض إلى بعض الحقائق التاريخية أكثر من مرة ملحقين إليها ، أو مارين بها ، أو مسهبين فى ذكرها حسبما يقتضيه المقام .

ومن الواجب علىّ هنا أن أعترف بالمساعدة العظيمة التى قدمها لى كل من الأستاذ محمد النجار مدرس اللغة العربية بمدرسة شبرا الابتدائية والأستاذ عبد السلام عبد السلام ، فقد عنى الأول . بقراءة النسخة الخطية ومراجعتها من الوجهة النحوية بقدر ما سمحت به الظروف ؛ أما الثانى فقد تمهد قراءة تجارب الكتاب كله ووضع الفهرس له وسام فى إنجاز طبعه بسرعة . هذا وإنى لأشكر صاحبى مطبعة كوثر على عنايتها بطبع الكتاب طبعا جيلا فى تلك الظروف الدقيقة .

وقد جعلت الكتاب قسمين : يتحدث الأول عن عهد ما قبل التاريخ إلى نهاية الأسرة العاشرة ويتكلم الثانى عن مدينة الدولة القديعة حتى العصر الإهناسى فإن كنت قد قاربت السداد وسلكت طريق الرشاد فهذا ما أرجوه وأحمد الله عليه ، وإن كان قد نبأ بى الفكر أو شط القلم فالخير أردت وما توفيقى إلا بالله



## فائز بأهم التواريخ

من الدولة القديمة إلى الأسرة العاشرة  
( حسب تاريخ الأستاذ برستد ) .

- ١ - بداية استعمال النتيجة سنة ٤٢٤١ ق . م
  - ٢ - الأسرتان الأولى والثانية من ٣٤٠٠ - ٢٩٨٠ ق . م
  - ٣ - الأسرة الثالثة ٢٩٨٠ - ٢٩٠٠ ق . م
  - ٤ - » الرابعة ٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ »
  - ٥ - » الخامسة ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ »
  - ٦ - » السادسة ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ »
  - ٧ - الأسرتان السابعة والثامنة ٢٤٧٥ - ٢٤٤٥ ق . م
  - ٨ - » التاسعة والعاشرة ٢٤٤٥ - ٢١٦٠ ق . م
- هذه التواريخ تقريبية محضة قد تزيد أو تقل عن مائة سنة

# الفصل الاول

## مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ

ظلت معلومات العالم أجمع عن تاريخ مصر القديم ضئيلة هزيلة حتى منتصف القرن التاسع عشر، وذلك يرجع إلى عدم معرفة قراءة نقوشها. حقاً إن عدداً لا بأس به من قدماء كتاب الاغريق والرومان الذين وفدوا على أرض مصر طلباً للوقوف على غرائبها وعجائبها، قد وصفوا البلاد وصفاً مسهباً وكتبوا بقدر ما وصلت إليه معلوماتهم عن تاريخها المجيد، ولكن لسوء الحظ كان كل ما وصل إلينا من كتاباتهم قد أخذوه إما عن طريق الرواية أو مجرد وصف خرفاني، وقد بقيت هذه الروايات مصدرنا الوحيد عن تاريخ مصر القديم حتى با كورة القرن التاسع عشر. وأهم هؤلاء الكتاب المؤرخ «هرودوت» و«ديدور الصقلي» و«استرابون» وغيرهم ممن قاموا بسياحات في مصر في عهد ملوك البطالسة والعهد الروماني. وهذا يبق تاريخ البلاد الحقيقي قبل عصر البطالسة سرا غامضاً لا نعرف شيئاً عنه إلا ما وصل إلينا عن طريق المؤرخ المصري «مانيتون» الذي كتب تاريخ البلاد في عهد البطالسة قلاعاً عن أصول مصرية قديمة كما يظهر ولكن للأسف لم يصل إلينا منه إلا مختصر لا يشفي الغلة. على أن كثيراً مما ذكره في كتابه لم تحققه المصادر الأصلية التي عثر عليها للآن بعد كشف أسرار اللغة المصرية وقد بقى العالم يرتكز في معلوماته عن تاريخ مصر على ما تركه لنا كتاب اليونان، ومختصر مانيتون، ولم تكن لدينا طريقة إلى تصحيح أغلاطهم وسد الفجوات التي

التاريخ المصري وكتاب  
إلاغريق والرومان

كانت تعترض الباحث في تاريخ البلاد. ومن أجل ذلك قام بعض العلماء بمحاولات  
لحل رموز اللغة المصرية حتى يصلوا إلى معرفة تاريخ البلاد الحقيقي ، مثل الأب ،  
« كرش » إلا أن ذلك لم يسفر عن نتيجة مرضية ، ولكن منذ أن رست الحملة الفرنسية  
على شاطئ النيل بدأت صفحة جديدة في تاريخ البلاد ؛ إذ في الوقت الذي كانت  
فيه الجنود الفرنسية تحارب المماليك كانت هناك حملة أخرى فرنسية علمية يجول  
أعضاؤها في طول البلاد وعرضها لدرسها درساً علمياً منظماً من كل الوجوه فبحثوا  
جغرافية البلاد وحيوانها ونباتها وزراعتها المختلفة وحرفها ثم درسوا أخلاق القوم  
وعاداتهم وآثارهم وقللوا النقوش القديمة التي كانت وقتئذ ظاهرة على معابد البلاد

الحملة الفرنسية  
وأعمالها العلمية  
في مصر

وبعد ذلك قاموا بتدوين كل بحوثهم بدقة وعناية في مؤلف خاص يشمل عدة  
مجلدات أطلق عليه : Description de l'Egypte ولكن بكل أسف لم يستفد التاريخ  
من كل هذه البحوث إلا أشياء ضئيلة ، وذلك لأن النقوش التي نقلوها من المعابد وغيرها  
بقيت صامته إلى أن جاء « شمليون » وحل رموزها كما سنذكره بعد . ومنذ حل  
رموز اللغة المصرية أخذ تاريخ البلاد الحقيقي ينجلي شيئاً فشيئاً مما قضى على الأساطير  
والخرافات التي نقلها كتاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وقد بقيت  
هذه الأساطير تعتبر في أعين العالم إلى هذا الوقت أنها تاريخ البلاد الذي يعتمد عليه .

الاساطير اليونانية  
تعتبر مصدر  
التاريخ المصرى

وفي الفترة التي كان في خلالها علماء الآثار المصرية يسرون بخطى وثيدة ثابتة في  
كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقي بفضل المجهودات الجبارة التي كانت تبذل  
في عمل الحفائر ، وحل رموز النقوش التي كانت على جدران المعابد وفي أوراق البردى  
في وادى النيل ، كانت هناك جهود أخرى عظيمة يبذلها جماعة من علماء أوروبا في

علماء الآثار  
والتاريخ المصرى

وضع أساس لعلم آخر جديد في الجهة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط . وهذا العلم الجديد هو علم ما قبل التاريخ وقد كان في بدايته غير مدعوم الأساس إذا قرناه بعلم الآثار المصرية . وكانت ماهيته تنحصر في بحث حل مسألة أصل الإنسان قبل التاريخ أو بمباراة أخرى قبل ظهور الكتابة وذلك بدرس بقايا العظام الأنسانية وغيرها مما خلفه أصحابها من الآثار والصناعات التي تركت بعدهم على سطح الأرض مهلة أو وجدت مدفونة في المغارات والكهوف أو في مجارى الأنهار القديمة . وقد أسفرت النتيجة أخيراً عن نجاح بعض العلماء بعد معارضة شديدة في وضع أسس لهذا العلم والواقع أنه بعد مجهود نصف قرن تمكن العالمان « بوشيه » و « بيرن » من وضع مؤلف يبحث في عصر ما قبل التاريخ ، وقد جاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت أصول هذا العلم يبحثهم حتى أصبح معترفاً به في كل الأوساط العلمية في أوروبا .

ومن المدهش أن بعض الكتاب الأقدمين قد تكلموا عن هذا العلم قبل معرفته ووضع أصوله ، فقد أشار الشاعر اللاتيني لوكريه Lucree إلى ذلك بقوله : « أن الإنسان الأول كان يجمل استعمال المعادن ، ولذلك كان يتخذ الأخشاب والعظام وخاصة الأحجار المهدبة بخلق ومهارة آلات وأسلحة للصيد والحرب ، وبعد ذلك بزمن أصبح الإنسان زارعاً . ثم أخذ في تحسين آلاته وصقل حد (بلطته) »

والواقع أن ذلك يتفق مع الحقائق التاريخية إذ وجدنا أن العصر الحجري قد استعمل فيه الطران المهدب ثم المصقول ثم خلف ذلك عصر يشعر بالرقى والتدرج وهو عصر استعمال معادن . ويلاحظ أنه بظهور المعادن بدأ استعمال الطران يقل شيئاً فشيئاً ولا غرابة فأن استعمال النحاس ، ثم اختراع البرنز الذي حل محله الحديد

بداية وضع علم  
ما قبل التاريخ

أول مؤلف في علم  
ما قبل التاريخ

الكتاب الاقدمون  
وعلم ما قبل التاريخ

أزمان عصر ما  
قبل التاريخ

فترة قصيرة، كان من الأمور التي خطت بالإنسان خطوات جديدة نحو الرقى حتى العصر التاريخي أى عصر استعمال الكتابة والقراءة في تدوين كل حوادثه وأعماله. على أن أمم العالم لم تتساو كلها في الوصول إلى هذه الدرجة بسرعة واحدة أو في وقت واحد. فمثلاً البلاد المصرية والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادي في الوقت الذي بقيت فيه زمناً طويلاً تجهل وجود الحديد؛ ومن جهة أخرى نشاهد أن سكان ممالك البحر الأبيض المتوسط قد مكثوا عدة قرون مدفونين في ظلمات عصر ما قبل التاريخ، ومع هذا فإنهم كانوا يعرفون استعمال الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الروماني

ومن الطريف المدهش أن أبحاث علماء ما قبل التاريخ قد ظلت غير معترف بها عند علماء الآثار المصرية معظم القرن التاسع عشر، وسبب ذلك أن هؤلاء الأثرين كانوا يشكّون في وجود عصر في تاريخ مصر قبل عهد الدولة القديمة، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن سكان مصر لم يكن لهم عهد طفولة كباقي الأمم، بل أنهم وجدوا في التاريخ فجأة، وأن مدينتهم كانت شبه كاملة، ولذلك رفض علماء الآثار أن يبحثوا عن منشأ هذه الثقافة الزاهرة التي كان لابد لها أن تصل إلى ما وصلت إليه تدريجاً بعد اقضاء عدة قرون، ولهذا السبب أبوا أن يفحصوا الآلات المصنوعة من الحجر، وهي التي وجدوها عفواً أثناء القيام بأعمال الحفر أو التي جمعت من فوق سطح الأرض؛ وقد فسروا وجودها بأنها من عمل الطبيعة أو أنها صنعت في عهد الأسر الفرعونية وهكذا بقي النضال بين علماء الآثار قائماً إلى أن وفد على وادي النيل العالم

الفرنسي أرسلان Arcelin فكان أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ في مصر.

وقد دعم قوله بالبراهين

علماء الآثار المصرية  
لا يعتبرون بعلم ما  
قبل التاريخ

العالم أرسلان أول  
من أثبت وجود علم  
ما قبل التاريخ في مصر

حضر هذا العالم إلى مصر في عام ١٨٦٨ وساح في النيل ذهاباً وإياباً وقام أثناء رحلته بأبحاث متتجة فجمع من حافة الصحراء التي أقيم عليها الأهرام بعض آلات من الطران المهنذب التي تشبه ما عثر عليه في أوربا ، وقد أسعده الحظ بأكثر من ذلك إذ عثر في الهضبة التي تشرف على وادي الملوك تجاه الأقصر على مصنع عظيم من الطران يرجع عهده إلى العصر الحجري القديم ( الباليوليتي ) ، وقد ظهر أن ما وجد في هذه البقعة يشبه كثيراً ما عثر عليه في سان آشل Saint Acheul . وفي الجنوب من البقعة السالفة الذكر وفي أبي منقار عثر على بعض آلات من العصر الحجري الحديث وبعد اقضاء فترة وجيزة على هذا الكشف عثر العالمان «لنرمان» و «هنري» Lanormont & Henry على بعض آلات لها أهمية عظيمة بالقرب من جبانة طيبة وقد كان نتيجة هذا الكشف أن اعترفت جمعية درس أصل الانسان في عام ١٨٧٠ بإمكان وجود عصر ما قبل التاريخ في مصر . وقد جاء مؤيداً لهذا الرأي ما عثر عليه الأب «رتشرد» في شبه جزيرة سينا ، وفي جوار القاهرة وفي طيبة غير أنه بالرغم من ذلك كان علماء الآثار يعارضون في وجود علم ما قبل التاريخ في مصر بحجة أنهم وجدوا مثل هذه الآلات التي عثر عليها هؤلاء الباحثون في المقابر المصرية القديمة ، ولم يفهموا أن هذه الآلات ربما كانت من مخلفات أزمان ما قبل التاريخ وأنها بقيت مستعملة بالتوارث والعادة حتى العهود التاريخية . وقد بقي علماء الآثار أمثال «مريت باشا» و «لبسيوس» و «شاباس» على رأيهم رغم محاولات علماء ما قبل التاريخ في إقناعهم بصحة وجود عصر في تاريخ مصر قبل الدولة القديمة ؛ وقد استمر هذا أكثر من ثلاثين عاماً إلى أن وضع الأمور في نصابها عالم من علماء الآثار

أعترف جمعية درس  
أصل الانسان بوجود  
عصر ما قبل التاريخ  
في مصر

أنفسهم وهو « جاك دى مرجان » الذى كان مديراً للآثار المصرية فى ذلك العهد فجمع فى مجلدين ضخمين كل ما كتب فى هذا الموضوع وانهى به البحث إلى أن أتد فكرة وجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر وأضاف إلى ذلك ملاحظاته الشخصية التى جمعها مدة إقامته الطويلة فى وادى النيل . إذ فى خلال تلك المدة درس الأحوال والأماكن التى وجدت فيها الآلات الحجرية وأثبت بالبراهين الناطقة قدم الآلات التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ ، عن الآلات التى بقى الانسان يهذبها بطريق العادة على غلط سالفها فى العصور التاريخية ثم يستعملها وبعد أن وصل إلى هذه النتيجة أخذ يبرهن للعلماء على أن آلات ما قبل التاريخ المصرى تكاد تكون مماثلة لما هو محفوظ فى متاحف أوروبا من نفس العصر وبعد ذلك أثبت بصفة نهائية أن عصر الحجر المذهب فى مصر قد سبق عصر الحجر المصقول وأن الأخير قد خلفه عصر استعمال المعادن كما هو الحال فى إنجلترا وفرنسا وغيرها .

« دى مرجان » أول عالم أثري يعترف بوجود هذا العلم فى مصر

وفى عام ١٨٩٧ وضع العالم « دى مرجان » نتائج أبحاثه أمام العالم ومنذ ذلك العهد اعترف فعلاً بوجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر ، ومن ثم أخذت البحوث ترى معززة رأى هذا العالم العظيم أو مكملة لبحوثه ، وفى بعض الأحيان كانت مصححة لبعض أخطائه فى نقط مختلفة . وقد مهدت لنا أبحاث الأستاذ « فلندرز بترى » « ودي مرجان » السبيل لايجاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصرى وعصر الدولة القديمة وقد أطلق على هذه الفترة عصر ما قبل الأسرات

أبحاث فلندرز بترى فى علم ما قبل التاريخ فى مصر

وعثر الأثرى « لجران » بعد ذلك على محطات جديدة وعثر كذلك العالمان « ستون »

و«كار» وغيرهما في منطقة الصحراء على حافة النيل على مواقع من هذا العصر .  
وقد أشار الأستاذ «شفينفورت» العالم الألماني إلى وجود عدة محطات فيها آلات يرجع  
عهدهما إلى عصر ما قبل التاريخ

## مصر والنيل

مما لا جدال فيه أن البلاد المصرية كانت تختلف اختلافاً بيناً عما هي عليه الآن  
عندما بدأ يظهر فيها الانسان الأول . ولأجل أن نكون فكرة عن حالة البلاد  
الطبيعية في هذا العهد يجب علينا أن نرجع إلى الوراء إلى عهود جيولوجية سحيقة في  
القديم أى قبل أن يظهر أثر الانسان بعدة قصيرة نسبياً . وهذا المصري يعرف في  
التاريخ الجيولوجى القشرة الأرضية بالزمن الجيولوجى الثالث . على أننا لن نبحث  
هنا عن المراحل الجيولوجية التى سبقت هذا العهد ونعنى بذلك المرحلتين الأوليين .  
وكذلك لن نتكلم عن النيل الأولى (القديم) الذى سبق النيل الحالى ، بل سنكتفى  
هنا بأن نذكر بعض تفاصيل لا بد منها للباحث فى تاريخ مصر وطبيعة بلادها .  
تتكون القشرة الأرضية فى البلاد المصرية من ثلاث طبقات متتابعة بعضها  
فوق بعض (أولاً) نجد فى الزمن الجيولوجى الأول أن التربة كانت تتألف من صخور  
شيسية متبلورة منها حجر «البرفير» والجرانيت ثم الديوريت  
(ثانياً) فى الزمن الجيولوجى الثانى نجد أن التربة كانت تتكون من صخور  
رملية ..

الازمان الجيولوجية  
التي سرت بمصر

طبقات القشرة  
الأرضية فى مصر



(ثالثاً) ظهرت في بداية الزمن الثالث طبقات جيرية تحتوى على قواقع نومولية.

والواقع أن الصخور الشيستية المتبلورة السالفة الذكر ينحصر وجودها في الصحراء الغربية وحول الشلال الأول . أما الصخور الرملية فأنها توجد في بلاد النوبة وفي الوجه القبلى حتى إسنا وكذلك توجد في الأقصر والقاهرة وبالقرب من القاهرة وفي الواحة الخارجة.

أما الطبقات الجيرية فقد تكونت منها الصحراء اللوية ، وكذلك المرتفعات التي تحف نهر النيل من بداية مدينة الأقصر إلى القاهرة .

ولا جدال في أن الكتل الكثيفة الصخرية من الحجر النوبى الرملى التى تتألف منها تربة أرض مصر قد مرت عليها تقلبات جيولوجية كثيرة إذ كانت في الواقع تغطى جزئياً بالماء أحياناً ثم تظهر ثانية مما سهل للبحر الجيرى ثم البحر النيوموليتى أن يتركها رواسبها على السطح ويكوّن طبقات جيرية كثيفة من الجير وهى التى تغطى في كل مكان طبقات الحجر النوبى الرملى من إدفو إلى بداية الدلتا. وبعد ظهور هذا الإقليم من الماء نهائياً—وقد حدث ذلك بعد العهد الأيوسينى—نجد أن الإقليم التاسع الذى أطلق عليه فيما بعد مصر قد ظهر ، غير أنه شوهد في سطحه ميل مزدوج

الميل المزدوج في  
طبيعة أرض مصر

خفيف من ناحية ؛ ومنحدر من الناحية الأخرى. ويتجه الميل الأول من الجنوب إلى الشمال حسب اتجاه النيل . أما الميل الثانى فإنه أشد انحداراً ويتبدى من الشرق إلى الغرب أى من شواطئ البحر الأحمر إلى إقليم الواحات . وهذان الميلان في طبيعة أرض الوادى يرجع سببهما بلا نزاع إلى الظواهر البركانية التى حدثت في الجهة الشرقية

منه وفي إقليم السودان . ولا شك أن تسامح هذه الظواهر عظيمة جداً من الوجهة الجغرافية لأنها كبقية التغيرات التي كان لابد لسطح الوادى أن يخضع لها بفعل تأثير مياه النهر والواقع أن نهر النيل قد شق مجراه في هذه الهضبة غير المتكافئة في ارتفاع جبالها ، بخط يكاد يكون مستقيماً وكون منها منطقتين منفصلتين مختلفتان اختلافاً يبنّا من حيث الارتفاع والشكل . أحدها شرقية وهي التي تسمى صحراء العرب ويمتاز تكوينها الطبيعي بأن جبالها تصل إلى ارتفاع عظيم بالقرب من الشاطئ ثم تنحدر تدريجاً نحو الوادى . أما المنطقة الثانية فيطلق عليها اسم صحراء ليبيا وتبتدى بتلال قليلة الارتفاع تسير مع السهل الرملى وتنتهى بعدة منخفضات يصل مستوى بعضها أحياناً إلى أقل من مستوى البحر . ويطلق على هذه المنخفضات اسم الواحات .

صحراء العرب  
وصحراء ليبيا

وعلى هذا النحو تكون هيكل بلاد الفراغة في الزمن الجيولوجى الثالث ، وفي نهاية هذا الزمن وبداية الزمن الجيولوجى الرابع أخذت العوامل الجوية تؤثر بفعالها حتى نحتت في سطح هذه الهضبة وادى النيل الحالى . إذ كانت تتساقط في هذه الجهة سيول جارفة يمكن أن نعرف مقدار عظمها وشدتها من الأمطار الاستوائية الحالية . وقد كونت هذه الأمطار عدة مجار من الماء قامت مقام العمال في نحت وديان عدة . في الصخور ، وهذه الوديان قد جفّت ما وُها منذ أزمان سحيقة ، غير أن أماكنها لا تزال باقية إلى الآن دالة على وجودها رغم نضوب الماء منها .

كيفية تكوين  
وادى النيل

والظاهر أن النيل لم يستتب في مجراه الحالى إلا منذ أزمان حديثة ولا ريب أن سيره كان قد عوق في الأزمان الغابرة عند مرتفعات أسوان بحاجز من الجرانيت

ومكث مدة طويلة لم يتمكن من تذليل هذه العقاب الجرانيتية ، فكانت مياه النهر  
تضطر أن تدور حول هذه الكتل الضخمة ، ولكن فعل المياه تقلب في النهاية  
وشق مجراه الحالى ، ولا تزال أحجار الشلال الأول شاهدة عدل على المقاومة التي  
كانت ولا تزال تعترض النهر في سيره

يضاف إلى ذلك أنه كانت تعترض النهر الصخور النوية الأقل صلابه  
من الجرانيت . وقد كانت هذه الصخور تؤلف عدة شلالات صغيرة من بداية مدينة  
السلسلة الحالية جنوباً ، فكانت تمرقل سير النهر وتضع في طريقه العقبة تلو العقبة ،  
وكذلك كان يصادفه في سيره مستويات أعلى من مستوى مجراه الحالى مما حتم  
تكوين عدة بحيرات خلفها في جهات مختلفة في الوادى

ولا أدل على ذلك من بقايا السد الذى كان يعترض النهر عند جبل السلسلة  
وكذلك سهل « كوم أمبو » فانه عبارة عن حوض ماء كانت تخزن فيه المياه التي  
كان يعوقها سد طبعى اعترض لها في طريقها

ويمكننا حسب نظام القوانين الطبيعية وتكوين الأنهار أن نحكم بأن النيل  
مر عليه عصران متتابعان متميزان في تاريخ تكوينه

أولاً :- كان النهر في بادئ الأمر ذا مياه سيالة تجري في منحدر سريع من الجنوب  
إلى الشمال مما جعله يقطع لنفسه أولاً مجرى عظيماً جداً قريب الغور كان ينحته لنفسه  
على كمر السنين ثم أخذ بعد ذلك ينكش هذا المجرى الواسع شيئاً فشيئاً . وكان  
قطاع الوادى في هذا الطور شبه رقم ٧ ولكن الاختلافات التي كانت تحدث في مقدار  
حجم المياه المتدفقة سنوياً ، وفي قوة التيارات كانت أحياناً تزيد في حدة التآكل في

تأثير الصخور في  
تكوين مجرى النهر

مرور عصرتين على  
تكوين نهر النيل

الصخور وأحياناً تمل منها . ويمكن ملاحظة شدة هذا التآكل أوضعه في اختلاف حجم المدرجات التي يشاهد بعضها فوق بعض على طول شاطئ النهر . إذ الواقع أننا نراها الآن ظاهرة واضحة في الصخور فتارة يكون المدرج واسعاً وطوراً يكون ضيقاً مما يدل على عدم انتظام الظواهر الطبيعية .

أما العصر الثاني فأنا نشاهد فيه أنه بعد العهد الذي حفر النهر في خلاله مجراه قد خلفه عهد آخر ارتطم فيه المجرى ثانية . وتفسر ذلك أنه بعد عهد حفر النهر مجراه شوهد أن الجزء الأسفل من المجرى قد أصبح في عمقه يقارب عمق سطح البحر ثم وقف بعد ذلك عند هذا الحد ، غير أن فعل التآكل كان لا يزال سائراً في منحدر النهر ، ولكن مخلفات هذا التآكل لم تكن تكسح كلها إلى البحر لقلة الانحدار بل كانت تتراكم في قعر النهر . وكانت هذه الرواسب تزداد من عام إلى عام في القعر مما سبب ارتفاع منسوب مجرى النهر وقلل من حدة انحداره ؛ ومن ثم أصبح سير مائه معتدلاً وأخذت البلاد تستفيد منه . وهناك أدلة على هذه التغيرات واضحة ظاهرة في مجرى النهر من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط . فثلاً في منطقة القاهرة كان النيل في الزمن الجيولوجي الثالث له مجرى يبلغ عرضه في هذه النقطة مقداراً عظيماً . وكان جبل المقطم وهضبة الأهرام هما الحدان اللذان يجرى النهر في وسطهما في ذلك العهد . ولكن في الزمن الجيولوجي الرابع أخذت الرواسب تفر هذا المجرى شيئاً فشيئاً وكانت تتألف من الحصى الذي كان يندفع مع التيار ثم بعد ذلك غطى في آخر الأمر بالغرين ( الطمي الحديث ) . ومن ثم أخذ المجرى الواسع ينكش تدريجاً حتى أصبح ولم يبق من هذا المتسع العظيم في تلك النقطة إلا

مجرى صغير لا يزيد في اتساعه عن بضعة مئات الأمتار ، وفي نهاية الأمر أخذ النيل  
يصب في البحر الأبيض المتوسط ، غير أن ذلك لم يكن بوساطة مصبه الحالي بل  
بخليج ثلاثي الشكل يبعد عن البحر بنحو ٢٠٠ كيلو متر تقريباً ، ولكن الرواسب  
التي كان يأتي بها النيل سنوياً أخذت تغطي هذا المصب تدريجياً حتى كوّنت منه الدلتا  
الحالية . ويشغل المصب القديم جزءاً من مدينة القاهرة الحاضرة .

تكوين الدلتا

ومن مدهشات الصدف أن « هيكلاته » السائح اليوناني قد وصف مصر أو  
بعبارة أخرى الدلتا بأنها منحة النيل وقد قل ذلك عنه فيما بعد « هردوت » أبو  
التاريخ ، وقد جاء هذا الوصف مطابقاً للواقع بل هو الواقع نفسه . ولا جدال في أنه  
في هذا العصر السحيق لم تكن هناك أية صحار في أفريقية الشمالية إذ كانت  
كل هذه الأقاليم من المحيط إلى المحيط تغطيها رطوبة حارة تزيد من  
اخضرار الأراضي ، ولا بد أن منظر هذه البقاع كان يشبه أقاليم شمال البحر الأبيض  
المتوسط حيث يتوقف نمو النباتات على التقلبات الجوية وأمطارها الغزيرة التي تجعل  
وظيفة الأنهار في ري الأراضي مسألة ثانوية محضة . فقد كانت هذه الأمطار تكون  
البحيرات الشاسعة التي تسبح فيها التماسيح وجاعوس البحر وتنشأ فيها المستنقعات التي  
تخلق فوقها الطيور . وهذه المستنقعات كانت تشغل الأماكن المنخفضة ، ولا تزال  
الواحات الحالية شاهداً ناطقاً على ذلك ، ولا أدل على حقيقة ما ذكرنا من وجود  
بركة قارون في الفيوم والبحيرات الملحة ، ووادي النطرون . وكانت في المناطق التي  
تحيط بهذه البحيرات حيوانات بعضها من آكلة الحشائش وبعضها من آكلة اللحوم  
وقد أهرض بعض أجاسها واختفى نهائياً

مصر منحة النيل

إفريقية الشمالية في  
هذا العصر

تكوين الواحات

وعلى هذه الحال كانت تظهر للعيان الأرض المصرية عند بداية الزمن الجيولوجي الرابع وهو الوقت الذى ظهرت فيه أول قبيلة بشرية  
والآن نبدأ بالكلام عن هذه المصور التى أخذ الانسان يظهر فيها ثم أخذ يتقدم نحو الرقي شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى تدوين أفكاره بالكتابة وهو بداية العصر التاريخي.

## مصور ما قبل التاريخ

نشأ علم ما قبل التاريخ في أوروبا ولذلك كان من البديهي أن تكون كل مصطلحاته وتمايزه العلمية أوربية محضة . وقد بدأت دراسة هذا العلم في غربي أوروبا ولذلك نجد بعض الاختلافات عندما نريد تطبيق ما وصل إليه من النتائج في هذه الجهة بالنتائج التي وصل إليها في شرقي أوروبا . وليس من المستغرب إذن إذا كانت هناك اختلافات في النتائج التي عرفت في أوروبا أن نجد مثلها عند تطبيقها على باقي بلاد المعمورة الأخرى ، وذلك أمر طبعي إذ أن تربة كل بلد وأحوالها تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من وجوه عدة .

وقبل أن نخوض في بحث موضوعنا يجب أن نتساءل : إلى أى حد يتفق عهد ما قبل التاريخ في مصر مع عصر ما قبل التاريخ في أوروبا وإلى أى مدى يختلف عنه؟ والجواب على هذا هو أنها يتفقان معاً في كثير من الأحوال إلى حد ما وصلت إليه معلوماتنا اللهم إلا إذا ظهرت أشياء تنقض ذلك في المستقبل ، ولذلك يجب علينا

نشأة علم ما قبل  
التاريخ

عصر ما قبل التاريخ  
في مصر وفي أوروبا

أن تقتنى فى درس عصور ما قبل التاريخ المصرى عصور ما قبل التاريخ الأوروبى  
وقرنها ببعض ثم تقرب كلا منهما للآخر . وبهذه الطريقة يسهل علينا درس هذا  
العصر من تاريخ بلادنا .

وينحصر عصر ما قبل التاريخ المصرى فى المدة التى بدأ الإنسان يظهر فيها  
فى وادى النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق.م

٣٢٠ ق.م  
بداية العصر التاريخى

وقد أسفرت البحوث التى قام بها العلماء فى مدة الأربعين عاماً الأخيرة عن  
تقسيم هذا العصر الطويل إلى ثلاثة أقسام رئيسية ولا يزال العصر الأول منها غير  
معترف به من كل رجال هذا العلم إذ البعض يقره وطائفة منهم تنكره

( ١ ) العصر الأول ويطلق عليه اسم عصر ما قبل الحجرى القديم (الأيوليتى)  
وقد استعملت فيه أحجار الفران كما وجدت فى الطيبة مع بعض التهذيب

( ٢ ) العصر الثانى ويطلق عليه اسم العصر الحجرى القديم ( الباليوليتى ) وهو  
عصر استعمال الحجر المهدب تهديباً بسيطاً بعد القطع ومنه يتفرع العصر الحجرى  
الحديث ( النيوليتى ) وهو عصر الحجر المصقول بعد التهذيب

اقسام عصر ما قبل  
التاريخ

( ٣ ) العصر الثالث الذى ظهر فيه استعمال المعادن ويطلق عليه عصر بداية  
استعمال المعادن ( الأيوليتى ) . وقد استعمل فى هذا العصر الحجر والنحاس والحديد  
لعمل الآلات جنباً إلى جنب . وقبل أن نتكلم عن هذه العصور ببعض التفصيل  
يجب أن نلاحظ أنه يكاد يكون من ضرور المستحيل أن نحدد تاريخاً معيناً  
لعصور ما قبل التاريخ فى مصر اللهم إلا عندما ندخل فى عصر بداية استعمال المعادن  
( الأيوليتى ) وذلك عندما قرن الآلات التى ظهرت فى العصر الحجرى الحديث

بما بعدها في عصر بداية المعادن ( الانبولى ) فإنه يمكن أن نضع تواريخ نسيه وبخاصة بعد درس الفخار الذى ظهر فى العصر الحجرى الحديث

وكان أول من قام بهذا الدرس الفريد فى بابہ الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك بواسطة ملاحظات استتجها من درس مقابر سليمة عثر عليها فى جبانات يرجع تاريخها إلى عصر بداية استعمال المعادن، وأمكنه أن يرتب أنواع الفخار المختلفة التى عثر عليها فى تلك المقابر إلى أصناف ظهرت فى أزمان متتالية ورقمها من واحد إلى ثمانين . وهذه الأرقام تعادل ما يطلق عليه تتابع التاريخ أو تاريخ التتابع . رقم ٨٠ يعادل بداية العصر التاريخى الحقيقى أى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة

« فلندرز بترى »  
ودرس فخار ما قبل  
التاريخ

وأول عمل قام به السير « فلندرز بترى » فى ترتيبه التاريخى المتتابع أن أخذ رقم ٣٠ وخصّصه لآقدم ما عرف الى عهده من أنواع الفخار واحتفظ بالرقم من ٣٠-١ إلى ما عسى أن يكشف عنه من فخار أقدم عهداً مما عرف . والواقع أنه كشف حديثاً فى جهة بلدة البدارى عن موقع قديم جداً يرجع عهده إلى ما قبل رقم ٣٠ وقد خصص له العلماء فعلاً رقم ٢٠ - ٢٩ ورغم أنه يكاد يكون من المستحيل أن نجزم بتاريخ قاطع لعصر ما قبل التاريخ المصرى إلا أنه يمكننا مؤقتاً أن نذكر على وجه التقريب أن العصر الحجرى الحديث يحتمل أنه قد بدأ منذ ١٠٠٠٠ سنة وأن بداية المعادن قد بدأ حوالى ٦٠٠٠ أو ٥٠٠٠ سنة . وهذه التواريخ لا تتركز على حقائق علمية بل وضعت لتكون مجرد مرشد أو إشارة يهتدى بها فحسب

والآن نعود الى التكلم عن كل عصر من عصور ما قبل التاريخ حسب ترتيبها الطبيعى فى كلمة موجزة ثم تناول الكلام عن كل عصر بشئ من الاسهاب



## العصر الأيوليتي عهد فجر العصر الحجري القديم

لا جدال في أن الانسان الأولى عند ماظهر على سطح البسيطة كان أول م له أن يجد لنفسه سلاحا يدافع به عن كيانه ضد الحيوانات التي كانت تحيط به ويميش في وسطها . ولا بد أن أول ما فكر فيه من الأسلحة ما كان في متناوله فمثلا كان يقطع فرع شجرة ويهذب به ليدافع به عن نفسه وكذلك كان يجمع ما حواله من الأحجار الصلبة التي هيأتها له الطبيعة ثم يهذب بها بنفسه بعض الشيء ليجعل لها حداً قاطعاً ويستعملها في أغراضه . وهذه الآلات التي كانت تصنع بهذه الطريقة قد أطلق عليها في علم الجولوجية اسم «ايوليت»

كينة دماغ الانسان  
الاول عن نفسه

ويمزو علماء الجولوجية هذه الآلات إلى العصر الثالث الجولوجي غير أن وجود هذا العصر في حياة الانسان على ظهر الأرض مشكوك فيه ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وجود بقايا الانسان في هذا العصر مطلقا

أول ظهور الانسان

وفي استطاعة الانسان في مصر أن يجمع قطعاً عدة من آلات هذا العصر من هضبة الصحراء ولكنها كذلك مشكوك في تاريخها بسبب ذلك يرجع إلى أن فصل المؤثرات الجوية مثل الحر والبرد وتعاقب الليل والنهار يحدث تقنت قطع من الطران جديدة تشبه القطع الأيولية القديمة وقد جمع الأستاذ «شفينفورت» قطعاً كثيرة من هذا النوع من محطات أبواب الملوك . على أن كثيراً من هذه القطع يظهر فيها فعل يد الانسان . ولكننا نجدتها مختلطة بآلات من العصر التالي لهذا العصر

الشك في وجود  
الانسان في الزمن  
الثالث الجولوجي

وهو ما يسمى العصر الباليوليثي (العصر الحجري القديم). وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها من عصر أقدم . والواقع أنه لا توجد محطة مصرية قديمة أو حديثة وفيها آلات صنعتها يد الإنسان وقطع من صنع الطبيعة منها ثم استعملها الإنسان بمهارة . ولا نزاع في أن المبدأ القاتل بالاقتصاد في استعمال القوى الإنسانية في الإنتاج، قد لعب دوراً عظيماً في حياة الإنسان الأولى في مصر كما كان الحال في البلاد الأخرى ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الأسماك كان يستعمل القطع الطبيعية في الاستعانة بها على قضاء أغراضه في أول نشأته وفي فترة عدم دريئه بالصناعات

## العصر الحجري القديم

هذا العصر يعرف بمصر استعمال الحجر المذهب، وينقسم ثلاثة أقسام وهي الحجري القديم الأسفل، ويشمل ما يقابله في أوروبا من الصناعات الشيلية<sup>(١)</sup> والآشيلية<sup>(٢)</sup> ثم العصر الحجري القديم المتوسط، وفيه تسود الصناعات المoustérienne<sup>(٣)</sup> وأخيراً العصر الحجري القديم الأعلى، وقد سادت فيه الصناعة الأورنجانية

---

(١) نسبة لبلدة Chelles-Sur Marne وقد وجد فيها أقدم صناعة من عصر الحجر القديم السفلي

(٢) نسبة إلى Saint Acheul إحدى ضواحي بلدة Amiens في فرنسا حيث وجدت صناعات من ثقافة هذا العصر في المرتفعات التي تحف نهر Somme

(٣) نسبة إلى مأوى صخري في قرية Le Moustier وهي على بعد عشرة أميال من Eyzies

Aurignacienne<sup>(١)</sup> ثم الصناعة السولوترنية Solutereenne<sup>(٢)</sup> ثم الصناعات

المجدلية Magdalenienne<sup>(٣)</sup>

## العصر الحجري الحديث

ويتلو العصر السالف عصر بداية المعادن وهو عصر استعمال الحجر المصقول بعد التهذيب . وهذا العصر أقسامه مرتبة ولا ضرورة للخوض فيها الآن

## عصر بداية استعمال المعادن

وهو عصر الانتقال ، اذ في خلاله بدأ الإنسان يستعمل المعادن وقد توالى فيه استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد على أن عهد استعمال الحديد في مصر كان شاذاً بالنسبة للبلاد الأخرى وذلك أن مصر في عهد أوج مجدها وسوددها التاريخي بدأ يستعمل هذا المعدن فيها ولم يكن معروفاً من قبل

---

(١) نسبة إلى بلدة Aurignac وقد وجد فيها مأوى صخري وهو بالقرب من St. Gaudens

في صقع البرانيز ، غير أن هذا المأوى قد أزيل الآن جملة بسبب قطع الاحجار منه

(٢) نسبة إلى مأوى صخري وجدت فيه ثقافة هذا العصر وهو بالقرب من قرية بهذا الاسم

في مقاطعة Saone-et Loire

(٣) نسبة إلى الكهوف التي يطلق عليها اسم Madeleine Tursac على نهر

دردوني Dordogne بفرنسا

## مدينة العصر الحجري القديم

يمد هذا العصر العهد الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الإنسان إذ عثر فيه فضلاً على بعض عظام بشرية وعلى الآلات التى كان يستعملها الإنسان غير أنه من المستحيل علينا أن نحدد فى أى عهد وقبل أى عدد من آلاف السنين قبل الميلاد ظهر الإنسان فى العالم ، وكل ما يمكن الجزم به فى هذا الموضوع هو أن وجود الإنسان على ظهر البسيطة يرجع إلى أزمان سحيقة جداً والتقدير المقتدلة ترجع بظهور الإنسان الى آلاف عدة من السنين ، وفى خلال هذا العصر الطويل جداً قد حدثت تغيرات وتقلبات عظيمة ظاهرة جلية لا تقتصر على شكل الآلات وصناعتها ولا شكل الإنسان الذى كان يستعملها فحسب بل تتناول كذلك التقلبات الجوية التى كانت تحيط به والتى كان من أثرها أن حدث تغير كلى فى الحيوانات والنباتات التى كانت تعيش وتنت فيه وهذا العصر الذى نحن بصدده يقع فى أوائل الزمن الجيولوجى الرابع . وفيه حدثت فى الجو تقلبات من بارد إلى حار كما أثبت ذلك علماء الجيولوجية

ويتميز هذا الزمن بزحف الجليد الذى غمر الجبال الشاخحة ثم تهاجر ثانية مما كان يسبب انخفاض درجة الحرارة . وكل ما يهنا فى ذلك هو أن العصر الحجري السفلى قد بدأ فى نهاية عصر حدث فيه تهاجر جليدى ، على حين أن العصرين الحجري المتوسط والأعلى يتفقان مع الزمن الجليدى المتتابع ويظهر العصر الحجري الحديث مبتدئاً فترة تهاجر جليدى جديدة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا .

العصر الحجري القديم السفلي :— يمتاز هذا العصر بجو حار رطب يشبه جو المناطق الاستوائية الآن ، غير أنه كان يميل إلى البرودة التدريجية وهذه الحالة في أوروبا تنطبق على أفريقية الشالية أيضاً على أن الوصف الذي أوجزناه عن القطر المصرى في فجر عصر ما قبل التاريخ يمكن تطبيقه على الأقاليم الواقعة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط ولدينا براهين عدة من حفريات العظام التى استخرجت من رواسب الزمن البلستوسينى ( الزمن الرابع ) وقد عرفنا أنه كان ينمو في أوروبا في ذلك العهد حيوانات من ذوات الثدي ، في وسط غابات كثيفة وعلى شواطئ مجارى مياه وكانت عظيمة الحجم مثل جاموس البحر ووحيد القرن ، والفيل الضخم والدب ، والضبع والغزال والحصان وغزال الأركس . وقد اختفى كثير من هذه الحيوانات الآن ، على حين أن بعضها قد هاجر فيما بعد نحو الأقطار الاستوائية هارباً من شدة البرد الذى اكتسحه في الزمن الذى تلى هذا العهد .

العصر الحجري  
القديم السفلي

وعثر على بعض بقايا بشرية مختلطة ببقايا حيوانات معاصرة غير أن ما عثر عليه لم يكن إلا أجزاء من جماجم مثل فك «مور»<sup>(١)</sup> المشهور أو بعض عظام بسيطة . وقد سهل جو هذا الزمن المعتدل للإنسان أن يعيش في الهواء الطلق على شواطئ الأنهار والبحيرات أو في الغابات وكان هذا الإنسان يتخذ أكوخاً من فروع الأشجار مسكناً له . أما مقابرهم فيظهر أنها قلبت رأساً على عقب بفعل الفيضانات

« فك مور »

(١) نسبة الى مكان بهذا الاسم Mauver بالقرب من مدينة «اليد لبرج» في المانيا . والظاهر أن عهده يرجع الى زمن تفقر جليدى . وهذا المكان يحتوى على بقايا حيوانات تؤكد الاستنتاج اذ يحتوى على بقايا عظم لوحيد القرن . وهذا الفك لا دقن له وهو عظيم الحجم ولكن الاسنان تدل على أنه للانسان . ويعتبرها المؤرخون انها من حجر الموستيرى

انحطاط الجنس  
البشرى في هذه  
الفترة

التي كانت تخرب هذه الجهات تخريباً ذريعاً ، ولذلك لم يعثر منها على آثار تذكر مع أن هذه البقايا الضئيلة التي عثر عليها في الرواسب وهي بلا شك ذات قيمة عظيمة عندنا قد عرفنا منها ان الجنس البشرى في ذلك الوقت كان منحطاً جداً غير أن عدم العثور على هيكل تام لم يمكننا من اعطاء رأى قاطع في تركيبه الطبعى

أما عن صناعة هذا العصر فان معلوماتنا قد زادت لأن بعض المواد التي استعملها انسان ذلك العصر تكاد تكون غير قابلة للتلف رغم كرم العصور . حقاً ان الدبابيس ذات القبضة المصنوعة من الخشب لم تحفظ لنا كغيرها من الأشياء المصنوعة من المواد القابلة للعطب مثل جلد الحيوان ولحاء الأشجار التي كان يستعملها ذلك

آلات هذا العصر

الانسان غطاءً له ، ولكن أسلحة الصيد والحرب وكذلك الآلات التي كان يستعملها في سلخ فريسته كانت مصنوعة من حجر صلب وارهف حدها وقد قاومت هذه الآلات تأثير الزمن وبقيت الى عصرنا هذا . وقد عثر عليها مهملة على شواطئ الأنهار مدفونة تحت طبقات سميكة من الحصى الذى دحرجته تيارات الماء السريعة معها . وكان انسان ذلك العصر عندما يعوزه الطران وهو اهم مادة لصنع آلاته يستعمل بدلا من الكورثيسيت أو الأحجار البركانية أو الحجر الجبرى الأبيض الصلب وأهم آلة كانت مستعملة في هذا العصر هي ( البلطة ) الغليظة البيضية الشكل

وقد تكون مثلثة ذات شفرات حادة تنصل بحد مرهف قاطع . وتضع هذه الآلة من قطعة من الطران طبيعية على شكل الكلى وذلك بإزالة شظايا متعادلة من حروف قطعة الطران هذه بواسطة ازميل وهذه الآلة كانت عظيمة الخطر في يد المحارب ؛ على أنها كانت كذلك تستعمل لأغراض أخرى . ويوجد نوع منها لم

البلطة النليظة ومنمها

يهدب إلا من أحد وجهيه ويستعمل كقطع لتخليص العظام من اللحم  
ولسلخ الجلود .

وحلفاً لهذه الآلات التي يطلق عليها ذات الوجهين Bifaces . والتي قد  
تصل أحياناً الى حجم عظيم ، فان إنسان هذا العصر أستعمل شظايا بسيطة  
كان يحصل عليها بقطع كلية من الطران تهمل نواتها في النهاية ؛ ويلاحظ دائماً  
أن كل شظية تقطع بهذه الكيفية فيها بروز مستدير عند النقطة التي وقع  
عليها الكسر الذي يترك أثراً على هيئة تجويف في النواة نفسها . وهذه العلامة تعد  
بثابة خاصة مميزة للمصنع الذي صنعت فيه . مما يثبت لنا أن هذه الشظية قد قطعت  
وهذبت قصداً وذلك مما لا يوجد في الشظايا الطبيعية

و هذه الشظايا مرهفة الحد كاللوسى القاطع ولذلك كانت تستعمل بدلا من  
السكاكين وأحياناً تستعمل كمشط وذلك بعد اجراء بعض إصلاح في أحد وجهيها  
أوفي نهاية الشظية . وهذه الإصلاحات أو (الرتوش) لاتناول الوجه العلوى من  
الشظية ولذلك يطلق عليها اسم الآلات ذات الوجه الواحد ، وكذلك يدخل تحت  
هذا النوع من الآلات ذات الوجه الواحد الشظايا التي كانت تصنع بهذه الكيفية  
لتحضير الجلود والعظام التي كان يستعملها انسان هذا العصر

خاصيات هذه الصناعة

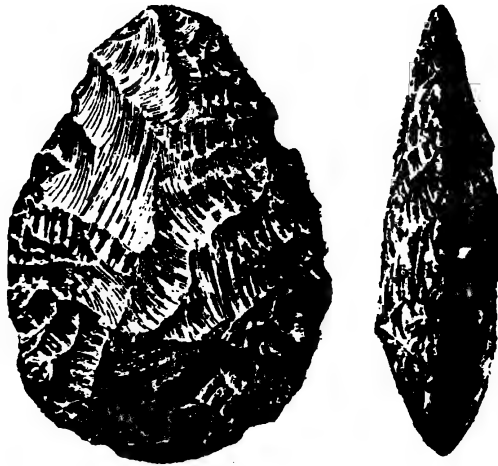
الآلات ذات  
الوجه الواحد

اما عن اخلاق هذا الأنسان وعاداته فانا لا نكاد نعرف عنها شيئاً قط اللهم  
إلا انه كان لا يختلف كثيراً عن قبائل الأقزام الذين يتجولون في الغابات الاستوائية  
ويعيشون على صيد البر والبحر

واذا كنا لا نعرف شيئاً عن هذا الأنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية

والدبينة لأنها لا تزال موضع تخمين، إلا أننا من جهة أخرى يمكننا أن نحكم عليه من الآلات التي صنعها والتي هي الآن في متناولنا إذ تبرزه لنا كأنسان راق يسيطر بذكائه على الحيوان الذي يشن عليه الحرب يومياً ، يضاف إلى ذلك انه كان في قدرته أن يخترع ويحسن كل ما هو في متاوله فقد عرف كيف يوقد النار ويطهو طعامه ، هذا رغم أنه كان لا يعرف إلى هذا الوقت صناعة الفخار . واستعداد هذا الانسان وقدرته على أسباب الرقي يظهر جلياً عندما تنتقل من طبقة إلى أخرى في القطاعات التي بحثت في الأماكن التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري القديم . فثلاً نلاحظ أن البلطة الثقيلة الحشنة الصنع التي توجد في أسفل طبقة من العصر الحجري تخف تدريجاً في الطبقات العلوية ويحل محلها آلات أحسن صنفاً وبذلك تختفي الصناعة الشيلية الحشنة أمام الصناعة الآشيلية التي أنتجت آلات تعد من فرائد الفن.

أختفاء الصناعة  
الشيلية الحشنة أمام  
الصناعة الآشيلية  
الحشنة



ظران من العصر الحجري القديم السفلى - صناعة شيلية عثر عليها في « اسنا »  
على ان كل ما كشف إلى الآن في أوروبا من العصر الحجري القديم  
السفلى ينطبق في مجموعه على كل ما عثر عليه في مصر . وكذلك الأبحاث المدة التي





قبضة يد من الطران من العصر الشيلي  
الاورني



طران من العهد الشيلي عثر عليه على طريق القواطل  
بين الراحة الخارجة والعرابة



بلط من الطرات عثر عليها في طيبة من العهد الآشيلي



قبضة يد من الفطران من مصر الآشلي  
( تستعمل كبلطة )

عملت في إفريقية الشمالية يتفق مع ما كشف في أوروبا. وقد صرح علماء ما قبل التاريخ بأن حالة الحياة كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة، ولا ريب أن في هذا الزمن كان مضيق جبل طارق مفتوحاً في بداية الزمن البلستوسيني ، وبذلك انمحي الاتصال القديم الذي كان بين إسبانيا ومراكش ، ولكن يظن في الوقت نفسه أنه كانت هنالك قنطرة عظيمة طبيعية تربط تونس بصقلية وإيطاليا الشمالية ولو أن ذلك مشكوك فيه إلا أنه على كل حال لم يكن الاتصال عسيراً بين شاطئى بحر داخلى أقل اتساعاً من البحر الأبيض المتوسط الحالى .

الصناعة الاوربية  
تنطبق على ما عثر  
عليه في مصر

ويمكننا أن نشبه هذا القطر الذى انكش الجزء المسكون منه إلى شريط ساحلى - بجنة تجري من تحتها الأنهار ، حيث كانت الأمطار الغزيرة تكسوه خضرة يانعة وغابات تحف جبال الأطلس الشاهقة ، وأشجارا تغطى السهول ، وكانت عيون الماء والأنهار تتدفق فيها مجتذبة إليها حيوان إفريقية المختلف الأنواع كالجل وحمار الحبشة والقردة ومختلف أنواع الغزال والثيران التى تشبه حيوانات أوروبا في هذا العهد . وفي هذا الاقليم الذى يكثر فيه حيوان الصيد نجد آثار الإنسان فى كل مكان إلى مسافات آلاف الكيلومترات من وسط المساكن الحالية.

وكان وادى النيل الذى لم يكن يفصله الا فاصل صحراوى عن الممالك المجاورة له فى ذلك الوقت يتمتع بمناخ يشبها ، وفيه من الحيوانات مثل ما فيها وقد عثر على بعض بقايا منها ولكنها لا تعطينا فكرة واضحة . ولا شك أن الأسنان والعظام التى استخرجت من مصب النيل عند سهل العباسية الحالى قد سدت

مدينه إفريقيه العليا ،  
مائة المدينه المصريه  
في هذا المصرا  
قصاً كان في سلسله الملاحظات التي قام بها علماء الحيوان والنبات لذلك العهد ،  
من مراكش إلى تونس . ورغم أن دراستها لم تتم إلى الآن إلا أننا نعلم أنها لتفسيح  
وحوانات ثدييه عظيمه الحجم مثل الفيل وجاموس البحر والثيران . وهذه العظام  
والأسنان تشبه عظام الحيوانات المنسوبه للمصر الحجرى القديم السفلى التي عثر  
عليها في إفريقيه الشماليه وإذا كانت الرواسب النليه لم تكشف لنا للآن  
عن بقايا بشريه فأننا من جهة أخرى قد عثرنا على آلات ثبليه وآثليه تشبه ما عثر  
عليه في أوربا في ذلك العهد . وبذلك ظهر لنا أن وحده الحيوان والجو في كلا  
الجهتين كانت متشابهه . وقد عثر فعلا على ( بلط ) مبعثره أو مجتمعه على  
سطح الأرض في كل مكان تقريباً؛ فنجدها على الهضاب التي كانت تحتضن النهر في  
ذلك الوقت ، وعلى المرتفعات التي انحصرت عنها المياه ، وفي قمر الوديان ، وفي  
منحدراتها .

وقد سبق أن ذكرنا المصانع التي عثر عليها «ارسلان» في تلال أبواب الملوك وقد  
استغلها من بعده عدد من الباحثين وقد عثروا على بعض آلات جميله لوزيه  
الشكل لونها لون الشكلاته وذلك مميز خاص لها ، ويوجد منها عدد عظيم يزين  
متاحف أوربا الآن . وقد كشف عن أماكن أخرى العالم «دى مرجان» في  
الوجه القبلى مثل طوخ والعرابه وإسنا ، وكذلك عثر على مصانع في الفيوم وفي منطقه  
الأهرام بنف . ومنذ ذلك العهد أخذت الكشف تترى في كل جهات الوادى ،  
وسنكتفى بذكر أهمها ونخص بالكلام المحطه التي عثر عليها بالقرب من نجع حمادى  
المعروفه بأبي النور ومصنعا في الجبل الأحمر الواقع في الشمال الشرقى من القاهره

المصانع التي عثر عليها  
في جهات مصر لصنع  
الطران من هذا المصرا

وقد وجدت فيه مجموعة آلات مصنوعة من حجر الكوارتسيت ، وبالقرب من قنا  
عثر على مصنع يرجع عهده إلى الصناعة الآشلية .

وقد كشفت الأبحاث أن العصر الحجري القديم السفلى لا يقتصر على شاطئ  
النيل بل يمتد إلى الصحارى التى تحتضن هذا النهر العظيم بين جنبيها ، ولا أدل على  
ذلك من الآلات التى وجدها الأب «ريشار» فى الغابات المتحجرة الواقعة شرقى  
القاهرة الحالية ، وقد كان وجودها فى هذا المكان الباعث له على هذه الفكرة ثم جاءت  
أبحاث العالم «شفينفورت» أيضاً تؤيد هذه الفكرة. ولما كان العالم «دى مرجان» كلفاً  
بمعرفة مقدار امتداد الصناعات الأولية الفطرية لذلك العصر، أرسل العالم «لجران»  
لارتياح الصحراء اللوية وفملاً صادف فى طريقه من الأقصر إلى الواحة الخارجة  
ثم من الخارجة للعرابة المدفونة عدة مصانع سطحية؛ وكذلك عثر على طرق قديمة  
كانت تبتدى من النيل إلى الواحات ، وقد لاحظ قاعدة عامة : هى أنه عند كل  
عقبة (أى عند كل نقطة يجتاز فيها طريق القوافل هضبة حادة) كانت توجد محطة  
من العصر الحجري القديم السفلى وكذلك قام «هنرى دى مرجان» شقيق «دى  
مرجان» مدير مصلحة الآثار برحلة وقد لاحظ نفس الملاحظات فى الوديان التى  
تربط إسنا بواحة كركور .

العصر الحجري القديم  
يتمدد الى الصحراء

« لجران » وبحوثه

ولا يفوتنا أن نذكر هنا المصانع العدة التى عثر عليها «شفينفورت» قبل بداية الحرب  
العظمى فى أبى العجاج الذى ينفذ على النيل شمال أسوان . وهذه المصانع كانت  
تصنع فيها آلات من الحجر النوبى وقد قام عدد من العلماء فى السنين الأخيرة  
بفحص الواحات فحصباً منظماً فعثرت الحملة التى قام بها الأمير كمال الدين حسين على

أبحاث العلماء  
الأخريين

آلات من الصناعة الشيلية والأشيلية على الهضاب التي تمتد غرب الواحات ويمكن رؤيتها حتى على مرتفعات «العوينات» في قلب الصحراء .

على أن هذه المحطات السطحية مهما كانت فائدتها فإنها في الواقع لم تشف غلة الباحث المدقق إلا قليلا . إذ أنها وإن كانت قد كشفت لنا عن وجود إنسان العصر الحجري القديم ومواطن سكناه في مصر إلا أنها لم تبرز لنا شيئا عن صناعته وتدرجها نحو الرقي . ويلاحظ أن في هذه الأماكن التي كان يختارها الإنسان الأولى قرية من المياه ومن مناطق خصبة عامرة بالنبات زاخرة بمحيوان الصيد كانت تسكن القبائل الفطرية أحيانا قرونا عدة حتى يأتى وقت يضطرون فيه إلى الهجرة منها . ومن أجل ذلك نجد على سطح الأرض آلات مختلطة بعضها ببعض وأسلحة من الحجر تركها السكان الذين كانوا غالباً من شعوب مختلفي الثقافة . وليس من السهل وجود أماكن لم يحدث فيها اختلاط . وقد كان من حسن حظ الباحث «سند فورد» أنه عثر على محطة من هذا النوع الأخير في إقليم قنا

اختلاط المدينيات  
لتمدد الثقافات

ومنذ زمن بعيد أخذ العلماء يبحثون عن الرواسب التي تحجب في باطنها أقدم الآلات التي صنعها الإنسان الفطري . وقد جادت الصدف السعيدة بوجود آلات مرتبة حسب قدمها في طبقات جيولوجية بعضها فوق بعض . وقد حاول بعض العلماء من قبل الوصول إلى ذلك ولكنهم لم يفلحوا حتى أسعد الحظ العالم «دى مرجان» قبل موته ببضعة أشهر فعثر على رواسب في طبقات بعضها فوق بعض حلت المشكل نهائياً وهذه الرواسب كانت موجودة غير أنه كان من الضروري البحث عنها في

«دى مرجان» أول  
من كشف طبقات  
مرتبة ترتيباً تاريخياً

مطائنها ، وكان ذلك لا يتأتى إلا فى جوف الأرض على بعد عميق أى عند  
مصب النهر القديم إذ هناك تقف المياه فى طريق مجراها وتترك رواسبها التى لا  
يمكن حملها أبعد من ذلك . وقد كان من الطبعى أن تتجمع هذه الرواسب طوال  
مدة العصر الحجري القديم السفلى حافظة فى طبقاتها التى تكون بعضها فوق  
بعض بقايا الصناعات المعاصرة لكل طبقة .

وهذه الأراضى قد أصبحت فى مستوى واحد عند بداية الدلتا وعلى حافتها  
حيث لم يتمكن الغرين الحالى من تغطيتها بعد أن زالت عنها المياه وجفت فى أول  
العصر الحجري القديم . وبهذه الكيفية بقى سهل العباسية الصغير لم يمس بعيداً عن  
فعل الفيضان . وهذا السهل يمتد من سفح هضبة النيل القديمة الواقعة فى الشمال  
الشرقى من القاهرة . وقد سهل أخذ الرمل والزلط لمبانى مدينة القاهرة  
الحالية منه حفر هذا الشريط الصحراوى إلى عمق عظيم يبلغ نحو ٣٠ متراً ، أويريد

كما سهل ذلك أيضاً درس المنطقة ومحتويات طبقاتها . وفلا وجدت الرواسب النيلية  
على توالى صناعات العصر الحجري القديم توالياً تاريخياً فوجدت الآلات الشيلية ثم  
الآشيلية بعضها فوق بعض ؛ وقد اختلط بها بعض بقايا الحيوانات المعاصرة .  
وهذه الآلات وجدت منفصلة بوضوح عن الآلات المستيرية التى لا توجد إلا  
على سطح السهل . وقد حقق هذه النتيجة البحث الذى قام به كل من الأثري  
« سندفورد » و « اركل » . وكانت جامعة شيكاغو قد كلفتها ببحث علم فى  
وادي النيل وتوابعه فقاما ببخوث منظمة فى رواسب مرتفعات جهات « قاو »

كتف طبقات متوالية  
نوالياً تاريخياً فى  
سهل العباسية

بحوث العالمان  
« سند فورد » ،  
« وأركل »

و«أرمنت» ومنخفض الفيوم وقد كانت البحوث متجهة وبخاصة في «وادي قنا» حيث أصاب الباحث « مري » نجاحا من قبل إذ جمع مجموعة من الآلات الجميلة . فهناك وجدت آلات العصر الحجري القديم السفلى في مكانها الأصلي في الرواسب البستوسينية كما وجدت صناعات مما يرى على السطح ؛ فوجد منها من أول الشيلة الى المستيرية . وكان بعضها منفصلا عن بعض بوضوح على المرتفعات التي يتراوح عمقها بين ٣٥ متراً وخمسة أمتار تقريباً على كلا شقي الوادي .

## العصر الحجري القديم المتوسط

عصر جليد طويل  
امتد حتى العصر  
الحجري القديم

ترجع معرفتنا للأنسان المستيرى في أوربا أكثر من معرفتنا لأنسان العصر الذى سبقه إلى عوامل طبيعية غيرت معيشته تغيراً عظيماً وذلك أن درجة الحرارة التي كانت مرتفعة في العصر الشيلي قد أخذت في الانخفاض في العصر الذى أعقبه كما تبرهن على ذلك كثرة الرواسب الأشيلية من بقايا فيل عظيم ذى شعر كثيف وهو المعروف بالماموث الذى لا يعيش الآن في الجو البارد . وبانتهاء العصر الحجري القديم السفلى انتهى كذلك عصر تقهر الجليد؛ ويتفق العصر الحجري القديم المتوسط مع عصر جليد طويل امتد حتى العصر الحجري القديم الأعلى . وفى ذلك العصر أخذت الحيوانات ذوات الجلد السميك تتقهر نحو الجنوب متخلية عن أماكنها تدريجاً إلى الحيوانات الأخرى ذوات الثدى التي هاجرت من البلاد الشمالية ولم يبق في مكانه إلا الماموث ووحيد القرن صاحب الخرطوم المقسم بنتوء . وفى خلال هذا العصر أخذ الأنسان يتخلى عن عيشة الهواء الطلق واتخذ مأواه أما تحت



أول سكنى  
الكهوف والمخلفات  
التي عثر عليها فيها

سجلات هذه  
الكهوف وفائدتها  
لتاريخ

المشور على هياكل  
آدمية تامة

الصخور أو في الكهوف العميقة التي كان يشاطره فيها الصنع ودب الكهوف التي كانت أول من سكنها؛ أما موقده فكان يقيمه على الفضاء الذي يتقدم مدخل كهفه أو عند باب الكهف نفسه . وهناك وجدت مخلفاته وجباته مختلطة مع بقايا آلاته وقد تكون من هذه البقايا فيما بعد أكوام من الرواسب متماسكة بفعل الترشيح المختلط بالمواد الجيرية . وفي هذه الأكوام تجمعت عظام الحيوانات التي كان يصطادها الإنسان مع آلات الظران . وهذه الأكوام كانت في الواقع بمثابة سجلات غير مكتوبة وبها يمكن المؤرخ أن يعرف مقدار الرقي أو الانحطاط في الصناعة من مستوى لآخر من الطبقات التي كان بعضها موضوعا فوق بعض وضما تاريخيا . وكذلك يمكنه أن يرتب حيوانات هذا العصر حسب قدمها التاريخي . وأعظم من ذلك كله أن الإنسان المستيرى كان يدفن في هذا المغارات نفسها ومعه حليه وسلاحه . وقد كان مجهزا بما يحتاج إليه في آخرته ، وقد عثر على هياكل آدمية تامة درست درسا علميا؛ ولا شك أن الحفائر المنظمة التي عملت في هذه المقابر التي سكنها الإنسان مدداً طويلة مكنت العلماء من وضع أساس لتاريخ الصناعات التي أتت متتابعة منذ العصر المستيرى إلى العصر الحجري الحديث وقد بدت تغيرات واضحة في فن تهذيب الظران إذ نجد أن الدبوس الذي حذق في إقامته الإنسان الآشيلي إلى درجة عظيمة قد أخذ ينحط انحطاطا عظيما في عهد الإنسان المستيرى إذ صغر حجمه حتى أصبح ضئيلا جداً وكان ذلك بمثابة إعلان لأهمال استعماله ؛ أما الآلة الخاصة بهذا العصر فهي شظية من الظران مثله الشكل مرهفة الحد قد اقتطعها الصانع من نواة حجرية جهزت

صناعة لهذا الغرض بطريقة تحتاج إلى مهارة فائقة . وقد أطلق المؤرخون على هذه الآلة اسم ظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . وهذه الآلات الحادة كانت بمثابة سهام يثبتها المحارب في نهاية حربته ، وكذلك كان يصنع شظايا أخرى يستعملها محشة أو مقراضاً أو منشاراً لحاياته اليومية . على أن كل هذه الآلات كانت لا تهدب إلا من وجه واحد وهو العلوى عادة أما تهذيب الوجهين فقد استمر على العكس يستعمل في بعض « أقراص » ذات حد قاطع وهي التي كانت تستعمل أحجاراً للمقلع

أهم آلة في هذا العصر  
ظهر السلحفاة

انتشرت المدينة  
الموستيرية

وقد انتشرت المدينة المoustيرية كسابقها في كل إفريقيا الشمالية وعر عليها في آسيا . وقد وجدت براهين عدة تثبت ذلك . وبينما نجد وحدة ظاهرة في الجو والصناعة في العصر الشيللي الآشلي على كلا شاطئى البحر الداخلى ، إذ نجد في الوقت نفسه أنه قد ظهر خلاف بين المoustيرى الأوروبى وما يماثله في أفريقية . حقاً قد عثر في جبال الأطلس وبلاد الحبشة على آثار امتداد الجليد ، والرواسب التى عثر عليها في كهوف بلاد الجزائر مما يدل على أنها كانت مستعملة . ولكن من جهة أخرى تدل الملاحظات العامة التى قام بها العلماء على أن برودة الحوالى كانت محسوسة تماماً في أوروبا في العهد الحجري القديم المتوسط كانت أقل بكثير في المنطقة الأفريقية وذلك لأن انخفاض الحمال الأفريقية لم يساعد على تكوين جليد بدرجة عظيمة مثل الجليد الذى كان في أوروبا الوسطى .

اختلاف درجة  
الحرارة في إفريقيا  
عنها في أوروبا في  
هذا العصر

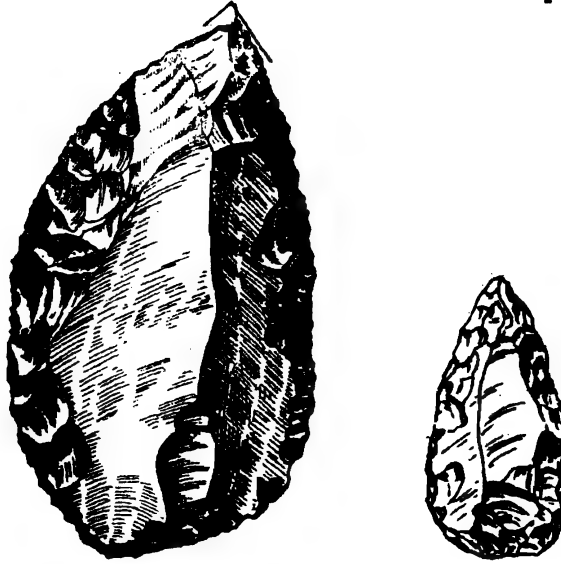
أما الحيوانات وإن كان قد حدث فيها بعض التغير إلا أنها بقيت على حالتها الاستوائية أو السودانية فلم نجد من بينها الماموث أو الحيوانات الأخرى التى تميز

الانسان الموستيرى  
أكثر سعادة في مصر  
منه في أوروبا

انتشار صنع  
الآلات المديية

العصر الموستيرى ، وفى الجملة فأن الحالة العامة للحياة قد بقيت تقريباً كما كانت عليها فى العصر المتقدم الذكر . وقد كان أنسان العصر الموستيرى أكثر سعادة فى أفريقية منه فى أوروبا إذ كان الأخير مضطراً لأن يعيش فى الكهوف . أما الأنسان الأفريقى فقد استمر يعيش فى الهواء الطلق ويتمتع بالصيد . والظاهر أن الكهوف لم تكن تستعمل إلا عند ما تكون بالقرب من الجبال حيث يشعر الأنسان ببرودة الثلج . أما فى مصر حيث كان ارتفاع الجبال ضئيلاً فإنه لم يعثر على كهف سكن فيه الأنسان يرجع تاريخه إلى هذا العصر . والواقع أن المحطات الموستيرية توجد عادة على سطح الأرض وهى فى تبعثرها تتفق فى مجموعها مع المحطات التى عثر عليها فى العصر السابق . والآلات المديية التى يمتاز بها هذا العصر وهى التى وجدت منها النواة التى صنعت منها فقد عثر عليها فى أماكن عدة فى وادى النيل وفى المناطق الصحراوية التى كانت لا تزال وقتئذ آهلة بالسكان وقد وجدت هذه الشظايا المديية فى حالات كثيرة مختلطة مع البلط التى خلفها السكان الأول . وهذا الاختلاط العادى لتلك الآلات الذى يمكن ملاحظته على حدود الصحراء كما يلاحظ فى مصانع تلال طيبة قد حدا بالعالم « دى مرجان » أن يعتقد أن هذين الصنفين من الصناعة قد أخرجهما يد واحدة فى عصر واحد ، أما رأى القائل بأن الصناعات الموستيرية قد وجدت فى أماكن مختلفة منفصلة بوضوح عن الصناعة الشيلية الأشيلية فأصبح لا يؤخذ به وقد اعترف العالم « دى مرجان » نفسه فى كتابه الذى ضيع بعد وفاته بذلك رأى . وتفسيراً لذلك يمكن الأنسان أن يقارن محطات الجبل الأحمر بمحطات العباسية التى لا تبعد عن بعضها إلا بضعة مئات من

الأمطار. فيلاحظ الإنسان في الأولى آلات من الشظايا المدية يرجع عهدا إلى العصر  
الموستيري ويطا من العصر الأشلي ، وكلا النوعين قد اختلط بصاحبه . كل هذه  
وجدت مطبورة في سفح الهضبة على طول مجرى ماء مختلف ، أما في المحطة الثانية  
(العباسية) فأب الأمر على عكس ذلك فالآلات التي توجد على عمق  
بعيد يرجع عهدا إلى العصر الحجري القديم السفلي ، أما الآلات الموستيرية فأنها تظهر  
على سطح الأرض وذلك أنه لما كان قهقر الماء محسوساً في ذلك العصر قد  
تسبب عنه ظهور رواسب متراكمة في خلال القرون التي سلفت في قعر مصب النهر  
الذي أصبح فيما بعد بداية الدلتا .



أسلحة مدية من الطران (صناعة موستيرية)

وهذه الأراضي المتخلفة سمحت لبعض القبائل الموستيرية أن تعيش عليها وقد  
جاءت الأبحاث العلمية المنظمة التي قام بها علماء ما قبل التاريخ وعلماء الجولوجية منذ  
عدة أعوام مثبتة لهذه النتيجة الأولى . ومن أهم هذه الأبحاث ما قامت به كل من

الآلات الموستيرية  
ظهرت على السطح  
في سهل العباسية

« مس كيتون » و « مس جردنر » في الفيوم . إذ عثر على بحيرة قديمة موسمية وهي التي عرفت بقاياها فيما بعد ببحيرة موديس . وقد بقي جزء منها إلى الآن يطلق عليه اسم بركة قارون . وكذلك عثر العالم «سند فورد» وزميله «أركل» في الوجه القبلي وفي الفيوم على محطات موسمية على تلال قليلة الارتفاع بين أغوار الوديان الحالية ، وبين السطح الأعلى الذي توجد فيه الصناعات الشيلية والأشيلية . وتدل الملاحظات العدة التي استنتجها العلماء واتفقوا عليها جميعاً أن البلاد كانت ولا تزال في ذلك العهد في معظمها تروى ، غير أن النيل وروافده كانت قد أخذت في النقصان رغم شدة انحدارها . وكان التهر إذ ذاك آخذاً في حفر مجراه إلى عمق بعيد وفي الوقت نفسه بدأ مجراه ينكمش كما يبدو ذلك من تدرج انكماش شاطئيه . ولا نزاع في أن الإنسان كان يتبع المياه التي لا مندوحة لحياته عنها في تهقرها . وقد بقي هكذا يتبع سير تهقر المياه في خلال المصور التي تلت بدون انقطاع حتى أصبح النيل على ما هو عليه الآن

بحوث مس كيتون  
نمن ومس «جردنر»  
في الفيوم

## العصر الحجري القديم الأعلى

أخذت الاختلافات التي كانت بين أوروبا وإفريقية في العصر الحجري القديم المتوسط تزداد في خلال العصر الحجري القديم الأعلى إذ بدأ البرد يزداد شدة في أوروبا وكان في البداية رطباً ثم ازداد حدة حتى صار قارساً في النهاية . وقد شاهد الإنسان الموسستيري كثرة وجود الماموث كما وجد جاموس البحر بكثرة في العصر الشلي . ومنذ ذلك العهد أخذ الماموث يندر وجوده في آن واحد وأخذ الحيوان المسمى بالوعل ( نوع من الغزال له قرون متفرعة ) يظهر ، وكذلك أخذ الحصان يظهر بكثرة أما الإنسان فقد بقي يسكن كهفه حيث عثر على طبقات جديدة البقايا

ازدياد الاختلافات  
بين أوروبا وإفريقية  
من حيث المناخ

عرفنا منها تدريجاً مستوى الأرض . أما المقابر فكانت تحفر بجوار الموقد وقد عرفنا منها الجنس البشرى الجميل الذى أطلق عليه العلماء اسم Cro-Magnon (١) الذى لا يكاد يختلف عن الإنسان الحالى فى شيء ومن المدهش أنه عثر فى تلك الكهوف على مظاهر فن حقيقى غاية فى الأتقان ، ولم نجد علامات تدل على قرب ظهوره فى الفن المستيرى الحشن الذى سبقه والواقع أنه لم يكن رائده فى إخراج صناعته المنفعة المحضة فقد لوحظ أنه لم يكن مجرد صانع بسيط بل كان يميل بطبعه لتتبع الأسلحة والأدوات المنزلية التى كانت تحذفها يده . ولقد كان عدد القطع الفنية المصنوعة من العظم والعاج وقرون الوعول كثيرة لدرجة أن العصر الحجري القديم الأعلى يستحق أن يطلق عليه اسم عصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العاج وحفره . ولم يكتف أنسان هذا العصر بتزيين خطافه والآلات التى كان يستعملها ، بأشكال هندسية أو نباتية بل تخطى ذلك إلى رسم الأشياء الصعبة المستعصية من الأشكال الحية حتى جسم الإنسان نفسه ، فشاهد أنه كانت تحفر صور حيوان الماموث وبقرة الوحش والوعل على ألواح الشيست وعلى العظام بمهارة يظهر فيها صدق التعبير والحركات التى تكاد تكون هى الطبيعة بعينها ، وكذلك كان يصور بأحجام كبيرة حيوانات أخرى تظهر فيها الحقيقة الخلابه ، وقد كان يحلى بها جدران كهفه ملونة باللون الأحمر أو الأسود ، وقد كانت أحياناً تصور تصويراً بارزاً أو تصنع من الصلصال وكثيراً ما كانت هذه الرسوم والأشكال تنحفي فى نهاية غرف لا

جنس إنسان هنا  
المصر لا يختلف عن  
الجنس البشرى  
الحالى كثيراً

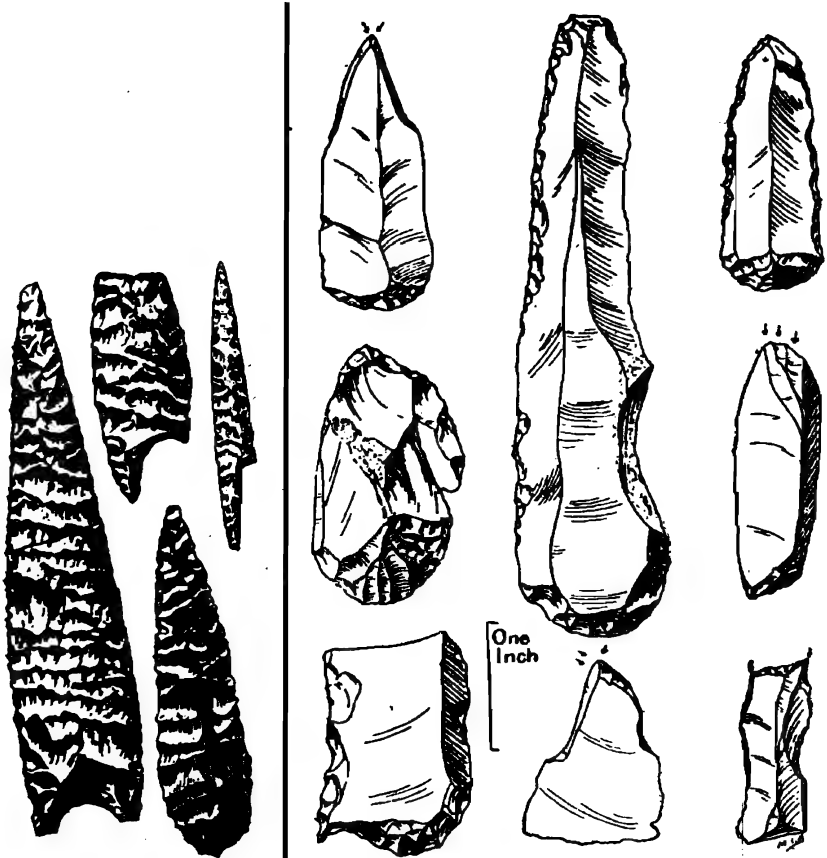
ظهور علامات فن  
متقن جديد لم يكن  
متظلاً

(١) . وهو نجاء صغرى بالقرب من سكة حديد بلدة Les Eyzies وقد عثر فيه على عدة مدافن آدمية ، وكلف بعض الهياكل مزين بقلائد من اصداف البحر ولو أن البحر يبعد عن هذه المنطقة



الحيوانات التي يريد صيدها ، وكذلك تمتاز صناعة هذا العصر باستعمال شظايا  
الظران بطريقة حازمة ، وذلك أن صانع هذا العصر ترك الصناعة المستيرية ورجع  
إلى استعمال النواة القديمة التي كان يستخرج منها أسلحته الجميلة وهي التي كانت تمتاز  
بطولها ورقتها . والواقع أنه كان يستطيع بواسطة تحسينات حاذقة أن يصنع من  
تلك الشظايا البسيطة آلات متعددة الأنواع يصعب علينا غالباً أن نعرف كيف كان  
أنسان هذا العصر يستعملها . فمنها المنقش ، والمبرد ذو الأسنان ، والنصال ذات الحزرات  
والنصال ذات الظهر .

ظهر آلات دقيقة  
الصنع



ظران من الصناعة السلوترية

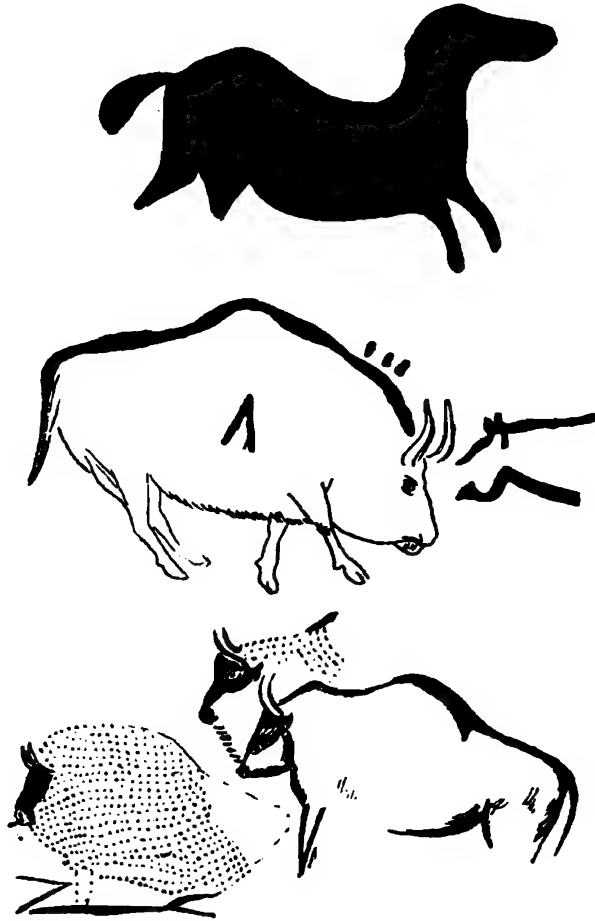
آلات من الظران ترجع للعهد الأورجناسي



والمصور الثلاثة التي ينقسم إليها العصر الحجري القديم الأعلى لانهم المؤرخ  
المصرى إلامن بعيد وسكتفى هنا بأن نشير إلى أنه بين العهد الأوريجناسى Aurignacien  
الذى يظهر فيه فن الزخرفة والعهد المجدلى الذى يبلغ فيه هذا الفن قته تظهر فى  
بعض الأقاليم الصناعية الغريبة التى يطلق عليها اسم السلوترنية Solutreenne فتقدمت  
صناعة آلات الطران المهدبة من الوجهين وهى التى ظهرت فى شكل سنان مدهشة على  
«ورقة الغار» . ويجب هنا أن نشير إلى أن صناعة الطران كانت آخذة فى الانحطاط  
فى نهاية العهد المجدلى وأخذ يظهر فى أشكال هندسية وقد عثر على هذه الأشكال  
فى أوائل العصر الحجري القديم الأعلى وقد استمر إنسان إفريقية الشمالية يتمتع فى  
خلال هذا العصر بما كان يتمتع به إنسان العصر السابق من نعم الجو الجميل . وقد  
كان سكان الجبال فقط هم الذين يحمون من غائلة البرد فى الكهوف التى يستعملها  
أهل العصر السالف أما سكان الهواء الطلق فكانوا يعيشون فى الأقاليم ذات  
الارتفاعات القليلة فى العادة. على أن توزيع هذه الأمطار جغرافياً يكشف لنا عن جو  
أشد حرارة من جو أوروبا فى هذا العصر ، ولكن أكثر جفافاً فى الوقت نفسه من  
الجو الذى كان يسود إفريقية فى العهد المoustéri ، فقد كانت الأمطار أقل غرارة  
إذ لم تكن كافية لتغذية الأنهار التى كانت آخذة فى التناقص وكذلك البحيرات التى  
كان سطحها آخذاً فى الانخفاض ، ولذلك بدأت النباتات التى كانت تنمو على  
الهضاب تقل ، وفعلاً أخذت الأمطار تنقلب إلى صغار وبعد أن كانت جنات  
خضراء صارت قفاراً قاحلة يسود فيها العطش والموت الأسود . يضاف إلى ذلك  
أن الحيوانات التى كانت لا تختلف كثيراً عن حيوانات عصرنا هذا لم تهاجر نحو

بداية ظهور الجفاف  
فى أقاليم إفريقية  
الشمالية

الجنوب فكان منها ما هو منتشر مثل النعامة والغزلان والوعل وكذلك وحيد القرن والزرافة وحمار الوحش . أما الإنسان فكان يتبع تهرق المياه وأخذت مساكنه تنكش وتنحصر في أماكن خاصة ولا سيما بعد أن أخذ يهجر الأقاليم الشاسعة التي

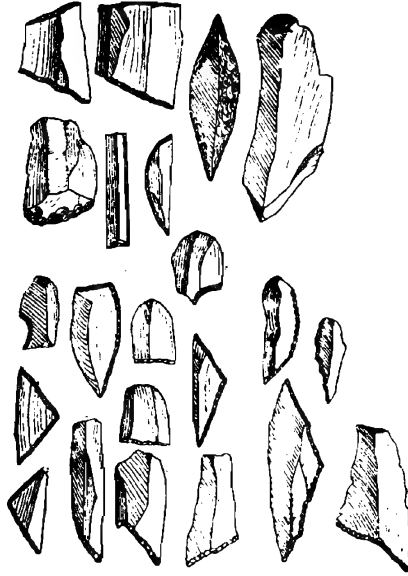


صور عثر عليها في كهوف من العصر المجدلى

غزاها القحط ولم يعد إليها ثانية.

ولا نعرف إنسان هذا العصر إلا بآثار ضئيلة حفظت لنا في الكهوف التي كان يسكنها . وجنس هذا الإنسان لا ينسب لأنسان Neandrthal (١) ولا إلى إنسان Cro - Magnon . وعلى الرغم من أنه كان ذا ثقافة إلا أنه للأسف لم يترك لنا آثاراً تمكننا من مقارنتها بما تركه لنا معاصره في أوربا .

ولم نعث كذلك في الأرض الافريقية على التقسيم الواضح الذي تركه لنا العصر الحجري القديم الأعلى في الشمال ، ولم نلاحظ في الواقع إلا ناحية واحدة خاصة



آلات ميكروليتية من الطرات

---

(١) في عام ١٨٥٦ عثر بالقرب من بلدة « دسلدرف » على قطعة من جمجمة في كهف صغير neanderthal ولم يعثر معه على بقايا حيوان ولكن في كهف بالقرب منه عثر على عظام ماموت والظاهر أنها من العصر الجيولوجي الرابع .

بالصناعة الأوريجناسية وهي التي أخذت آلاتها ترتقى نحو الأشكال المصنوعة من الأحجار المكروليتية والأشكال الهندسية التي كانت على شكل أهلة أو شكل منحرف الأضلاع . وهذه ما يطلق عليها الصناعة الكبسية Capsien نسبة إلى بلدة جفصة في تونس .

والواقع أن الصناعة الجفسية منتشرة جداً في مختلف أصقاع الجزائر وتونس . على أن وجود رواسب في كهوف هذه الجهات على شكل طبقات بعضها فوق بعض يسهل لنا تمييز العصور حسب ترتيبها التاريخي ومن بين هذه المحطات السطحية عدد عظيم يظهر على شكل الأمكنة التي يوجد فيها قواقع «الأسكرجو» وهي عبارة عن تلال ذات أبعاد صغيرة تتكون فيها بقايا المطاهي حول موقد القبيلة ويشتمل على عدد لا حد له من محار (الاسكرجو) القابل للالتهاب ومعه شظايا مديية من الطران كانت تستعمل بلاشك لاستخراج محتويات المحار ، وأحيانا كان يوجد في هذه التلال من المحار ، وفي محطات أخرى جفسية يبيض نعام مهشم استعمله الإنسان آنية له فكانت تحمل محل الفخار الذي لم يكن قد عرف بعد .

على أن هذه الصناعات الخاصة بالعصر الحجري القديم الأعلى لم يوجد ما يشبهها في مصر في هذا العصر وتلك خاصية امتازت بها صناعات مصر في ذلك العهد وقد كان العالم «دى مرجان» يظن أن الصناعة المoustيرية التي على شاطئ النيل قد امتدت حتى ظهور العصر الحجري الحديث ، ولكن اتضح أن ذلك غير صحيح وقد كان أول من برهن على ذلك العالم «فينار» اذ وجد أن المحطات التي درسها بالقرب من قرية «السبيل» في حوض «كوم امبو» يرجع تاريخها بلاشك إلى العصر

الصناعة المكروليتية

قواقع الاسكرجو

المدنية السيلية

الحجرى القديم الأعلى .

ووقوع المحطة على ارتفاع أعلى من مستوى غرين النيل الحديث شاهد على انخفاض المياه ،الذى نعلم أنه كان عاما فى هذا العصر وقد سمي « فينار » هذه الصناعة باسم الصناعة السييلية .

والواقع أن الصناعة الجفسيية الحقيقية قد ظهرت فى مصر أيضا إذ أنه من الصعب أن يتصور الإنسان الاختفاء التام فى وادى النيل لصناعة عظيمة الانتشار فى غربه ، ظاهرة فى شرقه فى فلسطين وسوريا والحقيقة أنه إذا كانت هذه الصناعة نادرة فى وادى النيل نفسه فانما يرجع ذلك إلى أن السكان كانوا فى ذلك الوقت يقتربون من شاطئ النهر وأن الغرين الحديث قد أخفى فى معظم الأحيان صناعتهم فى هذه الفترة .

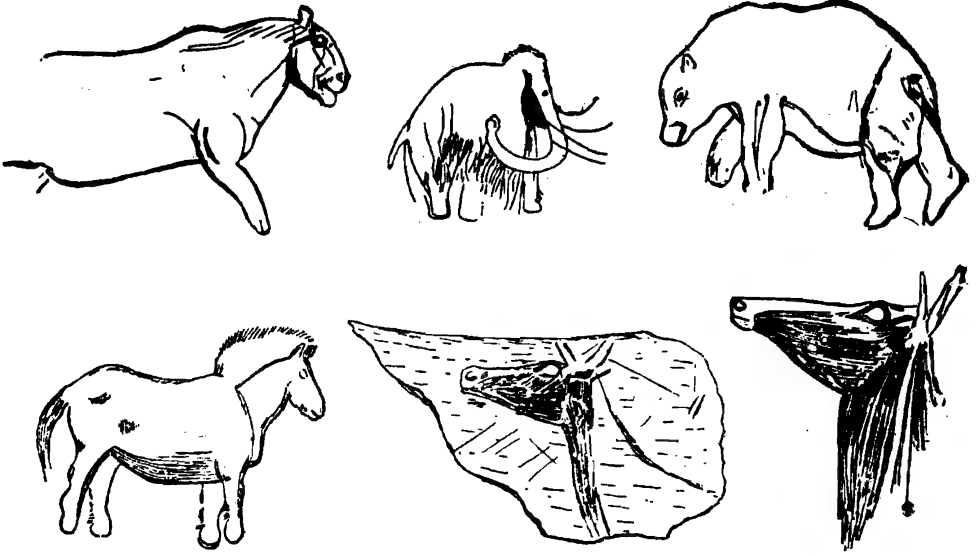
ومع ذلك فإن هذه الآثار ترى فى الجهات التى بقيت بعيدة عن الفيضانات . وأخيراً عرف أن محطة حلوان المكروليية وهى التى وجدت فيها آلات على شكل أهلة وشظايا صغيرة وسكاكين ضئيلة الحجم تشبه التى عثر عليها فى المحطات الاسكروجونية ، ليست من العصر الحجرى الحديث بل من العهد الجفسي الحديث وعثر كذلك العالم «بوفيه لايير» منذ بضع سنوات على محطة مماثلة على بعد عدة كيلومترات من شمالى حلوان . وقد وجدت كذلك حديثاً بعض أسلحة صغيرة فى وادى «الدمود» بالقرب من الأقصر يظهر أنها من صناعة هذا العصر . ولا نزاع فى أن قلة الرواسب من الغرين فى الأقاليم القاحلة التى تكتنف وادى النيل تضمن لنا العثور على مثل هذه الصناعات ، ولذلك تفتح أمامنا مجاهل الصحراء اللوية مجالا

محطة حلوان  
المكروليية  
وتشابهها بالمحطات  
الاسكروجونية

للبحث لا حد له . وفعلًا قامت أبحاث كان من نتائجها العثور على مناقش في الفيوم وفي واحة سيوة . وكذلك قام الأمير « كمال الدين حسين » في الأقاليم المجاورة للعينات برحلة عثر في خلالها على آثار يرجع عهدا إلى الصناعة الجفسية الحقيقية: منها آلات على شكل الأهلّة وسكاكين صغيرة تماثل ما وجد في حلوان وقد عثر عليها في غرب مروج نخيل «مرجا» البعيدة ، وكذلك عثر «شويس» و«منشكوف» وغيرهما في خلال بعثة حديثة العهد على مواقع جفسية تحتوي على قطع من قشريات النعام مختلطة بآلات من الطران وهذه المواقع عظيمة الانتشار على الهضبة المترامية الأطراف التي تمتد غرب الواحة البحرية وواحة «الفرافرة». وكثيراً ما يعثر على مصانع صغيرة مجمعة حول نقطة ماء راسكة أو جارية كما هو الحال في منخفض عين «دلاء» التي تشرف على الأراضى الصخرية التي كان يعيش فيها الإنسان المoustيري منذ عدة قرون .

ويجب هنا أن نذكر صناعة غربية في بابها ظهرت في إقليم «كوم امبو» وذلك أنه قد لوحظ على مدرجات ذات ارتفاعات مختلفة تنبئ عن مستويات متتابعة لبحيرة قديمة قد جف ماؤها. تطوّر الآلات المoustيرية نحو الانحطاط مثل الصناعة الجفسية نفسها فأصبحت أشكالها مكروليتيّة وهندسية وقد عثر في الصحراء على صخور منقوش عليها بعض صور بشرية وحيوانات ملونة وهذه الصخور المكتوبة كما يعبر عنها بين العمال في مصر لا تعرف إذا استطعنا أن تقرّب بينها وبين تحف الفن المجدلى الجميل التي وجدت على جدران الكهوف، ولنا أن نعدّها مظهرًا لفن أقلّ أتقاناً ينسب للمصر نفسه ؟ والواقع أن عدم وجود آلات من عصر هذه الرسوم

الرحلات التي قامت في  
الصحراء ونتائجها



صورة عثر عليها في بعض كهوف من العصر المجدل

الساذجة يجعل تحديد زمنها من الأمور الصعبة جداً. ولا شك أن الحيوانات المثلة على هذه الصخور تشعر بأن هذه الجهات كانت معمورة ومع كل فأننا نعرف أنها كانت مسكونة في العصر التاريخي . ويلاحظ أن الحيوانات التي وجدت مرسومة على هذه الصخور ينسب بعضها إلى أنواع حيوانات لا تزال تعيش إلى الآن في هذه الجهات مثل الغزال ، على حين أن البعض الآخر مثل الفيل والحريث والزرافة والظباء والنعام قد تقهر نحو خط الاستواء . أما الجاموس فقد اختفى كله . على أن وجود الكباش بين الحيوانات المستأنسة في العصر الحجري الحديث يجعلنا نعتقد أن هذه الرسوم عملت في زمن حديث . وعلى أية حال فأن هذه الرسوم لو درست درساً علمياً مستفيضاً لوصلنا إلى ترتيبها حسب نوعها على وجه التقريب .

ولا شك أن بعض هذه الرسوم يرجع إلى العهد الجفسي والبعض الآخر صناعته خشنة ويرجع تاريخه إلى ما بين العصر الحجري القديم وبداية التاريخ . وهناك رسوم أخرى عند محطات عيون الماء يرجع تاريخها إلى العهود الحديثة فمنها ما هو من العصر الفرعوني والعصر الروماني والعصر العربي والوقت الحالي .

## العصر المزيوليتي ( الحجري المتوسط )

اعتاد بعض علماء علم أصل الشعوب القديمة أن يروا بين الانتقال من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث فترة انتقال مميزة أطلقوا عليها اسم العصر الحجري المتوسط . والواقع أن واضع هذه التسمية هو العالم « ذى مرجان » ، على أن هناك جمًّا غفيراً من علماء ما قبل التاريخ لا يعترفون بوجود هذا العصر، بل يعدون العصر الذي يلي العصر الحجري القديم ، أو عصر الحجر المذهب هو العصر الحجري الحديث وعصر الحجر المصقول ، والذين يعترفون بوجود هذا العصر ينسبون إليه محطة جديدة كشفت حديثاً على ساحل الدلتا الغربي في بلدة مرمدة أبو غالب . والظاهر من شكل صناعتها المكروليتية أنها تتفق مع العهد الجفسي الحديث غير أن أشكال الآلات فيها ليست واحدة فلا توجد بينها الآلات التي على شكل أهلة أو سكاكين صغيرة الحجم بل عثر فيها على أسلحة صغيرة جداً مدية على شكل منحت . هـ .

آثار مرمدة أبو غالب  
تمثل العصر الحجري  
المتوسط



أما في أوروبا فأنهم صناعة تنتسب إلى هذا العصر هي الصناعة الآزيلية نسبة إلى كهف «مادازيل» في مقاطعة «أريج»

وذلك أن العالم «بيت» Piette وجد في هذا الكهف طبقتين إحداهما فوق الأخرى فيها كل مميزات الصناعة المجدية وفوق هاتين الطبقتين بقايا ثقافة سماها هذا العالم العصر الآزيلي . وقد وجد فيها أفراناً وأكواماً من بقايا أكسيد الحديد وعدداً عظيماً من عظام الغزال (وليس من بينها عظام الوعل) كما وجد ظرائعاً مذهباً من العهد المجدي بكميات وافرة وسكاكين وخطاطيف ومصاقل وعظاماً مهشمة تدل على أنه كان يوجد في هذا الأقليم الوعل ، والدب ، والخنزير ، وكنب البحر ، والقط البري الخ . وقد عثر كذلك «بيت» Piette على قطع عدة من حجر الشبست عليها علامات باللون الأحمر . وعثر فوق الطبقة الآزيلية على طبقة أثرية أخيرة وفيها آلات مصقولة ومن ذلك استخلص أن العصر الآزيلي هو الحلقة التي تربط بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث .

العصر الآزيلي  
يربط بين عصرين

## العصر الحجري الحديث

على أن العصر الحجري الحديث نفسه مرتبط تمام الارتباط بالعصر الذي يليه وهو عصر بداية استعمال المعادن ولا يتميز العصر الحجري الحديث عن عصر بداية المعادن بوجود معادن مختلفة في كل فالواقع أن النحاس

استعمال النحاس  
أدوات للزينة

والذهب كانا موجودين في كليهما غير أنهما كانا يستعملان في العصر الأول أدوات للزينة وبدرجة محدودة . أما في العصر الثاني فكانا يستعملان في أغراض شتى وبدرجة عظيمة وبخاصة النحاس فإنه كان يستعمل في صنع الآلات بدلا من الطران . ويمد علماء الجولوجية أن العصر الحجري الحديث يبتدىء في نهاية العهد البلوستيني وبداية العصر الهلوسيني أى العصر الرابع في تكوين القشرة الأرضية . وهذا العهد هو في الحقيقة فجر الأزمان الحديثة إذ فيه أخذت أحوال الحياة العامة للإنسان تتغير تدريجاً عن أحوال الحياة التي يخضع لها بنو البشر في أيامنا هذه .

وتتفق بداية العصر الحجري الحديث مع عصر تقهر الجليد الذي ظل إلى يومنا هذا . ففي إفريقية الشمالية أخذ الجو يصير أكثر جفافاً وأشد حرارة من العصر السابق . وقد أخذ ذلك يظهر في الهضاب الصحراوية التي بدأت تكون منذ العصر الحجري القديم الأعلى . والواقع أن قلة الأمطار وشدة التبخر سببا قصاً محسوساً في نظام المياه ولكن على الرغم من ذلك بقيت بعض جهات الصحارى معمورة وبخاصة الأماكن التي حول عيون الماء والبحيرات التي تكونت من مجارى مياه ضئيلة . أما باقى الجهات فقد اقبلت فيها الغابات الياقة التي كانت تسبغ عليها بهجة وروحا إلى أراض عشبية لا يستطيع الإنسان أو الحيوان البقاء فيها ، وفي خلال هذه المدة أخذ وادى النيل يكوّن ببطء شكله الحالى وكذلك بدأ النهر يسير في النظام الذي هو عليه الآن . وقد كان هذا النهر في خلال تكوينه يترك رواسبه في

بداية العصر الحجري  
الحديث تتفق مع  
عصر تقهر جليدى

بداية تكوين  
الصحارى وتكوين  
وادى النيل

الوادي الذي يغطيه بالمياه ثم ينكش تدريجاً حتى أصبح على ما هو عليه الآن ؛ إذ كان في كل عام يفيض على جانبيه في تاريخ معين لمدة ثلاثة أشهر ويترك الغرين الذي يجلبه معه من منابه مما يكسب الوادي خصباً ، وعند انتهاء هذا الفصل ينكش مجرى النيل ثم يترك مجموعة من المستنقعات على حافة الصحراء حيث قد خلفت مياهه الجزء الأعظم من الغرين على السهل . وفي هذه المستنقعات كانت تنبت بكثرة النباتات المائية وبخاصة السقي ( البردى ) الذي كانت تأوى إليه الحيوانات الخطرة كجاموس البحر والتمساح . أما باقي السهل فكان يغطى كل عام بنباتات يانعة تتقدم وتزول بسرعة في بداية تكوين الدلتا خلال تسعة الأشهر التي كان الحر فيها مهلكاً . وكانت مخلفات هذه النباتات تؤوى الحيوانات والحشرات المؤذية . وقد تكونت في مصب النهر القديم المعروف بالدلتا طبقات غرين وكانت لانخفاضها مؤلفة من مستنقعات عدة مزدهجة بالبردى ولم تكن حدودها معينة . وذلك بسبب البرك التي تغمر معظمها .

أما مساكن الإنسان منذ بداية هذا العصر فإنها تمشى مع التغيرات الجوية التي سببها . فقد هاجر إلى وادي النيل بمجوار مجارى المياه الغزيرة التي لا تزال موجودة ، كل سكان وديان اليباء وصحراء العرب وهؤلاء كانوا البقية الباقية من قبائل أخذت تجوب في خلال الأزمان السالفة الجبال والهضاب التي كانت تغطيها الغابات البكر .

الهجرة إلى وادي النيل لتحول الصحراء

والواقع أن العصر الحجري الحديث هو العصر الحقيقي الذي أهلت فيه

مصر بالسكان .

أما القرى فكانت واقعة على المرتفعات البسيطة التى على حافة الوادى . وكان الجزء الخصب منه فى هذا الوقت أقل انخفاضاً واتساعاً مما هو عليه الآن بعد أن غمره الغرين مدة اثنى عشر ألفاً من السنين قريباً . ولا شك فى أن هذه القرى قد غطيت الآن بالطبقات السميكة من الغرين الذى لا ينفك يزداد من قرن لقرن ويمكن العثور عليها لولا أن ارتفاع منسوب المياه فى الطبقات الأرضية ، الذى نلاحظه الآن ، يحول بيننا وبين الوصول إلى ذلك ؛ وهى موجودة غائرة فى سفح التلال أو المرتفعات الصناعية فى كل المدن المصرية التى ظهرت فى فجر التاريخ ، وتقع عادة بعيدة عن النيل وقرية من الصحراء . ويظهر لنا فيها أسس يرجع عهدها إلى العصر الحجري الحديث . ولحسن الحظ عثر على بعض قرى نيوليتية واقعة فى الصحراء أخطأها غرين النيل ، ونخص بالذكر قرية العمرى وهى « رأس خوف » القرية من القاهرة . وقد سميت العمرى نسبة إلى الأستاذ العمرى الذى عثر عليها حديثاً وقد مات وهو فى ريعان شبابه وكذلك مرمدة بنى سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية ، ثم ديمة ، وكوم أوшим ، وقصر الصاغة . والمواقع الأربعة الأخيرة فى مديرية الفيوم . أما فى الوجه القبلى فقد عثر على مدينة جديدة فى بلدة « دير طاسا » وفى طوخ والقطارة والجليلين .

وأهم من هذه البلاد من الوجهة الأثرية المقابر التى من العصر الحجري

قرى هذا العصر  
مدفونة تحت غرين  
النيل

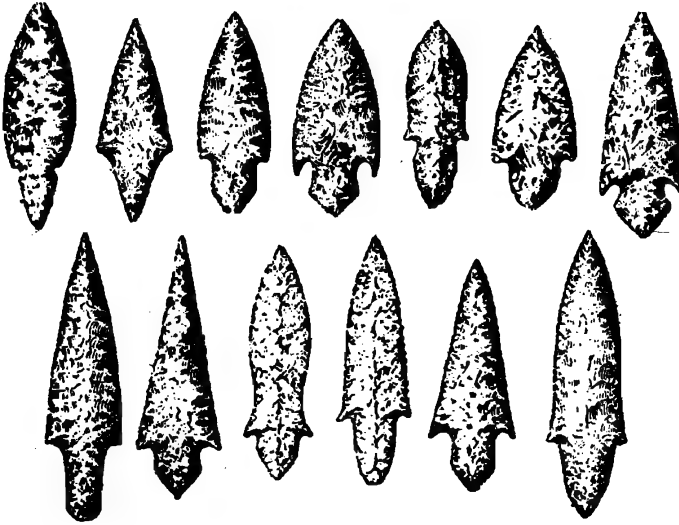
المشور على بعض  
قرى من العصر  
الحجري الحديث

الحديث فانها محفوظة وواقعة على حافتي الصحراء على كلا جانبي النيل إذ هي بطبيعة الحال بعيدة عن الفيضان ، يضاف إلى ذلك ما يعثر عليه مهلاً على سطح الصحراء من بقايا الصناعات بالقرب من القرى والمقابر مما يدل على الأماكن التي كان لا يزال الإنسان يصنع فيها الطران .

مقابر هذا العصر  
على حافة الصحراء

ويمتاز العصر الحجري الحديث بأنه عصر نهضة الصناعة . وقد كان ذلك نتيجة تحول الإنسان في ذلك العهد من عيشة الصيد إلى عيشة الرعى وفلاحة الأرض . ولذلك قامت نهضة حقيقية في صناعة الطران إذ خلفت الأشكال المكروليتية التي كانت في العصر الجفسي ، الأسلحة الكبيرة من الطران . ويجب أن نشير هنا إلى أطراف الحراب والنصال المهدبة تهدياً جيلاً من كلا الوجهين وكذلك سنان السهام المصنوعة برشاقة ودقة . أما

تقدم الصناعة في  
هذا العصر



رموس سهام من جبانة المراءة

الآلة التي يتميز بها هذا العصر أكثر من غيرها حتى أن اسمها أصبح أحياناً يطلق على هذا العصر ففي الفأس المصقولة . وهي قطعة من الظران على شكل الكلى المستطيلة وهي منحنية من أحد طرفيها لتصير قاطعة . وقد كان يركب فيها مقبض ولذلك كانت تستعمل كفأس أو قدوم . وبجانب الظران كان يستعمل كذلك العظم في عمل أسنة الخطاطيف ، ولعمل آلات كالنحت أو المنقش والأبر لشغل الجلود . ومن صناعة هذا العصر كذلك النسيج وعمل الحصر والفخار الذي لم يثر على أى نوع منه قبل هذا العهد ومن المدهش أنه انتشر في هذا العصر بسرعة وأصبح استعماله منتشراً انتشاراً عاماً . ففي مصر السفلى عثر في مرمدة بنى سلامة على أقدم فخار عمله الإنسان دون استعمال أية آلة في صنعه . وأول نوع ظهر لنا كان خشن الصنع وليس عليه أى نوع من الزخرفة اللهم إلا في القليل النادر فإنه كان يشاهد على حافة الأناء أو مقبضه شريط محفور بالأصبع . وبجانب هذا الفخار ظهر نوع آخر دقيق الصنع لونه أحياناً أحمر وأحياناً أسود . وكان يصقل بكل اعتناء قبل حرقه وأشكال هذا الفخار متعددة وتشمل كل أنواع الأطباق والأكواب والجرار والأباريق . ويلاحظ أن بعض هذه الأواني لها أزرار بارزة ، أو ثقوب في جوانبها وذلك ليملق فيها خيط تحمل به .

أما في الوجه القبلى فقد ظهر في بلدة « دير طاسا » نوع من الفخار أسود لم يحرق حرقاً محكماً غير أنه يمتاز بأنه أول نوع من الفخار ظهرت عليه

الفخار الاسود  
وظهورمق (دير طاسا)



فخار عثر عليه في النجوم يمثل العصر الحجري الحديث



مجموعة فخار من العصر الحجري الحديث

زخرفة مرسومة بالمعنى الحقيقي . وهذه الرسوم كانت هندسية في شكلها وقد صنعت بآلات ومثلت تجاويها بمادة يضاء بمثابة ترصيع . وأظهر هذه الأنواع التي وجدت في « دير طاسا » إنا. قمره مستو ومفرطح على شكل السوسنة .

بدأ الإنسان في هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين ، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلًا من مكان لآخر . وذلك يرجع لتغير حاله الجو في إفريقيا الشمالية وقد نشأ عن هذا الجفاف المتوالى في هذه الجهات بسبب قلة الأمطار أن اختفت النباتات والأشجار التي كانت تنبت على الهضاب المترامية الأطراف تدريجًا وكذلك أصبحت مناطق الصيد قليلة ومن أجل ذلك أخذت القبائل في الأقاليم التي كانت تسكن فيها أو تجول في أمثاتها تنبه إلى خطر الجوع من قلة حيوان الصيد فبدأت تربي الحيوانات القليلة الخطر كالثور والخروف والماعز والخنزير لتكون ذخيرة لهم من اللحوم الحية . وكذلك أخذت القبائل تزرع الحبوب المغذية وخاصة الشعير .

ولما ازداد جفاف تلك ، الهضاب الشاسعة ، ولم تبق منابع ماء في صحراء العرب أو في صحراء لوبيا ، أخذ أفراد القبائل النبويلية يجتمعون في قرى في وسط أراضيهم التي يتعيشون منها برعى الماشية أو بالزراعة في وادي النيل ، وكانوا لا يزالون يحترفون صيد البر والبحر وذلك اقتصاداً لمواشيهم الأليفة من جهة وليقتضوا على الحيوان البرى المفترس ، وعلى الحيوانات المائية الضارة

الانسان يسكن القرى



مثل جاموس البحر الذى كان يعد خطراً يهدد حياتهم على الدوام من جهة أخرى : غير أن الصيد لم يكن عندهم من الأمور الحيوية بل كان شيئاً ثانوياً . والواقع أن هذه القبائل أصبحت أهل فلاحه بالمعنى الحقيقى وكانت قرى العصر النيوليتى مؤلفة من عدد من العشى المنفصل بعضها عن بعض ويحتمل أنها كانت مسورة بسياج مؤلف من الأوتاد حماية لها . وقد عثر على قرى من هذا العصر فى مرمدة بنى سلامة وهى على نوعين مختلفين تمام الاختلاف فبعضها يشبه عشى الفلاحين الحاليين التى تقام فى وسط المزارع وقت الحصاد . وكانت العشة تتركب من جدران مصنوعة من الغاب يحفظها من التداعى أوتاد مثبتة فى الأرض . وإذا كانت العشة مبنية من جهاتها الأربع كانت تأخذ فى الغالب شكلاً يضيئاً منظماً بعض الشيء . وأحياناً تكون هذه العشى على شكل ستارة مقوسة المنظر محكمة القفل من الجهة التى يهب منها الريح وبخاصة الجهة الجنوبية الغربية أو الجهة الشمالية . ولا شك فى أن وجود مواقع فى هذه العشى وكذلك وجود اوان مصنوعة من الفخار يدل دلالة واضحة على أنها كانت تستعمل سكناً للإنسان . وقد عثر بالقرب من هذه العشى على أسوار بيضية الشكل لا تزيد مساحتها عن متر فى نصف متر تقريباً ويحيط بها جدار لا يزيد ارتفاعه عن نصف متر ويستدل منه على أنه لم يكن فوقه مبنى آخر ولا يبعد أنه كان يستعمل مخازن لحفظ الحبوب . وكانت جدران هذه المخازن تقام من طين معجون توضع كتل منه الواحدة فوق الأخرى على

مساكن هذا العصر  
وأشكالها

مخازن غلال هذا  
العصر

غير نظام أما رقعة العشة فأنها كانت تغطي بطبقة من الطين المعجون ، وكانت تحفر بعض الشيء على شكل صحن وتجهز في الجزء المنخفض منها بأناء مثقب مثبت في الأرض لجمع المياه وتصريفها . أما أساس العشة فكان يثبت في الأرض على عمق لا يزيد عن خمسة وعشرين سنتيمتراً . وكان يوجد في العشش الممتازة قصبة ساق جاموس البحر مثبتة عمودياً في الجدار الداخلي لتكون بمثابة سلم لتسهيل الدخول فيها . وقد وجدت بقايا حصر كانت على أرض سطح العشة ولا ريب في أن هذه الأكواخ أو العشش كانت تستعمل مأوى لأهالي مرمدة القدماء يحتمون فيها من العواصف والمطر ويبيتون فيها ليلاً عند اشتداد البرد ؛ ومن المدهش أنه لا يوجد في هذه العشش أى أثر من آثار الإنسان ولا أية آلة من الآلات التي كانت تستعمل في الحياة المنزلية . أما سقف هذه العشش القليلة الارتفاع فكان يصنع من حصر سميك من الغاب يوضع أفقياً . وفي حالة واحدة عثر على مكان عمودين متقابلين في إحدى هذه العشش ومن المحتمل جداً أنها كانا قد وضعا لأجل أن ينصب عليهما جلد حيوان لتغطية السقف وربما كان ذلك أول محاولة لعمل خيمة يحى الإنسان هذا العصر فيها نفسه من زهرير البرد وقيظ الحر .

أما في قرية العمرى السالفة الذكر فأن عششها وجدت على شكل مستدير وفي وسطها موقد . وعلى مقربة من هذه العشش كانت تقام سلات عظيمة من الحصير المجدول لها غطاء ومدهوكة بفرين النيل كانت تستعمل مخازن

بلدة مرمدة

المدينة العمرى

### لحفظ الجيوب .

أما المدافن النيبوليتية فكانت تكالتي في مرمدة تحفر في القرية نفسها على مقربة من الأكواخ . وكانت تحفر كلها في مكان خاص - كما هو الحال في العمرى وفي كل الوجه القبلى - بالقرب من القرية على حافة الصحراء بعيدة عن فيضان النيل . وكان كل قبر على شكل حفرة بيضية المنظر كالكوخ نفسه وكانت الجثة توضع راقدة على الجانب الأيمن غالباً في قرى الوجه القبلى، أما في الوجه البحرى فكانت توضع على الجانب الأيمن مثبتة بحيث تضم الركبتان نحو الصدر في معظم الأحيان ، أما وجه المتوفى فكان يتجه نحو المساكن . وقد عثر أحياناً على جثث موضوعة على حصير أو ملفوفة في جلد أو حصير . وقد لوحظ في مرمدة بنى سلامة أن يد المتوفى كانت توضع بالقرب من فمه وأحياناً شوهد أن إحدى أصابعه كانت في أسنانه . وكذلك لوحظ أن حبواً من القمح كانت مبعثرة في يده أو حول رأسه وفي بعض المقابر عثر ضمن محتوياتها على أوان عادية ولوحة لطحن مادة الزينة وعلى آلات من الطران . وهذه المقابر لم تكن فوقها مبان أخرى ، هذا خلاف قرية العمرى التى كان يعلم فيها القبر بعدة أحجار مكومة بعضها فوق بعض . وقد استعمل كثير من هذه المقابر لدفن أكثر من واحد من أفراد الأسرة . وفي هذه الحالة كان يجهز مكان في القبر للقادم الجديد وذلك بجمع عظام الموتى القدماء ووضعها بعناية في جانب من القبر . وهذه العادات المأتمية التى تدل على أن القوم كانوا يعتقدون بحياة أخرى

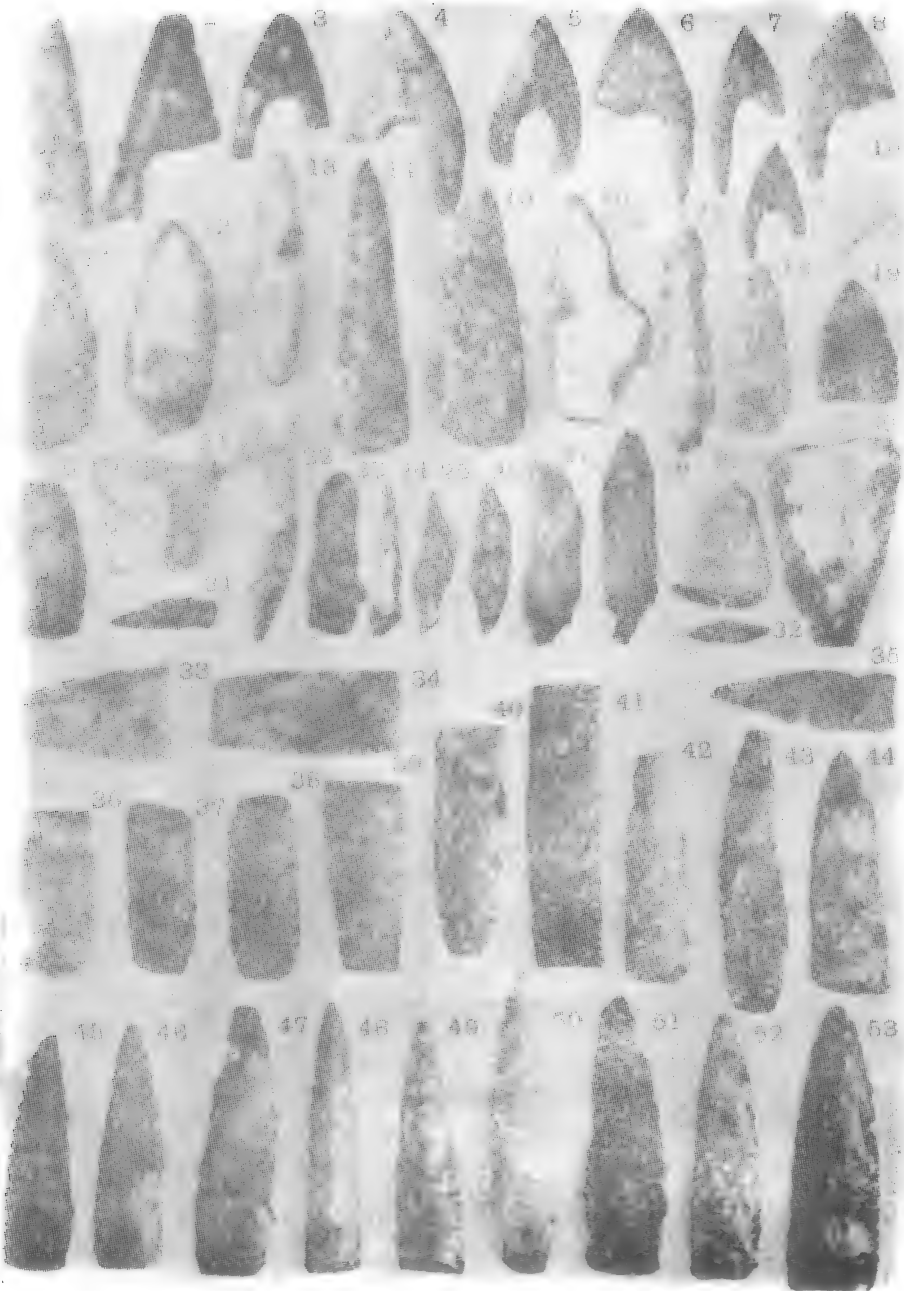
مقابر العصر النيبوليتي  
ووصفها

هى المصدر الوحيد لدينا عن معتقدات العصر النيوليتى ولا يبعد قط أن تكون هذه العادات النيوليتية التى عثر عليها فى هذه القبور هى التى نهج على منوالها قدماء المصريين وقوا يسرون عليها فى كل عصور التاريخ الفرعونى مع إدخال تحسينات عليها . أما من جهة ديانتهم الحقيقية وألهتهم وعبادتهم فأنا لا نعرف عنها شيئاً قط وذلك أمر طبعى لأن الكتابة لم تكن معروفة بعد ومن المدهش أن روح الفن فى هذا العصر كاد يكون منعدماً وربما كان السر فى ذلك أن إنسان هذا العصر كان موجهاً كل همه إلى تحقيق الأشياء العملية فكانوا يضعون الفخار ليستفيدوا منه لا للزينة ؛ وكذلك كانت حلبيهم كالقلائد والأشاور التى تصنع من العظام أو الطين المحروق نادرة وساذجة ولا يظهر فيها أى ذوق فنى . ولكن رغم انعدام الروح الفنى فى هؤلاء القوم بالمعنى الحقيقى فأنا نجد الرشاقة الفنية فى بعض الأواني وبعض سنان الحراب مما كان يبشر باستعدادهم للذوق الفنى الذى نما فيهم فيما بعد . ومنذ ذلك العصر نشاهد بعض علامات منها نستخلص أن مدينة وادى النيل كانت تنقسم قسمين مميزين عن بعضها . وينحصر القسم الأول فى الفيوم والدلتا والثانى فى الوجه القبلى . وتتماز مجموعة المدينة الشمالية بأنها أقدم من مدينة الوجه القبلى وأكثر تقدماً ، وهى التى ظهرت فيها سنان الحراب الفاخرة المهدبة على شكل « ورق الفار » الذى ورد ذكره فيما سبق وتعد هذه السنان والبلط المصقولة التى توجد فى كل مكان الآلات التى يمتاز بها هذا العصر . وقد وجدت أدلة كثيرة فى بحوث

ديانة هذا العصر

روح الفن تكاد تكون معدومة فى هذا العصر

المدينة المصرية تنقسم قسمين فى هذا العهد



مجموعة آلات من الطران قتل العمر المجري الحديث



آلات الطحن وبلط من العصر الحجري الحديث

أخرى تثبت هذه الحقيقة .

وليس من بين الأماكن الشاسعة التي يحتلها سكان مرمدة بنى سلامة ما يمكن مقارنته بمحطات الوجه القبلى حتى فى عصر قادة وذلك مما يحمل على الظن بأن المدينة فى الوجه البحرى كانت أكثر تقدماً ونمواً منها فى الوجه القبلى ففى الوجه البحرى بدأ الإنسان فى تربية الخنزير وجعله أليفاً ولم يكن وقتئذ معروفاً فى الوجه القبلى . وكان إنسان الوجه البحرى يستعمل كثيراً من الأوانى ذات الحامل المستدير وهذا النوع من الفخار كان نادر الوجود فى الوجه القبلى . وفى حين أن فخار الدلتا كان ذا لون أحمر أو أسود كله وكثيراً ما يكون مصقولاً ، فإن الأوانى المصنوعة من الطين الأسود والمنزخرفة بمادة بيضاء وكذلك الأوانى الحمراء ذات الحافة السوداء كانت خاصة بالوجه القبلى .

مدينة الوجه البحرى  
أقدم من مدينة  
الوجه القبلى

وقد أطلق علماء ما قبل التاريخ على مدينة العصر النيوليتى فى الوجه البحرى اسم المدينة المرمدية نسبة إلى أهم موقع عثر فيه على صناعات من هذا العصر . أما مدينة الوجه القبلى فيطلق عليها اسم المدينة الطاسية نسبة إلى بلدة « دير طاسا » القرية من البدارى وهى التى وجدت فيها أقدم آثار مصرية إلى الآن من هذا العصر . وهذه البلدة تمتاز بمخاررها ، ففى مصانعها وجدت البلطة والقدوم منتشرتين أما أدوات الزينة فنادرة فيها وينحصر ما وجد فى بعض محار وخرز مصنوع من العظام أو من الحجر الجبرى الأبيض . ويلاحظ أن بين هاتين المدينتين مدينة أخرى وهى

المدينة المرمدية  
والمدينة الطاسية

التي عثر عليها في الفيوم . وهي في جوهها تمل إلى مدينة الوجه البحرى غير أن لها بعض مميزات خاصة بها . فثلاً نجد أن مخازن الغلال تقام على مرتفع بعيدة عن المساكن ومجموعة في مكان واحد ، هذا إلى أن مدافن الفيوم لم توجد بالقرية لأنها كانت مفصولة عنها كما هو الحال في الوجه القبلى .

## عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الطران وأغنى بذلك صناعة المعادن إذ وجدت في هذا العصر آلات وحلى من النحاس والذهب في بادىء الأمر ، ثم عرف فيما بعد استعمال الشبه « البرنز » . وباستعمال المعادن أخذ الإنسان الأنوليقي يستغنى تدريجاً عن صنع آلاته من الطران والاحجار الصلبة الاخرى التي كان يستعملها في العصور السابقة . على أن صناعة الطران لم تدرس جملة بل بقيت بعض الشئ حتى في العصور المصرية التاريخية ، وذلك لأن المصرى كان بطبعه عبداً للتقاليد والعادات فكان يستعمل الطران في أوج مدنيته سنناً للسهم وغير ذلك .

هذا العصر قد أطلق على العهد الذى سبق بداية التاريخ أى عهد ظهور الكتابة في مصر .



والواقع أننا إلى الآن في كل بحثنا عن مدينة ما قبل التاريخ في العصور القديمة لم نجد مميزات بارزة يمتاز بها وادى النيل عن باقي ممالك العالم اللهم إلا بعض خصائص قليلة ، ولكن من جهة أخرى لاحظنا على وجه عام أن مدينة الوادى تتفق في مجموعها مع المدينت الأوربية في تلك العهود السحيقة في القدم ، وكذلك تمشى بوجه خاص مع عصور ما قبل التاريخ العام في إفريقية الشمالية .

المدينة المصرية تتفق بوجه عام مع المدينة الأوربية ومدينة شمال إفريقية

ومع أن عصر بداية المعادن في أوربا يتفق مع عصر ظهور المعادن في وادى النيل ، إلا أننا نشاهد من جهة أخرى أنه قد ظهرت فيه مميزات خاصة معلمة أخذت تزداد وضوحاً حتى أنها صبغت ثقافة هذا العصر بصبغة أصلية ، وأعطته لوناً خاصاً يميزه عن الممالك المجاورة . ويمكن تشبيه هذه المدينة الخاصة بانبثاق غصن ناشئ أبيض في أصل شجرة في شيخوختها فأزهر وأثمر ثماراً مختلفة أنواعها . وهذه الحياة الجديدة التي انبثت في البلاد ديبها في كل نواحي الفن والصناعات ، كصناعة الفخار ، وفي حفر العاج والخشب ، وتهذيب الطران وصنعه آلات بلغت الدرجة القصوى في الأتقان .

مميزات المدينة المصرية

ويرجع الفضل في إبراز هذه الثقافة المصرية من مكنها في بدايتها إلى جهود العلماء الذين وقفوا حياتهم عدة أجيال على القيام بالحفائر التي أنتجت العناصر التي منها تتألف تلك الثقافة ، لذلك كان لزاماً علينا قبل أن نبدأ في درس هذه المدينة الأنثوية أن نمر سراعاً بكلمة موجزة على أعمال هؤلاء الباحثين في الحفر والتقيب .

وأول من فتح الطريق في هذا المضمار هو الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك في عام ١٨٨٩ عندما قام بجفائر في اللاهون ( كاهون ) (١) ، وغيرها عند مدخل الفيوم ثم تابع أعماله في ميدوم ، فطوخ فالبلص . وكذلك قام العالم « دى مرجان » ، « واملينو » الفرنسى ، ثم « ماك ايفر » ، « وجارستانج » ، بجفائر في قادة ، والعراة ، والكاب ، وغيرها من المواقع الأثرية . أما في بلاد النوبة فقد قام الأستاذ « ريزنر » بجفائر في المواقع التى كان يهددها تغطية خزان أسوان . وقد وصف لنا البعثة « ستون كار » مصفاً عظيماً عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فحمة الصنع وذات أحجام خارقة للحد المألوف . ويقع هذا المصنع في ( وادى الشيخ ) بالقرب من بلدة مفاغة بجوار الآبار القديمة التى كانت تحفر لاستخراج الطران .

وفى عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بدأ المستر « برنطون » بعمل حفائر في جبانات بالقرب من بلدة البدارى الحالية . وقد أماطت بحوثه اللثام عن صفحة جديدة في تاريخ ما قبل الأسرات في مصر . أما في الدلتا فقد قام « برشيا » العالم الأثرى الإيطالى بجفائر في كوم القناطر وهى أول محطة كشفت من هذا العصر . وقفا أثره الأستاذ « ينكر » بحوث في تل اليهودية بالدلتا أيضاً . وحديثاً كشف كل من الأستاذ مصطفى عامر والأستاذ « منجى » عن محطة هامة من العصر الانبوليتى فى المعادى بين القاهرة وحلوان أما الصحراء فان الأبحاث لم تقم فيها على قدم وساق كما كانت فى

بحوث الاستاذ  
« فلندرز بترى »  
وغيره عما قبل التاريخ

بحوث المستر ( برنطون )

بحوث الاستاذ  
« مصطفى عامر بك »

الوادی نفسه ، ومع ذلك فإن البعثات القليلة التي بحثت فيها قد أسفرت  
عن بعض نتائج ؛ فالبعثة التي قام بها الأمير كمال الدين في الصحراء حتى  
( جبل عوينات ) عثر فيها على محطات مما قبل الأسرات ؛ وجدت  
فيها أسلحة وسكاكين عظيمة الحجم من الحجر النوبي ، وبالقرب منها عثر  
على أرحاء وأجران مصنوعة من حجارة ضخمة . وذلك برهان جديد على  
أنه كان يوجد في هذه الجهات واحات ، ولكنها طبعاً قد اختفت بخفاف  
العيون التي كانت تغذيها ؛ ولا مراء في أنها كانت يانعة في هذا العصر ،  
ومن المحتمل جداً أنها كانت لا تزال آهلة بالسكان في العهد الفرعوني .  
وقد عثر حديثاً العالم « بوفيه لايير » على جبانة من نوع خاص  
في صحراء العرب على مسافة قريبة من القاهرة تشبه في أوروبا ما يطلق  
عليه اسم « دلمن Dolmens » . وكل واحد من قبورها يتألف  
من حجر عظيم مستوى السطح موضوع على حجرين عموديين ، وهو أول  
شيء من هذا النوع عثر عليه في مصر . وهذه المقابر قد أقيمت على حافة  
وادی التيه . ولما كان وجه الشبه بين هذه المقابر ومثيلاتها في أوروبا عظيماً  
فقد نسبها الأب « بوفيه » إلى العصر الأنوليوتي ؛ غير أنه يظن كذلك أنها  
قد تكون صنعت في عصر متأخر عن ذلك .

بنة الأمير  
كمال الدين

المقابر التي تسمى  
« دلمن »

ولما كانت الكتابة منعدمة في العصر الأنوليوتي حتى ظهور الأسرة  
الأولى ، كان من الصعب على المؤرخ أن يضع تواريخ مؤكدة للمدنات  
المتالية التي مرت فيها مصر في أقدم عهودها ، لذلك يجب أن نكتفي

الآن بأقل الفروض . إذ الواقع أن بداية هذه المدنية ترجع بنا إلى عهود يكاد مقدار ألف سنة فيها لا يعد بالشئ الخارق للعادة من حيث الزمن . ومما يؤسف له أن نهاية هذا العصر الذى هو فى الواقع بداية العصر التاريخى لم يتفق عليه بصفة قاطعة للآن بين علماء الآثار ، بل الأمر تخفى ذلك فى النزاع حتى أن كل تأريخ قبل عام ١٥٨٠ ق.م. فى التواريخ

المصرية موضع شك ، ولا أدل على ذلك من أن السير «فلنדרز بترى» عمر الحضارة المصرية

قدر عمر المدنية البدائية بنحو ١٠.٠٠٠ إلى ١٣.٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، على حين أن أثرين آخرين قدروا عمرها بنحو ٥.٠٠٠ سنة . على أن مثل هذه التواريخ لا تخرج عن أنها محض تخمين ولا تتركز على أساس علمي . ومع أنه كان من المتعذر وضع تاريخ مؤكد لبداية عصر ما قبل الأسرات أو نهايته ، فانه من الممكن أن يقتفى الإنسان تابع الخطوات المختلفة التى حدثت فى خلال هذا العصر . وهذا الأمكان قد نشأت نتيجة

للبحوث التى قام بها المستر «فلنדרز بترى» فى (ديوسبوليس برفا) (١) لتابع تاريخي خاص فى أنواع الفخار كشفت عنه حفائره . وذلك أنه لاحظ أن نوعاً خاصاً من أواني الفخار كان يحدث فيه انحطاط منظم ، وذلك أن البروز الذى كان فى الأصل بمثابة يد الأثناء ، أخذ فى التلاشى تدريجاً حتى أصبح لا يزيد عن خط متموج لا معنى له حول رقبة الأثناء . وهذا الانحطاط فى يد الأثناء صحبه تدهور مشابه له فى شكل الأثناء العام . ولذلك كان

«فلنדרز بترى»  
والتابع التاريخي

من الممكن أن يضع الإنسان تابعا تاريخيا لكل الأواني التي من هذا النوع . وبالوصول لهذا الترتيب كان من السهل أن يجد الإنسان أدوات أخرى من نوع هذه الأواني ، قد تدرجت في التغير . وقد اتخذ أساسا للتغير في هذا النوع من الفخار فترات معينة تبتدى برقم واحد وتنتهى برقم مائة . وقد ترك الفترة من رقم ١ - ٢٩ خالية لما عساه أن يكشف من فخار أقدم من الأنواع التي عثر عليها في قبور قديمة . أما الفترة بين ٣٠ - ١٠٠ فأنها تمثل ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات . وقد صار من الممكن أذن أن يضع الإنسان في الفترات المتابعة مجموعة هذا النوع من الفخار حسب طبقة المختلفة في القدم ؛ فإذا كشف قبر مما قبل الأسرات ، ولم يكن من الممكن وضع تأريخ محدد له ، فإن مكاته في التأريخ التابعي يمكن الوصول إليها في الحال وذلك بمقارنة الفخار الذي عثر عليه فيه بالطبقة المقابلة للفخار الذي اتخذ نوعه أساسا .

وهذا النظام للتأريخ التابعي ، كما يطلق عليه ، برهن على أنه أداة قيمة إلى أبعد حد لتحديد الآثار التي وجدت في عصر ما قبل الأسرات . ولا نزاع في أن هذا النوع من التأريخ لا يمكن أن يعطينا فترات متساوية من الزمن في كل طبقة ، إذ من الجائز أن تكون طبقة أطول أو أقصر جدا عن التي تليها مباشرة . ولكن على أية حال يمكننا بواسطة هذا التأريخ أن نحدد ما سبق وما لحق بالنسبة لترتيب الحوادث الحقيقي .

تقسيم عصر ما قبل  
الاسرات إلى ثلاثة  
عهود

وعلى هذا الأساس ينقسم عصر ما قبل الأسرات إلى ثلاثة عهود

(١) عهد ما قبل الأسرات القديم وتاريخه التابى من ٤٠ - ٣٠

(٢) عهد ما قبل الأسرات المتوسط من ٤٠ - ٦٠ (٣) عهد ما قبل

الأسرات الحديث من ٦٠ - ٧٨ وعند هذا الرقم يبتدىء العهد الأول للأسرات وذلك بظهور الأسرة الأولى التى بدأ التاريخ فيها بالكتابة .

وقد عثر حديثاً على مقابر أقدم من التى وجدها « فلندرز بترى » ونعى بذلك المقابر التى كشفها المستر « برنطون » فى البدارى وقد عثر فيها على أنواع جديدة من الفخار وقد خصص لها « بترى » التاريخ التابى من ٢٠-٢٩ . وسنشرح ذلك فى حينه .

مدينة الوجه البحرى . لقد ظلت البحوث العلمية عن عصر ما قبل

التاريخ فى مصر موقوفة على الوجه القبلى إلى زمن غير بعيد ظناً من العلماء أن كل المدينة القديمة أصلها من الوجه القبلى إلى أن أقام الأستاذ « ينكر » ببحوثه المشهورة عن عصر ما قبل التاريخ فى جهة مرمدة بنى سلامة ، وأسفرت ببحوثه عن مدينة يرجع عهدها إلى العصر النيوليتى ، وقد تكلمنا عن هذه المدينة فى حينها . وقد قام بعده الباحثون فى هذا الميدان فى الوجه

البحرى . فوفق أخيراً الملمان مصطفى بك عامر والأستاذ « منجى » إلى مدينة الوجه البحرى كشف محطة جديدة فى المعادى يرجع عهدها إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث . ومن ذلك يتضح لنا أنه توجد فجوة عميقة بين عصر مرمدة بنى سلامة الذى بدأ فى أوائل العصر الحجري الحديث وبين عصر

المعادي الذي يشرف على حافة التاريخ أو بعبارة أخرى يجثم به عصر  
بداية المعادن . ولا يبعد أن تملأ هذه الفجوة العميقة بكشف جديد في  
هذا المضمار في السنين المقبلة . وقد كشفت آثار من هذا العصر في الوجه  
البحري في طرخان ، وطره .

مدينة الوجه القبلي : ومن جهة أخرى نجد أن المدينة الأنوليتية في  
الوجه القبلي معروفة بدرجة كبيرة . وتبتدى بمصر البداري الذي جاء مباشرة  
بعد عهد « دير طاسا » .

والبداري كما ذكرنا بلدة تقع بالقرب من « قاوا الكبير » في إقليم أسيوط  
وقد كشف فيها عن موقع أثرى موضعه في التاريخ التابعي الذي اخترعه  
« فلندرز بيري » بين ٢٠ - ٢٩ . وهو أقدم تاريخ عرف إلى الآن في  
عهد ما قبل الأسرات . وقد عثر على الصناعات البدارية في بلاد النوبة .  
أما العصر الذي يلي عصر البداري فيطلق عليه العهد النقادي نسبة إلى  
بلدة نقادة القريبة من قوص . وقد قام بحفائر فيها الأستاذ « بيري »  
والمستر « كويل » عام ١٨٩٥ . وأهم مواقع ما قبل الأسرات في الوجه  
القبلي طوخ ، وبلاص شمالي الأقصر ، ثم « ديسبوليس برقا » بالقرب من  
نجع حمادي والعامرة ، ونجع الدير والمحاسنة وبيت خلاف ، وجرزة ، وأبو  
صير الملق وحرجة عند مدخل الفيوم .

عصر نقادة

البداري : كان أهل عصر البداري يحكم طبيعة البلاد زراعاً للأرض ،  
وذلك بعد أن انكشش الوادي وأصبح محاطاً بالصحراء على كلا حافته

وكان أنسان البدارى قصير القامة ضئيل الجسم طويل الجبهة ويمكن مشاهدة هذه الخواص فى المصرى الحالى الذى يظن أنه من نسلهم . والظاهر أنه كان يختلط بدمه بعض دم الزوج .

وقرى هذا العصر كانت مجموعة من الأكواخ البيضية الشكل أو المستديرة وكانت مصنوعة من مواد خفيفة مثل البوص والأخشاب، ولم نجد فيها المساكن التى تشبه بيوت أهل مرمدة بنى سلامة، وهى التى كانت تحتوى على حجرات مقبية مصنوعة من الطين المعجون . وقد استعملها السكان غرقاً للنوم . على أن هذا النقص فى البدارى قد يكون لمجرد الصدفة ؛ ولكن من المحتمل جداً أنه يدل على أن هذا التقدم فى بناء المساكن فى الدلتا لم يكن قد أدخل على مباني الصعيد إلى هذا الوقت . وكان يوجد فى وسط الكوخ حفرة تقوم مقام الموقد . أما المواد الغذائية فكانت تحفظ فى سلة . وتدل الآثار التى عثر عليها فى هذه الأكواخ على تقدم عظيم فى أسباب الراحة ، إذ كان أثاث المنزل يحتوى على حصير ، بسل وعلى أسرة من الخشب كانت توضع عليها وسائد من القماش أو من الجلد محشوة بالقش .

وقد أخذت أسباب الراحة فى المساكن تزداد فى خلال عصر ما قبل الأسرات . فمثلا فى عصر ما قبل الأسرات القديم فى بلدة « الحامية » كانت الأكواخ المستديرة الشكل لا تزال مستعملة بجانب المساكن البيضية الشكل المقامة من الطين المعجون ، وتشبه ما عثر عليه فى ( مرمدة بنى سلامة )



وليس ييهما خلاف إلا أن كتل الطين التى بنيت بها مساكن الحمامية ،  
كان لا يوضع بعضها فوق بعض مباشرة ، بل كانت بين كل  
صفين من كتل الطين رباطان من البوص . والظاهر أن حوالى التاريخ  
التابعى ٤٠ حدث تغيير فى شكل الكوخ . إذ نشاهد أن اليت  
المستدير الشكل قد أهمل وحل محله الشكل المستطيل . وحوالى التاريخ  
التابعى ٤٥ لوحظ أن العشش التى كانت تقام من مواد خفيفة أخذت  
مكائنها العشش التى كانت تصنع من الطين المعجون . ويدل وجود الموقد  
فى أحد الأكواخ فى « حمامية » على أن هذا النوع من المساكن قد خلف  
النوع السابق .

مدينة « حمامية »

وفى خلال عصر ما قبل الأسرات الحديث ظهر تقدم محسوس فى  
فن البناء عثر عليه فى الوجه البحرى فى محطة المعادى التى كشفها الأستاذ  
مصطفى عامر بك ، إذ أن القرية التى أُميط اللثام عنها فى هذه الجهة تتألف  
من منازل ذات شكل مستطيل . وقد استعمل فى بنائها الطوب المجفف أى  
اللين ، الذى خلف كتل الطين غير المنتظمة فى الشكل ، وقد كانت تستعمل  
دون أن تجفف . وهذا التقدم العظيم فى فن المعمار لا بد أنه قد حدث  
فى الدلتا فى خلال العصر الطويل الذى يفصل عصر مرمدة عن عصر ما  
قبل الأسرات الحديث . وهذه الفترة مجهولة لنا تماماً فى تاريخ الدلتا .  
أما مخازن القوم التى كانت تصنع أولاً من سلات مجدولة تدهك بالطين  
بعد ذلك ، فكان يستعمل بدلا منها فى عهد المعادى أو أن عظيمة الحجم

أول بناء بالين فى  
عصر ما قبل الأسرات

مصنوعة من الفخار المحروق .

أما مقابر عصر بداية استعمال المعادن في الوجه القبلي فأنها كانت تقام على مسافة من القرى كما كان الحال في خلال العصر الحجري الحديث ؛ ففي عهد البدارى كان القبر لا يزال حفرة يضيئة أو مستديرة الشكل ؛ محفورة في الأرض نفسها على بعد بسيط دون أى كساء أو طلاء من الداخل . أما المتوفى فكان يكفن في حصير أو في جلد ماعز وعادة كان يوضع في تابوت ويغطى بالأعشاب . وقد عثر بجانب بعض المتوفين على ملابسهم اليومية وحليهم . وكانت رأس الميت تستند على مخدة كأنما يريد النوم ، وقد لوحظ أن وجهه كان متجهًا نحو القرية وفي أغلب الأحيان كانت يده ترفع نحو فمه . وقد كان يوجد بجانبه أناة وبعض آلات من النحاس ومن الطران والعظم ، وأحيانًا وجدت لوحة من الأردواز لطحن التوتية مما يدل على أن تجميل العين والوجه كان شائعًا ؛ ووجدت في بعض قبور هذا العصر دمي تمثل سيدات صنعت من العاج أو من الطين ، والظاهر أنها كانت تقدم هدية للمتوفى . وقد فسر بعض علماء الآثار وجودها بأنها تمثل آلهات أو أنها تحمل محل زوجة المتوفى في قبره .

مقابر الوجه القبلي  
في هذا العصر  
وعتباتها

أول محاولة لصنع  
تابوت للمتوفى

والظاهر أن التابوت المصنوع من الخشب أو من الفخار لم يكن معروفًا في مقابر البدارى ولكن من ناحية أخرى عثر على صندوق من القش المجدول مما يدل على أن الإنسان كان قد بدأ يفكر في هذا العصر في محاولة صنع تابوت ما . وتدل بقايا البوص التي عثر عليها في هذه

المقابر أنه كان يقام فوق الجثة مبنى من المواد الخفيفة ليحياها من التراب الذى كان يهال على المتوفى بعد الدفن ، وليكون له بمثابة غرفة تحت الأرض . وقد لوحظ أن كل قبر كان مستقلا عن الذى بجواره ، ومن الأشياء الهامة التى عثر عليها فى هذه المقابر الأمشاط المصنوعة من العاج وكانت تزين بزخرفة ، وكذلك عثر على دبابيس من نفس المادة كانت تستعمل لشبك الملابس . وعثر على خرز أنبوبى الشكل مصنوع من النحاس وعلى خرز مطلى بالمينا من حجر الكورتس ومن أحجار أخرى كلها كانت تلبس للزينة . أما أصداف البحر الأحمر فأنها كانت تستعمل فى عمل الأحزمة والأساور والقلائد .

وفى خلال عهد قادة تقدمت طريقة الدفن بسرعة فأصبح شكل اللحد سواء أكان يبيضا أم مستديرا يشبه شكل العشة ولما تغير شكل الكوخ وأصبح مستطيلا تغير كذلك شكل القبر وأصبح شبه مستطيل . وكان هذا النوع الأخير صغير الحجم فى أول الأمر ولكنه كان يكبر حسب ثراء المتوفى . وقد عثر على مقبرة نموذجية لهذا النوع من الدفن فى « العمرة » ومحتوياتها لا تقل عن ٢١ أناء عظيما مصفوفة على مقاعد على جوانب ثلاثة من حفرة الدفن . وكذلك عثر على قبر لفرد من علية القوم يحتوى على ١٢ أناء كبيرا مصفوفة صفين على إحدى جوانب القبر وذلك عدا اثنى عشر أناء أخرى أحدها فخار مصقول من طرفيه . وهذا الثرى لم توضع جثته فى تابوت بل فى شبه التابوت ، إذ

تقدم طريقة الدفن  
فى نقادة

حاول أن يصنع لنفسه صندوقاً مركباً من ألواح مربوط بعضها ببعض محبل وهذا الصندوق يرتفع عن سطح رقعة القبر بنحو ٢٥ بوصة . وكان القبر من جهة أخرى مستوقفاً بمعى دهكت بالطين . وهذا مثل من الأمثلة التى يظهر فيها الفرق بين طبقات الشعب .

أما الخطوة الثانية فى شكل أقامة المقابر فنتيجة للرق الطيعى الذى ينشأ من الشكل السابق . وذلك أنه لما كثر عدد القربان فأن البروز الذى كانت توضع عليه أواني القربان فى القبرين السالفين قد صار رفاً أخذ يكبر تدريجياً حتى أصبح صاحب المقبرة يشعر بأنه سيضايقه فى مضجعه الأخير . ومن أجل ذلك بدأت المقابر تأخذ شكلاً جديداً فى عهد ما قبل الأسرات الحديث فصار شكل كل المقابر مستطيلاً ، وفى الوقت نفسه أخذ استعمال بناء القبر ينتشر وذلك لتدعيمه وجعله صلباً ، وبتقدم فن الممار الأول أدخل بناء الجدران باللبن وكذلك استعملت القباب فى المقابر وأصبح من السهل عمل التحسينات اللازمة ، فأضيفت حجرات مجاورة لحجرة الدفن الأصلية خصصت للثونة والقربان ، هذا إلى أنه صنع فى القبر سلم للنزول والصعود بوساطته . وسواء أكان القبر فى هذا العهد مستوقفاً أم غير مقوف فإنه لم يظهر منه أى جزء على سطح الأرض يعرف بوساطته أين يرقد المتوفى ، وربما كان ذلك خشية أن يسطو اللصوص على محتوياته . ومن العادات الغريبة التى ظهرت فى أواخر هذا العصر دفن المتوفى تحت إناء عظيم منكس . وقد أخذت عادة لف الجثة فى طرق دفن المتوفى

استعمال القباب فى  
المقابر

حصير أو جلود تمخني تدريجاً وأخذ يحمل محلها وضع الجثة أولاً في سلة من البوص المجدول ثم توضع بعد ذلك في تابوت حقيقى مصنوع من الفخار أحياناً وغالباً يكون مصنوعاً من ألواح كما سبق . وكانت عادة دفن عدد عظيم من الأجسام في حفرة واحدة ؛ محصورة في عهد ما قبل الأسرات القديم وقد لوحظ أحياناً أن الصياد كان يدفن بجانبه كلاب صيده.

مبنى وضع المتوفى  
في القبر

وكان المتوفى سواء أكان غنياً أم فقيراً يوضع في القبر مقرفصاً على جانبه الأيسر اللهم إلا بعض شواذ كما شوهد في العمرة حيث وجدت بعض الأجسام موضوعة على الجانب الأيمن لسبب مجهول ؛ وفى العادة كانت توضع الأجسام متجهة من الشمال إلى الجنوب أى فى الجهة الموازية لسير ماء النيل . وفى أغلب الأحيان كانت الرأس توضع فى الجهة الجنوبية ، وهناك بعض شواذ كثيرة لهذه القاعدة . وقد فسر بعض علماء الآثار سبب وضع الجثة مطوية فى القبر بأنها الحالة الطبيعية التى ينام بها الإنسان ، عادة وقد فسرها آخرون بطريقة علمية مقبولة أكثر من السابقة هو أن الجنين يكون بهذا الوضع فى بطن أمه ولكن الظاهر أن المصرى لم يفكر لا فى هذا التفسير ولا فى ذاك بل الواقع أن المصرى ربما كان قد تعود دفن الجثة من بادية الأمر فى مكان ضيق اقتصاداً ثم أصبحت عنده عادة دفن الجثة بهذا الشكل فلم يتخل عنها حتى بعد أن أصبح المكان متسعاً والمصرى فى كل أطوار حياته عبداً لعاداته . وقد لوحظت بعض ظواهر غريبة فى بعض المقابر يجدر بنا الإشارة إليها . ومن ذلك

عثر على عدد من الأجسام منفصلة عظامها وليست موضوعة في ترتيبها  
لطبعي مع أن كل الدلائل تدل على أن القبر لم يمس منذ الدفن وقد فسّر  
بعض العلماء ذلك بأن هذه الأجسام مزقت بعد الموت أو قبل الدفن ، وقد أنكر  
بعضهم تلك العادة على المصريين ، ولكن من جهة أخرى عثر في «دشاشة» تمزق الجسم قبل الدفن  
التي يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات الحديث على مقابر سليمة لم تمسها .  
يد إنسان ووجدت فيها الأجسام منفصلة عظامها عن بعضها ثم لفت في  
الكتان الذي وجد أنه لم يمس بعد في المصور التي تلت ، وذلك مما  
يدل على أن فصل العظام كان شائعاً في عصر ما قبل الأسرات ، ومن  
المستبعد جداً أن لحماً كان يأكله الإنسان كما ادعى بعض العلماء .

وربما كان أغرب ما أظهرته لنا مقابر ما قبل الأسرات وجود عدد  
لا يستهان به من الأجسام ؛ فيها الجزء الأمامي من عظم الساعد  
مكسور . وقد ذهبت العلماء في تفسير ذلك مذاهب شتى ولم تقتصر هذه  
الظاهرة على الرجال بل وجدت في النساء أيضاً والتفسير الذي يقبله العقل  
بعض الشيء أنه ربما كان هناك سبب جنازى يدعو لهذا الكسر الذي  
كان يحدث بعد الموت بلا شك ، أما السبب الذي دعا للكسر فسيبقى  
بدون تفسير على الأقل الآن .

وتدل نتائج الحفائر التي عملت في عصر بداية المعادن أو عصر ما قبل  
الأسرات على أن المصري كان قد بلغ شأواً بعيداً في المدنية وأنه قد  
وصل إلى درجة جعلت بينه وبين عصر الوحشية هوة سحيقة ، ومهما نظرنا

إلى صناعته فى أى عهد من عصر بداية المعادن فانا نجده قد وصل إلى مستوى يجعله فى مصاف المتدينين فقد كان فى هذا العهد كما كان أجداده فى العصور السالفة من أمهر الصناع والفنانين فى عمل الطران ، وقد كان عصر بداية المعادن يمتاز باستعمال الطران والنحاس لصنع آلاته وحليه جنباً إلى جنب . وتدل البحوث على أن صناعة الطران كانت سائدة الاستعمال فى عصر البدارى وفى عهد ما قبل الأسرات القديم أى إلى عهد التابع التاريخى ٤٠ وأحياء هذه الصناعة التى بدأت فى العصر السالف استمر راسخ القدم بظهور السكاكين ذات الوجهين والسكاكين القصيرة ذات الطرف المستدير ؛ هذا إلى ظهور رؤوس الحراب ذات اللسانين وكانت تصنع من شظايا غير منتظمة الشكل ، ولكن بعناية ؛ وكان النحاس فى هذا العهد لا يزال مادة نادرة الوجود ولا يستعمل إلا فى صنع الآلات ذات الحجم الصغير كالديابيس التى كانت تستعمل لشبك الجلود بعضها ببعض ، والأبر والكلايب ، والخطاطيف والمقاشط والمقصات . ولم يكن هذا المعدن يستعمل فى حالته النقية بعد ، أما الآلات التى كانت تصنع منه فكان يحصل عليها بالطرق .

استعمال النحاس  
والطران جنباً لجنب

ومنذ التاريخ التابعى ٤٠ أخذت صناعة الطران تتقهر أمام صناعة النحاس ، التى بدأت تزداد تدريجاً حتى أصبحت معظم الآلات التى يستعملها الإنسان فى حياته اليومية تصنع من هذه المادة .

سيادة استعمال النحاس  
منذ التاريخ التابعى  
٤٠

والواقع أن أهم ظاهرة بارزة فى مدنية ما قبل الأسرات هى اكتشاف

معدن النحاس واستعماله في معدات الإنسان في معظم مرافق الحياة وذلك على الرغم من وجود الذهب والفضة وأن كانت الأخيرة نادرة ، هذا إلى أن الحديد المطروق قد ظهر كذلك في هذا العصر واستعمل في صنع خرز أنبوبي الشكل ولكنه كان نادراً أيضاً . ولذلك كانت قيمته عظيمة لدرجة أنه كان ينظم في القلائد الغالية مع حبات الذهب . ولكن النحاس كان في هذا العصر « ملك المعادن » . ولذلك تسأل من أين أتى هذا المعدن وكيف كشفت مادته أولاً ؟ والظاهر أننا مدينون بكشف النحاس واستعماله لأول مرة إلى إنسان مصر في عهد ما قبل الأسرات . على أن طريقة كشفه ليست واضحة لدينا ولا تتركز على أساس تاريخي ، والمحتمل جداً أنها جاءت بطريق الصدفة المحضة إذا قبلنا إحدى النظريتين اللتين فرضهما كل من الأستاذ « إليت سميث » والأستاذ « برستد » . وقد عزا كل منهما السبب في كشف معدن النحاس إلى استعمال المصري مادة التوتية ( تترات النحاس ) التي سبق أن تكلمنا عنها وهي مادة كانت توجد في معظم القبور المصرية في هذا العصر ومعها لوحة من الأردواز لتطحن عليها قطع التوتية وكان يستعمل لطحنها حصة كبيرة من الحجر الصلب . وكان الفرض من وجودها مع المتوفى أن تكون مادة للزينة ودواء للعينين لحفظهما من تأثير أشعة الشمس في الصحراء وقد استعملها الرجل والمرأة على السواء لهذا الغرض .

ظهور الحديد  
في هذا العصر

كيف اكتشف  
معدن النحاس

أما نظرية الأستاذ « برستد » في اكتشاف النحاس فإنه تصور المعدن



المصرى فى شبه جزيرة سينا قد وضع رحله فى مكان ؛ وافق أنه أوقد ناره على قطعة من النحاس الغفل ( التوتية ) الذى كان مبعثراً بكثرة هناك ، وفى الصباح عندما كان يريد كنس بقايا موقده وقع نظره على قطع صغيرة من مادة لها بريق ولمعان . وبالطبع كانت هذه القطع الصغيرة ما أنتجه اختلاط النار بالمعدن الغفل . ومن هذه اللحظة علم المصرى أنه يمكنه الحصول على هذا المعدن بصهر حجر التوتية فى النار . وبهذه الكيفية يقول الأستاذ ( برستد ) إن الإنسان المصرى تعلم لأول مرة فى حياته كيف يمكنه أن يحصل على معدن أصبح بوساطته يضرب بسهم صائب فى الصناعات وفى الهندسة .

أما الأستاذ « اليت سميث » فإنه يعزو هذا الكشف إلى زوج المعدن فيقول أن المعدن قد جلب معه حجر التوتية من شبه جزيرة سينا إلى بيته ، وافق صدفة أن زوجته كانت تستعمل عجينة من هذا الحجر لتجميل وجهها ، ولكن حدث أن سقطت هذه العجينة من يدها وهى أمام الموقد فى النار ، والظاهر أن ناره كانت متأججة فلم يمكنها إقناذ عجيتها . وفى اليوم التالى عندما كانت تنظف بقايا نار أمس فى الموقد لتجهز الأفطار ، وجدت لدهشتها أن قطعة عجينة التوتية التى سقطت منها بالأمس قد اختفت ، ولكنها فى الوقت نفسه وجدت بعض قطع صغيرة من معدن لونه أحمر جميل مما جعلها تنسى خسارة أمس ، لأنها وجدت بدلا منها مادة أخرى جديدة تخلفت من حرق التوتية يمكنها أن تستعملها فى صنع أدوات زينة جديدة .

ظئرية الأستاذ  
• اليت سميث « فى  
اكتشاف النحاس

وقد كان من نتائج هذا الكشف العظيم ، أن أخذت صناعة الطران منذ تأريخ التابع ٤٠ ، تتقهقر أمام صناعة النحاس التي أخذت في الانتشار والتحسين السريع ، فأصبح يصنع منها معظم الآلات التي كان يستعملها أنسان هذا العصر ، ومن المدهش أنه كلما كان يقل استعمال الطران في مهام الحياة كلما أخذ الصانع في تحسين الآلات التي كان يستخرجها منه ، وربما كان السبب في ذلك أنها كانت تعد في هذا الوقت أدوات زينة وكاليات . وبجانب هذا الطران الفاخر المتفن الصنع كانت تستعمل حصوات معينة الشكل ( الزلط ) يهذب أحد طرفي الواحدة منها ويرهف ، ولكن في العصر نفسه أخذ النحاس يحل محل الطران بكثرة مضطردة في عمل آلات الحرب ، ورغم النهب المنظم الذي حدث في مقابر هذا العصر للحصول على المعادن والأشياء الثمينة ، فإنه عثر فيها على مقصات ، وقدم وأزاميل ، وخناجر ، وخطاطيف من النحاس ، وقد عثر كذلك على فأس ذات وجهين يرجع عهدها إلى الرقم ٨٠ من تأريخ التابع مما يثبت استعمال المعادن بدرجة عظيمة في هذا الحين .

سبب تحسن آلات  
الطران

شروع استعمال  
النحاس في صنع  
الآلات

صناعة النسيج

أما صناعة النسيج التي ظهرت بوادرها في العصر النيوليتي ، فإنها أخذت تنمو وتتقدم منذ بداية عصر استعمال المعادن ، وبقايا الأقمشة التي عثر عليها في مقابر البداري لا تزال خشة الصنع ساذجة ، ولكنها في الوقت نفسه كانت صلبة منظمة النسيج . وهذه الأقمشة كانت تصنع ملابس . هذا إلى أن صناعة الجلود أخذت في التقدم . أما صناعة النجارة الدقيقة في هذا

العصر، فلم يبق منها إلا بقايا لا تكاد تذكر ، ولكن رغم ذلك فإن آثار أخشاب الأسرة التي عثر عليها في البداري ، وبقايا توابيت عصر ما قبل الأسرات المتوسط والآلات النحاسية التي ظهرت خلال رقم ٥٥ من التأريخ التابعي ، كل هذه الأشياء تدل على انتشار هذه الصناعة لتزيين مساكن عصر بداية المعادن .

ومن أهم مميزات عصر بداية المعادن صناعة الفخار، إذ بلغت قمتها في مصر . ولم يكن هناك منافس للفخار في هذا العهد إلا الأواني التي كانت تصنع من الأحجار الصلبة، غير أنها لم تكن منتشرة بل في الواقع كانت نادرة وذلك لأنها ثمينة . وفي الحق كان أنسان هذا العصر يصنع أواني من الفخار غاية في الدقة تدل على سلامة الذوق والمهارة الفائقة . وقد كان نمو أشكال هذا الفخار وتعدد زخرفته المتنوعة الأساس دعامة بنى عليها « فلندرز بترى » نظريته التي أطلق عليها التابع التأريخي كما أسلفنا. وقد جاء اكتشاف جبانة البداري منذ عهد قريب مكلا للحلقة الناقصة في هذا التابع .

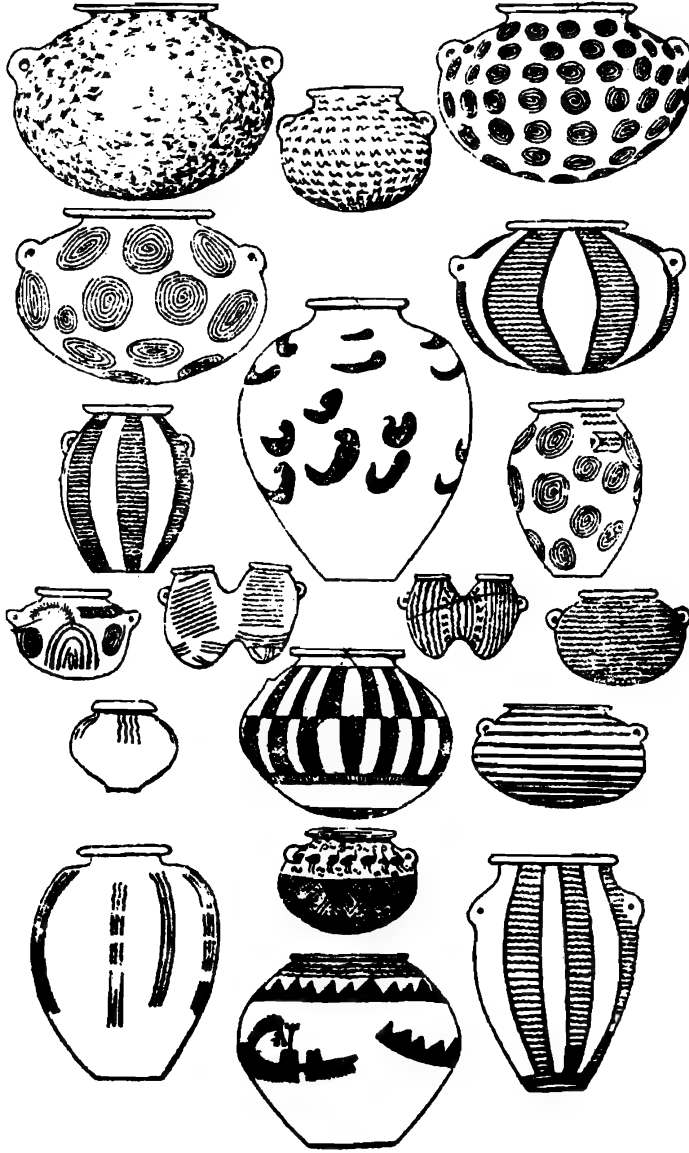
صناعة الفخار

ويمتاز فخار البداري الذي حدد « فلندرز بترى » رقم ٢٠ - ٢٩ بوجود خطيطات متوازية تكون أحيانا دقيقة الصنع وأحيانا تكون خشنة وهذه الخطيطات تغطي سطح الأثناء . ومعظم الأواني التي وجدت في هذه الجهة حاقها سوداء . وكان يصنع الأثناء باليد من غرين النيل المخلوط بالرمل ثم يوضع منكفئا على موقد فحم متأجج ، فكان الجزء الخارجي من الغطاء

كيفية صناعة الفخار  
ذى الحافة السوداء.

المدفون في الفخم المتقد ، وكذلك الجزء الداخلى من الأثناء يتغير لونها من  
فصل غاز الأكسيد إلى أسود لامع جميل ، ولم يوجد من فخار البدارى  
أنواع متعددة متنوعة كما وجد في « مرمدة » ، إذ أن الأنواع التى  
أشكال أوانى الفخار  
في عصر البدارى  
عثر عليها إلى الآن تنحصر أشكالها في بعض أقنح طويلة أو قصيرة ذات  
حافة مستقيمة أو مستديرة أو بيضية ، أو ذات قعر مسطح . ويشاهد في  
بعض الأوانى النادرة حزن في الحافة يشعر بأن إنسان هذا العصر أخذ  
يفكر في صنع أناء ذى عروة . وقد استمر استعمال الفخار ذى الحافة  
السوداء في جهات أخرى غير البدارى إلا أنه أخذ في التلاشى ، كما أخذت  
أشكاله تستطيل حتى رقم ٤٠ من التأريخ التالى . أما الفخار الجميل ذو اللون  
الأحمر المصقول الذى أخذ يحل محله ، فقد أضاف شكلاً جديداً إلى سلسلة  
الأوانى ، وهو الأثناء ذو الرقبة الضيقة والقعر المستو وهو في شكله يشبه  
الزجاجة الحالية . وحوالى الرقم ٣٥ من تأريخ التابع ظهرت الجرة ذات  
الوسط المفرطح والعروة المتموجة والرقبة ذات الحافة . وهذا النوع من  
الفخار كان ظهوره بين ٣١-٣٥ من التأريخ التالى . ويمتاز بأنه كان  
يزخرف برسوم ملونة بالأبيض تدل على حلية هندسية الشكل تشبه الفخار  
الأسود الذى ظهر في عصر « دىرطاسا » ، ولكن ظهرت عليه بعض  
أشكال آدمية ساذجة الصنع ، وأشكال حيوانات ونباتات . وحوالى الرقم ٤٠  
من تأريخ التابع ، ظهر نوع جديد من الفخار يطلق عليه اسم الفخار  
المرخوف . وكان يصنع من عجينة قية ذات لون صاف . ويمتاز بفرطحة

وسطه وقصر رقبته ، وفي معظم الأحيان تكون له حافة . أما قعره فمستو .  
وكانت رقبته مزخرفة بخطوط بنفسجية شديدة السمرة . وكذلك كانت

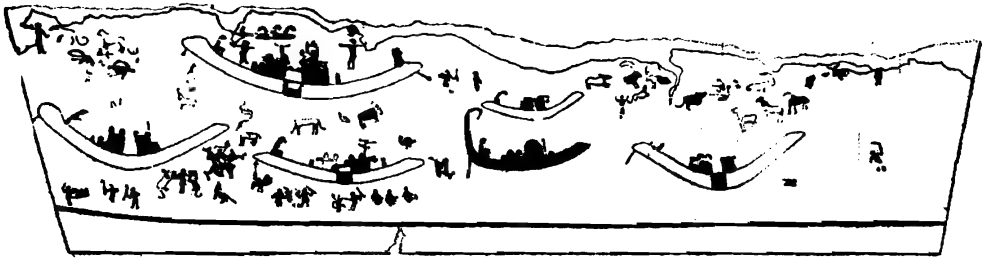


عشار ملون من طوخ ( الوجه القبلي )

ترسم عليه أشكال حلزونية . ربما كانت تقليداً للأشكال الطبيعية التي تساهد على الأواني الحجرية الصلبة . وكان يرسم عليها كذلك أشكال شجر ، وجماعات من الناس . وحيوانات من ذوات الأربع . وطيور طويلة السيقان ،



غبار ملون من عصر ما قبل الاسرات



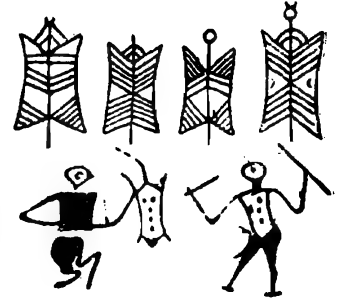
منظر ملون عثر عليه في الكاب بالوجه القبلي يرجع إلى ما قبل الاسرات

وخطوط متموجة تمثل المياه . وقوارب مجهزة بمجاديف ، في وسطها حجرتان  
عليها شارة ؛ وهذا النوع من الفخار استمر حتى الرقم ٦٥ من تأريخ  
التابع . وباختفائه انتهى عصر الفخار الذي كان يتخذ للزينة وكاليات الحياة  
في مصر أما نوع الفخار الذي أعقبه فكان من النوع العادي ، ولكنه في

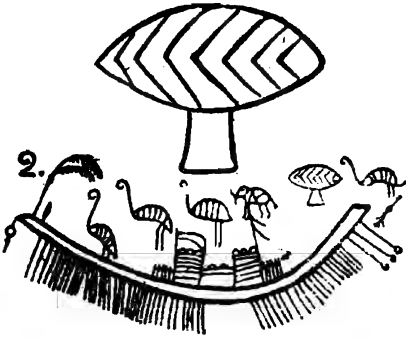
رسم السفن على  
الفخار



صورة على فخارة ملونة من  
مقابر ما قبل الاسرات



رسم على فخار ملون يمثل جنوداً  
بسلحهم وزردهم من عصر ما قبل الاسرات



فخارة ملونة رسم عليها مركب  
وطيور من نقادة بمصر العليا



أنا، من الفخار على شكل حيوان (طير)  
من عصر ما قبل الاسرات

الوقت نفسه أخذ في التدهور شيئاً فشيئاً حتى أصبح لا يختلف عن فخار

العصر التاريخي العادي الصنع .

أما صناعة المينا الزرقاء والخضراء فترجع إلى أول عصر بداية المعادن وكانت تصنع بخليط من البلور الصخري المطحون والجير والبوتاس ، و كربونات النحاس . وكانت كل هذه المواد تخطط ببعضها حامية ثم تسحق في الماء وبعد ذلك تصب على القطعة التي يراد طلاؤها ؛ ثم توضع في الفرن . وهذه الطريقة لم تكن مستعملة في عهد البدارى إلا لطلاء قطع صغيرة من الخزف المصنوع من البلور الطبعي . أو من حجر ستايتيت . وفي عهد ما قبل الأسرات القديم اخترع للمينا مسند خاص ؛ به يمكن الحصول على ما ما يطلق عليه خطأ القيشاني المصري ( فيانس ) . وذلك بأن يؤتى بكية من الصوان والرمل أو الكورس المطحون طحناً ناعماً . ثم تغطى هذه العجينة بطبقة سميكة من المينا . وأقدم قطعة من المينا طليت على طبقة من الرمل عثر عليها في قفلة . ويرجع تاريخها إلى الرقم ٣١ - ٣٩ من تاريخ التابع . وهذه القطع عبارة عن خرز وتعاويز صغيرة الحجم على هيئة طيور . وقد استعملت الطريقتان جنباً إلى جنب . غير أنهما لم تستعلا في أخراج قطع هامة إلا في العهد الطيني ، ولم تستعمل في عصر بداية المعادن إلا في صناعة القطع الصغيرة ، أو تزيينها بلصق المينا عليها . وذلك منذ عهد ما قبل الأسرات المتوسط ، ولم يكن ذلك قاصراً على حجر الكورس ، وحجر ستايتيت ، ولكن تخطى ذلك إلى العاج ، والعظم ، وحجر الشيست ، والحجر الجيري ، وعلى العموم كان يستعمل مع كل المواد التي كانت تستخدم في

ظهور المينا وكيفية  
صنعها

كيفية صناعة القيشاني  
واستعماله



## فن النحت .

ولما كانت المينا من الأشياء الكالية . لم يستعملها المصري قط في الفخار الذى كان يعد في نظره مادة حقيرة . وقد بقى الحال كذلك حتى عهد الرومان ، إذ ظهر وقتئذ استعمال المينا مع الفخار .

استعمال المينا في  
الفخار في العهد  
الرومانى فقط

وكان كشف صناعة المينا الزجاجية أول خطوة نحو صنع الزجاج الذى لم تختلف صناعته عن صناعة المينا إلا بعدم استعمال مسند تصب عليه المينا . والواقع أن المصريين عرفوا الزجاج في العهد الفرعونى . ولكنهم لم يعرفوا قط صناعته إلا في حالة عجينة مطحونة . ولم يعثر على قطع من الزجاج إلا بعض خرزات ، وقطعة واحدة مطحونة يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات . وهذه القطعة عبارة عن دلالية « بندتيف » زرقاء اللون تشبه اللازورد . ويرجع عهدها إلى الرقم ٤١ من تأريخ التابع .

معرفة الزجاج

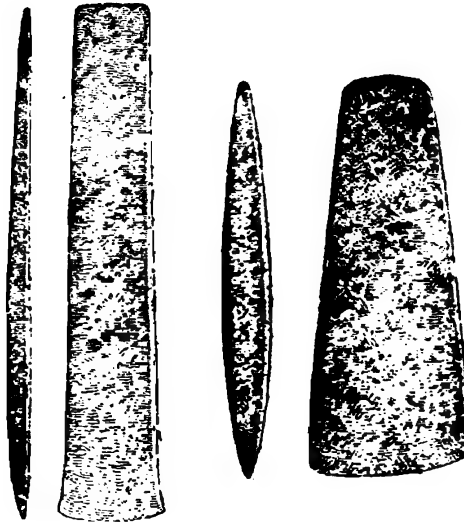
وفى هذا العصر أخذت صناعة الأوانى الحجرية تتقدم تقدماً محسوساً . وقد عثر فى الوجه البحرى على أوان من الحجر يرجع عهدها إلى عصر مرمدة بنى سلامة بعضها مصنوع من حجر البازلت على هيئة هاون ، ولم يعثر على مثلها قط فى عصر البدارى ، ولكنها ظهرت فى عهد ما قبل الأسرات القديم . فكشف عن أوان أسطوانية الشكل ذات قعر مستدير . وأوان أنبوية ذات قعر مستو . وعلى أقذاح عظيمة ذات جدران منخفضة مصنوعة من الحجر الجيرى اللين . ومن المرمر والبازلت والجرانيت الوردى . وهذه الأوانى كانت نادرة فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، ولكنها

استعمال الاوانى  
الحجرية وأشكالها



أوان من الحجر عثر عليها في المعرة ( الوجه القبلي )

أخذت تزداد في العدد على مر الأيام ، وربما كان السبب في ذلك كشف  
النحاس الذي كانت تعمل منه الآلات اللازمة لتفريغ هذه الأواني .



بلط نحاس من عصر ما قبل الاسرات عثر عليها في مصر

ولقد كان الصانع المصرى يصنع أوانيّه من حجر الديوريت وحجر البرفير ،  
وحجر البريشية التى تعد من أصلب الأحجار وأعصاها . بقلب فرح متدوقا

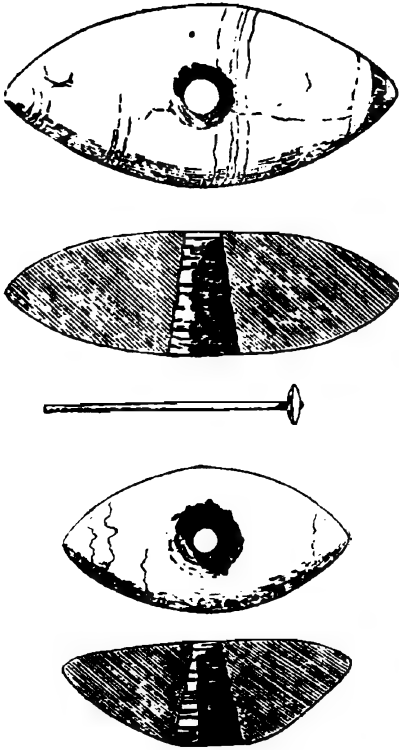
عمله حتى أنه كان لا يعد للزمن الذى يصرفه فى إنجاز عمله حساباً . ويظهر من الصبر درجة تضعه فى مصاف مهرة العمال . ولقد كانت النتائج التى وصل إليها تضارع المشاق التى تحملها ، وكانت أشكال الأوانى الحجرية التى أخرجتها يده مقلدة أشكال أوانى الفخار المعاصر ولم تكن الأخيرة بلغت من حسن الشكل والذوق أكثر مما كانت عليه فى هذه الفترة . ولم تكن عجلة صانع الفخار معروفة بعد . ولكن مع ذلك كانت الأوانى التى تعمل باليد على درجة عظيمة من حسن الشكل والدقة ، ولذلك كانت الأوانى الحجرية التى نحتت على هيئتها آية فى الجمال . هذا إلى أن جمال الحجر الطبعى ولونه كان يظهر فى بهجة خلابة عند ما كان الفنان ينجح فى صقل سطح الأناء ، وعند ما كان يرقق جدران الأناء حتى يصبح شفافاً . وعلى العموم فإن هذه الأوانى الحجرية ربما تعد أجمل الأشياء التى بقيت لنا من عصر ما قبل الأسرات ، وتعد شاهداً فصيحاً على المهارة الفنية للجنس الذى أنتجه وعلى ذوقه السليم .

تقليد أوانى الفخار  
فى الأوانى الحجرية

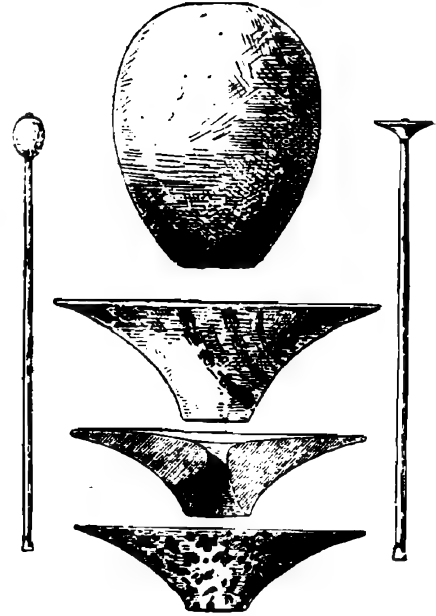
وفى التاريخ التالى ٤٠ ظهرت أشكال جديدة من الأوانى الحجرية تقابل أشكال الفخار كالأوانى المنبوعة الوسط . والبيضية ، والمستديرة ، والأقداح العميقة ذات الحافة المنحنية انحناء خفيفاً من أعلى . وهذه الأشكال الجديدة ليس لها حوامل ( أرجل ) . بل قعرها إما مستدير أو مستو . وقد أخذت صناعة الأوانى من الحجر الصلب تزدهر وتتقدم كما سبق ذكره حتى وصلت القمة فى عهد الأسرة الأولى . ولم نغثر فى القبور التى من

صناعة أواني الحجر  
قضت على صناعة  
الفخار

قبل الأسرات المزودة بأوان من الحجر على أوان من الفخار . إذ كانت  
تعد في نظر القوم من الأثاث الرخيص . ومنذ ذلك العهد يمكننا أن نفهم  
أن تقدم صناعة أواني الحجر قد قضت على صناعة الفخار المزخرف حوالى  
نهاية عصر ما قبل الأسرات .



رءوس دبابيس من المرمر - عثر عليها في العصرة  
« الوجه القبلى »



رءوس دبابيس من الحجر الصلب عثر عليها  
في العصرة « الوجه القبلى »

ويتبع صناعة أواني الحجر الصلب صناعة رءوس الدبابيس التي كانت  
تستعمل في الحرب ، وكانت كذلك من الحجر الصلب . وهذه الرءوس  
كانت تثبت في مقابض مصنوعة من قرون الحيوان أو من العاج . وأقدم

نوع من هذه الرؤوس عثر عليه في الوجه القبلى ، وكانت على شكل  
أقراص ، واختفت في عهد الرقم ٤٠ من تأريخ التابع ليحل مكانها النوع  
الجديد الذى جاء على هيئة كثرى ، ولا شك أنه جلب من الوجه البحرى  
إذ كان معروفاً في عصر مرمدة ، وبعض هذه الرؤوس قد أحكم صنعها  
فوصلت إلى درجة عظيمة من الأتقان الفنى ، حتى أنها لم تقم مقام سلاح  
مفيد فحسب ؛ بل كانت في ذاتها قطعة فنية آية في جلال الصنع .

صناعة رؤوس  
الدبابيس

## ديانة عصر بداية المعادن

من العيب أن يحاول المؤرخ رسم صورة صادقة للديانة المصرية في  
عصر بداية المعادن ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن المصادر التاريخية  
الصادقة كانت لا تزال تعوزنا في هذا الوقت ، هذا إلى أن ما دون كتابة في  
فجر التاريخ المصرى لم يشر إلا إشارات خفيفة لتلك الأزمان السحيقة .  
وأهم مصدر وصل إلينا في هذه الناحية هي متون الأهرام التى دوت على  
جدران أهرام سقارة في خلال الأسرتين الخامسة والسادسة ، وذلك في  
داخل حجرات الدفن للملوك فحسب . ورغم أن هذه المتون تشير إلى  
ديانة ما قبل الأسرات ، غير أنها تنحصر في ديانة الوجه البحرى التى ألفت  
فيه المتون المذكورة هذا إلى أنها كانت خاصة بالملوك لا بعامة الشعب وستكلم  
عن ذلك بأسهاب في حينه .

الإشارة في متون  
الأهرام إلى ديانة ما  
قبل الأسرات في  
الوجه البحرى فقط

أما المصدر الثانى الهام الذى نرتكز عليه فى استنباط ديانة هذا العصر، فهو الكشف الأثرى فى الوجه القبلى وفى الدلتا .

وما كشف من الآثار إلى الآن يدل على أن مدينة الوجه البحرى أعرق فى القدم من مدينة الوجه القبلى .

وإذا كانت الأمور تقاس بأشباهاها فإن محتويات المقابر التى كشفت فى هذا العصر بمقارنتها بما كشف فى العصور التاريخية ، يدل على أن القوم كانت لهم معتقدات دينية تركز على أساس متين . ولا أدلّ على ذلك مما عثر عليه فى جبانة عصر البدارى من الحيوانات التى عنى بدفنها بعد تكفينها كما كان يحدث فى العصر التاريخى . فمثلا وجدت أولاد آوى ، وثيران ، وكباش ، وغزلان ، ملفوفة فى حصير أو فى نسيج من التيل ، مما لا يترك مجالاً للشك فى أنها كانت تقدس ، وتعبّد ، وأن أهل هذا العصر قد نقلوا عبادتها إلى العهد التاريخى . وكذلك وجدت فى مقابر البدارى تعويذات مصنوعة من العظم تمثل رؤوس غزلان ، وجاموس بحر ؛ كما وجد فى عهد قادة بعض أعلام مرسومة على أواني فخار ويحمل كل منها صورة حيوان أو شعاراً ؛ كان لا بد يستعمل بمثابة صورة أو رمز لأله خاص . ومن المحتمل جداً أن هذه الرموز الدينية تدل على أقسام سياسية للبلاد فى هذا العصر .

ومن أهم الأدلة على اعتقاد القوم فى هذه الأزمان السحيقة بأن الإنسان سيعيش كرة أخرى فى قبره ما يلاحظ فى ترتيب الأدوات التى

عبادة الحيوان فى  
عصر البدارى

وجود تماويذ فى  
مقابر هذا العصر  
وكذلك رموز وبها  
كانت لآلهة

كانت توضع معه ، ويمكننا أن نستنتج أن المواد الغذائية التي كانت توضع بالقرب من الجثة ، وكذلك بعض أدوات الزينة وبعض الآلات ، كان لا بد للتوفى أن يستعملها في حياته الثانية في القبر كما كان يستعملها في حياته الدنيا بكل مظاهرها ولوازمها .

الاثاث المأتمى يدل  
على البعث ثانية

وقد ذكرنا فيما سلف أن جثة المتوفى كانت توضع في لحدها ورأسها متجهة نحو كوخ أسرته التي غادرها ، وربما كان الباعث على ذلك رغبته حسب اعتقادهم في أن يرى باستمرار أملاكه الدنيوية وأخلافه من بعده ، ويعزز هذا الرأي ما نشاهده في قبور العصر التاريخي ، إذ نجد أن المتوفى في خلال الأسرة السادسة كان يرسم خارج تابوته الخشبي عينين تدلان على مكان وجود رأسه ، وكان في مقدوره أن يرى كل ما يحيط به في العالم الدنيوى بهما .

كيفية وضع المتوفى  
في القبر

في خلال هذا العصر عثر كذلك على بعض دمي لنساء وخدم ، وحراس نصبت خلف جدار القبر ، هذا إلى مراكب صغيرة معها شبكها ، ومعداتها ، وحيوانات متوحشة وأليفة . كل هذه الأشياء قد أهدبت للمتوفى ووضعت معه في القبر ليستعملها في حياته الآخرة بوساطة رقى سحرية ، ولا نزاع في أن إنسان هذا العصر كان يستعين بالسحر لاستخدام هذه التماثيل الصغيرة فيقلبها إلى حقيقتها ، وهذا بالضبط ما وجد في العصر التاريخي في معتقدات القوم الجنازية :

استعمال السحر في  
هذا العصر

على أن هناك عادات في الدفن عثر عليها في عصر ما قبل الأسرات ،

ولكننا لم نثر عليها في عادات العصر التاريخي إلى الآن ، ولذلك ستظل سرّاً غامضاً إلى أن نثر على نظائرها ، فمنها أنه عثر على هياكل عظمية في مقابر لم تمس بعد ، لم تكن مدفونة بحالتها الطبيعية ، وقد ظن بعض العلماء أن الأجسام التي وجدت بهذا الشكل ، قد فصل عظام كل منها عن بعضها بعد الموت أو قبل الدفن ، حتى أن بعضهم ظن أن لجها كان يوكل ، ولكن ذلك الرأي لا يخرج عن مرتبة الخرافة المحضة .

وقد عثر في دشناة في مقابر لم تمس بعد من الأسرات الأولى على بعض أجسام مفصولة عظامها عن بعضها ثم لفت فيما بعد في نسيج من الكتان ، ومن المحتمل جداً أن هذه العادة قد ورثها أهل الأسرات من قوم ما قبل الأسرات ، ولم يعرف تفسيرها حتى الآن .

على أن أغرب عادة وصلت إلينا من عصر ما قبل الأسرات هي كسر ساعد المتوفى ، وقد وجدت هذه الظاهرة في النساء والرجال على السواء ، ولا شك أن ذلك يرجع إلى اعتقاد ديني لا نعرفه ، ولا ندرى ماذا تعني . لنا أرض مصر في جوفها من مثل هذه العادات والمعتقدات التي لا يمكن أن نصل إلى حلها إلا بنظائرها في العصر التاريخي .

## الفن

من الأمور البديهة في حياة الأمم ، أن الفرد يهتم أولاً بالحصول على

عادة فصل لحم المتوفى  
عن عظامه قبل الدفن

عادة كسر ساعد  
المتوفى



حاجياته الضرورية ، ثم بعد ذلك يتطلع للكماليات واقتنائها ، فلا غرابة إذن :  
إذا كنا نجد أنسان العصر الحجري . الحديث منصرفاً بكل قواه لأنشاء  
الصناعات اللازمة لحياته المنزلية ، ولم يفكر فى الفنون فى صنعها ، لذلك نجد  
أن حلى أهل هذا العصر الساذج كانت خالية من كل ذوق فنى . ولما  
دخل فى عصر بداية استعمال المعادن وارتقى فى معيشته بعض الشيء ، بدأ  
يتفنن فى صنع متاعه وحليه . ولا غرابة فى ذلك ما دامت قراه ومدنه التى كانت  
تزخر بالمعدات ، قد أخذت الكماليات تجد محلاً بين سكانها ، ومن هنا نشأ الفن .  
وومن المحتمل جداً أن تكون أول فكرة فنية قد نبئت فى الوجه البحرى ،  
وظواهر الأمور تشجع على احتمال هذه النظرية ، ولكن للأسف تعوزنا هنا  
المستندات كلية حتى الآن . أما فى الوجه القبلى فالأمر على عكس ذلك ،  
إذ أظهرت لنا حفائر البدارى حلياً تدل على بداية ذوق فنى أخذ يتحقق  
على مر الأيام تدريجاً ، إذ عثر هناك على قلائد منظومة فى خيوطها حبات  
من الفيروز يتخللها على مسافات متساوية قطع كبيرة من العقيق ، وحجر  
الشب وحجر الحية . وعثر كذلك على أحزمة مؤلفة من عدة خيوط  
منظومة فيها حبات زرقاء وأخرى خضراء ، ووجدت أسورة ذات حجم  
عظيم من العاج ، وأمشاط للشعر محفورة فى رقعة كل منها رؤوس طيور .  
أما أدوات الزينة التى وجدت بجوار جثث سراة القوم فى مقابرهم فأنها  
محفورة فى العاج ومعظمها نماذج آوان للطور وملاعق مستديرة أو مستطيلة  
الشكل ذات أيد أسطوانية ، وتنتهى كل يد برأس حيوان أو ما يشبهه ،

كيف نشأ الفن

القطع الفنية التى  
وجدت فى مقابر  
هذا العصر

ورغم سذاجة هذه الأدوات وبساطتها فإنها تدل على ذوق حقيقى .  
ولم يفكر المصرى فى عمل التماثيل إلا لضرورة ملحة ، وذلك أنه  
كان يعتقد فى حياة ثانية بعد الموت . فكان يحتاج إلى وضع دى سحرية  
معه فى القبر ، وأولى ما عثرنا عليه منها كان فى مقابر البدارى ، وكانت على  
شكل تماثيل صغيرة لنساء عاريات . فوجد هناك تماثيل صغيرة من العاج  
ودميتان من الطين فى قبور فقراء القوم . وهذه الدمى بلا شك خشنة  
الصنع ، وبخاصة أنا وجدنا تمثيل الوجه فيها مختصراً فالعين ممثلة مستديرة .  
أما اليدان والرجلان فأنها صورت ممسوخة مشوهة ليس فيها من الفن شئ .  
- ولكن لوحظ رغم ذلك أن جسم ديمتين تدلان على صدق التعبير الفنى  
وعلى المرونة فى التصوير ، مما لم يفته أى جسم آخر فى خلال عصر بداية  
استعمال المعادن .

وإذا قارنا الدمى المصنوعة من العاج بالدمى المصنوعة من الطين الصلصال ،  
فأنا نجد أن الثانية تقليد للأولى ، وكان يستعملها عامة الشعب . ولا نزاع  
فى أن أول من فكر فى صنع هذه الأشياء فى ذلك العصر هم مرأة القوم  
وعظماؤهم ، ومن ذلك نعلم أن الفن بدأ فى الطبقة الراقية ، ثم قدام عامة  
الشعب . والواقع أن هذا كان طابع الفن المصرى فى كل عهوده ، حتى  
اندثر ، ولذلك نشاهد أن منتجات الفن لم تكن على وتيرة واحدة متساوية  
فى الصنع والقيمة . على أن ذلك لا يعنى أن الدمى التى اتبجها الفن  
المصرى فى هذا العهد لم تكن فى أصلها مشبعة بالروح الشعبية ، بل الأمر

الفن يبتدىء فى  
الطبقة الراقية أولاً

على عكس ذلك فى بعض الدمى المصنوعة من الطين التى يرجع عهدها إلى زمن سحيق . وقد وجدت أمثلة من هذا النوع فى العصر التاريخى . ومع ذلك فإن هذه الدمى التى لا تشف عن روح فنية معينة لا تشغل حيزاً فى مضمار الفن المصرى اللهم إلا مجرد فكرة ، ومن أجل ذلك لا يمكننا أن نعدّها من القطع الفنية التى يجدر بنا أن نعيها اهتماماً .

( وفى الحق يجب على الذى يريد أن يتناول البحث فى الفن المصرى، أن يبدأ أولاً بفحص الأدوات الكمالية والتحف التى عثر عليها فى هذا الوقت، إذ هى المظهر الحقيقى الأول للفن المصرى، وفى خلال عصر بداية استعمال المعادن كانت المواد التى تصنع منها الأدوات الكمالية وأدوات الزينة، منحصرة فى العاج والأحجار الصلبة ؛ على أن صناعة الأحجار لم تكن بعد منتشرة ؛ لصعوبة نحتها، ولذلك كان يقتصر صنعها على الأوانى الثينة جداً، ومنذ ظهرت أخذت تؤثر فى صناعة الأوانى الفخارية التى كانت شائعة الاستعمال فى ذلك العهد، وهذا ينطبق كذلك على الأوانى المعدنية فإنها أثرت على صناعة الأوانى الحجرية، بل وعلى الفخار أيضاً .

الفن يظهر فى الأدوات  
الكمالية

( ومما لا شك فيه أن العاج كان فى هذا العصر المادة التى تصنع منها القطع الفنية، ثم تدرج بعد ذلك إلى استعمال العظم فى صنع الدمى. وقد عثر على دمية نساء عاريات وأذرعتن ملصوقات على طول الجسم أو موضوعة على الصدر تحت الثديين المتدليين . وقد وجدت دمية للرجال عارية إلا من الكيس الذى كان يستر عضو الذكر، وكذلك عثر على أقزام ممسوخة

الدمى العارية تصنع  
من العاج وغيره

الشكل وعلى ذكرور ملفوفين في عبااتهم ولم لمحي، ومن المحتمل أن الدمى الأخيرة كانت تمثل آلهة أو ملائكة. والظاهر أنها كانت تستعمل غالباً لزخرفة التعاويذ الكبيرة الحجم التي كانت على شكل قرن .

وقد كشف عن دمي تدل على تقدم فني محسوس وبخاصة في صنع العين إذ نجد في النزر اليسير الذي أخطأه التدمير والتلف أن العين بدأت تمثل على شكل اللوزة مما يقرب من الحقيقة ، غير أن الجسم الذي كانت توضع فيه كان لا يزال ينقصه مظاهر النوق الفني، إذ كان يصنع على طريقة ثابتة معينة متفق عليها من قبل ، لكل الأجسام تقريباً، وذلك مما يظهر لنا الفارق العظيم بينها وبين دمي العاج التي عثر عليها في البداري، وهي التي يلاحظ فيها الإنسان الروح الفنية . وفي هذا العصر أخرجت صناعة العاج أمشاطاً عظيمة الحجم للزينة لها أسنان طويلة ومحلاة برسوم بارزة تدل على أشباح غزلان وطيور، وأرأس آدمي له لحية، هذا إلى مشابهك للشعر رءوسها مزخرفة بصور كالتى سبق ذكرها . وهذه الأمشاط كانت تستعمل خاصة في عهد ما قبل الأسرات القديم . والظاهر أن صنمها اقتطع حوالى تأريخ التابع ٤٤ .

وفي هذا العصر كثرت صور الحيوانات فكانت تمثل بقطيعها في الألواح الأردوازية الخضراء، وقد ذكرنا أن هذه الألواح كانت تستعمل لطحن الكحل ( التوتية ) لتجميل العين، وقد حلت مكان الألواح المستطيلة الشكل التي كانت مستعملة في عهد البداري بدون أية زينة .

تقدم صناعة للدمى

صناعة أمشاط  
مختلفة الاشكال  
من العاج

الناظر الى تمثل على  
الواح الاردواز

أما الحيوانات التي كانت تمثل بارزة على هذه الألواح فكانت عديدة مختلفة الأنواع، أهمها الأبل، وجاموس البحر (١)، والطيور والسمك. وكانت الألواح في الغالب يخرم فيها ثقب ليتمكن أن تعلق منه. وتدل البحوث الأثرية على أن استعمالها قد بطل في نهاية عصر ما قبل الأسرات القديم. ومن ثم أخذت أشكالها تتغير تدريجاً حتى أصبحت ولا يمكن التعرفا. ولقد بلغ من غرام فناني هذا العصر بالأشكال الحيوانية أنهم أدخلوها في زخرفة الفخار، وبوساطتها أمكن تحديد عمر سلسلة من الأواني التي على أشكال حيوانات مثل جاموس البحر، والطيور والأسماك. وقد كان تصوير كل نوع من هذه الحيوانات يمثله وهو في حالته الطبيعية مما أعطى لها رونقاً خاصاً، غير أنه لا يمكن مقارنتها بالدمى المصنوعة من غرين النيل، التي عثر عليها في المقابر التي كان الغرض منها أن تقوم مقام حظية المتوفى أو خادمتها، وهذه كانت توجد بكثرة في هذا العصر غير أنها كانت خشنة الصنع في أحوال كثيرة، إذ نجد في معظم الأحيان رأس الدمى تمثل بكتلة من الطين لا شكل لها. على حين أن الأعضاء الأخرى كانت لا تخرج عن كونها إشارات بسيطة تدل على مكانها في الجسم. ولم نجد القندين متصلين ببعضهما. ودمى النساء ذات الأوراك الغليظة والشدء الضخمة كانت تمثل على وتيرة واحدة بطابع واحد في كل الأجسام. ويجب ألا ننظر هنا إلى هذه التماثيل نظرة فنية إذ هي

ظهور الاشكال  
الحيوانية على الفخار

تماثيل الدمى المنحصرة  
الصنع هي طلائع  
التماثيل الجنازية في  
العهد التاريخي

(١) أو فرس البحر، ويسمى كذلك السمك

في الواقع تماثيل مائتية عملت لتسد فراغاً خاصاً ، ولكنها في الوقت نفسه مقدمة لطلائع التماثيل الجنازية التي ستوضع في العصر التاريخي مع المتوفى . وقد وجد من بينها قطع من آيات الفن تزين الآن متاحف العالم ، مثل حاملات القرايين ، والراقصات وصانعات الجمعة في الأواني : وبحارة السفن ، وحيوانات القرايين وأنواع الطيور ، الخ .

وقد عثر في نفس مجموعات هذه القبور على تماثيل حيوانات أرجلها ليست منفصلة عن بعضها ، أما جسمها فيتركز على عمودين من الطين .

وحوالي تأريخ السابع ٤٠ نلاحظ أن التغير الذي ظهر أثره في كل

مرافق الحياة قد أثر على فن النحت في العاج ؛ فبعد مثلاً أن الأمشاط <sup>ظهور أمشاط الزينة</sup> المزخرفة ذات الأسنان الطويلة أخذت تختفي حتى انعدمت جملة وحل محلها أمشاط للزينة ذات أسنان قصيرة كان بعضها يثبت في مشبك طويل أسطواني الشكل ليمسك به الشعر ، وما ذلك إلا محافظة على التقاليد القديمة في استعمال المشط .

وظهر كذلك نوع جديد من الملاعق تتكون الواحدة منها من جسم <sup>اختفاء زى الزخرفة في هذا العصر</sup> الملقعة نفسها ، وكان إما يفضى الشكل أو مستديره وينتهي يد بسيطة على شكل عصا وقصارى القول أن الزخرفة الفنية التي كانت شائعة في العصر السابق ، أخذت تختفي . ومن الغريب أن هذا العصر الذي قضى فيه على زى الزخرفة ، قد اتفق مع الاختفاء الذي يكاد يكون كلياً لصناعة دمي العاج ودمي الطين . فلم

يبقى لنا من مخلفات هذا العصر الآدمي إلا الرجل الملتحي أو للقفوف في عباءته . ومع ذلك فإنه كان مصنوعاً صنفاً هندسياً مختصراً ليس فيه ما يشعر بالنفوق الفني . وتدل ظواهر الأمور على أن ما كان شائعاً من المظاهر الأولى في فن عمل التماثيل أصبح لا فائدة منه ، وأن تلوين الأواني المزخرفة التي كانت توضع بمجوار جثة المتوفى قد ضمن لأصحاب القبور بواسطة السحر ، الخدم والنساء وحيوان الصيد والقوارب التي كان يصنعها الإنسان إلى هذا العهد على شكل تماثيل بأثمان غالية .

وقد ظهر كذلك إهمال فن الزخرفة بالنحت في ألواح الأردواز التي من عصر ما قبل الأسرات المتوسط ، لذلك نجد أن أشكال الحيوانات المرسومة عليها ، أخذت في التدهور حتى لم يبق منها إلا ظل لا يكاد يميز الإنسان منه حيواناً معيناً . غير أن نوع الألواح التي كانت على شكل طائر قد أخذت شكلاً جديداً ؛ فاللوح البيضي الشكل أو الذي يمثل جسم الفأس أصبح يزخرف في الجزء العلوى منه برأس طائرين بشكل جانبي مقطوع في الأردواز ، وفي هذا العصر أخذت الرق التي كادت تكون معدومة في العصر السابق ، تظهر وتنتشر . وكانت تصنع من الأردواز أو العاج أو العظم ، غير أنه كان يظهر في شكلها الطابع المختصر الخاص بكل نحت هذا العصر ، أما الأواني التي على شكل حيوانى فأنها استمرت في هذا العصر أيضاً ولكنها كانت خالية من النفوق الفني ويصعب تمييز بعضها عن بعض .

ظهور الرق في هذا  
العصر

وبحلول عصر ما قبل الأسرات الحديث قامت نهضة فنية حوالى  
تأريخ السابع ٦٠ . فلاحظ تجديدًا فى التقاليد الفنية  
التي كانت مزدهرة فى عصر ما قبل الأسرات القديم ، وذلك بطرق  
فنية تتدرج نحو الكمال ، حتى أنها أصبحت فيما بعد المنبع الذى نشأ منه  
الفن الفرعونى . من ذلك أن فن نحت العاج نحتًا بارزًا بقى صاحب المكانة  
الأولى فى التقدم ، ففى مصانع العاج ظهرت أشكال الحفر البارز بطريقة  
متقنة وعنه أخذت النماذج التي استعملت فى مواد أخرى . وفى هذا العصر  
نجد استعمال نوع دى لمراة واقعة عارية الجسم ذراعاها ملصوقان بجسمها ،  
ولكن بجانب هذا النوع الذى كان شائع الاستعمال ، ظهر نوع آخر من  
الدى للمرأة رشيق ذو ثديين ناهدين . وكذلك ظهر نوع الدى الذى  
كان يمثل أمًا تحمل ولدها على ذراعيها أو فى حجرها ، وظهرت دى  
لشخصيات كانت تمثل متشحة بباءة ، ولكنها كانت تستعمل فى تمثيل المرأة .

وفى هذا العصر ظهر كذلك تمثيل الحيوانات فى العاج وغيره ، وبخاصة  
الأسود التي كانت تستعمل أحجارا للعب ، وتزخرف بها مقابض ملاعق  
الزينة . وقد ظهر من بين هذه القطع ما يدل فى صناعته على مرونة فنية ،  
ومع أنها ليست عنوانًا للفن المصرى الناضج إلا أنها كانت بعيدة عن  
الحشونة والسذاجة .

ولم يقتصر نحت الأجسام فى هذا العصر على العاج كما كان المتبع ، بل  
تخطاه إلى مواد أخرى ، ولكن لم تظهر فيها المهارة التي كانت تظهر فى العاج ؛

ظهور نهضة فنية  
فى عصر ما قبل  
الاسرات الحديث

النحت فى العاج



وذلك لأن الفنان لم يكن قد تعود استعمالها بعد ؛ أو لصلابة مادتها ؛ فكان يستعمل الأحجار الجيرية أو قطع المينا ذات اللون الأخضر أو الأزرق ، وحجر الأردواز والبازلت ، وحتى الجرانيت الأسود والأحمر ؛ وقد توغل الفنان في هذا الطريق إلى أن أخذ يجرب عمل التماثيل الكبيرة الحجم ، ولكن يظهر أنه لم ينتج إلا قطعاً قليلة العدد حسبما كشف عنه حتى الآن ، ومع ذلك فإن الإنتاج في هذه الناحية يدل على الجهد الفنى والحسونة في الذوق . ولا أدل على ذلك من تمثال الرجل ذى اللحية الموجود الآن بمتحف أكسفورد ، فقد نحت في حجر الأردواز ومثل عارياً ، إلا من الكيس الذى يستر عضو التذكير . وظاهر في شكله الجمود ، فليحته مفرطحة ، وذراعه ملصوقان في جسمه ، وكان طوله نحو نصف متر قبل كسر ساقيه .

ظهور النحت في  
الأحجار وغيرها  
من المواد الصلبة

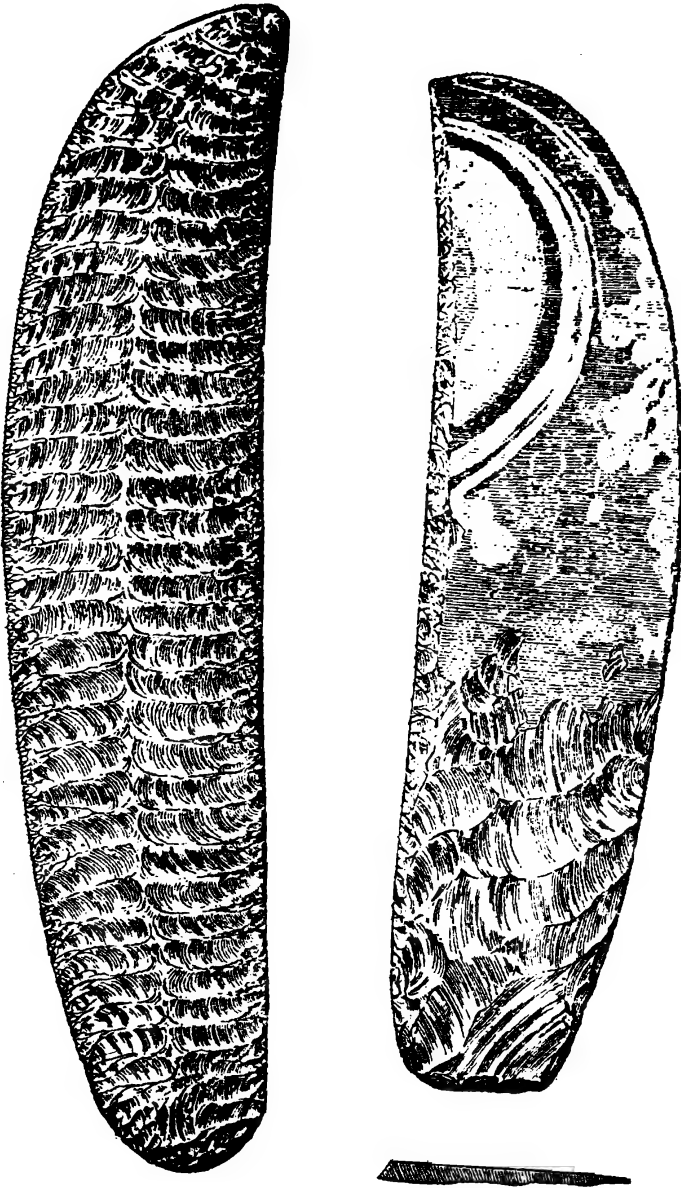
ظهور نحت التماثيل  
الساذجة

وفي متحف برلين كذلك يوجد السبع الرابض المصنوع من الجرانيت الأسود . وهو ساذج الصنع جامد الملامح ويزيد طوله على أكثر من ٣٠ سنتيمتراً ، وهذه أول محاولات حقيقية عرفها الفن في إبراز التماثيل الكبيرة . ومن أهم مجدّدات الفن في هذا العصر النحت الفائر على العاج ثم الأحجار فيما بعد ، وقد كان لهذا النوع من الحفر شأن عظيم في تاريخ الفن في مصر القديمة . والظاهر أن فكرة نقش الأشكال غائرة في العاج قد أخذت من رسوم الأشكال التى كانت على الفخار المزخرف الشائع الاستعمال في هذه الفترة ، أى في عهد ما قبل الأسرات المتوسط ، وأكبر

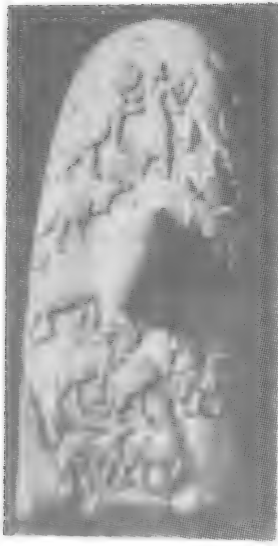
النحت الفائر

دليل على صواب هذه الفكرة أن كل الرسوم التي كانت على الفخار قد قُلت بفصها ونصها، ثمّنها وغشها، صوابها وخطئها . وهذه الرسوم قد استعملت في زخرفة الأمشاط أو مقابض السكاكين الفاخرة، وهي التي كان سلاحها لا يزال يصنع من الطران الأشقر اللون، وقد جرب الفنان أولاً حفر صنف من الحيوانات التي تشاهد على الفخار الملون . والواقع أن أقدم قطعة عثر عليها من هذا النوع زخرفت بهذه الطريقة، أما المثل الأعلى لهذا النوع من الحفر فجاء في الواقع بعد أن قام الفنان بعدة تجارب، هي سكينه جيل المرق المحفوظة الآن بمتحف اللوفر ويرجع عهدها في التاريخ التابعى سكينه جيل المرق قطعة فنية إلى الرقم ٦٠ على أن نبوغ الفنان في إبراز صور هذه السكينه لا يمكن تقديره إلا عند مقارنته بما أخرجه على حجر الأردواز في نفس العصر . إذ نرى فرقاً شاسعاً في الحفر الغائر في كل منهما ففي مقبض السكينه نرى روح الفن ودقة الصنع وفي الأردواز يلاحظ لأول وهلة السذاجة وعدم المقدرة الفنية .

وربما يرجع السبب في اختيار الفنان حجر الأردواز الأخضر مادة للحفر الغائر، أن هذا النوع من الأحجار يجمع بين الليونة وبين تماسك جباهه الدقيقة، لذلك كان يمد من بين الأحجار التي تقارب العاج في سهولة النقش الغائر عليها . على أن الأردواز كان منذ زمن بعيد يستعمل في إخراج ألواح الكحل التي كانت تمثل عليها أشكال حيوانات بالتفريغ، وقد عثر على بعض ألواح من هذا النوع عليها بعض حفر غائر، مما سبب استعمال الأردواز للنحت عليه



سلاح من الظفران على شكل قرن عثر عليه في جبل طريف



سكينة جيل العرق



يدل على أن الفنان بدأ في هذه النهضة الجديدة يفكر في اتخاذ هذه المادة أدواته في إبراز صناعته الحديثة، ولا يبعد أن يكون هذا هو السر الذي دعا الفنان إلى إخراج نوع جديد من هذه الألواح خاص بالزينة، ولكن بحجم عظيم، ولأجل ألا ينسى استعمالها الأصلي حفر في وسط اللوح حفرة صغيرة تشعر بأصل استعمالها وهو المكان المخصص لوضع الكحل.

وهذا النوع الجديد من الألواح كان في الواقع يستعمل لحفر مناظر جنازية على سطحها لحفظ ذكرى الصيد والحروب. وكانت تودع المعابد العتيقة لهذا الغرض، وقد عثر على معظم ما كشف في خرائب هذه المعابد من أول عصر ما قبل الأسرات الحديث حتى فجر التاريخ الفرعوني. ويرجع الفضل إلى هذه الألواح في إمكان تتبع تاريخ النقش الفائر من بدايته حتى الوقت الذي أخذ فيه فن المعمار يرتقى وأصبح يستعمل هذا النقش على جدران المعابد.

ألواح الاردوز  
تستعمل لحفر مناظر  
جنازية وغيرها

وقد اختفت الرسوم التي كانت تزين الفخار حوالى الرقم ٦٠ من التأريخ التابعى، وأصبحت الأواني خالية من أية زخرفة. ومن المحتمل جداً أن تلوين المقابر وزخرفتها في هذا العصر يدل على أن المتوفى أخذ يحل هذه الزخارف والرسوم محل رسوم الفخار الذي كان يوضع معه في قبره. ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يوجد أى تحسين في زخرفة القبر أكثر مما كان على الفخار. على أن القبر الوحيد الذي عثر عليه من هذا النوع في هذا العصر هو قبر هيراكنبوليس «الكاب»

تلوين المقابر وزخرفتها  
حل محل الاواني  
التي كانت توضع مع  
المتوفى

ويرجع تاريخه إلى الرقم التالى ٦٣ تقريباً . وتبلغ مساحته ٤٠٥ ر ٢ فى ١٥ ر ٥ . وقد صنع من اللبن ثم كسيت جدرانه بطبقة من غرين النيل ثم غطيت هذه بطبقة ثانية من الطفل الأصفر القاتم يرسم عليها المناظر المراد تمثيلها . ويلاحظ أنه قد حدث بعض تقدم فى استعمال الألوان فى رسم الأشكال ؛ فبدلاً من لون واحد استعملت ثلاثة وهى الأحمر القاتم ؛ والأسود ثم الأبيض ، يضاف إلى ذلك أن عدد الأشكال ازداد وتنوعت موضوعاتها ؛ فشلا نجد حول القوارب التى نصبت عليها أعلام مناظر صيد ، أو حرب بين البحارة ، وبعض راقصات ، ولكن رغم ذلك نجد عدم الانسجام وقلة الوحدة فى تأليف الرسوم لا يزال كما كان على أوانى الفخار فى عصر ما قبل الأسرات المتوسط . ومع ذلك كله فأن هذا الرسم له أهمية عظيمة فى تاريخ فن النفس إذ هو فى الواقع المنبع الذى استقى منه فن الفرسكو فى العصر التاريخى والحلقة الموصلة بينه وبين الأوانى الفخارية التى أسلفنا الكلام عنها .

أهمية مقبرة  
هيراكتبوليس  
( السكاب )

ظهور الاوانى التى  
على شكل الحيوانات

وقد ظهرت ثانية فى هذا العصر كذلك الأوانى التى على شكل حيوانات ، ولكن فى ثوب جديد ويمكن تمييزها تماماً . وهذه الأوانى فى الواقع كانت بمثابة قطع للزينة نحتت فى الحجر الجيرى ، والأردواز ، وحجر البرشيه المختلف الألوان . وكذلك أعيد استعمال الدمى من الطين بشكل جديد . ومع أنها كانت نادرة الوجود بالنسبة لما كانت عليه فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، إلا أنها من ناحية أخرى كانت متقنة الصنع ،

هذا إلى أنها كانت تصنع من مواد أخرى ثمينة غير الطين . وأهم الأشكال التي كانت تصنع هي القردة ، والضفادع مع صفارها .

أما صناعة الطران التي كانت آخذة في الاختفاء تدريجاً ، فقد كان لها رغم ذلك نصيب من هذا التجديد الذي قام في هذا العصر ؛ فقد

صنع أشكال حيوانية من الطران

صنعت منه أشكال حيوانية . وفقاً للزى الشائع . ونخص بالذكر منها : الغزلان والطيور والتماسيح ، وكانت تمثل على شكل دمي مستوية الجسم ، ولا يعلم كنهه استعمالها إلى الآن ؛ ولكن يدل صنعها على عناية فائقة .

ولا بد من أن نشير هنا إلى ازدهار صناعة الصباغة وتقدمها كما

الصباغة

يدل على ذلك العدد القليل من القطع التي أخطأها النهب والسلب مما أودى بكل الكنوز التي كانت مودعة مقابر هذا العصر .

ومن أهم القطع التي بقيت لنا دالة على فن هذه الفترة مقبضان لسكيتين

سكين متحف القاهرة من الطران : واحدة منهما في متحف القاهرة وهي ورقة رقيقة من

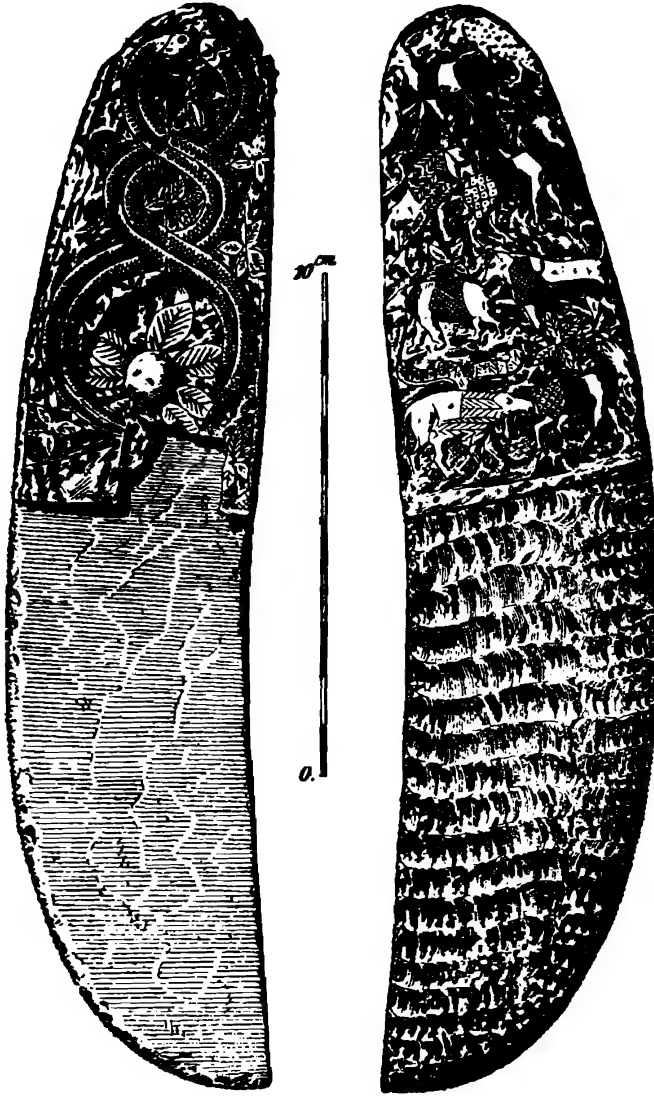
الذهب منقوش عليها منظر صيد يذكرنا بالمنظر الذي على سكة

جبل العرق . أما الثانية فقد نقش عليها سفينة ومجموعة شخصيات على نمط

ما كان يرسم على أواني الفخار من عصر ما قبل الأسرات المتوسط

وهاتان السكيتان يرجع عهدهما إلى العهد الطيني الفرعوني أي عصر التاريخ

الحقيقي .



سكينة من الطران الفاتح اللون مزينة يدها بورقة من الذهب مطروفة  
عثر عليها في جبانة ساحل البقيلة



## المدينة فى عهد بداية استعمال المعادن

تدل الكشف التى تمت إلى يومنا هذا على أن المدينة فى مصر قد بدأت فى الوجه البحرى فى خلال العهد الحجرى الحديث وأنها كانت تفوق المدينة التى ظهرت فى الوجه القبلى ثم استمر الحال كذلك بشكل جلى واضح فى عصر- بداية استعمال المعادن ، وأن الحضارة فى الوجه البحرى كانت تدرج فى مرقى التقدم بخطى واسعة ، على حين أن المدينة فى الوجه القبلى كانت خطأها وثيدة وفى حالة متأخرة .

مدينة الوجه البحرى  
أقدم من مدينة الوجه  
القبلى

ولاجل أن نصل إلى سر تفوق الوجه البحرى على الصعيد يجب أن نبحث طبيعة أرض كل منها وموقعه الجغرافى .

الدلتا : تتألف أرض الدلتا من سهل مترامى الأطراف لا يتخلله جبال وهو منفصل عن الصحراء تماماً ، ولذلك كانت الفرصة سانحة لسكانه الأول ليكونوا أهل حضر ، ويمكنهم أن ينمو ويتقدموا وينعموا بحياة العمل فى عقر دارهم ، دون أن يتجمعوا مكاناً وآخر طلباً للرزق ؛ وقد ساعد على ذلك أن أرض الدلتا تمتاز بخصب تربتها وطيب جوها ؛ هذا إلى أنها تقع على مفترق طرق أفريقية وآسيا ؛ مما سهل لها الاتصال بالمالك القرية منها ، فتجلب إليها خيراتها الزراعية ، وتحف صناعاتها وفنونها . وبذلك تضيف إلى مدينتها الأصلية مدينة جديدة . ولا غرابة إذن فى أن نرى أرض الوجه البحرى فى كل عصور التاريخ أعرق مدينة من الوجه القبلى وأكثر تقدماً .

الامباب التى جلت  
الدلتا تدرج فى المدينة  
بسرعة

أما الوجه القبلى فهو قطر طويل محصور بين سلسلتين من الجبال القاحلة . وهذا القطر متصل بالصحراء من كل مكان . وفى هذا العهد لم تكن أرض الصحراء غنية بالزراعة ، إذا قرناها بأرض الوادى الضيق نفسه . وكل ما نعلمه أن أرض الصحراء الحالية كانت شبه مجربة ، فكانت تمش فيها الحيوانات الوحشية ، وحيوانات الصيد مما جعلها ميدان صيد وقص لأهل الوادى الذين كانوا يعيشون فى مدن وقرى ؛ ولما كان سكان هذه المدن قبل تكوين هذا الوادى يعيشون على الصيد فحسب ؛ فقد بقوا يحترفون الصيد لأن ذلك فى طبيعتهم منذ نشأتهم . والواقع أن أهل الصعيد كانوا منفصلين عن باقى العالم بهذه الصحارى المترامية الأطراف ؛ فلم يكن أهلهم يختلطون إلا بالبقية الباقية من بدو الصحراء الجوالين ، وهم قوم لا ثقافة ولا مدينة لهم ، يضاف إلى ذلك أن المسافة بينهم وبين أهل الدلتا كانت بعيدة ، فلم يكن فى مقدورهم الاختلاط التام بهم ، حتى يستفيدوا من مدينتهم . وكذلك كانت الأراضى الزراعية التى فى متناولهم قليلة المساحة بالنسبة إلى الدلتا ؛ فلم يكونوا زراعى بالمعنى الحقيقى . ولا غرابة إذن ، إذا عددناهم جيلين بالنسبة لأهل الدلتا المتحضرين .

وأعظم عمل قام به المصرى فى عصر بداية استعمال المعادن ، سواء أكان فى الوجه البحرى أم فى الوجه القبلى ، ينحصر فى إعداد أرض وادى النيل الخصبة للزراعة . وقد حدث ذلك فى الوقت الذى أخذت فيه

ينته الوجه القبلى لم  
تهد له المدينة بسرعة

أحوال البلاد تتغير من جهة الجو تدريجاً ، وقد حدث هذا عندما أخذت القبائل الجواله التي كانت ترتكن في معظم معيشتها على الصيد والقتل وتربية المواشى تحط رحالها وتسكن القرى والمدن . وإذا كانت الأراضي الخصبة المجاورة للصحراء بما فيها من مراعي طبيعية ضئيلة قد كفت لمدة ما في عصر بداية المعادن حاجة الرعاة الذين كانوا يعيشون بجوار مياه الوادي ، فأنها بعد فترة أصبحت غير كافية لسد حاجات سيل السكان الذين كانوا يتدفقون من الصحراء القاحلة إلى شواطئ النيل ، وقد كان ذلك سبباً في أن حتم على هؤلاء النازحين أن يستغلوا أرض وادي النيل الخصبة الدسمة . ولكن العوائق الطبيعية قامت في وجههم وجعلتهم يفكرون في التغلب عليها لحاجتهم الملحة إلى طلب العيش . وتفسير ذلك أن النيل كان يغمر أرض الوادي الخصبة كل عام بفيضانه المنتظم ، ويترك مياهاً راكدة في الأراضي المنخفضة تتألف منها برك ومستنقعات ، على حين أن الأراضي المرتفعة كانت تجف مياهها بعد انقضاء بضعة أسابيع من اختفاء الفيضان . فحتمت الحاجة الملحة على إنسان هذا العصر أن يسوى بين عالي هذه الأراضي وسافلها ، حتى تصبح في مستوى واحد صالح للزراعة ، ثم رأى أنه كان لزاماً عليه بعد ذلك أن ينظم ماء الفيضان نفسه ، حتى يمكنه أن يتنفع به وقت التحريق . فقام بإنشاء الترع والسدود التي كانت بمثابة الخزانات الآن لتمديد أرض وادي النيل للزراعة وإنشاء الترع والسدود ليصرف منها الماء عند الحاجة حتى لا يحدث قحط . وهذا العمل العظيم يعد أكبر فتح قام به الإنسان الأنيلوتي في وادي النيل أمام الطبيعة

الغاية ، والواقع أنه ما كاد ينبثق فجر التاريخ حتى كان الإنسان الذى سبق هذا العصر قد تغلب على كل الصعاب التى مهدت السيل لنمو المدينة المصرية . ولا شك فى أن هذا العمل العظيم يعد من أكبر مفاخر الإنسان الأنبوليتى ، وستبقى أسماء هؤلاء الذين نفذوا هذه الأعمال العظيمة سرّاً غامضاً أبداً الأبدى .، والواقع أن مثلهم فى هذا الميدان مثل الجندى المجهول فى ساحة الوغى ، ومن المرجح جداً أن أول من فكر فى تنظيم مياه النيل وتوزيعها هم أهل الدلتا لأنهم كانوا بطبيعتهم أهل حضرة وزراعة . أما أهل الصعيد فأنهم كانوا أقرب إلى البداوة . ولا يبعد أن تكشف لنا مدينت جديدة فى أرض الدلتا - كما حدث منذ زمن قريب - تبث هذه الفكرة ، هذا رغم أن معظم مدينت الوجه البحرى قد طغى عليها الماء بارتفاع منسوباته فى كل قاعها ، اللهم إلا أجزاء بسيطة لا تكاد تذكر بالنسبة إلى أرض الصعيد التى لم يمسه فى أماكن كثيرة ماء الفيضان وبخاصة على حافة الصحراء التى كانت تتخذ مدافن فى كل عصور التاريخ المصرى ومنها نستقى معظم ما نعرفه عن المدينة المصرية

يحتل أن أول من  
فكر فى توزيع مياه  
النيل هم أهل الدلتا

## مراجع فصل ما قبل التاريخ

تقسم المصادر التي اعتمدنا عليها في تأليف فصل ما قبل التاريخ المصري وما قبل الأسرات ، إلى مصادر عامة ومصادر خاصة ؛ أما المصادر العامة فتشمل الكتب التي تبحث عن تاريخ هذا العصر بوجه عام في مصر وغيرها ، وهذه الكتب قد تتناول أقسام كل عصر ما قبل التاريخ ، أو تتناول فترة طويلة منه ، وتبحثها بحثاً مستفيضاً سواء أكان في مصر أم في العالم أجمع . أما المصادر الخاصة فهي التي تبحث في مصر قبل التاريخ فقط أو في عصر معين من تاريخها في هذا الوقت ، وبخاصة في عهد ما قبل الأسرات .

وسنذكر هنا أولاً المؤلفات العامة التي تبحث عما قبل التاريخ في كل العالم أو في جزء منه حتى يتسنى للقارئ أو الباحث أن يرجع إليها عند ما يريد المزيد في أى موضوع خاص من المواضيع المخلقة الفهم أو عند ما يرغب في دراستها وبحجها لغرض معين ، وبعد ذلك نذكر المصادر الخاصة بمصر مع شرح بسيط لتعريف كل مصدر . وقد فضلت ذلك عن ذكر كل مصدر في أسفل الصحيفة .

## المصادر العامة

(1) J. De Morgan. Prehistoric Man. London. 1925

(١) هذا المؤلف هو مختصر عصور ما قبل التاريخ الثلاثة في العالم وقد أشار إلى مصر في تقط عدة . وقد وضع باللغة الإنجليزية رغم أن مؤلفه فرنسي وكتب كل مؤلفاته الأخرى بلغة الأصلية .

(2) La Préhistoire Orientale, 3 vol, Paris.1925 - 1927.

هذا المؤلف كتبه العالم « دى مرجان » كذلك، وقد بحث فيه بحثاً مستفيضاً عن عصر ما قبل التاريخ في إفريقيا الشمالية ومصر وآسيا . وذلك نتيجة أبحاثه وحفائره الخاصة . وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه .

(3) Burkett., The Stone Age. London 1933.

وقد بحث فيه مؤلفه تاريخ العصور الحجرية المختلفة بحثاً مختصراً سهل التناول، ويعتبر من الكتب المدرسية السهلة .

(4) Minghin. Welt Geschechte Der Steinzeit. Wien. 1931.

هذا الكتاب يعد العمدة في بحث عصور ما قبل التاريخ الثلاثة وقد حلاه بالرسوم والصور المتقنة .

(ب) نذكر بعد ذلك الكتب العامة التي بحثت فيما قبل التاريخ المصرى خاصة . وأهما ما يأتي :

(1) J. De Morgan. Recherches sur les Origines de l'Egypte, 2 vol. Paris 1896 - 7.

وضع العالم « دى مرجان » فى هذا الكتاب كل نتائج بحوثه وبحوث من سبقه فى دراسة ما قبل التاريخ فى مصر . ولكنه غير كثيرآ من آرائه فى كتبه التى ظهرت فيما بعد .

( 2 ) A. Scharff Grundzuge des Agyptischen. Vorgeschichte Leipzig 1926.

هذا المؤلف يعد من أمتن الكتب وأعمقها بحثا فى عصور ما قبل التاريخ وبخاصة عصر ما قبل الأسرات فى مصر . وقد شرح الموضوع بطريقة سهلة ظاهرة .

( 3 ) Bovier Lapierre. L'Egypte Préhistorique dans (Precis de l'histoire d'Egypte) Page 1 — 56.

يعد هذا العالم « بوفيه لايير » من أكبر علماء ما قبل التاريخ فى مصر ، وقد كتب هذا الفصل المتع وبحث بحثا فياضا كل مسائل ما قبل التاريخ فى مصر وبخاصة فى المهدين الحجريين القديم والحديث .

( 4 ) Hermann Junker. Vorlaufigen Bericht Über die Grabung des Akademie der Wissenschaften in Wien, auf der Neoleitischen Siedlung Vog Merimde Benisalama. Anzeigen der Akademie der Wissenschaften in Wien. Hist. Klasse, 1929, 1930, 1932, 1933, 1934.

قام الأستاذ « ينكر » العالم الألمانى لأول مرة بجفائر منظمة فى الوجه البحرى فى منطقة مر مدة بنى سلامة القرية من وردان للبحث عن عصر ما قبل التاريخ فعثر على مدينة العصر الحجري الحديث فى هذه الجهة

وليس لدينا مصادر أخرى في الدلتا من هذا العصر . وقد كتب عدة تقارير هامة عن نتائج الحفر في أعوام متتابعة .

( 5 ) Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, London 1920.

بحث الأستاذ فلنדרزيتري عن مدينة ما قبل الأسرات في مصر ، وقد جمع فيه كل آرائه وبحوثه المبعثرة في تأليفه الآخرى .

( 6 ) Jequier, Histoire de la Civilisation Egyptienne.

كتب المؤلف في كتابه هذا فصلا عن مصر في عهد العصرين الحجري القديم والحديث وعصر ما قبل الأسرات باختصار ( من صفحة ٥٣ - ٩٤ )

( 7 ) Capart. Les débuts de l'Art en Egypte, Buxelles 1904.

وقد بحث المؤلف في كتابه كل الفنون والصناعات التي كانت متداولة في مصر في عصور ما قبل الأسرات وزينه بالرسوم الجميلة والصور الواضحة .

( ج ) كتب بعض علماء ما قبل التاريخ المصرى بعض مقالات هامة لبحث نقط غامضة في بعض المجلات نذكر هنا أهمها فيما يأتى ! :

( 1 ) Stations Humaines. Bovier Lapierre, Les Paléolithique Stratifié des environs du Caire. L'Anthropologie. Vol. XXXV 1925.

في هذا المقال بحث هذا العالم عن بقايا الحيوان والصناعة في ضواحي القاهرة في العباسية وحدد عصور العهد الحجري القديم بوساطة بقايا وجدت في طبقات بعضها فوق بعض تحدد عمر كل أثر وجد تحديداً تاريخياً



- ( 2 ) M. Edmond Vignard. Une Nouvelle Industrie Lithique le  
Sebilien Bultin I. F. A. O. Vol. XXII. 1923 (P. 1 — 76)

بحث هذا العالم فى مقاله الحضارة التى أطلق عليها السيلية نسبة الى  
بلدة السيل القرية من نجع حمادى وقد درس كل الآلات وبقايا الحيوان  
التى ظهرت فى المنطقة وقارنها بمثيلاتها فى أوربا وإفريقية الشمالية . وترجع  
إلى العصر الحجري .

- ( 3 ) Revue Scientifique 1928. Les Gravures rupestres du Djebel  
Ouenat. Prince Kamal-el-Din.

وهذا المقال ملخص رحلة قام بها الأمير كمال الدين فى الصحراء  
وقد أحضر معه بعض رسوم من التى على الصخور فى وادى عوينات  
وكذلك جمع بعض آلات من العصر الحجري القديم .

- ( 4 ) Bovier Lapierre. Une Nouvelle Station Neolithique (El Oma-  
ri au Nord de Helouan) Congrès Inter. de Geographie. Le  
Caire 1925 Tom. IV.

يبحث هذا المقال فى الظران الذى عثر عليه المرحوم الأستاذ العمري  
فى محطة من العصر الحجري الحديث . وقد سماها العلماء باسمه بعد  
أن مات قبل أن ينشر أبحاثه .

( د ) منذ حل رموز اللغة المصرية قام علماء الآثار بحفائر هامة فى مختلف  
عصور التاريخ المصرى . وقد قامت حفائر عن عصر ما قبل الأسرات فى  
جهات مختلفة من القطر . ووضعت المؤلفات الخاصة بها . وسندكر هنا أهم

## هذه المؤلفات

- (1) Brunton and Caton Thompson. *The Badarian Civilisation and Predynastic remains near Badari*. London 1928.

وقد شرح المؤلفان فى هذا الكتاب نتيجة البحث والحفر فى منطقة البدارى . وتعتبر أقدم مدينة مصرية عثر عليها للآن فى الوجه القبلى بمد المدينة الطاسية التى عثر عليها فى دير طاسة القرية من البدارى .

- (2) Chronologie. Petrie Diospolis Parva, The Cemetries of Abadiyah and Hu 1898 - 1899. London.

بحث « فلندرز بترى » فى هذا الكتاب نظريته عن تاريخ التابع مستدا على محتويات المقابر التى وجدها من عصر ما قبل الأسرات وبخاصة الفخار

- (3) Petrie & Quibell. *Nagada and Ballas*. 1895 London 1896.

وفى هذا الكتاب بحث نتائج الحفائر التى قام بها فى هاتين الجبتين من عصر ما قبل التاريخ، وقد ظن أنه عثر على جنس جديد من الناس فيها . والمدينة التى وجدت فى هذه الجهة تأتى بمد مدينة البدارى فى القدم .

- (4) Quibell *Hierakonpolis Part I and II* London 1900.

وقد ناقش « كويل » فى مؤلفه هذا كل الآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة ( الكاب الحديثة والكوم الأحمر ) ومعظمها يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث .

- (5) Minghin and Mustapha Bey Amer *The Excavations of the Egyptian. University in the neolithic Site at Maadi vol. I.*

(6) Mostapha Bey Amer vol II

وقد بحث في هذين المؤلفين مدينة هذا الموقع التي يرجع عهدها من العصر الحجري الحديث إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث . وقد عثر في هذا الموقع القريب من المعادى على بعض آلات وأدوات من الفخار والظران غريبة في بابها . وهنا عثر على أول مباني باللبن كما شرحنا ذلك في مكانه .

(6) Randal - MacIver and Mace El Amrah and Abydos 1899 - 1901, London 1902.

وقد بحث في هذا المؤلف النتائج التي وصل إليها هؤلاء الأثريون في هذه المنطقة التي يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات كما أشرنا إلى ذلك في حينه .

(7) Hermann Junker Bericht Über die Grabungen der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien Auf Dem Friedhof in Turah (1913)

بحث الأستاذ « ينكر » في هذا التقرير نتائج حفائره التي عملها في الموقع الذي حفر فيه بالقرب من طره ويرجع إلى عصر ما قبل الأسرات وغيره .

(8) Scharff. Die Archeologischen Ergebnisse des Vorgeschichtlichen Graberfelds Von Abusir-el-Meleq Leipzig 1929.

نتائج أعمال الحفر في منطقة أبو صير الملق ويرجع عهدها إلى عصر

ما قبل الأسرات وقد عثر فيها على بعض أدوات وأشكال حيوانات غريبة  
منها تمثال للجمل (٩)

( ٩ ) Caton Thompson & Miss Gardner The Desert Fayum  
2 Vol. 1926

وقد بحث في هذا المؤلف مدينة الفيوم من أقدم عصورها التي ترجع  
إلى العصر الحجري القديم وعلاقتها بالمدينت الأخرى التي ظهرت في مصر.  
وكذلك بحث في هذا الكتاب مسألة بحيرة موريث وأصلها .  
( هـ ) ويوجد نوع آخر من المصادر اعتمدنا عليه في بعض النقط نخص  
بالذكر منه ما يأتي :

( ١ ) A Study of the Badarian Crania recently excavated by the  
British School of Archeology in Egypt, Biometrika  
Vol XIX (1927 P. 110 — 150)

بحث في هذا المقال الجاجم التي عثر عليها في حفائر البداري وقد  
عزا أصل القوم الذين كانوا في مصر في هذا الوقت إلى الجنس الحامى .

( ٢ ) Morant. A Study of the Egyptian craniology from prehes-  
toric to Roman times, Biometrika Vol XVII (1925 P. 1 - 52)

وقد تكلم المؤلف في هذا المقال عن الجاجم التي عثر عليها في الحفائر  
المختلفة من أول ما قبل التاريخ إلى العصر الرومانى .

( ٣ ) Geology of Egypt. Hume, Cairo, Vol I 1925 Vol II 1934  
Vol III 1937.

تبحث هذه الكتب فى جولوجية مصر وتركيب قشرها الأرضية وتكوين نهر النيل ، ثم صخورها ومعادنها وأحجارها شبه الكريمة ، وغيرها من أنواع أحجار مصر الكثيرة العدد والمختلفة الأنواع . وهذا الكتاب يعد أكبر المصادر التى يعتمد عليها الأثرى فى بحث تركيب البلاد الطبيعى وصخورها ومعادنها .

وقد اقتصرنا هنا على أهم المصادر الأصلية التى اعتمدنا عليها فى تأليف هذا الفصل ، تاركين المصادر الثانوية التى أخذت عن المصادر الأصلية التى ذكرناها .

## حل رموز اللغة المصرية القديمة

الهيرغليفية

بقيت اللغة المصرية القديمة سرا من الأسرار نحو ١٤٠٠ عاماً إلى أن جاء « شامليون » سنة ١٨٢٢ وكشف عن أسرارها بحل رموز الهيرغليفية ؛



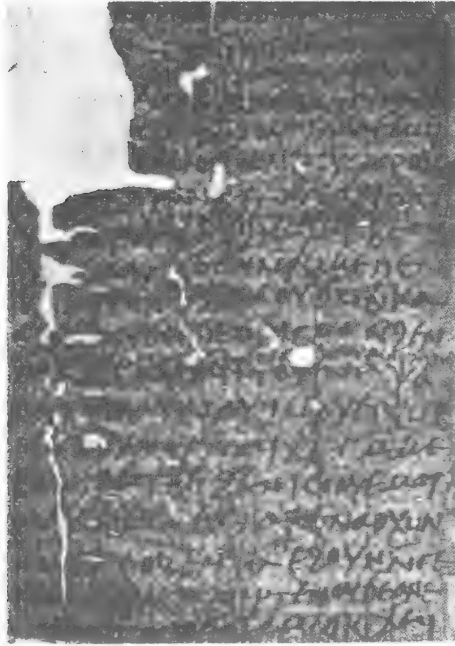
نس هيروغليق وبقراً من اليمين إلى اليسار

الاعريقية

على أن لغة القوم نفسها لم تمح من البلاد خلال تلك المدة ، بل بقيت في شكل آخر هو اللغة القبطية ، وذلك أن الهيرغليفية منذ فتح الاسكندر الأكبر لمصر أخذت تكتب علاوة على كتابتها بالاشارات المصرية ، بحروف إغريقية بعد إضافة سبعة حروف ديموطيقية لم يكن لها مثل في اللغة اليونانية . ومنذ ذلك العهد صار يطلق على اللغة المصرية القديمة اللغة القبطية أى المصرية . وقد كانت الكتابات المتداولة في البلاد على ثلاثة أشكال مختلفة إلى أواخر عهد الرومان في مصر ؛ وهى الكتابة الهيرغليفية أى الكتابة التقليدية للبلاد ، ثم الكتابة الاغريقية ، ثم الكتابة القبطية . وقد اختفت الكتابة الهيرغليفية في أواخر القرن الرابع الميلادى باختفاء الوثنية من البلاد ، ولم تعد كتابة القوم أما اللغة الاغريقية فقصى على تداولها بعد الفتح العربى مباشرة ، بينما بقيت الكتابة القبطية لغة القوم في بعض أماكن في الوجه القبلى في الصلوات

القبطية

والعبادات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر، ثم انحصرت بعد ذلك في الصلوات الدينية المحضة إلى يومنا هذا ولا يجيد معرفتها إلا نفر قليل .  
ومن ذلك نرى أن اللغة القبطية وهي لهجة من اللغة المصرية قد حفظت لنا مكتوبة بحروف يونانية وتوجد لها أجرومية وقاموس باللغة العربية وباللغة اليونانية . وفي أواسط القرن السابع عشر فهم الأب اليسوعى « كرش » أن اللغة القبطية تحفظ في ثاياها اللغة المصرية القديمة مكتوبة بحروف يونانية ،



نص مكنوب بالقبطية

وقد أخذ يقوم ببحوث علمية في هذه اللغة ، غير أنه لما أراد أن يرجع باللغة القبطية إلى اللغة المصرية لم يفلح قط . وقد تساءل عن اللغة المصرية هل هي حروف ،



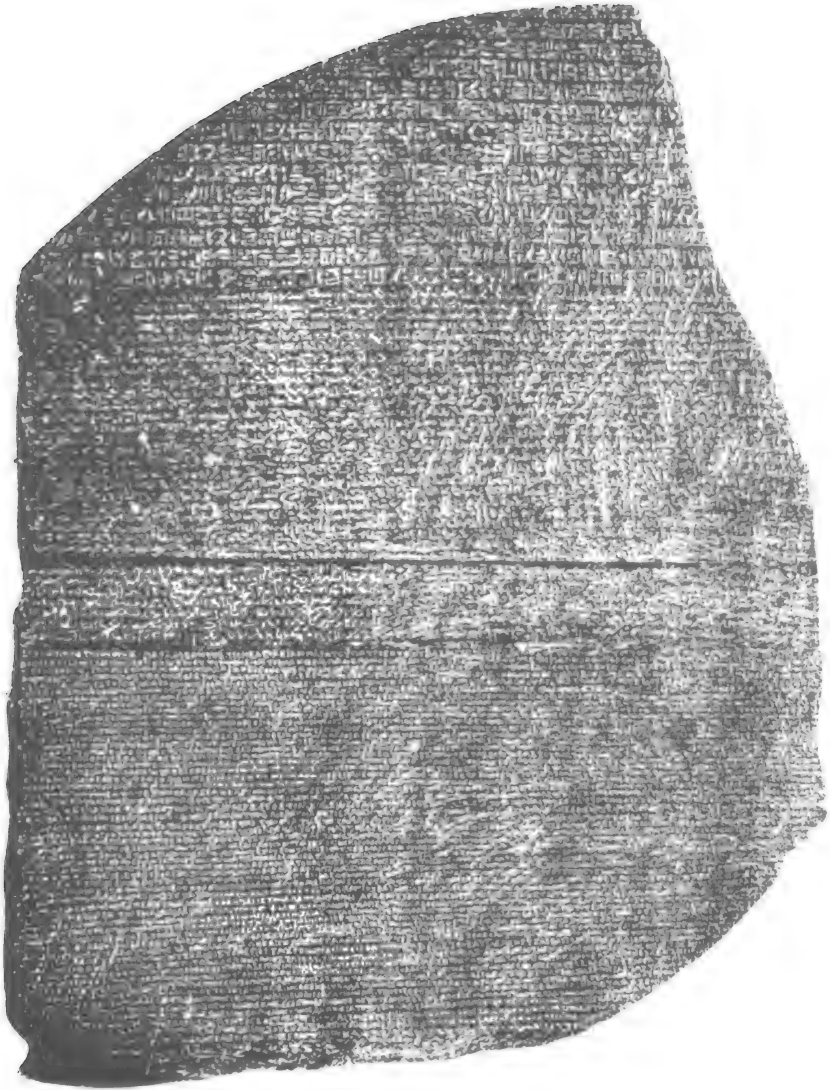


المدنية المصرية ، ولذلك جاءت معه طائفة من أهل العلم . وقد ساعدتهم  
الحظ بأن كشف صدقة أحد ضباط المدفعية المسمى « يوشار » في أغسطس  
١٧٩٩ أثناء الحفر في قلعة رشيد ، قطعة من حجر البازات منقوشة بثلاث  
كتابات مختلفة ، كانت ثالثها وهي السفلية بالنسبة للحجر مكتوبة باللغة  
الآغريقية . وعبارة الكتابة مرسوم ملكي أصدره بطليموس  
الخامس عام ١٩٦ ق . م وقد ذكر في النص الآغريقي أنه نفس المتن  
المكتوب بالكتابتين الآخرين وهما الهيروغليفية ( الكتابة المقدسة )  
والديموطيقية ( كتابة الشعب ) .

نص حجر رشيد ومن ذلك نرى أن حجر رشيد كان مكتوبا بكتابتين مصريتين وبذا  
يحتوى على مفتاح السر للكتابة الهيروغليفية ؛ إذ أن معانى كل الكلمات  
المنقوشة على هذا الحجر موجودة في النص الآغريقي . وأول من حاول  
« سلفستردى ساسى » فك رموز هذا الحجر هو « سلفستردى ساسى » عام ١٨٠٢ وكان عالماً  
باللغة العربية ، وقد كانت محاولته منصبة على القسم الديموطيقى ، ظناً منه  
« أكربلاد » لتشابه هذا الخط بالكتابة العربية الرقعة وجود علاقة بينهما . غير أن جهوده هو  
و « أكربلاد » لم تفلح إلا في معرفة خرطوش « بطليموس »

ومنذ عام ١٨١٤ حاول الدكتور « توماس ينج » الإنجليزي أن  
يحل رموز هذه اللغة من النص الهيروغليفي ، وقد كان يعلم من جهود من  
سبقه أن الأسماء الملكية مثل بطليموس لابد أن تكون موضوعة داخل  
خرطيش ، وعلى ذلك رتب العلامات التي وجدت في الخرطوش كحروف

« توماس ينج »  
١٨١٤



حجر رشيد المكتوب بثلاثة نصوص الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية

تمثل لفظة بطليموس ، وقد توصل فعلا لمعرفة مجموعة الحروف التي تكون اسم بطليموس ، غير أنه لم يتمكن من معرفة الحروف الصوتية بالضبط التي تكون هذا الاسم ، ولذلك فانه لما أراد أن يطبق الحروف الأبجدية التي

استخلصها خطأ لم يمكنه أن يصل إلى أية كلمة قبطية لها  
نطق مماثل .

وفي الوقت الذى كان يشتغل فيه الدكتور « توماس ينج » بهذا الموضوع  
كان هناك شاب فى مقتبل العمر اسمه « جان فرنسوا شمبليون »



جان فرنسوا شمبليون

« شمبليون » ( ١٧٩٠ - ١٨٣٢ ) يدرس علم التاريخ فى جامعة « جرينوبل »  
وقد أخذ على عاتقه حل رموز هذه اللغة ، وقد كان مغرماً منذ نعومة  
أظفاره بالتاريخ المصرى ، وقد تعلم كل ما تركه لنا السلف من العصور  
القديمة عن هذه اللغة واللغة القبطية أيضاً . وقد عرف من أعمال « دى ساسى »  
والدكتور « ينج » أن أسماء الأعلام الاغريقية يجب أن تكتب بحروف  
أبجدية مصرية ، وعلى هذه القاعدة بنى أساس أبحاثه التى أخذت تسير

في طريق النجاح منذ عام ١٨٢١ .

وأول عمل قام به « شبلون » في هذا الصدد أنه بحث موضوع اختلاف الكتابات المصرية القديمة وبرهن أن الكتابة الهيراطيقية هي اختصار للكتابة الهيروغليفية ، وعلى ذلك تكون الكتابة المصرية القديمة واحدة غير أنها تكتب بثلاثة أشكال كاللغة العربية مثلاً فهي تكتب بالرقعة والنسخ والثالث . وعلى ذلك لابد أن يوجد في الكتابة الهيروغليفية كما في السبوطيقية إشارات لها قيمة صوتية وأبجدية .

الابجدية  
الهيروغليفية

وقد لاحظ « شبلون » من جهة أخرى عندما كان يحسب الاشارات الهيروغليفية التي على حجر رشيد أنها أكثر في عددها من كلمات المتن الاغريقي المقابل ، وعلى ذلك استخلص أن كل إشارة هيروغليفية لاتمثل فكرة ولا تمثل كلمة . وعلى هذا الأساس ابتداء « شبلون » في بحث خراطيش حجر رشيد ثانية ، وفي عام ١٨٢٢ وصلت إليه نسخة لخرطوشين جديدين قد قشرا على مسلة صغيرة وجدت في « الفيلة » وقد كان مكتوباً على قاعدة هذه المسلة مقدمة باللغة الاغريقية لبطليموس وكليوباترة ، وقد برهن « شبلون » أن الخراطوش الاول من هذين الخراطوشين هو لبطليموس إذ يشبه تماماً خراطوش حجر رشيد والثاني يجب أن يقرأ كليوباترة ؛ وذلك أن هناك خمسة حروف مشتركة في كلا الاسمين : ب ، ت ، ل ، و ، ي .

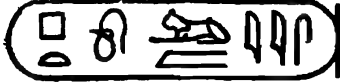
خرطوش  
بطليموس

خرطوش  
كليوباترة



اسم كليوباترة بالهيروغليفية

والواقع أن هناك خمس إشارات متشابهة كل في موضعها المنطقي في كلا الاسمين الهيروغليفين ، ومن جهة أخرى فالتا لا نجد حرف « س » في اسم الملكة على حين أنه يوجد فيه إشارات جديدة هي ق ، أ ، ر ، ولا توجد في الملك بطليموس .



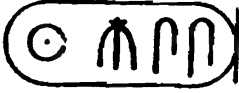
والخلاصة : حيث أن هناك إشارات اسم بطليموس بالهيروغليفية

متشابهة في هذين الاسمين وتعتبر في كل منها عن نفس الصوت ، فلا بد أن تكون حروفاً صوتية محضة ؛ وقد مكث « شميلون » بضعة أسابيع يطبق الحروف الأبجدية التي وجدها على كل أسماء البطالسة والقيصرة التي كانت موجودة في كتاب ( وصف مصر ) الذي وضعته الحملة الفرنسية ، فتوصل إلى قراءة ٧٩ خرطوشاً أخرى جديدة وصل في خلال قراءتها إلى معرفة حروف أبجدية جديدة . وبذلك أمكنه أن يعمل جدولاً بالحروف الأبجدية الصوتية . وقد أثبت هذه النتيجة الباهرة في خطاب أرسله إلى « داسيه » أمين السر الدائم للمجمع العلمي الفرنسي في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ، وفيه أعلن أنه يمكن قراءة الخراطيش الهيروغليفية .

على أنه إلى هذه اللحظة لم يكن قد تمكن إلا من قراءة أسماء الملوك الاغريق وقيصرة الرومان . والآن كيف يمكنه أن يحل رموز الكتابة في العصر الفرعوني وهي التي تحتوى على نفس العناصر الصوتية ؟ على أنه قد أعلن في خطابه بأنه واثق من نجاحه قريباً في قراءة خراطيش الفراعنة كما قرأ خراطيش البطالسة والقيصرة .

والواقع أن « شمليون » قد وصلته نسخة من خراطيش مصدرها معبد أقدم

من المعابد الاغريقية . وقد تعرف في أحد



الخراطيش في نهاية الاسم على الاشارتين المقوستين

وكل منهما يمثل الحرف الأخير من اسم بطليموس

خرطوش  
رعسيس

خرطوش رعسيس

الموجود على حجر رشيد فقراها «س» ، وفي أول الخرطوش شاهد

القرص المستدير وهو الذي كان يرمز به للشمس ويقرأ في المتون الاغريقية

والقبطية بلفظة « رع » ، أما الاشارة المتوسطة 𐩢𐩣 فقد رآها « شمليون »

على حجر رشيد كما هي مكتوبة هنا ومتبوعة بحرف س ، وتقابل في الاغريقية

« يوم الولادة » ، للملك ، فاستنتج أن هذه الكلمة التي ليست بحرف

أبجدي تقابل الكلمة القبطية « مس » أى يلد أو « مس » أى طفل ،

فرتب « شمليون » هذه العناصر مع بعضها فأصبحت « رع - مس - س »

أى رعسيس ، وقد ذكر هذا الاسم « مانيتون » و « تاسيت » ؛ على أنه

لم يتمكن من قراءة الاسم فحسب ؛ بل فهم معناه وترجمه ، فعلى حسب

القبطية معناه : « رع » يلد أى ابن « رع » .

وقد تثبت من طريقته في الحال بقراءة الخرطوش الثانى إذ وجد

فيه أن الطائر أيس 𐩢𐩣 قد حل محل رع . ٥ في بداية

الخرطوش السابق ، وفيه الاشارتان التاليتان متقتان في كلا الخرطوشين ،

ونحن نعلم في الاغريقية أن الطائر « أيس » كان يرمز به للاله

( تموت ) وعلى ذلك يجب أن يقرأ الخرطوش الثانى

« تحوت - مس - س » والواقع أن « مانيتون »



قد ذكرنا اسم الفرعون تحوتس وعلى حسب

تحوتس

القبطية يفسر تحوت يلد له أى : « ابن تحوت » .

ومن ذلك الوقت فطنت عبقرية « شمليون » إلى أن الكتابة التى على

الآثار الفرعونية قبل العصر الاغريقى الرومانى لم تكن حروفاً أبجدية محضة

كما فى خراطيش بطليموس وكليوبتره ، ثم إنها لم تكن إشارات رمزية فحسب ،

كما كان يعتقد الناس من قبل ، بل إنها فى الواقع كانت تحتوى على :

(١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل « رع » و « تحوت » .

غناصر  
الهيروغليفية

(٢) وإشارات صوتية قد تكون أحيانا مركبة من مقطع مثل « مس » ،

وأحيانا من حروف أبجدية مثل حرف « س » .

والحقيقة أن الخطأ الذى وقع فيه أسلاف « شمليون » والذى كان هو

نفسه يشاركهم فيه إلى يوم وصوله إلى هذه الحقيقة هو الاعتقاد بأن

الكتابة الهيروغليفية أحيانا تصويرية بأجمعها أو صوتية بأجمعها ، ولكن الواقع

أن نظام هذه الكتابة هو كما شاهدنا نظام مركب إذ أنها كتابة تصويرية

ورمزية وصوتية ، ونشاهد ذلك فى جملة واحدة بل فى كلمة واحدة كما

سبق شرحه .

مجهود « شمليون » وبعد ذلك تقدم شمليون فى خل الرموز ، فضرب فيها بسهم صائب

ووضع لها قاموسا وأجرومية ، ثم جاء إلى مصر وقام فيها بسياحة علمية ،

ووضع مؤلفا جمع فيه كثيراً من النقوش المصرية سماه « آثار مصر وبلاد

النوبة » ولما عاد إلى بلاده عين أستاذا لكرسى الآثار المصرية ، وقد أنشئ له خصيصاً في كلية فرنسا ، ولكنه كان قد أنهكه النصب في عشرة الأعوام التي قضاها في البحث المضى مما قضى على صحته ، فمات في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ تاركا وراءه للخلف من الباحثين أجروميته وقاموسه في اللغة المصرية القديمة .

وبعد أن وضع «شبليون» النواة الأساسية لحل رموز اللغة جاء بعده علماء من مختلف الجنسيات تقدموا كثيرا في دراسة اللغة وعلم الآثار ، ولم يقفوا عند حد دراسة الظاهر منها بل قاموا بحفائر كشفت عن كثير من النقوش والآثار الجنازية مما ساعد على فهم عصور التاريخ وحضارة المصريين ، ولا تزال هذه الجهود رغم مضي أكثر من قرن عليها تتقدم من يوم إلى آخر ، وما زالت هذه الحفائر والأبحاث تطلعننا كل يوم بمعلومات جديدة تزيد في معرفتنا عن تاريخ مصر ، وتثير الكثير من عصورها الغامضة ؛ كما أنه من شأنها أن تصحح الكثير من الأخطاء والنظريات التي أتى بها العلماء السابقون .

والآن نلقي نظرة سريعة على جهود العلماء من مختلف الجنسيات

الذين كان لأبحاثهم وأعمالهم أثر ممتاز في تقدم علم الآثار المصرية :

« دى روجيه »

(أولا) الفرنسيون . ظهر بعد « شبليون » العالم « أمانويل دى روجيه »

وقد قام بنقل الكثير من النقوش ، وبدأ في وضع بحث منظم عن تاريخ مصر أسسه نقوش آثارها ؛ كما وضع مؤلفا قويا عن



جغرافية الوجه البحرى . وفى أيامه ظهر العالم العظيم « ماريت » الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس المتحف المصرى ومصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٥٧ ، وقد كان أول من قام بحفائر على نط كبير ، وكشف عن المعابد والجبانات ، وكان من أهم مراكز أبحاثه منطقة شقارة حيث كان أول مكتشف لمقابر العجل « أيس » المعروفة « بالسرايوم » ولكثير من مقابر الدولة القديمة هناك . وقد كان للعلماء الفرنسيين فى هذا الوقت نشاط كبير فظهر منهم الكثيرون ، وأسّس إلى جانب مصلحة الآثار المصرية المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية ومقره القاهرة ، وقد قام المعهد منذ إنشائه بطبع الكثير من الأبحاث الثمينة ، وتأنج حفائره المستمرة فى كثير من حات القطر . ولعل أبرز هؤلاء العلماء هو المرحوم « جان ماسبرو » الذى تولى إدارة مصلحة الآثار المصرية مرتين ، وقد خلف لنا المئات من أبحاثه فى اللغة والآثار وبخاصة فى منطقة شقارة حيث فتح بعض أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ووجد جدران حجرات الدفن فيها مغطاة بنصوص وقوش دينية وهى المعروفة لنا تحت اسم ( متون الأهرام ) ، وسيأتى ذكرها فى موضع آخر من هذا الكتاب . وجاء بعده الكثير من العلماء الفرنسيين أمثال « لوريه » و « دى مرجان » و « لأكو » و « موريه » و « شاسينا » .

« ماريت »

( ثانيًا ) الألمان . أول من ظهر من علماء الألمان وقام بعمل عظيم هو « ريتشارد لبيوس » الذى جاء إلى القطر على رأس بعثة ( من عام ١٨٤٢ - ١٨٤٥ ) لدراسة آثارها على نفقه ملك بروسيا فى ذلك الوقت ،

« لبيوس »

وقد قامت هذه البعثة بدراسة آثار مصر والنوبة دراسة علمية منظمة ، ولم تكف بتقل النقوش فقط ؛ بل استلزمت أبحاثها عمل الكثير من الحفائر في مصر والنوبة ، وقد ظهرت نتيجة أبحاثها في المؤلف الخالد المعروف باسم « لبيسوس دنكيلر » وقد طبع عام ١٨٤٩ في اثني عشر جزءاً ، وما زال إلى الآن مرجع كل مشتغل بالآثار . بعد لبيسوس تألق نجم عالم آخر هو « هنري بروكش » الذي نصح عام ١٨٤٩ في قراءة الكتابة الديموطيقية ، وقد فاق معظم العلماء في ذكائه ونشاطه ويستحق أن يوضع في صف « شمليون » في مقدار إنتاجه ، وقد وضع قاموساً في اللغة المصرية القديمة ، وقاموساً آخر للجغرافية مصر وأجرومية للديموطيقية . ثم جاء بعده سنة ١٨٧٨ العالم « أدولف أرمن » وكان أكبر عمل له أن وضع أجرومية للغة المصرية القديمة ، وكذلك لكل ما أمكن من المتون المصرية القديمة ، واستعان ببعض تلاميذه في ترجمتها ، واستخلص منها قاموساً للغة المصرية . وكذلك كتب مؤلفاً قيماً عن الحياة المصرية يعد من أحسن ما أخرج للناس في هذا الموضوع .

وقد تخرج على يده عدد من العلماء لم شهرة عالية فنحس بالذكر منهم الأستاذ « شتيندورف » الذي وضع أجرومية اللغة القبطية ، والأستاذ « زيت » الذي جمع متون الأهرام وترجمها ، وأصبح بذلك العمدة الوحيد في كل العالم في تفسيرها ، والأستاذ « ينكر » الذي يمتاز بمعرفة المتون المصرية في كل عصورها معرفة لا يضارعه فيها أحد ، واختص في عصر

« بروكش »

« أرمن »

« شتيندورف »

« زيت »

« ينكر »

البطالسة حتى أصبح المرجع الوحيد فيه ، والأستاذ « شبيجلبرج » الذى اختص بالديموطيقية والأستاذ « شيفر » وهو من أحسن العلماء فى علم الآثار والفن المصرى .

« شبيجلبرج »  
« شيفر »

(ثالثاً) الأنجليز . وقد قام علماء الانجليز بقسط وافر فى النهوض باللغة المصرية القديمة وآثارها ونخص بالذكر منهم العالم « برش » و « ولكسنون » صاحب كتاب العادات والأخلاق فى مصر القديمة ، ثم الأستاذ « جرفث » صاحب التأليف العدة فى الديموطيقية وتراجم المتون المصرية القديمة ، والأستاذ « جردنر » الذى وضع كتابا فى أجرومية اللغة المصرية ، ويعد أكبر عمدة الآن فى هذا الباب ، وكذلك ساعد بأبحاثه العدة على تقدم قراءة الخط الهيرواطيقى ، والأستاذ « جن » الذى وضع كتابا قيميا فى إعراب اللغة المصرية ، وأخيرا الأستاذ « نيوبرى » وله أبحاث دقيقة فى علم الآثار .

« برش »  
« ولكسنون »  
« جرفث »

« جردنر »

« جن »

« نيوبرى »

وبجانب هؤلاء العلماء ظهر علماء آخرون من جنسيات أخرى ساعدوا على النهوض بهذه اللغة . ونخص بالذكر منهم الأستاذ « جولنشف » الروسى صاحب الأبحاث العدة فى اللغة ، وقد ترجم كثيرا من المتون المصرية . والأستاذ « ريزنر » الأمريكى الذى قام بحفائر منظمة فى مصر وبلاد النوبة منذ ١٩٠٣ ، ولا يزال إلى الآن ينقب فى منطقة الجيزة غربى الهرم الأكبر ، ومن أهم مؤلفاته كتابه عن « منكاورع » باني الهرم الثالث .

« جولنشف »

« ريزنر »

« برستد »

أما أكبر عالم خدم التاريخ المصرى القديم فهو الأستاذ « برستد » الذى جمع كل المتون التاريخية واستخلص منها تاريخاً لمصر يعتبر رغم قدمه

من أكبر المراجع في التاريخ المصرى القديم إلىفتح الفارسى .

المصريون  
« أحمد كمال باشا »

أما المصريون فلم يقوموا بدراسة لغة بلادهم وآثارها إلا منذ عهد قريب وعلى رأسهم المرحوم أحمد كمال باشا الذى ألف عدة كتب بالفرنسية والعربية، ثم جاءت النهضة المصرية الحديثة وقام بعض أبنائها بالحفر والتنقيب ووضع بعض الكتب، وقد أسس فى مصر معهداً لدراسة الآثار المصرية بالجامعة منذ عدة سنوات وينتظر منه خير كثير، وكذلك أرسلت البعثات للدراسة اللغة المصرية، والأمل كله مقود على هؤلاء الشبان المصريين فى المهوض بآثار بلادهم وإخراج المؤلفات عنها وإظهار عظمة مصر ومجدها القديم ، وهم أولى الناس بهذا الشرف العظيم .

## مصر وأصل المصريين

أصل الاسم

مصر ، وطننا العزيز ، تعد بلا نزاع أقدم أمم العالم ، وهى تكون الجزء السفلى لوادى النيل ؛ وتحد بالشلال الأول جنوباً ، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، والصحراء العربية شرقاً ، وصحراء لوبيا غرباً ؛ وقد كان يطلق عليها قديماً اسم « كى » وقد بقى محفوظاً إلى أن جاء الاغريق فأسموها « أجيتيوس » ولم يفسر أصل اشتقاق هذا الاسم تفسيراً شافياً إلى الآن ، وأفضل هذه التفسير « حا - كا - بتاح » أى مكان نفس الآله بتاح . الذى كان يعبد فى بلدة منف عاصمة الديار المصرية فى عهد الدولة القديمة ، ولفظة « كى » معناها الأرض السوداء ، وكانت تطلق على الوادى الخصب المنزرع ، أما الأرض التى كانت تحيط به من الشرق والغرب فكانت تسمى « تا - دشر » وتعنى بالمصرية البلاد الحمراء أى الصحراء . ولا شك أن مصر مدينة بحياتها لنهر النيل ، وقد أصاب المؤرخ « هردوت » عند ما قال - تقلا عن المؤرخ « هيكاته » الذى عاش فى عهد بطليموس الأول - « إن مصر (١) منحة النيل » ، والواقع أن هذا النهر العظيم يفيض على البلاد بغيره العميم طول العام ، إذ أن الرشح الذى يتسبب من مائه يمد الطبقة المائية التى تحت الأرض وهى التى لا مندوحة عنها لنمو النبات وتغذيته أثناء التحريق . أما فيضان النيل السنوى فانه يكسب الأرض خصباً ونماءً بالفرين الذى

النيل

(١) فى النص الاغريق أريد بمصر « الدلتا » فقط

مجله معه كل عام ، ويتركه على سطح الأراضي المنزرعة لنمو الأشجار والنباتات والحيوان . ومن ذلك نرى أن البلاد المصرية بدون نهر النيل تصبح صحراء قاحلة ، والحياة فيها مستحيلة ، وبخاصة عند ما نعلم أن الطبيعة قد حرمتها ماء الأمطار تقريباً ، وجعلتها ترزح تحت عبء شمس محرقة مدة طويلة من السنة .

ولذلك فإن القوم البائسين الذين يسكنون الجهات القاحلة « أى الأرض  
سكان الصحراء الحمراء » كانوا يعيشون فى شظف من العيش فيتصيدون حياتهم مما تنتجه  
الأمطار الضئيلة التى كانت تجود بها السماء من وقت لآخر ، ومن بعض  
الآبار القليلة المبعثرة فى أنحاء تلك الصحارى المجردة . وعلى ذلك كان  
المصريون الذين يعيشون فى رغد من العيش فى وادى النيل الينع ينظرون  
إلى هؤلاء القوم نظرة ازدراء ، ويعدونهم همجاً .

ولما كان المصريون القدماء يعتقدون أن النيل يستمد ماءه من صخور  
البلاد الاجنبية الشلال الأول عند أسوان والفتتين ، فانهم كانوا يعدون كل البلاد الواقعة  
جنوبي هذه الصخور بلاداً أجنبية عن مصر تماماً ، وقد كانت مصر مسكونة  
مند عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى يقال إنه نشأ من البلاد  
نفسها أى إفريقى الأصل ، وينسب إلى لوىى إفريقية الشمالية المسمى الآن  
بالبربر ، وإلى السكان الحاميين من إفريقية الشمالية الشرقية « الصوماليين »  
ولا مرأى فى أن الحاميين المصريين يمثلون أقدم مدينة معروفة فى وادى  
النيل ، وعلى ذلك تكون مصر جزءاً من مجموعة المدنات الحامية الافريقية

الأخرى ، غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد بعض التغير أخذ يدخل على هذا الشعب الحامى الجنس الناشئ من طبيعة البلاد نفسها . والظاهر أن هذا التغير جاء عن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يظهر أنها من أصل أسوى ، وكانت لها مميزات خاصة تختلف اختلافا بينا عن الشعب الأصيل ؛ وهؤلاء الأسويون قد اختلطوا شيئا فشيئا بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم .

الاجناس  
المهاجرة

أما موضوع دخول هذه القبائل الأسوية إلى مصر والجهة التى دخلوا منها البلاد واستولوا عليها والمصر الذى دخلوا فيه بالتحديد ، فإنها أشياء لم يجمع فيها العلماء على رأى قاطع ؛ فمن قائل إن المهاجرين أو الفاتحين جاءوا إلى مصر من شبه جزيرة بلاد العرب ودخلوها عن طريق البحر الأحمر من جهة « قفط » ، أو عن طريق أعالي وادى النيل . ومن قائل إن الغزاة أتوا من سوريا ، ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسبنا فشرقي الدلتا ، ومن ثم انتشروا فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى . ومن هنا تظهر أماننا مشكلة عويصة لم يمكن حلها إلى الآن ، وهى : هل المدينة المصرية الفرعونية نبتت فى الشمال أم فى الجنوب ؟ أى هل الحضارة المصرية بدأت فى الدلتا أم فى الصعيد ؟

والواقع أن هناك حججا تبرز كلا من النظريتين ، فإن الذين يميلون إلى الرأى القائل بأن القوم النازحين أتوا من الجنوب ، فذلك لأن كل معلوماتنا عن هذا العصر السحيق مستمدة فقط من بعض حقائق عثرت فى

الوجه القبلى ، مع أن هناك مناطق أثرية أقدم من تلك واقعة فى الدلتا ، ولم يكشف عليها إلا عن بعضها منذ زمن قريب جداً كنقطة الرمدة ، ولم تعطنا كل المعلومات التى يجب أن نستند عليها فى تكوين رأى قاطع .

وكذلك نجد أن عبادة الإله « حور » ، الذى كان يعد من أقدم المعبودات المصرية ، قد دخلت مصر من الجنوب عن طريق بلاد النوبة ، أو أعلى وادى النيل أو بطريق وادى حمامات عقب غزو القوم المسلمين على الآثار « أتباع حور » كما يزعم بعض المؤرخين ، على أننا من جهة أخرى نجد أن بعض المميزات البارزة فى تكوين الديانة المصرية ونموها قد ظهرت فى الوجه البحرى ، فمثلا نرى أن أشهر العبادات التى انتشرت فى طول البلاد وعرضها تدريجاً هى عبادة الإله « أوزير » ، ويرجع أصلها إلى بلدة « أبوصير » القرية من سنود وعبادة إله الشمس « رع » ويرجع أصلها إلى بلدة عين شمس القرية من القاهرة .

يضاف إلى ذلك أن كثيراً من بلاد الوجه القبلى كانت تسمى بأسماء مدن مأخوذة من الدلتا أقدم منها ، وعلى ذلك يكون من المحتمل جداً أن الجنس الجديد قد زحف على البلاد من شمالى سوريا عن طريق فلسطين وسينا ، وأحضر معه مدينة أرقى من مدينة الجنس الأسمى الحامى الذى لم يعرف إلا الآلات والأواني الحجرية . أما الفزاة أو النازحون ، فيقال إنهم أدخلوا فى البلاد معرفة المعادن وخاصة النحاس ، وأدخلوا كذلك عبادتهم للأموات وديانهم وكتابهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ، ولا شك فى أن دخول هذا الجنس إلى البلاد قد أتى تدريجاً من غير عنف . ومهما تكن الحقيقة



في أمر هذا الجنس الجديد فإن هناك أمرا ثابتا ؛ ذلك أن النزلاء قد  
توصلوا إلى الاستيلاء بنجاح على البلاد شيئا فشيئا . وأهم الوثائق التاريخية  
التي وصلت إلينا من هذا العهد هي الألواح الإردوازية المنقوشة ، وقد وصلت  
إلينا هذه النقوش على أشكال مختلفة ، ومن الصعب الاهتداء إلى حلها ،  
على أنها هي الذكرى الوحيدة لدينا لهذا الفتح الطويل ، الذي كانت نهايته  
على ما يظهر اتحاد كل البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت  
صولجان ملك واحد . وقد اتفقت كل المصادر التاريخية على أنه هو الملك مينا .

اللوحة  
الأردوازية

أول حكم موحد

ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر في أقدم عهودها وبين آسيا  
كانت موجودة ، غير أنه لا يلزمنا أن نبالغ في أهمية انتشار الجنسية  
الآسيوية في مصر ؛ إذ الواقع أن حضارة البلاد من أساسها إفريقية ،  
ولذلك نرى أن الجنس المهاجر اندمج على مضى الزمن في أهالي البلاد ،  
وبذلك نجد اللغة والزراعة والديانة التي نمت وترعرعت في البلاد مصبوعة  
بصبغة أهلها الأصليين منذ أقدم عهودهم ، ولم يؤثر النازحون في تغيير شيء  
كبير منها ، بل كان كل تأثيرهم سطحيا ، ومع ذلك فإن مالدينا من  
المعلومات عن هذا العصر لا يسمح لنا بأن نجزم بشيء ؛ هذا ويجب أن  
تخيل أن النازحين لم يكونوا إلا عددا ضئيلا بالنسبة إلى السكان الأصليين  
إذ الواقع أن الفئات النازحة المسيطرة كانت تلبس المدينة التي وجدت بها زاهرة  
في البلاد مع إدخال بعض إصلاحات وتحسينات عليها بقدر الإمكان .

قوة الطابع  
المصري

على أنه ليس لدينا من المعلومات ما يثبت لنا إذا كانت المدينة المصرية

هجرة  
الآسيويين

مدينة للأسويين الفاتحين بإحضار الحيوانات المنزلية كالثور والخنزير والحمار والماعز ؛ وكذلك باستحضار أقدم الحبوب مثل الشعير والقمح ، أو أنه بالعكس كانت هذه الحيوانات والحبوب قد وجدت في وادى النيل مذ وجد الجنس الإفريقى الأصيل . وكذلك لا نعرف إذا كانت لغة القبائل النازحة قد أثرت في اللغة المصرية القديمة ومسحتها بمسحة أسيوية وهى التى نجد ظواهرها فى عدة ألفاظ فى لغة القوم . ومنذ بداية العصر التاريخى نجد الاندماج بين الجنسين المكون منهما السكان عظيم جداً حتى أنه أصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشئ من الدقة الفوارق بينهما .

## نحو توحيد البلاد

اندماج الجنسين  
لا ريب في أن الشكل الذي وجدنا عليه اندماج الجنسين بمضمنايمض  
كما نشاهده في عصر « مينا » وهو العصر الذي ظهرت فيه الكتابة  
المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معاً زمناً طويلاً قبل أن  
يحدث هذا الاندماج الكلى . هذا على أننا نجعل تقريباً كل الأمور التي  
تمر ببطء في النمو الاجتماعى والتي تتبدى بالمعيشة الطبيعية ، ثم تكوين  
الجماعات إلى قبائل تحت حماية معبود فى شكل وثن ويحكمها مجلس مكون  
من شيوخها ، ثم الملكية المحلية ، ثم اتحاد المقاطعات معاً ، وفى النهاية  
الملكية الفرعونية المطلقة .

باكورة الاتحاد  
والواقع أننا فى هذه الحالة ليس أمامنا إلا الفروض المحضة ، وسنستعرض  
بعض الإيضاح التقلبات التى مرت على العصر الذى يسميه المؤرخون عصر  
ما قبل الأسرات أى قبل ظهور الكتابة إلى أن اتحدت البلاد تحت حكم  
« مينا » ، وسنتبع فى ذلك أحدث النظريات .

نشأة القبيلة  
كانت الجماعات فى البداية فى وادى النيل مثلها فى البلاد الأخرى على  
حالتها الفطرية ؛ إذ كانت الجماعة أو القبيلة فى حالتها الساذجة تلتف حول  
المعبودات  
صورة حيوان أو نبات سواء أكان حقيقياً أم رمزياً ، وكانت تتخذ ذلك  
لها بمثابة إله أو وثن تعبده ، وبعد ذلك أخذت القبائل تتجمع وكونت  
قيام المدن  
مدناً لكل منها حكومتها . أما شارات هذه المدن الأولى سواء أكانت  
تكوين المديرات

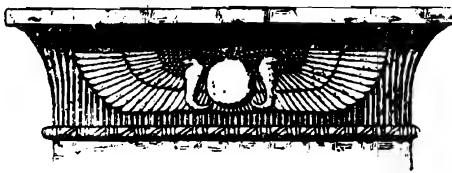
وثنا أم حيوانًا فأصبحت كآلهة تحمى هذه المدن ، وبعد ذلك تكونت مديريات من هذه المدن مع القبائل التي تعترف بسلطان إله المدينة ومما يجاورها من الأقاليم ، وكانت تعرف كل من هذه المديريات باسم المقاطعة . وهذه المقاطعات كانت في بادئ الأمر مستقلة وإن كان حكامها لم يطلق عليهم الملوك . والظاهر أن عدد هذه المقاطعات كاد يكون متساويا في الوجهين القبلي والبحري ، وبعد مضي زمن قامت حركة اتحاد في البلاد وذلك حينما تجمعت مقاطعات الوجه البحري إلى مملكتين الأولى في الغرب وعاصمتها « بجدت » ، وربما كانت دمنهور الحالية ، والثانية في الشرق وعاصمتها « بوسير » بالقرب من سمندو الحالية . وكان إله المملكة الأولى « حور » وإله الثانية « عنزتي » وقد صار « أوزير » فيما بعد . وبعد فترة من الزمن اندمجت هاتان المملكتان في مملكة واحدة أطلق عليها : الوجه البحري ، وكانت العاصمة لتلك المملكة الجديدة في بادئ الأمر « سايس » صا الحجر الحالية في النرية مركز كفر الزيات ، وكانت الإلهة الرسمية « نيت » ثم أصبحت العاصمة فيما بعد « بجدت » دمنهور ، وكان الإله الرسمي فيها « حور » . وفي الوقت الذي اتحدت فيه الدلتا إلى مملكة واحدة تكونت مملكة أخرى في الوجه القبلي مؤلفة من اتحاد عدة مقاطعات عاصمتها بلدة « نقادة » على مسافة قريبة من شمالي الأقصر ، وكان الإله المعترف به هو « ست » مناهض الإله « حور » .

اتحاد الوجه  
البحري

اتحاد الوجه  
القبلي

والظاهر أن الدلتا كانت أقوى من الصعيد ، ولذلك كان ملوك الدلتا أول من فكر في اتحاد كل مصر تحت سيطرة حاكم واحد ، على أن حاضرة المملكة المتحدة الجديدة لم تكن بلدة « حور » « دمهوور » ، ولكن بلدة ( بوسير ) ، وهى بلدة إله شرق الدلتا المسمى « أوزير عنزى » ؛ وتدل شواهد الأحوال على أن الثورات المتوالية قد قامت في الوجه القبلى في قيادة وامبوس ( البلاص الحالية ) احتجاجا على تسلط الدلتا ، وكانت النتيجة أن تفرق شمل البلاد وانقسم عرى اتحادها ، وانفصل شطراها عن بعضها ، فأصبح الوجه البحرى للإله « حور » ، والوجه القبلى للإله « ست » وبذلك هدمت مملكة « أوزير » ، ولم تعد « بوسير » عاصمة للوجه البحرى بل انتقلت العاصمة إلى دمهوور التى كانت حاضرة البلاد القديمة ، وبعد ذلك أصبحت مملكة « حور » أكثر بطشا من ممكة « أوزير » حتى أنها توصلت إلى إخضاع مملكة « ست » في الوجه القبلى ، وقامت بتنظيم وحدة البلاد متخذة عين شمس عاصمة للملك ؛ ولا شك في أن مركز العاصمة الجديدة كان

«أوزير» و«حور»



قرص الشمس ذو الجناحين

اختياره موقفا إذ كانت واقعة على حدود القطرين حتى يمكنها الاشراف على كل منهما ؛

ومن المحتمل أن حدود هذه المملكة المتحدة الجديدة كان جبل السلسلة أى بين أدفو وكوم أمبو ، وكانت شارتها الجديدة قرص الشمس ناشرا جناحيه اللذين يمثلان نصفى مصر - الوجه البحرى والوجه القبلى - وهو

رمز إله الشمس الذى كان مركز عبادته عين شمس . وهذا الرمز يشاهد كذلك كثيرا على الآثار المصرية ، ولا بد أن فى وقت هذا التغير كان بعض الآلهة فى الوجه البحرى مثل « أوزير » و « حور » قد انتقلوا حاملين معهم اسم محل عبادتهم إلى الوجه القبلى ، ولذلك نجد اسم المدينة مكرراً فى القطرين ، فنجد مثلاً بلدة عين شمس فى الوجه البحرى ( هليوبوليس ) وبلدة عين شمس أخرى فى الوجه القبلى ( أرمنت ) وهكذا .

السنة المصرية

ويظهر أن فى هذا الوقت قد ظهر حساب السنة المصرية أيضاً . ثم قامت عين شمس بدورها لتطفىء نار ثورة دينية قامت فى الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد كان الغرض من هذه الثورة أن تحل عبادة إلهها محل عبادة الشمس . ثم ظهرت مملكتان مستقلتان من جديد فى البلاد ؛ الأولى فى الوجه البحرى وعاصمتها « بتو » المعروفة الآن بتل الفراعين فى شمال دسوق ، والثانية فى الوجه القبلى وعاصمتها ( قفط ) ثم « نخن » ، وهى المعروفة الآن بالكوم الأحمر تجاه الكاب ( المحاميد ) ، غير أن « حور » بن « أوزير » وهو الذى أخضع نهائياً الوجه القبلى متغلباً على « ست » أصبح الإله الرسمى لكل من هاتين المملكتين .

الملك مينا

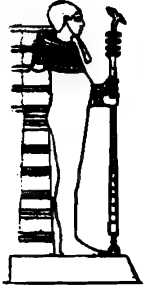
وقد وحدت البلاد من جديد للمرة الثالثة والأخيرة تحت سلطان عظيم من عظماء أهالى طيبة بالقرب من العراة المدفونة مركز البلينا ، وقد جاء ذكر هذا العظيم فى جدول الملوك الذى كتب فى عهد الدولة الحديثة باسم « مينا » ، وقد أطلق عليه اليونان لفظة « مينيس » ، والأرجح أنه إما

الملك «عما» (المحارب) أو أنه الملك «نمر» ، وقد وجد كل منهما  
منقوشاً على الآثار . ولكننا لا نعلم إذا كان توحيد القطرين قد حدث  
بطريق السلم ، ( إذ المحتمل أن «مينا» ملك الجنوب قد وُثِرَ عرش الشمال عن أمه )  
أم بطريق الحرب .

العاصمة الجديدة

وعلى أية حال فإن التقاليد تنسب إلى موحد القطرين بناء عاصمة  
جديدة على مقربة من عين شمس العاصمة القديمة ، وقد سماها « من - نفر »

« منف »



( الميناء الجميلة ) وهي التي أطلق عليها اليونان اسم « منفيس »

( البدرشين وميت رهينة ) . ولما تولى « اتوئيس » زر (؟) بن « مينا »

الحكم حصن هذه الحاضرة فأقام قلعة ضخمة سماها الجدران

البيضاء ، وهذه الحاضرة الجديدة بقيت نحو عشرة قرون

نامية زاهرة خلال حكم الأسرات الثمانية الأولى ، أما الأكله فاج

الرسمى الجديد فلم يكن أحد آلهة الدولة السابقين مثل « أوزير » و « حور » و « رع »

ولكنه كان الأكله المحلى للعاصمة الجديدة واسمه الأكله « بتاح » .

أما الملوك الذين سبقوا « مينا » وحكموا البلاد فإن المصريين يعدونهم

أشباه الآلهة الذين أتوا بعد أسرات آلهة لم نعرف عنهم شيئاً . ولم يذكر

المصريون إلا أن ملوك الوجه القبلى كانت عاصمتهم فى « نخن » ( الكوم الأحمر ) ،

وعاصمة ملوك الوجه البحرى كانت « بوتو » ، ويعرفون كذلك أن ملك الوجه

القبلى كان يلبس التاج الأبيض ١٥ وكانت تحميه الإلهة « النسر » ١٦

« نخت » وملك الوجه البحرى كان يلبس التاج الأحمر ١٧ وتحميه الإلهة « العسل »

تاجا الملك

«وزيت» أى الثعبان  
وقد حفظت لنا الآثار أسماء  
تسعة الملوك الذين سبقوا  
«مينا» فى الدلتا. وقد وجدت  
أسماءهم محفورة على قطعة  
من حجر يرجع تاريخه  
إلى الأسرة الخامسة  
ويحتل فى عهد الملك  
«نوسر رع» وهذا الحجر  
يعرف بحجر «بلرم»  
وذلك لأنه محفوظ فى  
بلرمو عاصمة صقلىة .

حجر «بلرم»



جزء من حجر «بلرم»

وقد عثر على أربع قطع أخرى منه موجودة الآن بالمتحف المصرى .  
وعلى هذا الحجر دونت أسماء الملوك منذ عصر ما قبل الأسرة الأولى ،  
وذكر ملخص أهم الحوادث فى عهد كل ملك ، وأحياناً الأعمال العظيمة التى  
قام بها . ولو أن هذا الحجر وصل إلينا كاملاً لعرفنا ملخص تاريخ مصر  
من أقدم العهود إلى الأسرة الخامسة ، كما رواه المصريون أنفسهم .



## تنظيم نتيجة السنة الشمسية

تجبل الفيضان  
عمد علماء الآثار المصرية والمؤرخون المختصون في علم الفلك والتاريخ إلى إيجاد طرق حساية غاية في الحذق للوصول إلى تحديد العصر الذي ابتدأ فيه التاريخ بالسنة الشمسية<sup>(١)</sup> ، فابتدءوا بسنة ١٣٩ م ، ونحن نعرف بالضبط أول يوم في السنة الشمسية اتفق تماماً مع اليوم الذي ظهر فيه نجم الشعرى اليمانية « سوتيس » وهو اليوم الذي بدأ فيه فيضان النيل ، وقد اتخذوا هذا التاريخ نقطة ثابتة ، ورجعوا إلى الوراء به مدة ثلاث مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية « سبد » بالمصرية في ساعة واحدة ، ويحدث هذا مرة كل ١٤٦٠ سنة بحساب فلكي ثابت ، وبذلك ظنوا أنه يمكنهم أن يحددوا سنة ٤٢٤١ ق.م بالسنة التي ابتدأ فيها المصريون يحسبون بحساب السنة المصرية الشمسية . أول فيضان  
وقد قال بعض المؤرخين إن هذا التاريخ هو أقدم عهد في تاريخ العالم .

---

(١) وقد كتب الاستاذ « Neugebauer نوى جيور » مقالا ممتاً في مجلة :

Acta Orientalia Vol XVII Paris III 1938 P.P. 169 - 195

تحت عنوان :

Die Bedeutungslosigkeit der Sotisperiode. Für die älteste ägyptische Chronologie

وقد دحض فيه نظرية الاستاذ « ادورد مير » في استنتاج تواريخ محددة لمعرفة بداية التاريخ المصرى قائلا أن كل نظريته لا تركز على أساس علمي وأن نظرية الحساب بواسطة ظهور النجم « سبد » عند الصباح فهذا لا علاقة له بالحساب المصرى بل خاص بالفلك الاغريقى ولذلك يحتاج الموضوع إلى بحث جديد .

وقد استنتج هؤلاء المؤرخون من هذا التاريخ السحيق في القدم نتائج هامة فنه عرفوا مقدار تقدم المصريين في الحضارة في هذا العصر العتيق إذ كان في مقدور المصرى أن يلاحظ ظهور النجوم ، ويتمكن من تحديد مدة السنة الشمسية . ومن جهة أخرى استنتجوا الأنظمة التى كانت عليها البلاد فى ذلك العصر ، غير أن هذه الاستنتاجات لا تتركز على حقائق ثابتة فى التاريخ ، وإن كان ما يكشف من الآثار ينبئ بتأصل المصريين فى المدينة المتوغلّة فى القدم .

ومهما يكن من الأمر فإن إنشاء السنة الشمسية قد ظهر فى عصر قديم ، وأنه كان من الأشياء الضرورية القصوى لسكان وادى النيل ؛ وذلك لأن السنة القمرية بشهورها المختلفة فى الطول بين ٢٩ و ٣٠ يوما لم تكن بالشئ الدقيق للمصريين الذين خلقوا بطبيعتهم زراعا للأرض ، هذا على خلاف السنة الشمسية التى تبدىء فى وقت حادثة معينة للفلاح المصرى ، وهو فيضان النيل المنظم العظيم لحياة الفلاح المصرى . ولما كان المصرى لا يلتجئ قط لإضافة ربع يوم « السنة الشمسية بالضبط  $\frac{1}{4}$  ٣٦٥ يوم » أى بإضافة يوم واحد كل أربعة أعوام ليكمل عامه يتفق مع العام الشمسى ، فإنه استعمل فى الواقع طوال مدة تاريخه سنتين مختلفتين : الأولى السنة المدنية ، والثانية السنة الثابتة أى الشمعى الجمانية ، وهاتان السنتان لا تبدءان معاً فى يوم واحد إلا كل ١٤٦٠ ( ٣٦٥ فى ٤ ) سنة شمسية أو كل ١٤٦١ (  $\frac{1}{4}$  ٣٦٥ فى ٤ ) سنة مدنية ،

اختلاف السنتين

## مينا وتوحيد البلاد

أول تاريخ  
الاسرات

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي بدأ فيها «مينا» حكم مصر المتحدة فمنهم من يرجع بنا إلى سنة ٤٣٢٦ ق . م ، ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك ، ويضع تاريخ هذا الحادث في نحو سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، وهناك مؤرخون من جهة أخرى يميلون إلى التاريخ القصير ويؤرخون هذا الحادث بعام ٢٩٠٠ ق . م ، أو عام ٢٧٠٤ ق . م . غير أن الآراء أصبحت الآن متفقة على اتخاذ طريق وسط بين هذين الحدين فجعل ٣٢٠٠ ق . م ، وهذا التاريخ الذي بدأ فيه ملوك مصر المتحدة يحكمون البلاد يعرف ببداية التاريخ المصرى عند «مانيتون» .

أهمية « منف »

والظاهر أن ملوك الأسترتين الأولى والثانية لم يتخذوا « منف » عاصمة لملكهم ، ولم يفكروا قط في نقل مقر ملكهم إليها ، وإذن يحتمل أن منف لم تكن يوما من الأيام عاصمة المملكة المتحدة ، والظاهر أن الدور الذى لعبته في تاريخ البلاد كان أقل من ذلك أهمية ، فلم تعد كونها معقلا للبلاد في الجبه الشمالية أى أنها كانت قلعة حصينة ، أما الملوك فإنهم استروا في إقامتهم في الجنوب الأقصى متخذين بلدة « نفخ » مقرا لهم ولذلك كانت أهمية منف الأشرف على بلاد الدلتا التى فتحت حديثا وضمت إلى ملك الصعيد . وقد كان لقرب منف من هذه البلاد التى ضمت حديثا أهمية أخرى ، إذ جعلتها مركزا سهلا لإدارتها ، ولا شك في أن منف كانت

«لينا» وأخلافه مركزاً حرياً هاما لصدد غارات اللويين الزاحفين من الجهة الغربية من الدلتا ، وهؤلاء اللويون قد خضعوا بعد أن هزموا هزيمة منكرة ؛ غير أن توحيد البلاد لم يكن قد تم ، إلا بعد أن توصل أحد أخلاف مينا إلى التغلب على الجزء الجنوبي الأقصى من بلاد النوبة ، وهو الواقع بين السلسلة والشلال الأول ، ويطلق عليه «تاسى» ، وقد كان هذا الإقليم خارجاً عن حدود المملكة المصرية «الوجه القبلى» طوال مدة عصر ما قبل الأسرات ، ولم يكن مسكوناً بالجنس الأسود كما هو الآن ؛ بل كان يقطنه فرع من الجنس الحامى سكان البلاد الأصليين . والظاهر أن السود الذين يسكنون نوبيا العليا والسودان لم يظهروا فى مصر إلا بعد عدة قرون ، أى فى عهد الأسرة الثالثة وبخاصة فى نهاية الدولة القديمة ، وذلك بعد التدهور الذى لحق البلاد بعد الأسرة السادسة .

ولقد حافظت مصر المتحدة فى كل عهودها منذ حكم «مينا» على ذكرى اقسامها إلى مملكتين ، ولم يكن فى وسع إحداها على مر الزمن أن تهضم الأخرى ، بل بقيتا على قدم المساواة ، ولذلك نجد أن ملك مصر المتحدة لا يحمل لقب ملك مصر بل ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى ، وكذلك كان يحمل لقب «رب الأرضين» وسيد (نسر) الجنوب وسيد (صل) الشمال ، وكان فى أول الأمر يحمل التاج الأبيض الخاص بالجنوب ، والتاج الأحمر الخاص بالشمال ، ولم يحمل التاج المزدوج إلا فى أواسط حكم الأسرة الأولى ، وكذا نشاهد هذا التمييز فى المصالح الحكومية ؛

فثلاً نجد أن الخزينة مزدوجة ، أى خزينة الوجه القبلى وخزينة الوجه البحرى وهكذا .

لوحه « نعرمر »  
ومما يؤيد ما ذكره « مانيتون » من أن « مينا » هو أول ملك وحدّ الأرضين ما جاء على الآثار المعاصرة لهذا الملك وبخاصة لوحته التذكارية الإردوازية التى وجدت فى « هيراكنبوليس » بالقرب من العرابه وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ( هذا إذا سلمنا بأن « نعرمر » هو مينا ) ولهذه اللوحة وجهان محفوران حفراً بارزاً يشهد لصانها بالدقة والمقدرة ، والجزء الأعلى من كلا الوجهين يحمل اسم « نعرمر » ( مينا ) مكتوباً بالهيروغليفه بين رأسى بقرتين تمثلان الإلهة حاتحور ، وأحد الوجهين يشمل منظرين



وجه لوحه « نعرمر »



ظهر لوحه « نعرمر »

أما الوجه الآخر فيحوى ثلاثة مناظر ؛ فالمنظر العلوى على الوجه الأول

يمثل الملك لابساً التاج الأبيض ( تاج الوجه القبلى ) متبوعاً بحامل نعليه وقابضاً يده اليمنى على دبوس له رأس على شكل كثرى يضرب به عدوه الراكع أمامه ، بينما أمسكت يده اليسرى شعر هذا العدو المسى « واش » ، وقد ذكر فوقه ما يعنى أن « حور » قد أحضر للملك أسرى من الدلتا ( أرض نبات البردى ) ، والمنظر السفلى يمثل عدوين عاريين فارين . أما الوجه الثانى فالمنظر العلوى منه يمثل الملك لابساً التاج الأحمر ( تاج الوجه البحرى ) متبوعاً بحامل نعليه ومسبوقاً بأربعة من حملة الأعلام ثم بوزيره أيضاً ، وأمام هؤلاء عشرة أسرى قطعت رؤوسهم ووضعت بين أقدامهم ، وقد كتب فوقهم أسماء البلدان التى فتحها « مينا » ، أما المنظر الثانى فيمثل حيوانين عجيبين بينما يمثل المنظر السفلى ثوراً ينطح قلعة وهذا كناية عن انتصار الملك على أعدائه .

## مصادر التاريخ المصرى القديم

الواقع أنه لم يصلنا أى كتاب خاص كتبه المصريون أنفسهم عن تاريخ بلادهم ، فكل ما نتمتع عليه فى تأليف تاريخ مصر هى النقوش التى وجدت على الآثار ، وهذه تنحصر فيما يلى :

( أولاً ) أخبار الحروب التى قام بها الملوك ، ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ، ثم المراسيم الملكية التى كانت تنشر فى طول البلاد وعرضها من عدة نسخ ، وكانت تكتب على الحجر فى

معظم الأحيان وتوضع في المعابد والمدن .

(ثانيا) الأوراق البردية التي كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وخلافا لهذه المصادر فإن كل ما عثرنا عليه متشابه وعلى وتيرة واحدة وأعنى بذلك النقوش التي عثرنا عليها في المقابر والمعابد، وكانت ترمى إلى غرض شخصي ؛ فمثلا لم يكتب الملك على جدران معابده انتصاراته على أعدائه في حروبه إلا ليظهر قوته وسلطانه ، ولم ينقش معاهدة صلح إلا ليظهر ما كسبه من أعدائه ونفوذه عليهم ، وكذلك لم يسرد فرد من عظماء القوم تاريخ حياته إلا ليظهر ما ناله من الخطوة عند مليكه لما قام به من الأعمال الجليلة له . أما باقى النقوش التي عثرنا عليها وهى الجزء الأكبر فكلها دينية محضة ، وذلك لأنه لم يصلنا شيء من الكتابات الدنيوية إلا النزر اليسير ، وسبب ذلك أن المصريين قد أقاموا فى ( الوجه القبلى ) مقابرهم ومعابدهم فى الجبال وعلى حافة الصحراء ، وشيدوها من الحجر الصلد أو نحتوها فى الصخر فبقيت لنا إلى الآن بما فيها من نقوش ، أما مدنهم التي كانت تقام فى الوادى المنزرع ، والتي كانت تبنى باللبن فانها قد محيت آثارها إلا بقايا قليلة جدا ، وانغى معها كل ما خلفوه من الكتابات التي كانت تدون على البردى إلا بعض أوراق نثر عليها من وقت لآخر .

ومن بين الوثائق الهامة فى التاريخ المصرى التي عثرنا عليها قوائم أسماء الملوك ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة . وأقدم هذه القوائم يرجع عهدها إلى حكم الملك « تحتمس الثالث » ، وقد عثر عليها فى المبنى العظيم

هامة الكرنك

الذى أقامه بالكرك في مدينة الأقصر ويطلق عليه اسم « قاعة الأعياد » ، وهذه القائمة مكتوبة على جدران حجرة يطلق عليها الآن حجرة الأجداد ، وأحجار هذه القاعة محفوظة الآن في متحف اللوفر، وقد وجدت فيها أسماء ملوك لم تظهر على القوائم التي عثرنا عليها في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن قائمة « تحتمس الثالث » لم تكن أقدم وثيقة ، بل نعلم أن هنالك قوائم أخرى مشابهة لها . وهناك تواريخ أخرى أقدم ، وهذه التواريخ قد كتبت على لوحات من الحجر ونصبت في أماكن عامة وبخاصة في المعابد ، وقد حفظ لنا جزء من لوحة من هذه الآثار وهي تعرف بمحجر بلرم . ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة كما أسلفنا .

وأهم من قائمة تحتمس الثالث قائمة العرابة المدفونة « أيدوس » وسقارة ، ويرجع تاريخ الأولى إلى عهد « سيتي الأول » أى في أوائل الأسرة التاسعة عشرة ، والثانية من عهد « رمسيس الثاني » .

قائمة  
العرابة المدفونة

وقد أراد سيتي الأول أن يخلد ذكرى أجداده في إحدى قاعات معبده الذى شيده في العرابة المدفونة - وهو لا يزال حافظا لجزء عظيم من روثقه القديم - فبنى حجرة خاصة كتب على جدرانها قائمة بأسماء الملوك ، وفي هذه القائمة تنتظم أهم ملوك مصر مبدئية بالفرعون « مينا » ، ويلاحظ في هذه القائمة أن في أسماء الملوك الذين ذكروا فيها قبل الأسرة الرابعة بعض الأخطاء ، ولكن من بداية الأسرة الرابعة نجد الأسماء المذكورة على القائمة متفقة تمام الاتفاق مع الأسماء التي ذكرت في القوائم الاخرى . أما قائمة سقارة الملكية المحفوظة الآن بمتحف القاهرة ، فإنها أقيمت في قبر الكاتب الملكى « تنورى » ، وهذه القائمة لا تبتدىء باسم

قائمة سقارة



« مينا » بل باسم خامس أخلافه « مربابا » أو « مربابن » وهو الذى يطلق عليه اليونان اسم « ميبس » فى كتاب « مانيتون » ، وهذه القائمة قد قُلت عن ورقة بردية ، غير أنه لم يراع فيها الترتيب التاريخى لكثير من الأسر المالكة .

ورقة « تورين » وبجانب هذه القوائم المكتوبة على الأحجار ، قد وصلت إلينا وثيقة أخرى يطلق عليها اسم ورقة « تورين » ، وهى من عهد الأسرة التاسعة عشرة . ولم يكتف فيها كاتبها بذكر أسماء الملوك ، بل ذكر السنين والشهور والأيام التى حكمها كل ملك ، على أنه مما يؤسف له أن هذه الوثيقة لم تصل إلينا سالمة ، ولو أنها وصلت كذلك لكانت تعد أهم وثيقة وصلت إلينا فى هذه الناحية ، بل حدث أنها مزقت إلى قطع عدة ، ولم يتمكن العلماء إلى الآن من وضع كثير من قطعها فى مكانها الأسمى من الورقة ، وبرغم الفجوات التى نجدها فى ورقة « تورين » ، فإنه قد ذكر فيها عدد عظيم من الملوك النكرات ، لم يهتد العلماء إلى وضعهم فى مكانهم التاريخى ، وبخاصة الملوك الذين جاء ذكرهم فى هذه الورقة بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثامنة عشرة . ومن الأسف أن القوائم الأخرى قد ذكرتهم بطريقة مختصرة . ومهما يكن من شئ فإن أمثال هذه الورقة وغيرها من القوائم هى التى استعملها « مانيتون » السنودى فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وكذلك « أرسطوسين » .

المصادر الخارجية

وهناك مصدر آخر وهو ما عثر عليه من آثار فى الممالك المجاورة لمصر سواء أ كانت هذه الآثار مصرية الأصل قُلت إلى هذه البلدان ، أم كانت آثارا خاصة بالبلاد التى وجدت فيها ، وذكر فيها شئ عن مصر والمصريين ،

مثال ذلك : الآثار التي وجدت في جزيرة كريت من الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك الآثار التي عثر عليها في فلسطين ، وسوريا من أوائل الدولة القديمة أو في بلاد ما بين النهرين وما وراءها من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وسنشير إلى ذلك في موضعه .

مصادر المؤرخين  
القديما .

بقيت المصادر التي يعتمد عليها في تدوين تاريخ مصر منحصرة فيما نقله لنا الكتاب الإغريق والرومان وغيرهم ، إلى أن كشف « شمليون » عن أسرار اللغة المصرية القديمة من النقوش التي على حجر رشيد عام ١٨٢٢ ، ومن ثم أخذ العلماء يستقون مصادرهم عن تاريخ مصر من النقوش مباشرة . وقد تكلمنا عنها سافا . والآن تناول باختصار أهم هؤلاء الكتاب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها . فأول مؤرخ إغريقي كتب عن مصر هو « هيكاته الملاطى » الذي عاش حوالى عام ٥٥٠ ق . م وقد زار وادى النيل وتباحث مع الكهنة المصريين في « طيبة » عند ما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للويا . وجاء من بعده « هردوت » حوالى عام ٤٥٠ ق . م وقد خصص الجزء الثانى من تاريخه العام لوصف مصر وتاريخها ، وقد بدأ بزيارة الدلتا ومكث في منف وعين شمس مدة ، ثم صعد في النيل إلى أن وصل إلى أسوان « الفنتين » وفي عودته عرج على الفيوم ، وزار الدلتا ثانية ثم غادر البلاد من القلزم . وأهم الأسئلة التي وضعا للكهنة كانت منصبة على أصل خرافة الآلهة وعلى التاريخ . وقد أخبره الكهنة أن « مينا » هو أول ملوك مصر ، ثم عددوا له قلا عن كتاب لديهم أسماء ٣٤٠ ملكا وقالوا له إن ما بين أول ملك

« هيكاته الملاطى »

« هردوت »

وآخر ملك ٣٤١ جيلا من الناس ، وإن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام ،  
أى أن تاريخ البشر عندهم يبلغ نحو ١١٣٤٠ عاما . وقبل هؤلاء الملوك  
كان يحكم الآلهة مصر . وقد أضاف « هردوت » إلى ماسمه ما شاهده بنفسه .  
والواقع أن وصفه جاء صورة حية للحياة الاجتماعية والآثار التى شاهدها .  
ويمكن الاعتماد عليها فى معظم الأحيان . وفى أوائل عهد البطالسة ظهر  
المؤرخ « هيكاته الأبدرى » فى بلاط بطليموس الأول ووضع كتابا غير أنه  
لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها « ديدور » فى كتاباته .

«مانيتون السنودى» وفى هذا العصر كان يعيش كذلك « مانيتون » السنودى وهو أمم  
المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى يوسف  
« جوزيف » أن مانيتون كان مصرى الجنس وكان كاهنا عظيما وكتبا  
فى المعابد وماهرا فى لغة بلاده ، وفى اللغة الإغريقية أيضا . وقد أمره  
بطليموس فيلادولف ( الثانى ) أن يضع مؤلفا عن مصر ، فقام مانيتون  
بذلك وحاول أن يضع أمام الإغريق صورة حقيقية عن تاريخ مصر منقولة  
عن النقوش المصرية ، ويرجع عهد كتابة هذا التاريخ إلى ما قبل عام  
٣٧٠ ق م . وما يؤسف له أن هذا التاريخ قد وصلت لنا منه أجزاء مختصرة  
عن طريق المؤلف يوسف اليهودى « جوزيف » الذى ولد عام ٣٧ م ،  
قد ألف مقالا للدرد على « أيون » النحوى الاسكندرى الذى كان يفيض  
اليهود من أعماق قلبه ، وهو الذى ينسبهم إلى أنهم من أصل أبرص  
ومن منشأ دنس نجس وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى عليه

السلام ؛ فرد عليه يوسف بأن هؤلاء الدنسين هم المكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف . وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيدا ، ولكي يؤيد رأيه قل حرقياً بعض المتقطعات عن « مانيتون » في الفصل الخاص بالمكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وشفع ذلك بجدول يحوى أسماء الملوك من عهد تحتمس الأول إلى عهد رمسيس الرابع وعددهم ٢١ اسماً مع ذكر سنى حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه ، ومن المحتمل جداً أن يوسف لم ينقل ذلك مباشرة عن « مانيتون » نفسه ، بل يحتمل أنه نقله عن المختصر الذى وضعه المؤرخون قلا عن مانيتون . على أن هذا المختصر أخبرنا على الأقل أن مانيتون قد وضع جدولاً تاماً لأسماء ملوك مصر من أول « مينا » إلى عهد البطالسة ؛ مع ذكر تواريخ مضبوطة لحكم كل منهم ، ولذلكبقى مختصر مانيتون - وهو لا يزيد عن جدول بأسماء الملوك والأسرات مع ذكر بعض حقائق مختصرة - المصدر الأصيل لكتاب العصر المسمى عن تاريخ مصر إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية ، وأهم هؤلاء الكتاب ، « سكستس جوليس أفريكانوس » .

Sextus Julius Africanus وقد قل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه حوالى عام ٢٢٠ م ، ويأتى بعده « يوزيب » Eusebe « ٢٧٠ - ٣٤٠ »

وله كتاب تاريخ محفوظ باللغة الإغريقية والأرمنية ، وقد قل عن المختصر من بداية الأسرة السابعة عشرة ، ولكن من نسخة أخرى تختلف عن تلك التى قل عنها سكستس الإفريقى .

وحوالى أوائل القرن التاسع الميلادى ألف « جورج » المسمى « سينسل »  
كأتم أسرار بطريق الاسكندرية تاريخاً قله عن مختصر « يوزيب » ،  
و« سكستس » الافريقى . وقد رأى هذا المؤلف أن كتاب « مانيتون »  
ينقسم ثلاثة أقسام وأن الملوك كانوا مقسمين إلى ٣١ أسرة كل منها  
تنسب إلى جهة معينة فى البلاد حسب أصل كل منها : الأسر الطينية  
والنفية والالفتية والاهناسية والطيبية الخ . والمتن الأصلى يعطينا السنين  
والأشهر والأيام التى حكمها كل ملك ولا يذكر المختصر إلا الملوك المشهورين ،  
وقد بقى ترتيب الأسرات الذى وضعه « مانيتون » الأساس الذى يعتمد  
عليه كل مؤرخ حديث فى الكتابة عن مصر رغم الكشف الحديثة .  
« ديودور الصقلى » ويأتى بعد « مانيتون » مؤرخ عظيم اسمه « ديودور الصقلى » الذى ألف كتاباً  
عن مصر لم تمتد إليه يد الضياع ، وقد وضع تاريخاً عاماً . وعند كتابته  
عن أصل العالم قاده البحث إلى مصر التى تعد مهداً للآلهة ، لأن المصريين  
يقولون إن بلادهم هى مهد بنى الإنسان . على أننا نجد فى كتاباته روح  
« هيكاته الأبدى » و« هردوت » يضاف إلى ذلك أنه زار وادى النيل حوالى  
عام ٦٠ ق . م مما جعل مؤلفه ذا قيمة ؛ ويلاحظ فى كتاباته ميله إلى  
الأفكار الفلسفية والدينية . وقد جاء إلى مصر كثير من الجغرافيين الاغريق  
وبحثوا فى بلاد النيل فى عهد البطالسة ، ومن أهم هؤلاء « أرسطوسين السيرينى »  
الذى كان يعيش فى الاسكندرية « ٢٧٥ - ١٩٤ ق . م » .  
والظاهر أنه وصل إليه من محفوظات كهنة طيبة قائمة بأسماء ٣٨ ملكاً

من ملوكهم ترجها من المصرية القديمة إلى الإغريقية، وحفظها لنا جورج سنسل ، وهذه القائمة تشتمل على أسماء ملوك من الأسرة الأولى إلى الأسرة العشرين ، غير أن هذه القائمة لها ميزة خاصة ، إذ أنها تضيف إلى كل اسم علم جملة تدل على معناه .

وفي عام ٢٧ م زار « استرابون » مصر ووصل إلى الشلال الأول ، « استرابون » وقد وصف في الفصل السابع عشر من جغرافيته هذه الزيارة وصفاً متمعاً ؛ غير أن ما كتبه عن التاريخ لا يتخطى عصر البطالسة إلا نادراً . وكثيراً ما كان ينقل عن سبقه من المؤرخين وينسب لنفسه مشاهدة ذلك .

أما المؤرخ « بلوتارخ » (١٢٠م) فإنه كتب عن مصر كتاب « إزيس وأوزير » « بلوتارخ » وهو الكتاب الوحيد الذى وضع أمامنا بحثاً منظماً عن الديانة المصرية ، وبخاصة عن إزيس وأوزير ومعناها الحقيقى . والواقع أن معلوماته كانت مستقاة من مصادر جديرة بالاحترام ؛ إذ أنها تطابق فى معظم الأحوال ما دون على النقوش المصرية القديمة .

## الألقاب الرسمية للفرعون

منشأ الألقاب

كان من نتائج توحيد البلاد وجمع السلطان في يد حاكم واحد أن صار للملك مجموعة ألقاب وأسماء رسمية تطلق عليه بمجرد اعتلائه عرش الملك ، وقد اكتمل تكوين هذه الأسماء والألقاب في أواخر عهد الأسرة الرابعة ، وقد حفظتها التقاليد إلى عصر البطالسة والقيصرية الرومان ، وكانت هذه الألقاب لا تتجاوز الثلاثة في العهد الطيني ، أى في الأسرتين الأولىين وهذه هي الألقاب :

لقب حور

- ١ - لقب « حور » : ومعناه أن الملك بمجرد اعتلائه عرش الملك كان يلقب باسم « حور » أى أنه صورة حية من هذا الإله تمش على الأرض ، وهذا اللقب كان ينقش داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكي ، وعلى قمته صورة صقر وهو الطائر الذى يرمز به للإله « حور » . وفى خلال حكم الأسرتين الأولىين كنا نجد أحيانا الإله « ست » ، وهو الملك القديم للوجه القبلى يذكر بجانب « حور » . على أننا نجد بعض الملوك مثل ( مريابن ) ( ميبس ) اللقب الحورى أحد ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك « خمشموى » آخر ملوك الأسرة الثانية قد مثل كل منهما بصقرين أى أن أحدهما يمثل « حور » والثانى « ست » .
- ٢ - وهناك لقب آخر يمثل ( نسا ) و ( صلا ) كل منهما يرتكز على

لقب العقال والصل





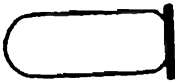
سلة رمزاً للملكية . وهذان الحيوانان هما رمزان لمبودى مدينة « نخب » فى الوجه القبلى و « بوتو » فى الوجه البحرى وقد أصبحا فيما بعد الإلهتين اللتين تعبدان فى عاصمتى الوجه لقب العمل والعقاب القبلى والبحرى « نخب ووازيت » ؛ ففسر الجنوب وصل الشمال هما السيدتان « نبتى » أى التاجان الأبيض والأحمر .

لقب النبات والنحلة

٣ - ويأتى بعد ذلك لقب الملك يثل بنبات ونحلة ويسميان « نيسوت - ييتى » أى صاحب النبات « سوت » ( نوع من السقى ربما كان البوص ) وصاحب النحلة ، ويدل ذلك على ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى . وهذا اللقب كان يطلق فيما بعد على الملك فى اليوم الذى يتوج فيه على مصر بصفته الاسم الرسمى . ونشاهد



أن ملوك طينة كانوا ينعنون باسم حور فقط وفى أحوال نادرة باسم ( ييتى ) أو باسم « نيسوت - ييتى » ، ويلاحظ أن الخرطوش الذى كان يكتب فى داخله اسم نيسوت ييتى كان لقب النحلة والنبات فى بادىء الأمر مستديراً ؛ غير أن هذه الدائرة التى ظهرت منذ الأسرة الأولى ، كان لا بد من تغييرها إلى شكل أسطوانى يكبر طوله كلما كثر عدد الإشارات التى يتكون منها اسم الملك فى داخلها .



خرطوش فارغ

وقد أخذ هذا الخرطوش شكله الذى نراه عليه فى عهد الملك « سفرو » هكذا .

لقب « حور القاهر »

٤ - وكذلك فى عهد الملك « سفرو » ظهر لقب جديد للملك ، وهو لقب ( حور القاهر ) « حور - نب » . وذلك إشارة إلى أن حور تغلب فى



شجاره المعروف على عدوه « ست » الذي كان يقطن بلدة امبوس وهي

بلدة البلاص الحالية . وقد وضع هذا اللقب بين الأسماء



الرسمية الملكية في المنزلة الثالثة، وبذلك جعل لقب « نيسوت

بيتي « في المنزل الرابعة .

هـ - وأخيراً في عهد حكم الملك « منكاورع » ، أى فى أواخر الأسرة

القب ابن الشمس

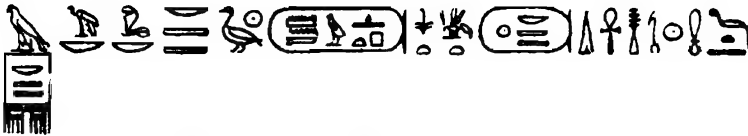
الرابعة . قدمت الألقاب الملكية الرسمية ، وبقيت كذلك إلى أواخر



« ابن الشمس » وكان يوضع في خرطوش مثل لقب

« نيسوت بيتي » وهذا اللقب كان يحمله الملك منذ ولادته، لقب ابن الشمس

وكان يلقب به وهو أمير كما كان يلقب به وهو ملك .




اسم الملك «منتو حتب» مكتوباً بجميع ألقابه الخمسة

## مقاطعات القطر المصرى

منذ أقدم العهود

فى عصور ما قبل التاريخ لم تدلنا الآثار دلالة واضحة على أن القطر المصرى كان مقسماً إلى قبائل متميز بعضها عن بعض ، ولكننا نشاهد من ناحية أخرى عند انبثاق فجر التاريخ وظهور الكتابة ما يدل على أن القطر المصرى كان مقسماً إلى مقاطعات معلمة ، وبقيت على حالتها الأولى لم يدخل عليها تغيير جوهرى منذ بدء نشأتها . اللهم إلا من العصور المتأخرة والعهد الاغريقى الرومانى فقد حدثت تغييرات محسوسة .

وكان المصريون يسمون المقاطعة فى لغتهم « سبات » وهذه اللفظة مشتقة من فعل « سب » أى يقسم . وهذا الاسم المصرى . يقابله لفظه « نوم » التى أطلقها اليونان على المقاطعة . ومن ذلك يتضح أن كلمة مقاطعة معناها فى الأصل « قسم » وهو فى الواقع إقليم من الأرض مستطيل الشكل ، ويعبر عنه فى اللغة المصرية بشكل مستطيل مقسم بخطوط مقاطعة تكون زوايا مستقيمة هكذا  .

وعما يدهش فى التاريخ المصرى أننا نرى نظام القبائل غير موجود عند انبثاق فجر التاريخ فى الوقت الذى يسود فيه نظام المقاطعات فى البلاد .

وهنا يجب أن نميز بين القبيلة والمقاطعة ، فالقبيلة مجموعة من الناس تربطهم صلة القرابة وتمجيد الجد الأسمى ، ثم السيد ، والرمز الدينى . وأفراد القبيلة قد يكونون من البدو الرحل أو من أهل الحضر وليس من الضرورى أن يكون

معنى كلمة (مقاطعة)  
فى الهيروغليفية

الفرق بين القبيلة  
والمقاطعة

ساكن الإقليم منتسباً إلى قبيلة ما فى نفس هذا الإقليم . أما المقاطعة  
فعلى العكس من ذلك مساحة معينة محدودة من الأرض ، وليست مجموعة  
من السكان ، وكثيرا ما يكون سكانها خليطا من الناس . ومنذ ظهر تقسيم  
البلاد المصرية إلى مقاطعات لم نجد فيها أثراً ظاهراً لنظام القبائل الذى كان  
بطبيعة الحال سائداً آنحاء القطر . ومنذ بداية التاريخ نجد أن كل طائفة من  
السكان كانت تجتمع على رقعة من البلاد لتستثمرها ؛ فكان لزاما أن يقسم  
الوادى إلى مناطق استغلال آلت فيما بعد إلى نظام المقاطعات . وقد أصبحت  
المقاطعة - أو بعبارة أخرى المكان المعين الذى يستقل - مقدمة عند السكان  
على أى اعتبار آخر من عصبية أو نسب أو غير ذلك ، ولا شك أن السبب  
فى تلاشى نظام القبائل فى البلاد يرجع إلى النزاع الذى كان قائماً بين الوجهين  
القبلى والبحرى ؛ وهو الذى نشأت من أجله حروب طاحنة اشتعلت ناراها مئات  
السنين وانهت أخيرا بتوحيد القطرين تحت سلطان ملك واحد ، وكان فى  
ذلك القضاء المبرم على نظام القبائل وتلاشيها ، وإن كان بعض آثارها  
الطفيفة لا يزال باقيا على نحو ما فى المقاطعات كما سنفسر ذلك فى حينه .  
وتحتوى كل مقاطعة على إقليم من الأرض له حاضرتة ، ولم تكن الحواضر  
وقتشذ تمتاز عن البوادى ، فلا تخرج عن كونها مكانا مخصبا يسكنه الفلاحون  
والرعاة والصيادون الذين يعيشون على ما تخرجه الأرض ، ويقضون سحابة  
يومهم فى الحقول ثم يعودون كل مساء إلى منازلهم ، كما يسكنها  
الصناع والتجار وأصحاب الحرف ، ورجال الإدارة والموظفون

تقسيم مصر  
إلى مقاطعات

والحكام على اختلاف أنواعهم .

وكانت المدينة « نوت » في عرفهم في ذلك الوقت تألف من مبان تقام عند ملتقى الطرق ، كما تشير إلى ذلك العلامة التي يرمز بها للمدينة في لغة القوم ، وتحوط بسياج مستدير وتتألف من عدة أكواخ من الطين واللبن ، يأوى إليها الحراثون والرعاة والمسافرون في المساء خوفا من مباغيات أهل البادية الرحل الذين احترقوا هذا العمل واتخذوه مهتهم طول حياتهم . وكانت تقام في المدينة مخازن عظيمة الحجم للفلال ، وأخرى تحفظ فيها الآلات الزراعية ، وحظائر للماشية ، ومصانع لأصحاب الحرف والصناعات وكذلك كانت تنى فيها حوانيت للتجارة حول ميدان عام لتكون بمثابة سوق يعرض فيه التجار مالهديهم من السلع والمحاصيل والمأكولات التي تنتجها الأرض .

وفي المدينة يشيد مبنى عظيم شامخ الجدران يشرف على ما حوله ، ذلك هو قصر الأله « حت نتر » وهو ما يسمى بالمعبد . وكان يقام قصر الأله « حت نتر » خاصة لأله المقاطعة ، ويشمل داخله الرحب المخازن المقدسة ومساكن رجال الدين . وهناك قصر آخر فسيح الأرجاء شامخ البناء بالنسبة لما حوله من بيوت عامة الشعب ، أقيم خاصة للفرعون أو لحاكم المقاطعة وذلك حسب المصور التاريخية . يضاف إلى هذا دور حكومة الفرعون ، أو حاكم المقاطعة الذي نصب للفصل في أمور الناس وللمراقبة الضرائب وشئون الزراعة ، ومخازن الحكومة وخزائنها ، والسجون وغير ذلك ؛ فكانت تقام في جهات

مختلفة في المدينة حسبما تقتضى به الحال .

كيف توضع حدود  
المدينة

وكان الفرعون أو الحاكم عند ما يريد تأسيس مدينة جديدة يفصلها عن جارتها ويضع لكل حدودها بإقامة لوحة ثابتة كالسما ، كما يعبر عن ذلك المصرى نفسه ، وكذلك يحدد مياه كل حسبما جاء فى كلامهم ، ويقسم المياه والحقول والغابات والرمال حتى حدود الصحراء وكلما ازداد عدد السكان فى هذا الأقليم وامتدت فيه الأراضى الزراعية كلما فكر العمال فى إقامة مدن صغيرة ثانوية أو قرى تقام فيها قصور وتنصب عليها حكام يدينون بالطاعة لحاكم المقاطعة . ومن مجموع هذه الأراضى والقرى والبلدان والعاصمة كانت تتألف المقاطعة

مساحة المقاطعة

ولم تكن مساحة المقاطعة فى الواقع كبيرة إذ كانت تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ميلا فى الطول أما عرضها ، فكان يتوقف على البقعة التى تقع فيها بالنسبة للوادى وخصبه ؛ فإذا كان ضيقاً فإن المقاطعة تمتد على كل شاطئ النيل من صحراء العرب إلى صحراء لوبيا ، أما إذا كان الوادى متسعاً فإن المقاطعة تنحصر فى شاطئ واحد ويكون آخر حدودها مجرى النهر نفسه . وكانت لذلك تحد بخط وهمى يمر وسط مجرى النيل .

قوائم أسماء المقاطعات

أما معلوماتنا عن أسماء المقاطعات فمستقاة من قوائم أسماء المقاطعات التى عثرنا عليها فى معابد البطالسة والرومان فى مصر ، وهذه بلا شك قد نقلت عن أصول قديمة . ومنها نعلم أن البلاد كانت مقسمة إلى مقاطعات محدودة لا تختلف كثيراً عن القوائم التى عثرنا عليها . ومن هذه القوائم والتفسيرات الملحق بها يمكننا أن نستخلص معلومات طريفة فى بابها عن النظم الإدارية

في المقاطعة، وعن الإقليم نفسه . فن الوجهة الإدارية نعرف (أولاً) الاسم الرسمي للمقاطعة (ثانياً) اسم العاصمة (ثالثاً) اسم الإله الذى يسكن معبد المقاطعة . ثم نقف بعد ذلك على معلومات عن معبدها الرئيسى ولقب الكاهن الأعظم ، والكهنة الآخرين ، واسم سفينة الإله ، واسم الشجرة المقدسة التى كانت تقدس فى المدينة ، وقائمة بأسماء الأعياد المحلية ، واسم كل ما حرم عليه ، ثم اسم الثعبان المقدس الخاص بكل مقاطعة .

أما عن طبيعة المقاطعة نفسها فنذكر لنا القوائم (أولاً) اسم القناة أو الترع التى تروى المقاطعة (ثانياً) الأقليم الذى يشتمل على (أ) المنطقة الزراعية «وو» وتتألف من حقول وكروم تزرع ، وهى أراض تروى ، بعضها مرتفع وبعضها منخفض ، حسب موقعها من النيل (ب) الأراضى الواقعة على حدود المقاطعة عند حافة الصحراء ، وتشتمل على مناطق للرعى ولصيد البر ولصيد الأسماك ، لأنها غالباً تكون مستنقعات . وهذه التقاسيم الرسمية تمكننا من فهم ما يعنى به المصرى من لفظة مقاطعة ؛ إذ هى فى الواقع منطقة تستغل زراعياً من جهة ، ومن جهة أخرى تصرف منها الأمور الإدارية حيث كانت السلطة التقليدية فى يد إله العاصمة ويحمل لقب (رب) «نب» المدينة ،

لقب «نب»

ويدير شئون حكومة هذا الإله الفرعون أو حاكم المقاطعة حسب الأحوال السياسية فى البلاد . والواقع أن السلطة كانت فى جوهرها دينية . وكان الإنسان فى هذه الحالة يمثل سلطة الإله . وقد يخيل للإنسان أن هذه الفكرة الخاصة بالادارة كانت وقتاً على العصر المتأخر . ولكن الحقيقة أنها

ترجع إلى عهد الفراعنة الأقدمين ؛ إذ دلتنا النقوش منذ عهد الأسر المنفية على أن استثمار الأراضي الزراعية كان بنفس الطريقة التي وجدناها في العصور المتأخرة . وكذلك الآلهة كان يطلق عليها ( أرباب ) المدن في النقوش العريقة في القدم . وعلى هذا يمكننا أن نقرر أن النظام الزراعى والدينى فى المقاطعات يرجع عهده إلى الأزمان المتوغلّة فى القدم ، وظل ثابتا فى مصر إلى نهاية العصر الرومانى .

الآلهة تسمى  
( أرباب ) المدن

## تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم

والآن بعد أن استعرضنا هذه التعاريف يمكننا الحكم بأن البلاد كانت فى بادىء الأمر مؤلفة من قبائل ثم مقاطعات ، وانمحت الأولى وبقيت الثانية ، فى العصور التاريخية ؛ وقبل أن نتكلم عن رموز المقاطعات وآلهتها ؛ رأينا أن نستعرض رأى الأستاذ « لوريه » فى أصل تقسيم البلاد المصرية إلى أربعة أقاليم معينة ، يعتقد أنها هى الأساس ، الذى تألفت منه البلاد منذ أقدم العهود . والواقع أن نظريته فى ظاهرها خلافة ويظهر فى عرضها أنها قد تكون صحيحة فى مجملها إذ يرى أنه أتت قبائل وشعوب من بلاد لوبيا ، ومن آسيا الصغرى ، ومن جنوب مصر ، واختلط بعضهم ببعض وتصاربوا وأخذت الواحدة منهم تحل مكان الأخرى ثم تحالفوا فيما بينهم ، وانتهى الأمر بأن تألفت منهم أربع طوائف عظيمة - ( النحلة ) ، و ( البوصة )


رأى الأستاذ  
« لوريه »



النحلة والبوصة

و(الثعبان) ، و(النسر) ، ثم تألفت من النحلة والبوصة مملكة ، ومن الثعبان والنسر مملكة أخرى . وفيما بعد وفد على البلاد قوم من آسيا من طريق بلاد العرب والصومال ، ونزلوا نحو الشمال وتوغلوا في البلاد حتى الوجه القبلى ، وهذا الجنس الجديد ذو المواهب العظيمة ؛ تأصل في البلاد ، وكَوْن مملكة ثالثة ، مملكة (الصقر) ؛ وبعد قرون عدة اقتضت في حروب ومخالفات متتالية ، بين تلك الممالك الثلاثة ؛ تغلبت في النهاية مملكة (الصقر) . ومن ذلك المهد أصبحت تلك الممالك الثلاثة ، موحدة تحت سلطان صولجان واحد . وقد أصبحت المملكة الفرعونية ، منظمة تحت سلطان ملك واحد وهو « بر إيسن » آخر ملوك الأسرة الثانية .

الملك « بر إيسن »

وهذه الحقائق مستقاة ، من دراسات دقيقة للآثار العتيقة ، ومن العناصر المختلفة التى تتألف منها ألقاب الفراعنة . التى منها لقب « حور » ، « ونبتى » « ونسوت يتى » ، ويعتقد الأستاذ « لوريه » أنها شارات رمزية يقصد منها أولا طوائف القبائل الأولية ؛ وفيما بعد رؤساء هذه الطوائف .

النحلة  ، وهى حسب رأى لوريه رمز السبب للوجه البحرى ، وهى الرمز الهام للقبائل الذين يسكنون الدلتا ، وهذا هو السبب الذى من أجله قد اتخذت هذه الحشرة لتدل على كل إقليم الوجه البحرى .





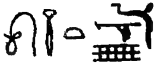

وبيت النحلة  هو المعبد الرئيسى لمدينة « سايس » ، ويذكرنا اسمه بالدور الذى لعبته شارة  النحلة في عاصمة مملكة الدلتا .

البوصة وهى حسب رأى « لوريه » ، الشارة التى تدل على طائفة

ألقاب « حور »  
« نبتى »

مدينة « سايس »



من القبائل تسكن مصر الوسطى ؛ ويقصد بذلك الوادى من بداية بحر يوسف إلى بداية فرعى الدلتا ، وعاصمة هذا الأقليم «هراكليوبوليس» (إهناس المدينة) «هراكليوبوليس» ويكتب اسمها  على حجر ( بلرم ) ، ومعناه أطفال البوصة ؛ يضاف إلى ذلك أن الإله المحلى « حرشف » لقبه الرئيسى  ومعناه بوصة الأرضين ، وكأهنة الأكبر يسمى البوصة  أما الثعبان الرمرى  فهو ليس «وزيت» بلدة «. بوتو » ولا يدل كما هو المشاع على الوجه البحرى ؛ بل هو « وزيت » ثعبان المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى « افروديتوبوليس » وعاصمتها « افروديتوبوليس » ، وهى اليوم ( كوم أشقاو ) .  وأخيرا النسر  « نخبيت » ، ويدل على الرمز أولا ؛ ثم على الإلهة لبلدة ( الكاب ) الحالية . وعلى ذلك يظهر حسب رأى « لوريه » ، أن النسر والثعبان لعبا دورا بالنسبة للملك ( الكاب ) و « افروديتوبوليس » ، كما لعب الصقر « حور » بالنسبة للملك الحوريين ؛ أو بعبارة أخرى ، أن شكل رمز القبيلة ، قد استعمل فى الحالات الثلاث ليدل على رئيس القبيلة نفسها ؛ فكما يقرن لقب « نسوت يتي » ( ملك الوجه القبلى والبحرى ) بلقب « نوبتى » فإنه يستعمل ، كما يدل الأخير للدلالة على السيطرة على طائفتين ، وهما فى الواقع « هبتانوميا » أى ( مصر الوسطى ) والدلتا . ويجب أن نلاحظ هنا كذلك فى ترتيب الألقاب الملكية . أن الممالك القديمة ، كانت مؤلفة من مجموعتين ؛ انسر والثعبان من جهة ، والبوصة والنحلة من جهة أخرى . أى أنها كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا ، مبتدئة من الجنوب إلى

« هبتانوميا »  
( مصر الوسطى )  
و الدلتا

الألقاب الملكية  
مرتبة ترتيباً جغرافياً

الشمال ؛ ومن المحتمل جدا أن فتح البلاد قد تم على هذا الترتيب . أى أن النسر انتصر على الثعبان ، والبوصة انتصرت على النحلة . أما اللقب « حور » الذى يأتى على رأس كل هذه الألقاب ؛ فيدل على أن حور ، أو بعبارة أدق القبيلة الحورية ؛ قد انتصرت على أعدائها ؛ بأن بدأت من الجنوب حتى الشمال . وهذه هى النظرية التى اتبعت فى العهد المتأخر فى أسطورة « حور » ؛ على معبد أدفو . على أننا نجد آثار تقسيم البلاد إلى ثلاثة أقسام . النسر ، والثعبان ، والبوصة ، فى تقسيم الوجه القبلى إلى ثلاثة أقاليم وهى الأقليم الطبى الأعلى ، والأقليم الطبى الأسفل . ثم إقليم « هبتا نوما » . وفى الواقع نرى أن الوزير « رخمراع » فى عهد « تحتمس الثالث » كان يمتد نفوذه على الوجه القبلى الأعلى . مبتدئاً من الشلال إلى نهاية أسبوط . ولكن ذلك كان مقسماً إلى قسمين . واحد منها جنوبى فقط ، والثانى شمالها .

وفى العهد العربى كانت مصر العليا مقسمة إلى ثلاثة أقاليم ؛ كان الجنوبى منها يمتد من أسوان إلى قفط . وبالاختصار كانت مصر العليا منذ الأسر الأولى ؛ تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية .

(١) إقليم النسر : ويبتدى من الحدود إلى قفط ؛ وعاصمته « أليتا » إقليم النسر وعاصمته « أليتا » (الكاب الحالية )

(٢) إقليم الثعبان : من قفط إلى أسبوط ؛ وعاصمته « أفروديتو بوليس » إقليم الثعبان وعاصمته « أفروديتو بوليس » (كوم إشقوا).

قليم البوصة وعاصمته « هراكليوبوليس » (٣) إقليم البوصة : من أسبوط إلى بداية تفرع الدلتا ، وعاصمته « هراكليوبوليس » .

« نى عنخ يبي » ومن ذلك يتضح أن تسع المقاطعات التى ذكرت فى نقوش « نى عنخ يبي » مدير الرسائل فى عهد أحد ملوك الأسرة السادسة ، تنطبق تمام الانطباق على قسم البوصة ( مصر الوسطى ) . وإنه لمن المدهش أن نجد مذكورا فى الأسرة السادسة (١) أحد الأقسام الأربعة ، التى كانت تنقسم إليها البلاد منذ القدم ؛ والظاهر أن هذا التقسيم لم ينسه المصريون طوال تاريخهم حتى فى عصرنا هذا .

## رموز المقاطعات وأسمائها

وأول قائمة وصلت إلينا بأسماء مقاطعات من العصور القديمة يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة حوالى ٢٤٠٠ ق . م . وذلك نقلا عن مرسوم ملكى أصدره أحد فراعة الأسرة الثامنة إلى وزيره ؛ وقد قرر فيه أن يتولى إدارة الاثنين والعشرين مقاطعة التى كان يتألف منها الوجه القبلى وقد ذكر أسماء هذه المقاطعات حسب ترتيبها الجغرافى الذى نعرفه فيما بعد . يضاف إلى ذلك أننا وجدنا على جدران أهرام الأسرة السادسة ، وعلى جدران بعض مقابر العهد المتنى أسماء بعض مقاطعات متفرقة . أما مقاطعات الوجه البحرى فليست لدينا قوائم رسمية بأسمائها ولكننا نجد بعض الأسماء مذكورة

---

(1) Alexandre Varille, memoire De L'instit. Français Tome LXX  
(La Tombe De «Ni - Ankh - Pepi» à zaouyet El Mayetin P 35 - 38 )

على الجدران الداخلية لأهرام سقارة أو على جدران مقابر العصر قسه .  
وأقدم المصادر التي استقينا منها أسماء مقاطعات ينسب إلى العهد  
الطيني . ومن المحتمل أن الوجه القبلي والوجه البحري كانا قد قسما إلى  
مقاطعات منذ أكثر من ٣٢٠٠ ق م . وكان عدد المقاطعات في كل  
منها متقاربا ، فكان الوجه القبلي يتألف من اثنين وعشرين مقاطعة والوجه  
البحري من عشرين مقاطعة . وفي كل هذه المتون كانت تعرف المقاطعة  
وتكتب بإشارتها أو رمزها الخاص . وكان هذا الرمز حيوانا أو شجرة أو  
شيئا موضوعا على حامل مثبت على الإشارة التي تدل على معنى كلمة مقاطعة .

وكان كل من هذه الأشكال الرمزية يطلق اسمه على المقاطعة التي  
يسيطر عليها . وهذه الرموز كانت في الواقع تدل على آلهة المقاطعات ،  
وقد استمرت حتى اقراض المدينة الفرعونية . وبعض هذه الأشكال استعملت  
رموزا مرفوعة فوق القبائل التي كانت قبل التاريخ كأنها أعلام خفاقة . على  
أن كل هذه الرموز لم تبق بعد في أماكنها الأصلية ، فنلا نجد أن قرص  
الشمس ، والوجه الأنثى ، والعقرب والفيل وبعض نباتات قد اختفت  
من المقاطعات التي كانت رمزا لها . ونجد من جهة أخرى ، في الوجه القبلي  
صقرا يظهر رمزا لمقاطعة غير مقاطعته ورأس الثور وهي أصل الصاجات  
المصنوعة على شكل رأس بقرة موجودة في المقاطعة السابعة ، والصاعقة  
ترمز للمقاطعة التاسعة ، والصقر المحلق يرمز للمقاطعة الثامنة عشرة . وقد عثر  
على بعض فخار العصر « النيوليتي » قد رسم عليه بعض أشجار ترمز لبعض

أقدم المصادر لأسماء  
المقاطعات

الأشكال الرمزية  
تدل على آلهة  
المقاطعات

القبائل فيحتمل مثلا أن شجرة ( البطم ) التى على هذا الفخار ترمز للمقاطعة الثالثة عشرة وشجرة النخيل قد تكون رمزاً للمقاطعة العشرين .  
أما فى الوجه البحرى فنجد الصقر يظهر كشارة للمقاطعة الثالثة . والسهمين المثبتين على جلد حيوان فى هيئة صليب يرمزان للمقاطعة الرابعة . وقد حفظ الخطاف فى المقاطعة السابعة رمزا لها . والجبل ذات القمم الثلاثة رمزا للمقاطعة السادسة . ولا يمكننا تفسير هذه الرموز إلا بأنها شارات ترمز لقبائل جائلة ثم أصبحت فيما بعد رموز المقاطعات عندما استقر بها المقام .

ولا يبعد أن يكون ملوك الأسرة الأولى الطينية قد أحضروا معهم عند غزوهم للقطر بعض قبائل جديدة كل منها تحمل رمزها الخاص بها ،  
فمثلا الحيوان الدال على الآله « ست » والنسب ، والطائر « إيس » ،  
صقر الشرق ، وسيكة ، وهى رمز الشرق ، وقطعة لحم ، كل هذه قد أصبحت رموزا أو آلهة لمقاطعات ، ومن ذلك نعلم أن عددا محددا من هذه الرموز التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ ، أو إلى عصر المملكة الطينية قد بقى إلى ما بعد هذه العهود ، حينما استقر المقام بالقبائل وأصبحت متوطنة فى الحدود الإقليمية والإدارية . ورغم أن الوثائق التاريخية لا تزال تعوزنا من هذه الناحية ، فإنه فى استطاعتنا أن نصرح بأن نصف مجموع مقاطعات القطر عامة قد اشتقت أشكال رموزها وآلهتها من القبائل القديمة التى كانت تسكن وادى النيل الخصيب . ومن المحتمل أن رموزا أخرى يرجع أصلها إلى قبائل عاشت فى عصر ما قبل التاريخ ، وبخاصة فى

بقاء الرموز إلى العهد التاريخى

الأحوال التي لا يمكن إرجاعها إلى اشتقاق تاريخي .

آلهة من العصر  
التاريخي

ومن جهة أخرى توجد آلهة في كل عاصمة من المقاطعات ، يرجع  
عهدا إلى العصور التاريخية ، ولكن بعضها لا يظهر إلا في عاصمة مقاطعة  
واحدة ، وبعضها مثل الإله « حور » والإلهة « حتحور » ، والإله « خنوم » ،  
والآله « أوزير » والآله « تحوت » يظهر في عدة عواصم بعد فيها .  
والآن نتساءل ما العلاقة التي تربط آلهة العواصم برموز المقاطعات ؟  
والأجابة على ذلك تنحصر في أمرين .

الأمر الأول : أننا نجد إله العاصمة يمتزج برمز المقاطعة ، أو تكون  
له علاقة ما به لا قبل الجدل ؛ فمثلا في المقاطعة الثانية من الوجه القبلي  
نلاحظ أن الصقر يحكم الأقليم بصفته الإله « حور » ، وفي الوقت نفسه نجد  
معنى رمز المقاطعة ( عرش حور ) والآلهة « حتحور » تسيطر على المقاطعة  
السابعة ورمزها رأس البقرة . والإله « مين » يقطن المقاطعة التاسعة ، وبينما  
تدل الساعة على هذا الإله فإنه يرمز بها في نفس الوقت للمقاطعة .

العلاقة بين آلهة  
العواصم ورموز  
المقاطعات

وفي المقاطعة السابعة عشرة نجد ( ابن آوى ) يرمز به في آن واحد للإله  
« أنوب » وللعاصمة أيضا . وفي الوجه البحري نشاهد أن السهين المقاطعتين  
يرمزان للآلهة « نيت » في ( سايس ) بلدتها ويستعملان كذلك رمزا  
للمقاطعتين الرابعة والخامسة . والظاهر « إيس » الآلهة « تحوت » إله المقاطعة  
الخامسة عشرة ورمزها في نفس الوقت . ففي كل هذه الأحوال نشاهد  
أن رمز المقاطعة قد بقي لنا منذ الأزمان التي قبل التاريخ أو العصر الطيني .

وقد حفظ لنا نظام مدن المقاطعات فى الأماكن التى سردناها الإله الذى  
 اتخذته الجماعة الأكثر قدما ؛ أما رمز القبيلة فى رمز إله المدينة ،  
 وقد أخذ الرمز فى وظيفته الجديدة يظهر فى هيئة آدمية ، فكان المعبود فى  
 العادة يأخذ شكلا آدميا ، وهذا المظهر الجديد يمكن رؤيته بشكل مادى  
 على بعض الآثار الطينية فنشاهد الحيوان الذى يمثل الإله « ست » والذى منح  
 اسم « عش » وقد تحول إلى رجل برأس حيوان يشبه الكلب السلوقى (١) ، ونرى الحية .  
 « وزيت » قد صارت صلا برأس إنسان ، وفى ذلك ما يشير إلى أصل هذه  
 الأشكال غير الطبيعية التى تمثل لنا الإله فى شكل إنسانى مستخلص من الحيوان  
 القديم الذى كان يعد رمزا للمقاطعة . ولكن هذا الحيوان  
 يكون جزءا من الإله ، أى أن هذا الإله يمثل : إما بجسم إنسان ورأس حيوان  
 أو بالعكس ، وقد بقيت أشكال هذه الآلهة تمثل بهذا الوضع حتى انقرضت  
 الديانة المصرية القديمة من البلاد جملة (١) . فثلاثا نجد ( الصقر ) مع أنه يمثل وحده  
 الإله « حور » للمقاطعة الثانية ، فإنه غالبا يمثل على شكل إنسان برأس  
 صقر . ولكنه فى رمز المقاطعة بقى صقرا فحسب . وكذلك الطائر « إيس »  
 تحوت إله المقاطعة الخامسة عشرة فإنه يرسم على شكل إنسان برأس الطائر  
 إيس ، وعندما يراد به رمز المقاطعة لا يرسم إلا « إيس » فقط . ونجد  
 فى المقاطعة الخامسة الإله « نيت » وترسم على شكل امرأة إلهة قابضة  
 فى يدها على سهمين فى هيئة الصليب وهما الرمز القديم للمقاطعة . والأولى  
 أن نفرض أن هذه الحيوانات وهذه الأشياء قد فقدت مدلولاتها الأصلية

رمز القبيلة صار  
 إله المدينة

تصوير الإله

(١) لا نزاع فى أن تمثيل الإله بهذا الشكل من اختراع الكهنة حتى يسهل على الآلهة أن يتسلم من الملك  
 الغرايين أو يسلم عليه . أى أن هذا الشكل للإله قد اخترع للتقريب بين الإنسان ومعبوده بطريقة عملية

في أعين عامة الشعب ولذلك نرى من الصعب جدا أن يتصور دهما الناس أن الصقر أو الطائر « إيس » الذي يرمز به لهذه المقاطعة أو تلك هو جد القبيلة أو سيدها ، أو رمزها ، ولكنهم في الوقت عينه لا يمكنهم أن يعتبروه رمزا معنويا ، بل يعدونه الصورة الحية على الأرض للإله أى الحيوان الذى تقمص فيه الإله كذا . وكذلك السهمان المتقاطعان فإنهما يمثلان معبودا ، أو صورة ظاهرة تقمص فيها الإلهة أو شكل آخر ماضى . ومنذ عهد الأسرة الثانية الطينية حوالى ( ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق م ) نرى الأشكال الإلهية المركبة ( رأس حيوان وجسم إنسان أو بالعكس ) تفسر لنا مجلاء ووضوح انتقال الرمز إلى إله بعد . ولا يبعد أن يكون هذا التحول نتيجة تغير القبيلة إلى مقاطعة . وكذلك للسبب الذى ذكرناه آنفا . الأمر الثانى : نشاهد إله العاصمة متميزا عن رمز المقاطعة .

الحيوان هو الصورة  
الحية للإله على  
الأرض .

كيفية انتقال الرمز  
إلى إله

وقد ذكرنا فيما سلف أن بعض الرموز سواء أكانت من عصر ما قبل التاريخ أم من العهد الطينى ، لا توجد فى المقاطعات ، ومن جهة أخرى نرى هنا متناقضات صارخة ، فمثلا فى الوجه القبلى نشاهد أن الصقرين ( رمز المقاطعة الخامسة ) هما للإله « مين » الذى لا يمثل بطائر بل يمثل بإنسان ويرمز له برسم صاعقة ، وكذلك المقاطعة السادسة ويرمز لها بالتمساح فإنها مقاطعة الإلهة « حتحور » ( البقرة ) ثم المقاطعة الخامسة عشرة ويرمز لها بالأرنب البرى مع أنها مقاطعة « إيس » الإله « تحوت » ، وكذلك نلاحظ أن المقاطعتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة يرمز لها بشجرة « البطم »



على أن إله أولاهما هو الذئب « وبوات » وإلهة الثانية البقرة « حتحور »  
أما المقاطعتان العشرون والحادية والعشرون فيرمز لكل منهما بالنخلة مع أن  
إله الأولى الكبش « حرشف » وإله الثانية الإله « حور » والكبش « خنوم »  
وظاهر جدا من كل هذه الأمثلة أنه ليس هناك ارتباط بين رمز المقاطعة  
وإلهها وبمعنى أوضح « الرمز لا يدل على الشكل الظاهر للمعبود » ، يضاف  
إلى ذلك أن كلا من الرمز والإله يكتب بشكل مخالف للآخر . وهذا  
التضارب الصارخ فجده بين رموز المقاطعات وبين الإلهة في الوجه البحرى  
أيضا ، وعلى هذه الحال نشاهد فيما يقرب من نصف مقاطعات القطر ، إلهين  
في مقاطعة واحدة أقدمهما يحتمل أن يكون الرمز القديم المحلى وقد فقد  
مكانته ، ولكنه رغم ذلك بقى رمزا للمقاطعة تقديرا له واحتراما لمكانته وأصبح  
يقدس كأنه حيوان إلهى أو صنم وقد استمر تقديسه من قبل التقليد  
والتمسك بأهداب القديم . أما الإله الجديد الذى كان رب العاصمة وسيدها  
فإنه يظهر على شكل حيوان أو صنم على شكله البشرى . وهذان الصنفان  
من الآلهة يعيشان على وئام جنبا لجنب رغم أن كل منهما بقى منعزلا عن  
صاحبه ومميزاً عنه تمام التميز . ومتون الاهرام تفصل بجلاء بين كل آلهة  
المقاطعات وكل آلهة المدن .

الرمز لا يدل على  
الشكل الظاهر  
للمعبود

والواقع أنه عند ما يختلف إله المقاطعة عن إله العاصمة فإن ذلك فى  
غالب الأحيان يكون نتيجة تخلى جد أو إله مهزوم عن سيادة الأقليم  
الفعلى لخلف له ، أو أن الإله الجديد جاء إثر حدوث انقلاب اجتماعى أو

سياسى ، فحل محل إله العاصمة ، ولكن ذلك فى الوقت نفسه لم يقض على عبادة الأخير جملة .

وهذه السيادة التى يتمتع بها إله العاصمة على المقاطعة قد توطدت باسم العاصمة . وتفسير ذلك أن كل مدينة عظيمة كان لها اسم متداول لم يكن مدلوله محدوداً بشكل قاطع ، على الأقل لنا ، والأمثلة على ذلك لا تعوزنا مثال ذلك : طينة ؛ و«زبتى» ؛ وساشتب ( شطب الحالية ) واسيوط الخ . وإن كان بعض العلماء قد وضع لها تفسيراً على وجه التقريب ؛ وهذه الأسماء قد حلت محلها سلسلة أسماء مقدسة وذلك بعد أن استقر فى كل مدينة آلهة تاريخية . فكانت العاصمة تسمى ( البيت ) « بر » أو القصر « حت » أو المدينة « نوت » أو الهيكل « زبات » أو المحراب « سخم » أو العمود « إيون » أو الصولجان « واست » للإله كذا . وبخاصة نجد أن اسم المعبد الكبير للمدينة يتغلب ويطلق على المدينة كلها فيصبح علماً عليها . على أن العواصم فى القطر تمت ( بيت ) الإله كذا ؛ مثال ذلك : « بوزريس » معناها « بيت أوزير » ( أبوصير الحالية ) وبواسطه ( تل بسطه الحالى ) معناها بيت الإله « باست » القطة الخ . وهذه الأسماء المقدسة أخذت تطلق شيئاً فشيئاً على الأسماء الأخرى ، وكذلك أسماء المقاطعات ولذلك نرى فى عصور مختلفة أن القوم يسمون المقاطعة كلها باسم عاصمتها أى باسم المعبد ، وهذه الطريقة أصبحت شائعة الاستعمال بعد احتلال الإغريق لمصر ، ولا يبعد أن يكون القوم الفاتحون من الإغريق قد

عاصمة المقاطعة  
تسمى ( بيت الآله )

المقاطعة كانت تسمى  
باسم العاصمة أى  
باسم المعبد

اتخذوا هذه الطريقة قلا عن قلم من المصريين ، أى أن هذه الطريقة كانت قد أدخلت فى التقاليد الإدارية فتطلق على الأقاليم أسماء الحواضر بصفتها ممتلكات للآلهة المصرية ، وقد بحث الإغريق عما يقابل هذه الأسماء فى علم الخرافات الإغريقية وأطلقوها على أسماء المقاطعات : فمثلا المقاطعة الثانية للإله « حور » أطلق عليها : صاحب مدينة « أبولون » ( الأبولونيتى ) . وكذلك سميت المقاطعات « ديوسبوليت » ، و « أفرديتوبوليت » ، و « هرموبوليت » نسبة إلى مدينة الإله « زيوس » ( آمون طية ) والآلهة « أفرديتى » ( حتحور دندره ) و « هرمس » ( تحوت فى الأشمونين ) وهكذا كان آخر حد فى الطغيان الديوى لآلهة المدن على معبودات المقاطعات .

تفسير أسماء المقاطعات  
المصرية بأسماء  
يونانية

وتوجد مدن قد نشأت على أرض بكر ، خلفها تقهر النيل ولم تكن قد استعمرت بقبيلة قديمة ، أو لم يقطنها ( أتباع ) الإله فمثلا نجد عند بداية الدلتا أرضا كانت مغمورة فى الأزمان السالفة بياه النيل ولكن استردت من النهر بإقامة سد ضخيم ، فعلى هذه البقعة يقال إن « مينا » أسس المدينة المسماة ( الجدار الأبيض ) « انب - حز » وهى التى أصبحت فيما بعد « منف » أو « من - نفر » ، قد أطلق على الإقليم المجاور اسم المدينة ودون مثل ( الجدار الأبيض ) على رأس مقاطعات الوجه البحرى .

« مينا » أسس  
الجدار الأبيض  
فيما بعد

على أن الإله « فتاح » الذى كان يسيطر على مقربة من هذه المدينة لم يطلق اسمه لا على المدينة ولا على المقاطعة بل على العكس عندما

الآله « فتاح »

انضم هذا الإله إلى منف وصار يعبد فيها أصبح يوصف هكذا  
« فتاح في جنوب جداره » أى الإله « فتاح » الذى يوجد معبده  
خارج جدران المدينة « منف ».

« فتاح » وى معبده  
خارج مدينة «منف»

والظاهر أن الحال كانت كذلك بالنسبة للمقاطعة الرابعة فى الوجه القبلى .  
وذلك أن مدينة ( الصولجان ) ، « واست » ( وهى طيبة فيما بعد )  
قد أطلقت اسمها على مقاطعتها ثم إلهها « متو » ( إله الحرب ) على مدينة  
مجاورة وهى « هرمنتس » ( بيت الإله متو ) أرمنت الحالية .

وفى أحوال أخرى تكون المقاطعة قد وجدت لأسباب إدارية ،  
ولكن كان من الواجب على الإنسان فى هذه الحالة أن يحسب حساب  
التقاليد الدينية التى كانت مرعية فى البلاد منذ الأجيال المتعاقبة : فمثلا  
تدل الظواهر على أن المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى لم تكن  
فى حيز الوجود قبل الأسرات المنفية فلما أنشئت هذه المقاطعة لأسباب  
إدارية محضة أطلق عليها اسم « تاست » أى أرض الإلهة « ست »  
وذلك على الرغم من أن مركز هذه الإلهة الأصلى كان فى جزيرة ( سهيل )  
الواقعة فى جنوب المقاطعة . والخلاصة أنه كان لابد من نسبة المقاطعة الجديدة  
إلى معبود ما بآى شكل كان محافظة على التقاليد . أما عاصمة هذه المقاطعة  
فكانت فى « آبو » أى مدينة الفيل ( الفنتين الإغريق ) وربما قد حفظ  
فى ثنايا هذا الاسم ذكرى قبيلة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ  
وهى التى نعرف رمزها الحيوانى ( الفيل ) أما الإله الذى أدخل فى

إنشاء المقاطعة  
لأسباب إدارية

« أبو » فكان الكبش « خنوم » الذى اتخذ « ساتيت » فى جزيرة  
سهيل إلهة خلية . وهذا الترتيب الذى نشاهده فى المقاطعة الأولى نفهم  
من تغييراته ثلاثة عناصر مميزة ويحتمل أن تكون ثلاث مراحل فى تكوين  
المقاطعة وتاريخها كما ذكرنا .

أطوار تكوين  
المقاطعة

## آلهة المقاطعات

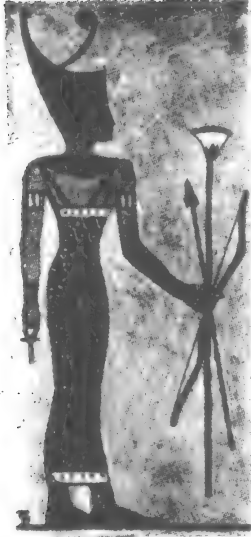
تكلمنا في الفصل السابق عن أصل منشأ المقاطعات وكيفية تدرجها ورقبها من الوجهة الإدارية ، وكذلك تكلمنا عن أصل العبادات فيها وهباتها في كل مقاطعة . والآن سنتحدث عن آلهة هذه المقاطعات وعن الأسباب التي أدت إلى تقديس هذه المعبودات على اختلاف أنواعها بقدر ما تسمح به الأحوال .

وسنبداً بآلهة الوجه البحرى متبعين مواقع نفوذ كل إله أو إلهة حسب طبيعة الإقليم الذى نشأت فيه تلك العبادات . والحقيقة التي لا مراء فيها أن الفكرة الدينية الأساسية كانت واحدة في كل أنحاء القطر ، ولكن الخلاف في كيفية عبادة كل إله في كل مقاطعة ، ولذلك لا نكون مغالين إذا قلنا إنه يوجد في مصر على وجه عام ديانات بقدر عدد المقاطعات .

الفكرة الدينية  
واحتمل كل المقاطعات

تقسم مصر إلى  
مقاطعات

ويجب أن نقرر هنا بادئ الأمر أنه يكاد يكون من ضرور المستحيل أن يكون اعترافنا بتقسيم الوجه القبلى إلى ٢٢ مقاطعة والوجه البحرى إلى ٢٠ مقاطعة ، كما وصل إلينا من التوائم القديمة المختلفة ، دالاً على أنه كان في مصر في تلك العصور ٤٢ حكومة مستقلة ؛ بل الواقع أن كثيراً من هذه المقاطعات قد نشأ لأسباب إدارية ، هذا إلى أن حدود هذه المقاطعات كانت تتغير حسب العصور ، ولا يمكننا الآن أن نبحث في أصل كل مقاطعة وكيفية نشأتها ، والوثائق لا تعوزنا لهذه البحوث في الوجه القبلى ، ولكنها قليلة هزيلة وغامضة أحياناً بالنسبة للوجه البحرى ، ولذلك سنقتصر في بحثنا في ديانة مقاطعات الوجه البحرى على ما تسمح به الوثائق التي بين أيدينا .



الآلهة «نيت» سيدة «سايس»

وأهم المعبودات التي ذاعت عبادتها في غربى  
الدلتا الإلهة « نيت » إذ كانت تقدر فى المقاطعتين  
الرابعة والخامسة وكان مقر عبادتها ببلدة « سايس »  
صالحجر الحالية وهى عاصمة المقاطعة الخامسة . وقد  
انتشرت عبادة « نيت » فى كل البلاد المصرية  
منذ بداية الأسرة الأولى . وكانت الإلهات فى  
ذلك الوقت لهن الحق فى وراثة الملك كما كان  
للرأة فى الشرائع الدنيوية . وقد جاء فى النصوص  
القديمة عن هذه الإلهة ما يأتى :

عبادة الآلهة « نيت »  
فى المقاطعة الرابعة  
والخامسة

( « نيت » الأم العظيمة للإله « رع » وقد ولدت فى الأول ، فى  
الوقت الذى لم يكن قد ولد فيه أحد ) . وقد أصبحت فيما بعد على رأس الثالث  
الذى كان يتألف من « أوزير » الزوج فى مندس ( تل الربع ) ، ومن ابنيها  
« أرى - حس - نفر » الذى كان يمثل على شكل أسد وديع . وقد قامت بأدوار  
أخرى سنتكلم عنها فى حينها . وفى شمالى هاتين المقاطعتين توجد مقاطعة الخطاف (١)

(١) وهناك (بوتو) أخرى ( فى الجهة الشرقية ) من الدلتا موقعها الحالى (تل نبيشة) القريبة من  
الطنطرة وجنوبى تانيس ( وهى عاصمة مقاطعة الخطاف الشرقية التاسعة عشرة ) حسب رأى الاستاذ  
« زينه » على أن هناك بعض المؤرخين يجمع مقاطعة الخطاف الشرقية هى هرونبولس  
وعاصمتها بتوم (تل المسخوطة الحالى) ومقاطعة الخطاف الغربية هى ميتليس . ولكن يرجح رأى الاستاذ  
« زينه » وقد دلت الكشوف الحديثة على أن مقاطعة هرونبولس لا بد أن يكون موقعها بجوار  
منطقة أبوالهول الحالية إذ كان يبعد فيها الآله ( حورون ) الذى كان يمثل أبأ الهول فى عهد الدولة  
الحديثة وهو إله فلسطينى على شكل سقر . وقد اختلط بأبأ الهول لانه كان يمثل فى عهد الأسرة  
الثامنة عشرة وما بعدها بالآله ( حورأختى ) أو ( حرمخيس ) وهو الاسم الذى عرف به أبأ الهول  
وتوارثه القوم حتى العصر الإغريقى فى مصر . وقد عثر على اسم مدينة «حورن» فى منطقة أبأ الهول .

الغرية ( المقاطعة السادسة <sup>(١)</sup> ) وتُسل بحيرة البرلس، وسكانها يمتنون  
صيد الأسماك وعاصمتها بوتو « بر - وزيت » ( إبطو الحالية ) . وموقعها  
الحالي تل الفراعين ، حيث كانت تعبد إلهة تتقمص ثعباناً ساماً يطلق عليه اسم  
« وزيت » . وفي الجهة الغربية نجد المقاطعة السادسة عشرة وعاصمتها بلدة « منديس »  
( تل الربع ) وكانت تسمى بالمصرية « بر - با - نب - زد » . أى بيت روح  
سيد « زد » . وهى مقر عبادة إله على شكل تيس يعبد باسم « خنوم » ( غنم )  
ثم جاء فى العصور المصرية فيما بعد أن الإله « أوزير » كان يتقمص هذا  
التيس ، ومن ثم أصبح يطلق عليه روح سيد « زد » ، وكذلك يقال إن مومياه  
كانت مدفونة فى هذه البلدة . ومما يلاحظ أن هذا الإله لم يصور قط على شكل  
أدمى بل بجسم بشرى ورأس تيس ، وربما كان ذلك دليلاً على أن عباده  
لم يمكنهم أن يتخلصوا من الفكرة الأولى التى عبدوا بتمتصاها هذا الإله .  
ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه المقاطعة أنه كان يرمز لها باسم إلهة على  
شكل سمكة الدرفيل « حات - محيت » ، وتهدس هذه السمكة فى تلك الجهة  
دليل على أنها كانت تدرج فى النيل إلى هذه النقطة ، أى أن الماء المالح الذى  
تعيش فيه هذه السمكة كان يصل إلى هذه الجهة وتوجد فى دمياط إلى  
يومنا هذا ؛ وجنوب هذه المقاطعة نجد بلدة « زدو » ( أبوصير ) وهى عاصمة  
المقاطعة التاسعة وهى مسقط رأس إله النباتات العظيم « أوزير » الذى حل محل  
إله قديم يدعى « عنزى » ، كما تنبأ متون الاهرام . والإله « أوزير » هذا هو

عبادة « خنوم »  
( التيس ) فى المقاطعة  
السادسة عشرة

سمكة الدرفيل  
كانت تأتى فى النيل  
حتى تل الربع

أبوصير موطن عبادة  
« أوزير » إله النباتات

(١) وعلى الظن أن مقاطعتى الخطاف الشرقية والغربية قد سميتا بهذا الاسم لانهما فى  
مواقع يكثر فيها صيد الأسماك الأولى بحوار بحيرة قلقة والثانية بحولو بحيرة البرلس .



بكر إله الأرض « جب » . ويسكن في أعماق الخصب فيخرج الزرع والأشجار وكل الثمرات المختلفة الألوان . وهذا هو المظهر الذي تتمثل به روحه على سطح الأرض . أما الرمز الذي تتقمصه روحه في هذه البلدة فهو جذع شجرة قد شذبت فروعه فأصبح على هيئة وتد ( أنظر الشكل ) . ويرى علماء اللاهوت في هذا الرمز أنه يمثل العمود الفقري لهذا الإله ومن أجل ذلك كان رجال الدين يحتفلون سنوياً بعيد عظيم لإقامة هذا الرمز وجعله منتصباً في المبدإ إذ يرون في ذلك ضماناً للثبات الأبدى للعالم .



دد = رمز  
الثبات

( ددو ) رمز الإله « أوزير »  
بملايس الاحتفال الديني

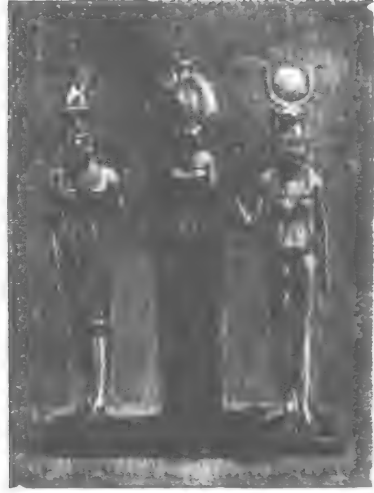
ولهذا السبب يرمز هذا الرسم في المتون والتعاويذ التي تعمل على شكله إلى معنى الثبات ؛ وعند ما كان يفيض ماء النهر ويطفو على الأراضي ويغطيها ، كان ذلك يسبب غرق الإله الذي يسكن الأعماق ، ولكن زوجته الإلهة « إزيس » والإلهة « نفتيس » كانتا تخلصان جثته من الفرق كما تقول

الأساطير . وبذلك ينتعش « أوزير » ويحيا حياة جديدة بمفعول السحر من جهة ، ولأن والده إله الأرض « جب » قد أمر بذلك من جهة أخرى ، ومنذ ذلك العهد كان « أوزير » عاملاً فعالاً في نمو النباتات وجعلها مثمرة يانعة وهو مع ذلك في أعماق قبره ، ولذلك يعتبر إله النيل كما جاء في متون الأهرام . وهذه الأطوار في حياة



الإلهة « نفتيس »

« أورير » كانت تمثل في احتفال ديني عظيم يفرد لهذا الغرض .  
فيحتفل فيه بذكرى وفاته وعودته للحياة ثانية . وكان يقام في بلدة  
العرابة المدفونة حيث يقال إن رأسه  
كان مدفوناً هناك .



وقد جاء في الأساطير أن  
« أوزير » حكم في سالف الزمان  
على الأرض ونشر في أرجائها أعماله  
الطيبة ، ولكن أخاه « ست » الشرير  
اغتيال حياته خلسة في مؤامرة دبرها

مؤامرة « ست »  
على قتل أخيه  
« أوزير »

التالوث حوريس و أوزير وإيزيس له هو وأتباعه . ومنذ ذلك العهد  
أصبح مقره الأبدى القبر ، بعد أن جمعت أختاه « إيزيس » و « نفتيس »  
أشلاء من الأمكنة التي وجدت فيها ، ورغم ذلك فإن هذا الآله الميت  
أو كما يعبر عن ذلك المصريون ( الذي لا يدق قلبه ) ، يمكن أن يعود  
إلى الحياة ثانية ويمنح قوة التنازل بمفعول السحر . وقد نتج عن عودته  
للحياة ثانية أن ولدت له إلهة السماء « إيزيس » ابنة ( حور ) ولكن أمه  
قد هربت به خوفاً من اضطهاد عمه وشروره فذهبت إلى المناقع التي في  
غرب الدلتا بالقرب من « بوتو » . ولما اكتملت رجولة « حور » انتقم  
لوالده وفتح ثانية مملكته .

وذلك بفضل مساعدة جده « جب » إله الأرض الذي نصبه وارثاً

« حور » يحكم بعد  
والده في جهات  
متعددة في مصر

على ملك والده ، ولقد كان من نتائج هذا أن أصبح « حور » يعبد في بلدة « بوتو » التي كانت تعد مسقط رأسه وكذلك انتشرت عبادته في مواطن أخرى كثيرة في الدلتا فكان يعبد في « بوتو » بصفته حور



الطفل « حور بوخراد » ، وفي جنوبى تشب النيل في بلدة « ليتوبوليس » المقاطعة الثانية ( أوسيم ) كان يعبد بصفته كهل « حور الكبير » وكان يعبد في هذه الجهة كأنه أخ للاله « أوزير » وللإله « ست » . وفي المقاطعة العشرين ( الغرب ) عند الحدود الشرقية في منطقة فاقوس ( صفت الحنا ) امتزج الإله « حور » في العصور المتأخرة بالاله المحلى « سبد » سيد الشعوب الأجنبية الشرقية

الاله « حور » بن « إزيس »

وحاميها ، وأصبح يعبد هناك على هيئة صقر جاثم على سرير . وهناك آلهة أخرى كثيرة غير من ذكرنا يرجع منشؤها إلى بلاد الدلتا ، وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ ديانة القوم فمنها الإله « تحوت » ( هرمس ) وكان مقر عبادته بلدة هرموبوليس « بحدت » عاصمة المقاطعة الثالثة وهى ( دمنهور الحالية ) ويرى الأستاذ « إدورد مير » أن هناك مقاطعتين باسم هرموبوليس واحدة منها في الشمال الغربى والثانية في الشمال الشرقى من الدلتا ويعتبر الأستاذ « زيت » أن الأولى هى المقاطعة الخامسة عشرة أما الثانية فهى المقاطعة الثالثة ومقرها « بحدت » ( دمنهور الحالية ) . على أن

الآله « تحوت » يعبد في المقاطعتين الثالثة والخامسة عشر من الوجه البحرى

هناك بعض العلماء يظن أن مقاطعة العجل «أييس» هي المقاطعة الثالثة ويجعل عاصمتها «أمو» أو «بر-نب-أمو» — (بيت سيد الأمو) وهذه المقاطعة على الحدود اللوية (١). وهي أقدم من هرموبوليس التي في الصعيد (الأشمونين). وكذلك الإله «سبك» (التمساح) الذي كان يعبد في مناطق غربي الدلتا في بلدة «سايس»، وكان يطلق عليه ابن الإلهة «نيت» كما ورد في متون أهرام الملك «وناس» آخر ملوك الأسرة الخامسة. وقد بقي اسم هذا الإله محفوظاً إلى الآن في أسماء بعض القرى المصرية في الدلتا إلى يومنا هذا مثال ذلك (سبك الأحد) و (سبك الثلاث). وكان الاعتقاد السائد في هذه الجهات أن هذا الإله يساعد على نمو البات على كلتا ضفتي النيل؛ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن التماسح يرى ملقى على شاطئ النهر وينسب إليه خصب الشاطئين. يضاف إلى ذلك أنه باعتباره ابن الإلهة «نيت» التي كانت تعد إلهة مائة أيضاً، كان يضحك عند ما يحمل ماء الفيضان، ومن أجل ذلك كان لا حرج في أن تقتل هذه الإلهة وهي تعطى ثديها إلى تمسحين دفعة واحدة.

ومن الحيوانات التي شاعت عبادتها في الدلتا البقرات والثيران، وهذا أمر طبيعي لأن طبيعة أرض هذا الأقليم وخصبه تستدعي وجود هذه الحيوانات لحاجة الفلاح لها؛ فكان الثور يعبد في المقاطعة الحادية عشرة وعاصمتها «شدنو» (هريط الحالية) وكان يطلق عليه اسم (ثور شدنو العظيم) (الثور العظيم) يعبد في هريط المقاطعة الحادية عشرة

وقد كشف حديثاً له عن مدافن في جبانة عظيمة موقعها ( تل أبويسن الحالى )  
وتدل الآثار التى كشفت على أن هذا المكان كان مدفناً للعجول والطيور التى  
كانت تقدس فى هذه الجهة وبخاصة الصقر الذى وجد منه عدد عظيم محنط  
ومدفون فى مكان خاص بعناية زائدة وكثرة عظيمة وربما كان من آثار  
عبادة الصقر فى هذه الجهة بقاء ذكره فى بلدة ( كفر صقر ) القرية من  
قرية أبويسن هذه . وتدل مدافن هذا النوع من العجول على أنه كان  
معتنى به كثيراً فى العصور المتأخرة حوالى الأسرة الثلاثين ، والقوش التى  
وجدت على توابيت هذه العجول ليس لها مثل فى تاريخ الديانة المصرية  
وخاصة أنها تكشف لنا عن صفحة جديدة فى منازل القمر وأوجه وعبادته  
فى هذا العصر ، أما فى المقاطعة العاشرة فكان الثور يعبد فيها قديماً على ما  
يظهر باسم الثور الأسود . وقد بقى الثور رمزاً على اسم المقاطعة وعاصمتها  
« أتريب » ( تل أتريب ) وهو بنها الحالية ( ١ ) . أما فى منطقة منف  
فكان يعبد بصفته العجل « حابى » أى ( أيس ) والظاهر أن تقديسه كان  
قديماً ولكن عبادته لم تتم إلا فيما بعد .

أهمية النقوش التى  
كشفت حديثاً فى  
أبي يس

الثور يعبد فى المقاطعة  
العاشرة ( بنها قديماً )  
وفى منف ( ميت رهينة )

أما البقرات فكانت تعبد فى منطقة « منف » ( البدرشين ) وتقمصت  
روحها شجرة الجيز .

البقرات تتقمص شجرة  
الجزير ولذلك أصبحت  
الجزيرة مقدسة

وكانت الجزيرة فى هذه الجهة تسمى شجرة حمزة الجنوب . وكان

( ١ ) وكان يعبد فيها الآله « حور » وبنمت « حور — خنق — خت » أى حور الذى يشرف  
على الجسم ( الآلهى ) والظاهر أنه كان يعبد فى هذه الجهة ( ثالوث ) يتكون من الثور الاسود  
بصفته الاب والبقرة السوداء الام والابن هو « حور خنق خالى »

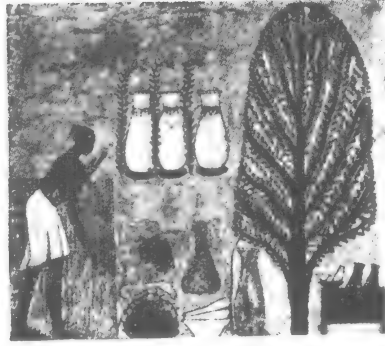
يعتقد أنها جسم الإلهة « حنور » ( البقرة ) الحى على الأرض، وكانت الإلهة نفسها تسمى سيدة شجرة الجميز الجنوبية .



التوفى وزوجه أمام شجرة الجميز ووسطها الآلهة « نوت » يتقبلان الخبز والماء للحياة الأخرى .  
وكثيراً ما يشاهد على الآثار المصرية رسم شجرة الجميز والإلهة مطلة من  
بين أغصانها على شكل امرأة ويدها أبريق تصب منه الماء للسائلة والأموات  
فى وسط الجبانة . وقد بقى احترام الجميزة باقياً للآن إذ تزرع بجوار المقابر  
يستظل بفيئها وتروى ظلاً الأموات كما هو الاعتقاد السائد الآن بين عامة  
الشعب ويعيد قطعها من الأمور المحرمة ، أما فى المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها

« زبات - ثر » ( سمنود الحالية ) ومعناها معبد الإله فكان يعبد فيها عبادة الآلهة « أنحور »  
الإله « أونوريس » ( أنحور ) فكان يمثل إله الشمس فى شكل إنسانى فى سمنود

« أوزير » محنطاً ويقال في الأساطير أنه هو الذى أحضر عين الشمس من بلاد النوبة ، وقد حل محل الإله « شو » إله الهواء فى أماكن مختلفة ، والظاهر أن عبادته كانت حديثة فى هذه الجهة .

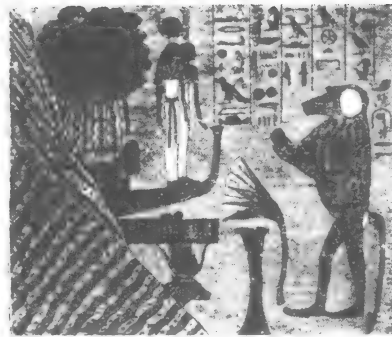


مزارع يقدم القرابين إلى  
شجرة الجيز

أما أعظم الآلهة المحلية التى كانت تعبد فى الدلتا فهو الإله « آتوم » الإله المحلى للمقاطعة الثالثة عشرة ومقرها عين شمس . والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن أصل نشأة هذا الإله لأن الكهنة

وحدوه مع الإله « رع » ملك الكون . وكان يمثل « آتوم » عبادة الآلهة (آتوم) أو « تم » فى شكل حيوان يشبه (فار فرعون) الحالى لأنه كما جاء فى الأساطير كان يتلع الثعبان الذى يريد أن يقض على « آتوم » ( الشمس عند الغروب ) ويتلعه عند غروب الشمس . والحقيقة أن هذا

الحيوان لا يظهر إلا عند الغروب ويسطو على الثعابين . وكذلك كان يمثل على شكل رجل متوج يحمل شارات الملك ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه ملك الآلهة - أما عندما كانوا يمثلون « رع » إله الشمس



مركب الشمس فى طريقها الى الغرب

فكانوا يرون فيه قرص الشمس الأحمر الذى يسبح فى السماء فى سفينة .  
وقد كان الخيال المصري أحيانا يصوره فى صورة غريبة فكان فى  
إحدى الجهات يمثل إله الشمس على هيئة « جل » تلك الحشرة التى  
تدحرج أمامها قرص الشمس فى أنحاء السماء كما يدحرج الجمل الأرضى  
« كور الروث » التى تشتمل على بويضاته وتلد نفسها بنفسها دون أن  
تحتاج إلى أنثى . وفى جهة أخرى تمثل الشمس على هيئة عجل من الذهب  
ولدت إلهة السماء . وفى خلال النهار يكبر ويصبح ثورا ويسى « كاموتف »  
أى ثور أمه لأنه يلحق البقرة لأجل أن تضع شمسا جديدة لليوم التالى .  
أما إذا مثل الإنسان السماء على هيئة امرأة فإنها تلد الشمس على  
هيئة طفل يكبر كذلك خلال النهار ليغيب فى السماء كرجل مسن فى  
عالم الآخرة ، وتمثل الشمس على هيئة رجل مسن كان يعبد بصفته ( آتوم )  
فى عين شمس . أما الجمل « خبرى » فكان يعتبر شمس الضحى .  
وهكذا كان يفرق القوم بين مظاهر الشمس الثلاثة : « خبرى » فى  
الصباح و « رع » وقت الظهيرة و « آتوم » عند الغروب على أن هذا  
الترتيب لم يكن متبعا بصفة قاطعة فى كل الجهات .

وعندما تترك اللتا صاعدين فى النيل فأول ما يواجهنا منطقة « منف »

أى فى المقاطعة الأولى للوجه البحرى ونجد فيها عدة آلهة تعبد جنبا لجنب  
ونخص بالذكر منها : أولا الإله « سقر » ومنه اشتق اسم بلدة ( سقارة ) ،  
وهو إله كان يمثل على شكل إنسان يحمل رأس صقر ، ويعبد إلهها للموتى  
الآله « سقر » آله  
الجبانة فى « منف »  
ومنه اسم ( سقارة )



وذلك لأن اسم المنطقة أو الجبابة التي كان يسيطر عليها، كانت تعتبر في نظر المصريين الباب الذي يؤدي إلى الآخرة «روستاو».. ثانياً الإله «تاتنت» ومعناه الأرض التي ترفع ويعد مظهراً من صور الإله «فتاح» الذي كان يعتبر من أهم معبودات هذه الجهة أيضاً وكان يمثل على هيئة رجل مزمل في اللثام كأنه مومياء برأس صلعاء عارية عن كل لباس، وليس في حالته وشكله ما يشير إلى وظيفته أو هو في الحقيقة يمثل إله الفن والنحت، واليه ينسب خلق العالم. وكان ينعت «فتاح» بصاحب الوجه الجميل. ثالثاً: العجل «أيس» كما ذكرنا كان يعبد في هذه الجهة ولكن أهميته لم تصبح ذات شأن إلا عندما صارت «منف» عاصمة الدولة ومن المدهش أن هذا العجل كان يحفظ في معبد الإله فتاح مع أنه ليس هناك أية علاقة تربطهما اللهم إلا في عهد الدولة الحديثة إذ كان القوم وقتئذ يعتقدون أن روح الإله فتاح قد تقمصته.

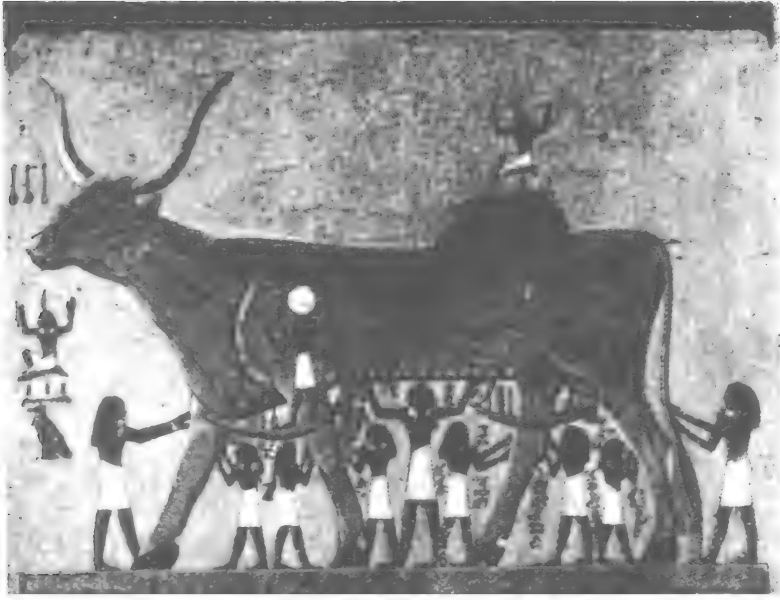
الإله «تاتنت»  
مظهر من مظاهر  
الإله «فتاح»  
آله الفن والجمال

العجل «أيس»  
تقمص روح الإله  
«فتاح» في الدولة  
الحديثة

وأول ما يواجهنا في طريقنا من مقاطعات الوجه القبلي المقاطعة الثانية والعشرون وعاصمتها «بر-حت» (بيت البقرة) وموقعها إطفيح الحالية، وقد أطلق عليها اليونان «أفروديتو بوليس» الشمال. وكانت البقرة تعبد في هذه الجهة بصفتها إلهة السماء وعلى الضفة اليسرى توجد مقاطعة النخيل العليا وهي المقاطعة العشرون وعاصمتها «هراكليو بوليس» (إهناس المدينة الحالية) وفيها معبد للإله «حرشف» (الذي على بحيرته) وتقمص روحه كبشا. وكان عباده يعتقدون فيه أنه إله عالم وأن عينيه هما الشمس والقمر، ومن أنه

عبادة البقرة في  
(إطفيح)

عبادة الإله «حرشف»  
في (إهناس)



الآلهة « نوت » تمثل السماء برفها الآلهة « شو »

عبادة التمساح في  
الفيوم

يخرج الهواء ؛ أما اسمه الذى على بحيرته فتفسيره أن معبده يوجد عند مدخل  
الفيوم حيث توجد بحيرة . أما المقاطعة الحادية والعشرون وتسمى مقاطعة  
( النخيل السفلى ) فهي واحة الفيوم نفسها التى سكنها المصريون منذ فجر  
التاريخ وعاصمتها « شدت » ( الفيوم الحالية ) وكان يعبد فيها الإله « سبك »  
الذى يمثل على شكل تمساح وقد أقيم له معبد آخر عظيم فى بلدة  
« أمبوس » ( كوم أمبو الحالية ) . وفى هذه الجهة كانت يحتفل كل عام  
بفيضان النيل وهو فى الواقع إله الماء . وهذا هو السبب الذى من أجله  
قد مثل فى لوحة نائماً على قضيب من الرمل فى مقصورة صغيرة شأن  
كل الآلهة المقدسة التى يجب أن تحترم فى كل مكان على النيل . ولقد  
يلغ من احترام هذا الإله عند أتباعه أن وصفوه « بجميل الوجه » ، على

أن الدافع الحقيقي لعبادة هذا الإله في الأصل هو الخوف أو الفزع مما عساه أن يحدثه هذا الحيوان الجبار من الضرر بالإنسان . وبعد إقليم الفيوم جنوباً يواجه الإنسان إقليماً عظيماً يمتد من الوادى إلى سفح الجبل الشرقى المتاخم للنهر ويشمل ثلاث مقاطعات ، الأولى مقاطعة « سبا » وهى الثامنة عشرة والثانية مقاطعة « كينوبوليس » وهى المقاطعة السابعة عشرة . أما المقاطعة الثالثة فيطلق عليها جبل الثعبان وهى المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها ( هيراكنبوليس ) ( بلدة الإله حور ) ثم « انتيوبوليس » وموقعها « قالوا الكبيرة » الحالية . وفى هذه المنطقة تسود عبادة الإله « أنويس » وبخاصة فى المقاطعة السابعة عشرة ، وفى مقاطعة جبل الثعبان ( ١٢ ) كان يعبد الإله « حور » وإلهة على هيئة لبؤة تسمى « ميتيت » وهى أم الإله « حور » أى أنها هنا تمثل الإلهة « إزيس » .

عبادة « أنويس »  
فى المقاطعة الثانية  
عشرة

وكانت عبادة الإله « أنويس » الذى يمثل على شكل ابن آوى عظيمة فى هذه المنطقة ، وذلك لأنه فى بادئ الأمر كان يعبد رهبة وخوفاً منه ؛ إذ أن هذا الحيوان كان بطبعه يحوم ليلاً على حافة الصحراء بالقرب من الجبانات فكان القوم يخافون منه على أجسام موتاهم ، ولكن الكهنة فيما بعد ألبسوا عبادته ثوباً آخر وأصبح يعبد بصفته حامى الموقى والمشرف على تخطيطهم وإعداد جنازهم ، ومن المحتمل أنه أخذ هذا المركز فى العبادة بسبب الدور الذى لعبه فى أسطورة الإله « أوزير » إذ هو الذى قام بتحفيظة وإقامة شعائره الدينية وبخاصة عند تمثيل عيد إحيائه .

سبب عبادة  
« أنويس »



الآله « أنوبيس » يشرف على تخنيط جثة « أوزير »

وبين المقاطعتين السابعة عشرة والثانية عشرة على الضفة اليسرى للنيل المقاطعة السادسة عشرة (مقاطعة المهي) وعاصمتها « جنو » ( زاوية الميتين الحالية ) ، والمقاطعة الخامسة عشرة ويطلق عليها اسم «هرموبوليس» وعاصمتها (الأشمونين الحالية) . وكان يعبد في المقاطعة الأولى الآله « حور » قاهر « ست » ولذلك كان يمثل « حور » ممتطياً ظهر غزال وهو الحيوان الذي كان يتقمصه الآله « ست » وكذلك

الآله « حور »  
يعبد في المقاطعة  
السادسة عشرة



كانت تعبد آلهة أخرى في هذه

المقاطعة منها الإله «خنوم» وكان

يمثل على هيئة كبش ، والإلهة

« حكت » ( الضفدعة ) والإلهة

« حتحور » والإلهة « باخت » ،

وكانت تمثل على شكل لبؤة

مفترسة . أما في المقاطعة الخامسة

عشرة فكان يعبد الإله « تحوت »

الذى كان يمثل على شكل الطائر

« إيس » . وهو إله العلم والمواقف

الآلهة « خنوم »

و « حكت »

و « حتحور »

الآلهة « تحوت »

يعبد في المقاطعة  
الخامسة عشرة

النخ . وقبالة المقاطعة الثانية عشرة الآلهة « تحوت » يعد سنى حياة الملك رمسيس الثانى

مقاطعتا ( شجرة البطم <sup>١</sup> ) وهما الثالثة عشرة « ليكوبوليس » وعاصمتها

( أسبوط الحالية ) ، والرابعة عشرة وعاصمتها « جسا » وهى ( قوص الحالية )

وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة موطن عبادة الإله المحارب « وبوات »

ويتمص حيواناً أصبح من المعتقد أنه الذئب . ومعنى « وبوات » فاتح

الطريق . وهذا الإله يعبد كذلك فى العراة المدفونة فى مقاطعة طينة

( الثامنة ) وقد لعب هذا الإله دوراً فى أسطورة « أوزير » فى الحرب

التي شنها على خصمه « ست » . ويلاحظ عند تصوير هذا الإله على

الآلهة « وبوات »

يعبد فى أسبوط  
عاصمة المقاطعة  
الثالثة عشرة

(١) الشجر الذى يستخرج منه زيت النفض.



الآلهة « باخت »

القرابة وأوجه  
الشبه التي بين  
الآله « وبوات »  
والآله « أنوبيس »



الآله « ست »

الآثار أنه يرسم مزدوجاً أى أن صورته كانت ترسم مرتين كل منهما مواجهة للآخرى، وكان يمثل كل منهما ومعه دبوس حرب وقوس، وكانا ينعنان بأنهما مسلحان بسهام... وأعظم انتصاراً وأشد قوة من الآلهة وقد أطلق على هذا الإله فاتح مصر المنتصر، ولهذا السبب كان يحمل أمام الملك علم عليه صورة الإله « وبوات » ليفتح له الطريق في وسط الأعداء، ولا نزاع في أن قرب الإله « أنوبيس » والإله « وبوات »

من بعضهما في المكان والعصية لدليل ظاهر على وحدة هذه المقاطعات في الأزمان السالفة، ولا غرابة في ذلك فإن كلا منهما كان لا يحصى في الحقيقة الأحياء من أهل المقاطعة التي يعيش فيها معهم فحسب، بل كان يحصى الأموات أيضاً؛ فنجد أن « وبوات » يفتح الطريق في دنيا الأرواح كما أن « أنوبيس » يمنحهم جنازاً فخماً وحياة سعيدة في عالم الغرب

(الأموات) . وما سبق يمكننا أن نلاحظ بكل وضوح الفكرة الأولى عن عالم الآخرة عند المصريين، وهي أنه بعد أن يموت الإنسان تذهب روحه لتنضم إلى الآلهة الذين كانوا حماه على الأرض، وأن هذه الأرواح

كانت متمصة شكلاً حيوانياً يظهر الآلهة في هيئته للناس ويعيشون متمصينها في وسطهم . على أننا نجد مثلاً مثلهاً لما ذكرنا في الإقليم الذي يضم المقاطعة التاسعة وعاصمتها « أبو » ( إخم الحالية ) والمقاطعة الخامسة الملاصقة لها وعاصمتها ( قفط ) . ففي هاتين المقاطعتين كان يعبد الإله « مين » رب القوة التناسلية والخصب في مصر ويرمز له برسم الصاعقة . وقد عثر منذ أزمان سحيقة على صور لهذا الإله من الحجر في ( قفط ) وهو ممثل على شكل صنم ضخم له رأس ملتحية وقناة تناسلية قد استقامت كأنها تلحق ، ثم مثل فيما بعد على شكل إنسان يلوح في يده اليمنى زخمة ويلبس على رأسه ريشتين عظيمتين . وبحوار هذا الإله كان يعبد الإله « آمون » في بلدة طيبة في المقاطعة الرابعة ؛ وقد عثر له على أشكال عدة ممثلاً بعضو

الآله « مين » يعبد في المقاطعتين التاسعة والخامسة

الآله « آمون » يعبد في طيبة

التذكير المستقيم وكان كذلك يعبد على شكل كبش في كثير من معابد القطر ، كما كان يمثل على شكل إنسان يحمل ريشتين عظيمتين . ولا شك في أنه كانت توجد عصبية بين هذين الآلهين



لما بينهما من أوجه الشبه العدة . الآله « آمون رع » ممثل على شكل الآله « مين » معبود ( قفط ) أما على الشاطئ الأيسر للنيل في المنطقة الواقعة بين قفط والعرابة

فكانت تقع المقاطعتان السادسة والسابعة . وكانت العبادة السائدة فيها  
لإلهة عظيمة تنقص بقرة يطلق عليها اسم « حتحور » ( دندرة ) وتعتبر  
إلهة السماء . والواقع أن إلهة السماء كانت « نوت » ولم تكن عبادتها منتشرة  
تماما . أما عبادة « حتحور » ( بيت حور ) فكانت على العكس ذات  
أهمية عظمى . ولا نزاع في أن اسمها يشير إلى الفكرة القديمة وهي أنها  
مسكن « حور » صقر السماء ؛ على حين أن صورتها تحمل من البقرة قرنيها  
وأذنيها . وأحيانا ترسم رأسها على هيئة رأس بقرة حقيقية . وتنسب للبقرة  
السماوية . والواقع أن « حتحور » قد فقدت صفاتها الأصلية تدريجاً . إذ لم

« حتحور » إلهة  
السماء



البقرة « حتحور » سيدة السماء

نفهم على وجه التحقيق الشيء  
الذي تحمله البقرة بين قرنيها .  
هل هو الشمس أو كما يعبر  
عنه المصريون أنفسهم عين  
الشمس ؟ على أن  
المصريين كانوا يسمونها عين  
الشمس ، وهو الوصف المعتاد  
الذي كانت توصف به .  
وكذلك نجد أنها قد تخلت  
دائماً عن مرتبتها الأولى بين  
الإلهات ، وقد أصبحت فيما



«حتحور» إلهة الغرب  
 بعد تسمى إلهة الغرب، وذلك لأنه كان يعتقد أنها تقف بجانب الجبل الغربى وتسمح للشمس وللأموات عند الغروب بأن يدخلوا فى الأقاليم السفلية ( عالم الأموات ) ؛ وكذلك أصبحت تدعى إلهة الحب والآلهة المرحه الطروب بين النساء، ومن أجل ذلك كن يسميها «الذهبية»، ولم يخطئ اليونان عند ما سموها باسم إلهتهم «افروديت» ومن أجل ذلك نجد أن النسوة كن يخدمنها ويحتفلن بها بإقامة حفلات الرقص والغناء واللعب على الصاجات والشخشخة بقلاندهن ، وبالعرز على الدفوف . ولها أدوار أخرى سيأتى ذكرها عند المناسبات . وفى المقاطعة الثالثة « هيراكنبوليس » وعاصمتها «نخب» ( الكاب ) الحالية ، ثم إسنافيا بعد ، كانت تعبد إلهة على هيئة أنثى نسر ضخم تسمى «نخت» والحقيقة أن اسم هذه الإلهة ليس «نخت» بل اسمها نسبة من البلد الذى عبدت فيه «نخب» وهى العاصمة القديمة للوجه القبلى . وكانت الحامية لرب هذه الجهة وتحلق فوق رأسه ولذلك كان يوضع رسمها على تاج الملوك والملكات .



«الآلهة» عنت

أما فى المقاطعة الأولى « الفنتين » ( أسوان الحالية ) الواقعة عند الحدود الجنوبية لقطر المصرى ، فكان يعبد فيها غير الإله «سبك» سيد

« أمبوس » إله آخر يدعى « خنوم » كان يتمص كبشا في معابد  
الفنتين وكان يعبد بجانبه كذلك الإلهتان « ساتيت »<sup>(١)</sup> و « عنت » (ص. ٢٠٨)  
ثالث أسوان  
في جزر الشلال .

وكان يتكون من  
الثلاثة ثالث هذه  
الجهة غير أنه في  
هذه الحالة كان  
الإله خنوم  
متزوجا من اثنتين  
بدلا من الأب  
والأم والابن .



الآلهة « سات » تقدم الفرعون امينوفيس الثالث الى الآله « خنوم »

« خنوم » الآله  
المصور للانسان

وكان الإله  
« خنوم » يعد أنه  
الإله الذي يخلق  
الإنسان ويصوره  
كالإله فتاح في  
منف ، وكان

(١) وهذه الآلهة « ساتيت » كانت تعرف باسم « حكات » وهي الضفدعة التي يعتقد المصريون أنها تخلق من طين النيل الذي تركه الفيضان ولذلك كانت رمزا لبعث وقد نقلت هذه الفكرة إلى معتقدات مسيحي مصر ، ولهذا السبب نجدها كثيرا ممثلة على مصابيحهم .

يسوى المخلوقات على عجلة كصانع الفخار فيكان كل طفل يولد من صنع يده وإليه ينسب حسن تركيب أجسام المواليد ، وكان يعرف كذلك بأنه رب الماء العذب <sup>(١)</sup> الذى ينبع من هذه البقعة وكان يعتقد المصريون أن حدود بلادهم جنوباً تنتهى عند هذه النقطة بل والعالم كله كذلك ، ولذلك ظنوا أن النيل ينبع من هذه البقعة .

ومما يسترعى النظر من بين معابد هذه الآلهة المنتشرة فى الوجه القبلى معابد الإلهين « حور » و « ست » ، إذ كانت لها أهمية عظيمة فى طول البلاد وعرضها . وهنا يجب أن ننبه الأذهان إلى أن هذين الإلهين لم تكن لهما علاقة فى الأصل بالآله أوزير أو الآله « ست » بل فى الحقيقة كانا أخوين متخاصمين . فكان « ست » يمثل الظلمة الدامسة والهلاك ، على حين أن الآله « حور » كان يمثل النور الذى يسطع بين نجوم السماء ويخلق فى الفضاء على هيئة صقر عيناه الشمس والقمر . وهو يقوم بحرب أبدية ، على الآله « ست » دون أن تسفر انتصاراته المتوالية عن القضاء على خصمه . وعندما يحدث خسوف القمر يرى المصريون فى ذلك أن الآله « ست » قد اقتلع عين « حور » غير أن الأخير ينتقم لنفسه بأتزاع خضيتى عدوه ، ثم ينزل الآله « حور » بعده « ست » هزائم دموية ، ثم نطالعنا الأساطير بعد ذلك بأن الآله « تحوت » إله الأشمونين (هرمس)

الحصام بين « حور »  
و « ست »

(١) والعلاقة بين جعق « خنوم » التى تمثله أحدهما صانعا الملقى من طين مثل صانع الفخار ، وقتله الاخرى رباً للماء ، أن صانع الفخار لا يستطيع أن يقوم بمهمة الاى الاماكن التى يغشى فيها الماء على الارض ويترك الطينة لينة قابلة للتشكل والتصوير وبذلك يكن أن تنشر صناعته وتكثر وبخاصة فى إقليم فيه طين النيل والطين كثير لصنع كل أنواع الفخار الجليل .

يظهر في هذه الآونة على المسرح ممثلاً إله القمر ويشقى جروح المتخاصمين ؛  
ومن ثم يذهب كل منهما ليحكم في ملكه فيقسم وادى النيل بينهما  
فيكون الوادى الخصب من نصيب الآله « حور » ، أما الصحراء القاحلة  
( الأرض الحمراء ) فتقع من نصيب الآله « ست » . ويتصل بهذه الأساطير  
التي نجدها مذكورة بصور مختلفة في تاريخ الديانة حسب المذاهب ؛ بعض  
قط ترجع بها إلى العبادات المحلية كما سبق وأشرنا إليه في أساطير الدلتا  
وبخاصة ما يشير منها إلى الآله « حور » الذى نشأ في منافع الوجه البحرى  
وتدل الأحوال على أنه كان في الأصل صقراً . ولا نزاع في أن مثل  
هذه الأمور العرضية التي تظهر في ديانة المقاطعات ، نلاحظ أن صيغة  
الأسطورة العالمية تمنح تماماً أمام ما ينسب إلى الآلهة المحلية في هذه  
المقاطعة أو تلك ، لأن القوم كانوا فيها يعتبرون إلههم المحلى أعظم الآلهة .  
على أن هناك حقيقة يمكن استخلاصها بكل جلاء ووضوح ، وهى أن  
الآله « ست » منذ فجر التاريخ كان يعد بين الآلهة الرئيسية التي كانت  
تقدس في الصعيد . وكانت عاصمته بوجه خاص هى بلدة « امبوس »  
الواقعة بقالة قط ، بين جبانة تقادة القديمة وقرية البلاص الحالية أى أنها كانت  
واقعة في قلب أقدم مدينة مصرية . وكان يلقب في هذه الجهة رب  
البلاد الجنوبية ويعبد على هيئة حيوان خرافى لا وجود له في مصر ، ويحتل  
أنه هو العقاب الذى عثر عليه في أعلى نهر الكنفو ، ولا يبعد أنه كان  
من حيوانات مصر في ذلك العهد ثم قهر . وكذلك كانت عبادته منتشرة

الآله « ست »  
من الآلهة الرئيسية  
التي تعبد في الصعيد

في المقاطعتين الحادية عشرة والتاسعة عشرة . وعاصمة الأولى « شحطب »  
 ( شطب الحالية ) والثانية مقاطعة « أكمرنكس » ( البهسة ) جنوبى مقاطعة  
 « إهناس » . وكان الحيوان المقدس فى هذه الجهة سمكة ذات فم مدبب ( القنومة ) .  
 أما الإله « حور » فكان مقره أدفو عاصمة المقاطعة الثانية . وكان  
 الصقر يمثل إله الشمس وصار يرمز له قرص الشمس ذات الجناحين القويين ،  
 ويتدلّى من كلا جانبيه « صل » ( ثعبان ) وكان القوم يعتقدون أنه يولد كل  
 يوم فى الأفق ثم يتوالد بنفسه من جديد فى رحم أخته وزوجته « برة دندرة »  
 التى تحولت إلى إلهة السماء ومن أجل ذلك أطلق عليها اسم « حتحور »  
 ومعناه بيت الإله « حور » أى الشمس ، ولذلك كان يرسم قرص الشمس  
 ناشرا جناحين عظيمين تذكّرة لأصل الفكرة . على أن انتشار عبادة « حور »  
 لم تقف عند هذا الحد بل كانت أعظم شأنًا من ذلك . إذ نجدها سائدة  
 فى المدينة التى ستصير فيما بعد العاصمة الملكية « نخن » ( الكوم الأحمر ) ،  
 وتقع على الضفة الغربية من النيل قبالة مدينة الكاب « نخب » ، بل وفى  
 المقاطعة الخامسة التى عاصمتها « قفط » وقد رمز لها بصقرين . وكذلك  
 فى مقاطعة المهي « السادسة عشرة » وفى مقاطعة جبل « الثعبان »  
 ( ١٢ ) . ولا جدال فى أن نفوذ هذا الإله قد امتد إلى هذه الدرجة  
 لأسباب سياسية ، إذ الحقيقة أن الإله « حور » مدين بإتشار عبادته فى الوجه  
 القبلى لغزو هذه البلاد وفتحها على يد أتباع « حور » . وتدل الأحوال  
 على أن مقر هذا الإله الأسمى بلدة « بوتو » ابطو ( تل الفراعين الحالية )

الآله « حور »  
 يبد فى المقاطعة  
 الثانية ويرمز له  
 قرص الشمس المجنح

الآله « حور » يبد  
 فى المقاطعات  
 ٣ وه ١٢ و ١٦

بلدة « بوتو »  
 مقر الآله « حور »

انتشار عبادة «حور»  
في الوجهين القبلي  
والبحري

وأطلالها بالوجه البحري ، بالقرب من دسوق ومن المحتمل أن عبادته قد  
قلت في هذه الفترة إلى الوجه القبلي ، وذلك لأن « حور » كان إله  
الدولة ، ثم توحد فيما بعد مع الإله المحلي لأدفو واسمه « حور » أيضا ، وقد  
تكلما عنه من قبل . وقد حدثت تغيرات وحوادث مثل هذه في أمر  
انتشار عبادة الإله « ست » في الوجه القبلي غير أن المصادر تعوزنا للوقوف  
على حقيقتها . ولا شك في أن كيفية عبادة هذين الإلهين قد حدث  
فيها تغير وتحوير وذلك يرجع إلى أن عباد « حور » قد اقتصروا في  
الوجهين القبلي والبحري ، ومنذ ذلك العهد أخذت الأساطير الشكل الذي  
عرفناه فيما بعد . ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حدث مثل هذه  
الحال في أمر الإله « ست » ، فتكون عبادته قد قلّت إلى الدلتا ،  
ولم يكن معروفا من قبل فيها إلا باللور الذي لعبه في قصة « أوزير » ؛  
ولم تكن له في الدلتا أية عبادة خاصة قائمة بذاتها . وقد دلت الأبحاث  
الحديثة على أن الإله « ست » كان يعبد في الدلتا منذ الأسرة الرابعة ،  
ولا يبعد أنه كان يعبد فيها من قبل في نفس الأقليم الذي يحمل في  
ثناياه اسمه « سوتريت » وموقعه الآن بالقرب من بلدة « تانيس » ( صان الحالية )

عبادة الإله « ست »  
في الدلتا

## نظرة إجمالية في أصول الديانة المصرية

تكلّمنا فيما سبق عن أصل المقاطعات وكذلك بحثنا في موضوع بعض الآلهة التي كانت تعبد فيها ببعض الاختصار . والآن نعود فتكلّم عن الديانة المصرية عامة وعلاقتها بعبادة آلهة المقاطعات ؛ إذ في الواقع نجد أن ديانة القوم أساسها ديانات المقاطعات المختلفة ، وذلك أمر بديهي لأن القطر كان يتألف من وحداتها . ولا جدال في أن كل إله كانت له منطقة نفوذ ثابتة محدودة في بادئ الأمر ، وكان سلطانه فيها هو السائد . وكان كل إله مقاطعة يطلق عليه في معبده أو مدينته اسم رب المعبد أو رب المدينة حسب الأحوال . ومن ذلك يتضح لنا أنه لم تكن المنطقة التي يسيطر عليها الإله تتألف من قبيلة ذات عصبية واحدة بل من أهل المنطقة التي كان يوجد فيها هذا الإله ومن يحتمون في سلطانه . وبجانب هذه الآلهة الرئيسية عدد عظيم في كل مكان من الآلهة الأخرى ذات الأهمية النسبية غير أنها كانت تشاطر الإله الأعظم العبادة بصفتها إما زوجة له أو ابناً ؛ وأحياناً كان لها عبادة مستقلة وسلطان ، وسنذكر هنا بعض الأمثلة مؤثرين أكثرها أهمية وأرفعها مقاماً في منطقة العراة مثلاً نجد الإلهة « حكت » التي كانت تتمص ضفدعة لها أهمية عظيمة بصفتها إلهة السحر وإلهة الولادة والبعث . إذ كان يعتقد أنها تحضر ولادة الشمس كل يوم على رأى أحد المذاهب الدينية . وفي المقاطعة الثانية عشرة كان

ديانات المقاطعات  
أساس الديانة المصرية

إله المقاطعة يسمى  
رب « نب »

الآلهة الثانوية في  
المقاطعات ووظائفها

الضفدعة تمثل الآلهة  
« حكت » إلهة  
الولادة والبعث

يعبد الطائر مالك الحزين الذئب سماه اليونان « الفنسكس » واسمه بالمصرية « بنو » . وكان مقر عبادته وقديسه « عين شمس » وكهنة هذه الجهة كانوا يرون فيه إما الإله « أوزير » أو روح الإله « رع » . والفكرة الأخيرة كانت السائدة في عين شمس ، وما نعلمه عن هذا الإله على وجه التحقيق أنه يلد على شجرة في معبد عين شمس ، ومن المحتمل أنها الشجرة القديمة المقدسة التي كان الآلهة يكتبون على أوراقها أسماء الملوك تخليداً لذكراهم ويقال إن الشجرة التي تزار الآن بجهة « عين شمس » هي من نسل هذه الشجرة المقدسة . وكذلك نجد في طيبة الإلهة العظيمة « موت ورت » أى الأم العظيمة وقديس بصفتها زوجة للإله آمون وكذلك نجد « خنسو » ( القمر وهو ابن موت وآمون ) . ومنهم جميعاً تألف ثلاث طيبة يضاف إلى هذا إله الحرب « متو » وكان يعبد في هذه الجهة وأصبح له شأن عظيم في التاريخ المصرى . وكان في هذه الجهة كذلك إلهة على هيئة جاموس البحر ( توريس ) . ويعتقد أنها الإلهة التي تساعد الحامل على الوضع وربما كان هذا هو السبب في تصويرها بهيئة تشعير بذلك . وفي أماكن أخرى نجد الإلهة « سلكت » التي كان من وظائفها المحافظة على أحشاء المتوفى وترسم على شكل امرأة برأس عقرب . وقد جاء ذكرها على مقابر أشرف الأسرة الرابعة في منطقة الأهرام .

على أن وجود هذه الإلهة وتأثيرها في الديانة كان ينحصر في

عبادة « الفنسكس »  
( مالك الحزين )  
في عين شمس

عبادة الآلهة « موت »  
والآلهة « خنسو »  
في طيبة

« متو » إله الحرب

الآلهة « تولريت »  
( جاموس البحر )  
تساعد الحامل على  
الوضع

الآلهة « سلكت »  
( على شكل عقرب )  
تحافظ على أحشاء  
المتوفى



معابدها وفى شكل عبادتها، ومن ذلك يمكننا أن نحدد ماهية كل إله ولا نزاع فى أن أهم عمل كان يقوم به الإله نحو أتباعه هو أن يمنحهم أو يحرمهم الأشياء الضرورية للحياة العامة ؛ أما الملوك فكانوا يتطلبون منه الحياة والصحة والثبات والنصر والسعادة . والواقع أن كل الآلهة نشأت من طينة واحدة ولا يختلف بعضها عن بعض إلا بمعابدها وبالرمز الذى كان يخصص لكل وبالرسميات التى كانت تعمل لكل عند إقامة الشعائر الدينية ، وبالأعياد التى كان يحتفل بها ؛ وفى النهاية بالأسماء والألقاب التى تميز كل إله عن غيره ؛ على أنه يلاحظ أن أسماء الآلهة كانت فى الواقع تعد شيئا ثانويا ؛ إذ كثيرا ما يكون اسم الإله مشتقا من صفات الإله أو منسوباً للمدينة التى يعبد فيها . وقد وجدنا من بين آلهة المصريين آلهة لم يصل المصرى إلى وضع أعلام لها ، قائمة بذاتها ، ولذلك كان ينسبها كما ذكرنا إلى المكان الذى كانت تعبد فيه ، فيقال مثلا « التابع لتانتنت » وهذا اسم إله بالقرب من منف ويعد مظهرا من مظاهر الإله « فتاح » ويقال تيس « زدد » وهو إله يعبد فى بلدة منديس ( تل الربع الحالية ) ويرسم على شكل تيس كما ذكرنا آنفا . وكذلك يقال « التابعة لنخب » « نخب » وهى إلهة على هيئة مؤنث السر ويقال للإله « حرشف » ( الذى على بحيرته ) وللإله « أوزير » الذى فى ( زيتوته ) . كما يقال للإله الموتى « خنتى امتى » أى الأول بين الذين فى الغرب ( وهو إله من فصيلة الكلب بينه وبين الإله أنويس قرابة عظيمة ) . وأخيرا

وظيفة الآلهة

الآلهة كلها  
من أصل واحد

أسماء بعض الآلهة  
مشتق من المدن  
التي تعبد فيها

الإله العظيم ( في الغرب ) . وهذان الآلهان الأخيران قد وحدا فيما بعد مع الإله « أوزير » .

وكذلك الإله « وبوات » ( فاتح الطرق ) فإن اسمه ليس باسم علم حقيق لأن واحدا من هذه الآلهة التي على شكل الذئب كان يطلق عليه اسم « ست » ولكنه اختفى منذ الأزمان الأولى من بين حيوانات القطر . والآلهة عند قدماء المصريين كائنات معينة معروفة اتخذ كل منها

الفرق بين الآله  
والأشباح والأرواح  
المقدسة

شكلا ثابتا باقيا لا يتغير وقد انفصلت هذه الآلهة عن عالم الأشباح أو الأرواح التي يخططها العد . وهذه الأرواح أو الأشباح ( الجن ) تلعب دورا هاما عظيما في مظاهر الديانة المصرية . وتبرز بدورها الهام في السحر الذي كان له تأثير خطير جداً في العقائد الدينية في كل عصور التاريخ في البلاد . ومن بين المظاهر العدة المحسوسة التي تتجلى فيها هذه الأرواح

روح الآله تنقسم  
الحيوانات الاليفة  
والمتموتة

أو الأشباح المقدسة الحيوانات . وهي إما منزلية أليفة تعيش مع الإنسان وتقوم له بخدمات عظيمة لا تقطع ، أو متوحشة ضارية تقتك به فيخاف شرها وبأسها ؛ وأهم حيوانات النوع الأول وأجدرها بالذكر الثور والبقرة ، واليس ، والكبش . والظاهر أن الإله كان في العادة ينتخب ذكر هذه الحيوانات ليقيمته . وأحياناً كان الإله يتمص بمض الطيور كالأوزة كما شاهد في حالة « جب » إله الأرض فإن روحه تمصت أوزة

سبب عبادة هذه  
الحيوانات

أما أهم حيوانات النوع الثاني فهو الأسد والتمساح وجاموس البحر ، والثعبان السام ، والأفعى ، وكان الإنسان يسعى لاتقاء خطر هذه الحيوانات

والحشرات التي كان يقع بصره عليها في البر والبحر . والظاهر أنه كان يرجع سبب قوتها وفتكها بجنسه إلى أن الإله قد حل فيها ، وأنه إذا استعطفها وقدم خضوعه وقرب إليها القربان نجا من مخالبتها وشروطها . فمثلا نرى الذئب يعبد لأنه كان يسكن البقاع الجبلية القريبة من الجبانة وكان يعيش على نبش القبور فإذا قرب له الإنسان القرايين عدل عن أكل موته ، وأكبر جبانة من هذا النوع جبانة أسبوط ، كما كان يعبد ويقرب له القربان لسبب آخر هو ألا يسطو على غنم القوم ، وهكذا كان الحال مع ابن آوى الذي كان يعبد باسم الإله « أنويس » ؛ على حين أن الكلب يعبد حارساً للماشية ولذلك كان يقدس . وكان هناك صنف آخر من الحيوان مثل القطط وغيرها كان لا يضر ولكنه كان يعبد لأن فيه قوة سحرية خاصة وسرية . وأهم هذه الحيوانات القردة والأسمالك والطيور ونخص بالذكر منها الطائر إيس «أبو منجل» ، ومالك الحزين «الفنكس» . والصقر والنسر والضفدعة ، والجعل إلح وسيتأتى الكلام عن كل في حينه .

على أن عبادة الأشجار لم تكن نادرة في مصر فمثلا نجد شجرة الجيز كانت مأوى للإلهتين «نوت» و «حتحور» وكذلك شجرة السرو كان يحل فيها روح الإله «مين» <sup>(١)</sup> وقد كان وجود أى شجرة من هذه الأشجار في مكان ما يجعلها موضع تقديس لأن روح الإله الذي هي رمز له كانت تسكن فيها .

سبب عبادة الفطة

عبادة الاشجار

(١) الشجرة التي توجد مرسومة مع الآله مين هي الخس وتعتبر رمزا لنماء القوة الحيوية التناسلية عندها الآله

وهكذا كان الحال مع كل أنواع الحيوانات أو الحشرات التي كانت  
تلوؤها الروح المقدسة ، وكان على الإنسان أن ينتخب واحدا من نوع خاص  
مميز ويضعه في المبد حيث يعنى به ويخدم بصفته الحيوان الحقيقى الذى  
تقصه الاله . وهذا ما شاهدته بين بنى الإنسان . إذ عندما يتوفى الملك  
كان القوم يقدسون إنسانا آخر معنا مكانه وبذلك يصبح مهبط تلك القوة  
المقدسة التى تعيش فى البلاد وتحكمها مهما كانت صفاته . ولا غرابة إذا  
كانت هذه الطريقة بعينها متبعة فى الحيوانات المقدسة فكان عندما يفنى  
واحد منها تنتقل الروح الإلهية إلى حيوان آخر يتعرفه الإنسان من بين  
حيوانات هذه الفصيلة بعلامات وإشارات خاصة ويقاد إلى المبد ؛ أما موضوع  
تقديس فصيلة الحيوان الذى كان ينتخب منه الاله أو تقديس البعض  
منه فإن هذا يتوقف على أحوال الحياة وضرورتها التى كان لا مناص  
منها . غير أن علماء اللاهوت المصرى قد وصلوا إلى حل هذا المشكل  
بطرق مختلفة ففى كثير من الأحوال ، وبخاصة فى العصر المتأخر من التاريخ  
المصرى كان يعتبر مثلا قتل أى حيوان من النوع المقدس ضربا من  
الفسوق والمعصيان والكفر بالاله . ويعاقب المجرم بالقتل وكذلك كان  
ينطبق هذا الحكم على آكلة لحوم هذه الحيوانات فثلا كان محرما أكل  
لحم القطط أو الكلاب . ولكننا من جهة أخرى نجد أن القوم كانوا  
يذبحون الخراف والماعز والثيران . أما البقرة التى كانت تدر اللبن فكان  
محرما ذبحها ، وهذه الطريقة متبعة فى الهند . يضاف إلى ذلك أننا لم نسمع



كيف كان ينتخب  
الحيوان المقدس

معاملة فصيلة  
الحيوانات التى ينتخب  
منها الاله

عن تمساح قتل في الأماكن التي كان يقدس فيها هذا الحيوان ، وبخاصة في العصور المتأخرة . على حين أننا من جهة أخرى نعرف أن التمساح كان صيده محبباً للأهلين فكانوا يطاردونه بكل شغف وحماس في المقاطعات التي كان لا يقدس فيها . ومن المدهش أن الأسد رغم تقديسه في بعض جهات

الناصر التي يتركب منها الآلهة والإنسان

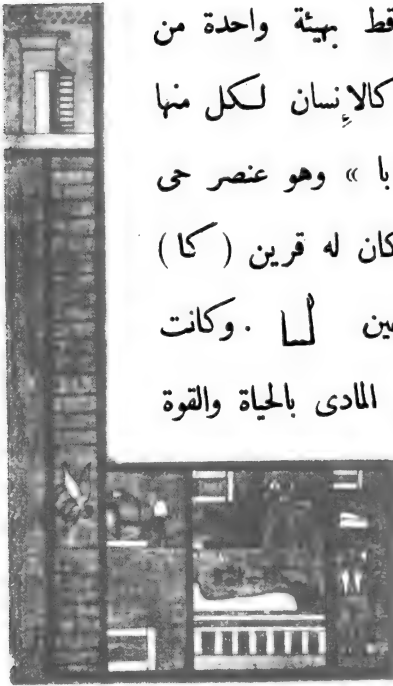
القطر كان يصاد من غير تخرج في طول البلاد وعرضها .

ولكن الآلهة كانت لا تقيد قط بهيئة واحدة من أشكال الطبيعة بل كانت في الحقيقة كالإنسان لكل منها روح مثله على هيئة طائر  « با » وهو عنصر حي يسكن الجسم مدى الحياة ، وكذلك كان له قرين ( كا ) يمثله المصريون على هيئة ذراعين مرفوعين  . وكانت وظيفة هذا « القرين » أن يمد الجسم المادى بالحياة والقوة

ويقف خلفه ليحميه بعد الموت وكان من الضروري وجوده مع الإنسان في قبره وإلامات أبدىا ويمكننا هنا

أن نميز بين القرين « كا » وبين الروح ممثلة بطائر « با » تنزل الى غرفة دفن المتوفى لتزور جسده ثم تصعد ثانية إلى السماء

الروح « با » فالأول يسكن مع الجسم في القبر وتمنحه الحياة بالقرابين التي يقدمها أهل المتوفى له على مائدة قربانه بوساطة كهنة تسمى خدام القرين وقد كانت تحبس عليهم الأوقاف الثابتة من أجل ذلك . أما « البا » فهو الروح الذي يصعد إلى السماء بعد وفاة الإنسان . ومن ذلك يمكننا



الفرق بين الإنسان  
والآله

أن نستخلص أن الإنسان كان له روح مادية ( كما ) تسكن معه في القبر وروح نورانية تصعد إلى السماء وهي « با » غير أن الآلهة كانت تختلف في ذلك عن بني الإنسان وذلك أن الإله يمكنه في كل لحظة أن يترك الجسم الذى يسكن فيه وينتقل إلى جسم آخر كما يريد لأنه لم يكن عرضة للموت ( يستثنى من ذلك الإله أوزير ) وفى إمكان الإله أن يوجد فى كل مكان يريد أن يشعر فيه بقربه أو بقوته ، ولذلك يمكنه أن يتمص أشياء مختلفة جدا فى وقت واحد ، فيسكن الحيوانات والأحجار والأوتاد من الخشب ؛ والأمثلة لدينا كثيرة ونكتفى منها بذكر الإله « مين » والإله « أوزير » . ويرجع السبب فى ذلك أن الإله حسب قول المصريين له عدد عظيم من القرائن « كاو » وعدد عظيم من الأرواح « باو » تروح وتغدو حرة طليقة حتى عندما يكون الإله متمصا ضمنه أو تمثاله الأعظم . ورغم هذا كان من المستطاع أن يسحر الإله ويقتنص فى شئ محسوس بوساطة التعاويذ . وبذلك يصبح ولا قوة له ولا حول ، وذلك هو السر فى أننا نجد فى كل معبد مصرى غير الحيوانات المقدسة شيئا سريا يحفظ فى صندوق يكون فى معظم الأحيان تمثالا صغيرا من الحجر أو الفخار . ويعتبر هذا الصندوق المكان الحقيقى للإله وبعبارة أفصح المسكن الذى حبس فيه الإله بقوة السحر فى الزمن القديم أيام تكريس المعبد .

قوة السحر فى الآلهة

صور الآلهة التى  
يظهر بها

ومن جهة أخرى نجد صوراً عدة لشكل الإله الذى يتمص الحيوان وكذلك للشكل الذى تظهر به روحه . فكان يمثل أحيانا بجسم إنسان يعاونه

رأس حيوان وأحيانا بالعكس . وهذه الصور والتماثيل الإلهية كانت تعتبر كأنها ملوك مرتدون ملابهم ومعطرون ومحلون بعدد عظيم من التعاويذ ، وكانت تطلع في الأعياد العظيمة على الشعب « وبخاصة صندوق الإله السرى » وتوضع في سفينة تبنى خصيصا لسياحتها ، ويحملها خدامها من طائفة الكهنة على أعناقهم . وكانت هذه الأعياد والاحتفالات تنمو وترتقى في الطقوس والعدد ، كلما تقدمت المراسيم الدينية في البلاد وتنوعت شعائرها ، وذلك حسب ثراء البلاد وعظم فتوحها في عصور التاريخ المصرى .

أما الرموز الإلهية المقدسة التى كنا نجدتها بجانب رموز المقاطعات فلا يمكننا أن نعتبرها عريقة فى القدم ، وذلك لأنها تحمل صورة الحيوان المقدس أو إشارة مقدسة أخرى ، وتتقدم القوم فى المواكب فى ساحات القتال . وكان الإله يظهر عظمته وبطشه وجبروته فى كل أمور الحياة الظاهرة التى لم يكن فى مقدور الإنسان أن يتغلب عليها ولذلك كانت الآلهة تعمل كأنها رؤساء أو ملوك فى آن واحد ، وذلك حسب أهوائهم ومزاجهم ولكن ذلك كان لا يمكنهم من الخروج عن اتباع قوانين الطبيعة وسننها ولذلك نجد أنه كان للآلهة المصرين طبيعتان . فكانوا من جهة يظهرون بأنهم إرادة حرة خالدة ومن جهة أخرى كانوا قوى طبيعية خاضعة لدورة الفلك وظواهره . وعلى ذلك كانوا فى الوقت عينه قوة إيجابية وسلبية . فكانت الحياة تسير فى دائرتها حسب قوانينها الطبيعية مثال ذلك تلقيح الخصب بماء النهر وطلوع النباتات ونضوجها وموتها ثم البذر ، والحياة التناسلية ،

مظاهر قوة الآلهة

الآلهة قوة سلبية وإيجابية فى آن واحد

وتلقيح الحيوان والإنسان ؛ أو كما في حالة الإلهين « حور » و « ست »  
وهما اللذان يتعاقب منهما النور والظلام وكذلك قلبات النجوم المنيرة ؛  
وأخيرا بوجه خاص الحرب بين القوة المعمرة والقوى الشريرة المخربة . ومن  
كل هذا نجد أن حياة الآلهة تمر في سلسلة متصلة الحلقات من الصراع  
والتغيرات التي تحدث بنظام علما بعد عام . ومن أجل ذلك نشاهد أن  
القوم كانوا يهتمون بحظ هؤلاء الآلهة المتقلب، إذ عليه مدار حياتهم وسعادتهم ،  
فكانوا يسعون لمساعدتهم بقدر مافي وسعهم ، وذلك هو السر في الاحتفال  
بأعياد التي كان يحتفل بها القوم في كل مقاطعة في مواقيت ثابتة بحكم  
التقاليد الموروثة . فكان يعتقد أن هذا الإله أو تلك الآلهة قد ولدت  
في يوم خاص من السنة ولذلك كان يحتفل به . فمثلا نجد أن أعياد  
الآلهة « أنويس » و « وبوات » و « تحوت » و « مين » وغيرهم  
قد لعبت دورا هاما بإثباتها على آثار الأسرة الأولى . يضاف إلى ذلك  
أنه كان هناك أعياد أخرى تقام احتفالا بانتصار الإله على أعدائه أو قهرهم .  
وأنه وصل بعد ذلك إلى الملك ليطلع مشعا بكل بهائه أمام الشعب  
محمولا على أعناق الكهنة في سفينته المقدسة ؛ وقد مثل الإله « سوكر »  
في عهد الأسر الأولى بهذه الكيفية ، وكذلك الآلهة الأخرى نجد  
لها صورا تدل على نفس الفكرة .

مثال ذلك تعاقب  
النور والظلام

سبب الاحتفال  
بأعياد الآلهة

أما الإله « أوزير » الذي كان يسكن في جوف الأرض منذ  
وفاته ، والذي كان يعيش ويحيا هناك رغم موته بقوة سحر قريته « كا »



التي تنقص أجسام الموتي ، فإن حادث وفاته كان له أكبر أهمية لأنه منه نشأت قوته وسلطانه ، ولذلك كانت تقام له محافل عظيمة تمثل كل أطواره في بلدة العرابة المدفونة .

تمثيل حياة « أوزير » وموته في العرابة

وعند الاحتفال بأعياد الآلهة المحلية يسير سكان المقاطعة صفًا خشعًا في موكب يرأسه حاكم المقاطعة أو الملك حسب الأحوال ، وبصحبه الذين يعرفون الطقوس ، وخدام الإله ، الذين يحجون طلعه ويقدمون له الخشوع والخضوع ؛ وعند نشوب صراع بين الآلهة كان أتباعه يحاربون من أجل إلههم بالأسلحة والعصى ويتحجون عند هزيمته وموته ويمثلون عين « حور » بالقرايين ويحجون ظهور الإله ثانية أو ميلاده ويجلسون تمثاله على العرش أو ينصبون عمود « أوزير » ، أو يقودون الإله عند ما يتزوج بإلهة مجاورة أو يحضرون له امرأة إلى المعبد .

نظام عبادة الآلهة المحلية

ورغم هذه التغيرات الخطيرة والحوادث المتعاقبة بنظام فإن الآلهة مع ذلك كانت تمثل في نظرهم قوى أبدية ، باقية دائماً وعاملة سواء أخضعت هذه القوى أو ماتت ، أو دبت فيها الحياة من جديد وولدت ثانية ؛ على أنه لا توجد لحظة يمكن الإنسان أن يستغنى فيها عن حماية الآلهة ؛ إذ أنهم كانوا يقفون على الدوام بالقرب من أتباعهم متمتعين بكل سلطانهم وقوتهم ولذلك كان في مقدور الإنسان أن يدعوهم لمساعدته ويلتمس عطفهم ورضاهم . على أن الاعتقاد الديني لم يؤثر على التناقض بين هاتين الفكرتين لأن العقيدة دائماً مرتبطة بوقت الحاجة الملحة التي تخلفها الظروف دون

المصري يعتقد أن الآلهة قوة أبدية

الإنسان دائماً في حاجة لمساعدة الآلهة

البحث في أى تناقض أو تضارب ؛ على أن هذا الاختلاف يؤدى رغم ذلك إلى النتيجة الآتية .

وهى أن الحوادث التى لها ارتباط بالأعياد سببها فى الواقع الظواهر الطبيعية التى تضمنها أماننا الطبيعى ولكن خيال المصرى كان يرجع بها إلى أزمان سحيقة ويمزوها إلى ظهور الإله لأول مرة وأخذ الشكل الذى ظل باقياً عليه فيما بعد ؛ ومن ثم تحولت هذه الحوادث التى وقعت فى أزمان معينة إلى أعياد تشيد بذكرى الأعمال العظيمة أو الآلام الشديدة التى تحملها الإله لصالح المجتمع الإنسانى ورفاهيته ، والتى يتوقف عليها نظام الكون. وشعائر هذه الأعياد التى يصحبها كثير من الآلات والطقوس المقدسة ، والرموز المختلفة تحتاج كذلك إلى تفسير ؛ فهذه الحوادث التى تكون وليدة اللحظة التى وقعت فيها تحدث غالباً عند ظهور أمور خارقة للعادة فتبقى عليها الطقوس الدينية من غير ما تبصر ولا روية ، حتى بعد أن يتضح أنها غامضة لا تفهم ، ومن ثم تأخذ صبغة سرية غامضة لها مفعول عظيم وتحاط بشئ من الرهبة والتقديس . ومن مثل هذه الأمور سبب نشأة الاساطير جاءت الضرورة لخلق الأساطير الدينية التى يدعى رجال الدين أنها تفسر هذه الأشياء الخارقة للعادة ، وكذلك تفسر لنا صور الآلهة وأخلاقهم بحوادث وقعت فى الأزمان السحيقة فى القدم ، ثم تناقلها عباد الإله كأنها أسرار مقدسة ، ومن ثم أخذ الإنسان يشترك فيها بإقامة الشعائر واتباع الطقوس الدينية اللازمة لذلك . وبخاصة مراعاة قواعد النظافة وطهور الجسم

الحوادث التى لها ارتباط بالإعادي سببها ظواهر طبيعية

الشعائر الدينية التى يجب اتباعها

والأطعمة المنصوص عنها كما فرضتها الشريعة عندهم . وكذلك يراعى اجتناب كل رجس مثل النجاسة التي تحدث من اختلاط الجنسين ، وأن يكون الشخص مختوناً وذلك كله كان من أقدم شعائر الدين عند المصريين . وكان من يعرف هذه الأساطير ، والمعلومات التي لها أساس بالآلهة وطبائعهم

قوة السحر في اخضاع الآلهة

يصبح وفي يده قوة سحرية تمكنه من أن يجعل الآلهة تحت سلطانه ويجبرهم على خدمته لقضاء أغراضه السحرية . ولا شك أن الأساطير تمدنا بمعلومات أبعد عمقاً عن الآلهة أكثر مما نعلمه عن شكلها الظاهري ،

وكذلك عن الحيوانات المقدسة التي تتقمصها

نفوذ الآله في منطقته ووظيفة كل إله

وعن الأعياد الخاصة بها . وكان كل إله يتمتع بين طائفة عبادته بنفوذ عام ، ولكنه مع ذلك كانت له مناطق نفوذ محدودة حيث كانت تظهر فيها آثار أعماله بكل قوة وسلطان وهذه المناطق كانت وفقاً عليه وحده ، وذلك هو السبب الذي من أجله نجد أن

ديانة كل مقاطعة بقيت مختلفة عن ديانة

المقاطعة المجاورة لها . فمثلاً نجد الإله

«مين» ( أو آمون ) هو الإله الخاص

بالتناسل ، والخصب ، والإلهتان

بعض الآلهة لها عمل خاص

«حتحور» و «باست» إلهتا حياة



الآلهة « باست » برأس قطه

« الحب والغزل » والإلهان « وبوات » و « نيت » إلهما الحرب والإله « أنوبيس » ، إله الجناز والتحنيط وحارس الجبنة والإله « تحوت » الذى يمثل القمر كان إله العلم والمواقيت ( العلم نور ) . والإله « حور » مظهر إله الشمس وهكذا . على أن هناك صنفا آخر من الآلهة له عمل محدود معين فى نطاق خاص مثال ذلك الإلهة « رنتوت » وهى إلهة الحصاد خاصة والإله « خنتى امنتى » الذى يحكم فى عالم الأموات ( صورة من الإله أوزير ) .

ومن كل ما تقدم ترسم أمامنا صورة تخطيطية لعلم اللاهوت المصرى إذ نجد بجانب الآلهة المحلية أرباب المقاطعات آلهة أخرى يمكن أن تقوم بأعمال خاصة فى أزمان وأحوال معينة . وهذه الآلهة قد تكون أحيانا خاضعة للآلهة المحلية ومن هنا نشأ تأليف مجاميع كاملة من الآلهة تتكون فى أغلب الأحيان من تسعة آلهة ( يستثنى من ذلك مجموعة آلهة الأشمونين التى تتألف من ثمانية ) وعلى رأسهم إله المقاطعة الأعظم وفى بعض الأحيان نشاهد أن هذه الآلهة تعمل مستقلة عن آلهة المقاطعات وهذا هو السبب الذى جعل السبيل سهلا لآلهة المقاطعات لتمد سلطانها إلى جهات بعيدة جدا خارجة عن منطقة نفوذها الأصلى ، ويرجع الفضل فى ذلك أحيانا إلى حوادث سياسية أو إلى قيام فروع عبادة لهذه الآلهة فى مناطق غريبة عن دائرة نفوذها وهناك عامل قوى ساعد على نشاط هذا التقدم والرقى الدينى ، وهو أن المصريين قد اعترفوا إلى جانب آلهتهم المحلية بسلطان القوى

التاسع الآلهة  
ونألفه

سبب مد نفوذ إله  
المقاطعة الى غيرها  
من المقاطعات

الطبيعة العظيمة التي تعمل بطرق منظمة في كل الكون وتشمل كل الكواكب وعلى رأسها إله الشمس. « رع » ثم إله القمر « أعح » ( ويعرف في مدينة طيبة باسم « خنسو » (أى السائح) ثم النجوم ونخص بالذكر منها « نجم الأبرق » من مجموعة الشرى اليمانية « سبد » ثم نجم الصباح « ساحو » . وعندما كان يظهر نجم الأبرق في الفجر في نهاية شهر يوليه ، كان ذلك بشيرا بوصول ماء الفيضان ، وكذلك كان ظهور نفس النجم يعد بشيرا بالسنة الجديدة ، ويحمل معه النباتات الجديدة . أما مجموعة نجوم الجوزاء التي كان أظهر نجم فيها نجم الصباح « ساحو » فكان يلعب دورا ماثلا لسابقه إذ يبشر بفصل جمع الكروم الذى يحمل في شهر يوليه أيضا ، وبقدومه تحل السنة الجديدة . ولهذا السبب يعد كل منها كائنا مقدسا وقد أصبحت فيما بعد إلهين عظيمين وذلك عندما تخيل المصرى وجود مملكة للموتى في السموات العلى فكان المتوفى ترتفع روحه إلى السماء وتعيش بين جيش النجوم وهم الأموات السعداء الذين يسهرون خلال الليل بالقرب من مصايحهم ، على أن نجم « ساحو » الجوزاء قد أصبح إله الموتى « أوزير » . أما الشرى اليمانية « سبد » التي كانت بجانب أوزير فقد أصبحت زوجه « إزيس » وابنها هو « حور » وقد اتخذوا مكانا في السماء بالقرب من الرب الأكبر . وتتألف مجموعة أخرى إلهية من الأجرام الكونية من السماء والأرض . فكان إله الأرض « جب » في عرف المصريين يعد مذكرا أما إله السماء فيعتبر مؤنثا

القوى الطبيعية  
صارت آلهة مثل  
الشمس والقمر

الشرى اليمانية  
« سبد »

نجم الصباح « ساحو »  
أصبح الآله « أوزير »

الشرى اليمانية  
أصبحت « أوزير »



الآله « شو » يفصل بين إلهة السماء « نوت » وإله الأرض « جب »

ويسمى الإلهة « نوت » وعلى العكس من ذلك نجد أن الماء الأزل « نون » إله الأرض « جب »  
واللهة السماء « نوت »  
الذى خرجت منه آلهة القبة الزرقاء ، مذكرا . وقد وضع إله الأرض  
« جب » بذرتة في أخته « نوت » ويعد « جب » أمير الآلهة . ولكن  
منذ ذلك العهد اضطجع « جب » أى الأرض تحت قدمى « نوت »  
وذلك لأن الإله « شو » إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانا  
رتقا ، ووضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه  
( كانتا رتقا فتقناهما ) وهذه الفكرة بعينها نجدها مفصلة فى أسطورة إله  
النبات « أوزير » وزوجته إلهة السماء « إيزيس » وهما ابنا الإله  
« جب » والإلهة « نوت » ؛ وقد أعقبا بدورهما الإله « حور » الذى يطلق عليه  
غالبا اسم « حور أختى » أى « حور » الأفق . وهناك أساطير تفسر  
لنا كيف اتحدت السماء مع إله الشمس ؛ فيقال أن السماء ولدت الشمس  
مع الشمس « رع »

أسطورة اتحاد السماء

من بطن « نوت » كما جاء ذكر ذلك في متون الأهرام فيخرج « رع »  
ماشيا ، ثم تلد « رع » كل يوم ، ولكن بعد ذلك يرتفع إلى الشمس  
في جلاله وعظمته ، ويلقح إلهة السماء فينتج نفسه في فرج أمه . وكثيرا  
ما تخيله المصري كذلك على هيئة ( جمل ) « خبير » ، وكانت هذه الحشرة  
كما يعتقد المصري تنقس صفارها دون أن تحتاج إلى أنثى ، ويحدث هذا  
بوساطة كرة الروث التي نشاهدها تدرجها أمامها كما يدرج الإله  
بيضته أى الشمس أمامه في السماء ، وقد ظهرت نفس الفكرة كذلك في  
الأسماء التي تعبر عن إلهات السماء « كحتحور » ( بيت الإله حور ) ،  
« وإزيس » ومعناها مقعد إله الشمس . وهاك ما يحكى عن الإله « رع » .  
كان الإله « رع » بن « نون » المحيط السماوى . قد ظهر أولا في  
هيراكليوبوليس ( إهناس المدينة ) وفي رواية أخرى في « هرموبوليس »  
( الأشمونين ) على ربوة من الغرين ارتفعت من الماء الأولى ، وقام بحرب  
ضد أعدائه ، وبخاصة ضد ثعبان مارد يطلق عليه اسم « أبوبى » وأهلك في  
إهناس القوم العصاة بمساعدة الإلهة « سخمت » ( على هيئة امرأة برأس  
لبؤة ) ، ثم أعاد الخلق من جديد ، وتقص الأسطورة علينا بعد ذلك أن  
عينه أصبحت بعد ذلك الحادث إلهة مستقلة موهوبة بقوة سحرية . وقد  
وحدها الكهنة فيما بعد بالإلهة « حتحور » والإلهة « تفتوت » الخ ، وقد  
ذهبت إلى بلاد النوبة وتوجه الإله « رع » إلى هذه البلاد ليجث عنها  
ويحضرها . وأخيرا حكم « رع » الأرض سنين طويلة حتى أصبح طاعنا

لماذا يقدس المصري  
الجمل ( الجمران )

أسطورة الإله « رع »  
وكيف رفع إلى السماء

في السن وعندئذ طلب إلى ابنه « شو » أن يرفضه في الهواء على ظهر البقرة  
السلوية العظيمة ، وبذلك أصبح يسبح في الفضاء كل يوم في سفينة ، وبنعود  
إلى هذه الأسطورة مرة ثانية في مناسبتها . وقد ألف كهنة هرموبوليس خرافة  
أخرى لم نفهم كنهها للآن وذلك أنهم تصوروا أن العالم قد خلقه ثمانى  
قوى إلهية على شكل قردة ، وقد عدهم الكهنة زوجا وزوجا وكل زوج  
من أنثى وذكر ، واعتبروها كأنها قوى طبيعية معنوية لا تحس ، وهى الماء  
الأولى ، والأبدية ، والظلام ، والقوى ، ومن مجموع هذه الأزواج الإلهية  
الأربعة اشتق اسم مدينة « خنمو » ( الأشمونين الحالية ومعناها مدينة الثمانية ) .  
وعلى رأس هذه المجموعة الإلهية وضع إله المقاطعة « تحوت » وهو إله  
القمر الذى أنشأ مقاييس الزمن وإليه ينسب كل المقاييس والأنظمة ،  
وكذلك اخترع اللغة والكتابة والرسم ، والتولين ووضع القوانين وطبقها ، وكذلك  
كان يعرف بأنه وزير الإله « رع » وزوج الإلهة « معات » ( العدل ) .  
ومن آلهة الطبيعة كذلك « ححى » أى إله النيل ويمثل على هيئة رجل  
ممتلئ الجسم ذى لحية وشديدين عظيمين ومتوج بالأزهار وحول وسطه  
حزام يشبه ما كان يلبس فى عصور ما قبل التاريخ . وربما كان تمثيل النيل  
برجل عامل دليلا على اعتقادهم فى أن النيل خطط طرقه وجسوره كأنه  
مهندس ماهر رسم لنفسه ما يكفل لمصر وأهلها وأراضيها الخير الكثير فى العهد  
الفرعونى فقط ، ولا يبعد أن يكون السبب فى عدم قيام عبادة منظمة له  
وحبس الأوقاف عليها يرجع إلى أن القوم كانوا لا يعبدونه أولا إذ

إله « تحوت »  
واسطورة كهنة  
الاشمونين

آله النيل « ححى »  
وكيف نشأ



كانوا لا يستفيدون منه ، ولكنه عندما نظمت مياهه أخذ القوم فى عبادته ، غير أن الآلهة الأخرى قد أخذت الحبل الأولى فى المقاطعات ، ولذلك لم تؤسس له المعابد من أول الأمر ؛ ومع كل ذلك فإن المصريين فيما بعد قدسوه وتمدحوا بخيراته فى قصيدة عظيمة ربما يرجع تاريخ أنشائها إلى عهد الهكسوس .

وهناك عقيدة دينية نبتت من طائفة لاهوتية أخرى تقول بأن الآلهة وبخاصة « رع » و « إزيس » قد جعلوا ماء النيل ينبع من منبعه السرى عند دوامات الشلال الأول ويأتون بماء الفيضان فى ميقاته .

وإذا كانت الآلهة فى اعتقاد المصريين لم يخلقوا العالم لأن المادة

الآلهة الذين نظموا كانت دائما موجودة وليست من صنع قدرة إلهية فإنهم من جهة أخرى سبر الفلك

على الأقل هيئوا فصول السنة ونظموها ، وكذلك رتبوا سير الفلك وحياة النبات وبنى الإنسان . واتخذوا مصر مركزا عاما للعالم لأنها كانت المسرح الذى يمثلون عليه أدوارهم العظيمة الأثر ، وجوطوها بالصحراء التى يسكنها أقوام من الهمج ، وبالبحر الذى يحقق بكل العالم . وكان يرتبط بهؤلاء

الآلهة القائمين على نظام الدنيا - وهم الآلهة العظام أجداد الأسرة الإلهية -

الجم الغفير من الآلهة الذين يعبدون فى طول البلاد وعرضها ، وكذلك

الأساطير التى أوجدوها . ولما كان النور يأتى من الجهة الشرقية فقد الشرق موطن الآلهة والغرب مقره أوزير»

اعتقد القوم أنها موطن الآلهة ومسكنهم ، على حين أنهم اعتبروا الغرب

وهو مملكة الظلام موطن « أوزير » ومقر أرواح الموتى على أن هذه العقائد

تتاقص دائما مع العقائد الأخرى القائلة بأن وادى النيل نفسه كان دائما المسرح الذى تمثل عليه حياة الآلهة وهو موطن نفوذهم .

على أن آلهة الطبيعة العظام مها كان تأثيرهم على حياة الإنسان لم يكونوا فى يوم من الأيام موضع عبادة نامية لا فى مصر ولا فى غيرها ، ويرجع ذلك إلى أن أعمالهم لها صبغة عملية منظمة لا فردية محدودة ، ولا يستثنى من ذلك إلا الظواهر الطبيعية التى تعترض سير نظام الكون من وقت لآخر وتظهر بأنها تعرض للخطر .

ومن ذلك خسوف القمر ، أو تلك الظواهر التى تكون عودتها قياسية ولكن يحدث من جرائها تغير الإله أو تأله ، ويكون من نتائج ذلك أن يحتاج الإله إلى أن يعد له الإنسان يد المساعدة بأقامة الأعياد وتقديم القرбан وهذا ما يحدث بالضبط فى أعياد أوجه القمر إذ يقام عيد لأول الشهر وآخر فى ربيع الشهر وثالث فى منتصف الشهر . ولهذا السبب يلتجئ القوم إلى الأعمال السحرية . على أنه لا يفوتنا ملاحظة أن هناك آلهة محلية منذ القدم ، قد صبغوا بصبغة القوى العالمية مثل الإله « أوزير » رب النبات والنيل وهو يسكن فى معبده المقدس فى بلدة أبو صير ، أو الإله « مين » فى الوجه القبلى وهو رب التاسل . وهذه الآلهة كان لا يمكن أن تقوم لها عبادة خاصة إلا إذا أصبحوا آلهة مقاطعات . ومثل هذه العبادة كانت

يكون لآلهة الطبيعة  
عبادات اذا أصبحت  
آلهة مقاطعات

آلهة الطبيعة لها  
عبادات خاصة فى  
غير مصر

ممكنة عند اليونان وغيرهم من الشعوب ، وبخاصة عبادة الشمس ( إله السماء ) وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا الإله والد ( قبائل ) أو طوائف

من دم واحد وقد بقى على صلة مباشرة مع نسلهم . وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أن مقره بعض أماكن معينة وبخاصة قلال الجبال العالية . أما عند المصريين فكان الأمر على العكس من ذلك ، إذ كان الإله المحلى هو الذى يرفع إلى مرتبة القوى العالمية ويمتزج بها ويصير موحدًا معها . ولقد لاحظنا منذ القدم أن الآلهة المحلية كانت فيها نزعة باطنية للتحويل إلى قوى عالمية لأنها كانت ترى أن دائرة نفوذها فى نظر أتباعها غير محدودة ، وأن مواقيت أعيادها والأساطير التى تتصل بها مرتبطة بمواقيت الفصول الطبيعية ، ولذلك أصبح الإله « تحوت » رب هرموبوليس المحلى منذ القدم ، إله القمر ؛ وبذلك يمثل بقوة عالمية ، وكذلك الحال مع الإلهة « نيت » ربة « سايس » والإلهة « حتحور » إلهة دندرة فهما إلهتان تقمصان الأشجار ( شجرة الجيز ) ثم أصبحتا فيما بعد إلهتين للسماء . أما فى حالة الآلهة الأخرى وبخاصة الإلهين « حور » و « ست » فإنه لا يمكن أن نحدد بالضبط مدى أصل مركزهما فى العبادات المختلفة سواء أكانوا آلهة تقمصوا حيوانات أو آلهة يمثلون قوى عالمية . ولا نعرف كذلك إذا كانت أسماؤهم المستعارة من علم الأساطير الدينية العالمية لم تكن منسوبة إلى آلهة محلية أولاً قبل أن يسموا بها أو أنها أطلقت عليهم من بادئ الأمر . وهناك مذهب حاسم اعتقه كنة عين شمس الدينية فى مصر . وذلك أنهم أعلنوا أن إلههم المحلى « آتوم » لم يكن إلا مظهرًا من مظاهر إله الشمس « رع » ، ولذلك عبده باسم « آتوم - رع »

سبب نزعة الآلهة لتكون آلهة للطبيعة

لا يمكن تحديد أصل الإلهين « حور » و « ست » فى العبادات

كهنه عين شمس والتجديد فى عبادة الشمس « رع »

ونسبوا إليه كل الأساطير التي تعزى إلى « رع » ، ولا غرابة في ذلك فإن الاعتقاد بأن « رع » هو المسيطر على العالم يرجع إلى أقدم عصور التاريخ ، والبراهين على ذلك توجد في متون الأهرام ، هذا إلى أن اسمه يوجد في تركيب أسماء القرانة منذ الأسرة الثانية ؛ مثال ذلك « نب رع » أحد ملوك الأسرة الثانية ، ولكن لم توجد « لرع » عبادة خاصة ، اللهم إلا عبادته المحلية باسم « آتوم - رع » قبل أن يصير إله السولة في الأسرة الخامسة كما سنفصله بعد . وكذلك لم تكن في مصر عبادة خاصة للإله « نون » المحيط الأرضي أو للإلهة « نوت » أو للإله النيل « ححى » أو للإله القمر اللهم إلا في الأعياد التي كانت تنسب للأخير كعيد أول الشهر إلخ ، أو عندما كان يعبد باسم « تحوت » أو « خنسو » . وهذه كانت عبادة محلية ؛ يضاف إلى ذلك إله الأرض « جب » إذ لا نعرف له عبادة خاصة ، وأغرب من كل هذا الإلهة « إزيس » فإنها رغم ما لها من القوة والبطش والأدوار العظيمة في تاريخ الديانة المصرية وما ذكر عنها في الأساطير ، لم تعبد حتى جاء العصر المتأخر وأخذت عبادتها تنتشر . أما أختها « نفتيس » فلا تعرف لها أية عبادة خاصة في كل عصور الديانة المصرية مطلقا حتى الآن .

الآلهة التي ليس لها  
عبادات خاصة

الصلة بين الآله  
والإنسان

وقد خلقت إقامة الشعائر والطقوس الدينية صلة لا يمكن فصم عراها بين الإله المعبود ، والإنسان العابد ، وذلك بأن فرضت على كل منها واجبات متساوية عليها يتوقف كيان كل منهما . فالإله يتطلب من أتباعه

المخلصين كل ما هو ضرورى له من خبز ولحم ولبن ونيذ وملابس  
وأدوات زينة وحلى وأزهار وبخور أو كما يقال فى الصيغ الدينية للقربان  
كل الأشياء الطيبة الطاهرة التى توضع على مائدة القربان والتى يعيش منها  
الإله ؛ يضاف إلى ذلك الأعياد التى كانت تقام له والعناية بمعبده ،  
وكذلك تقديم شطر عظيم من الغنائم التى يفتنمها أتباعه بمساعدة الإله ؛ كل  
هذا كان يعمل للإله فى مقابل ما يمنحه عباده من حمايتهم والحفاظة عليهم .  
وكان من البديهي أن تراعى الدقة فى الاحتفالات والأعياد التى كانت  
تقام للآلهة كما كانت تراعى فى الاحتفالات الفرعونية ، إذ هناك أمور  
كثيرة تشتمل منها الآلهة وبخاصة أكل لحم بعض الحيوانات ؛ وكذلك  
كان لزاماً على المتعبد أن يكون طاهراً عند ما يقترب من الإله ، ولذلك  
كان من الواجب عليه أن يكون بعيداً عن كل ما هو نجس وبخاصة ملامسة  
النساء وغشيانهن قبل دخول بيت الإله وأن يكون قد ختن . على أن  
كل ما يتطلبه الإله يفهمه الرجل الذى يعرف إقامة الشعائر والطقوس بالإشارات  
التي يوحى بها إلهه . ومعرفة هذه الطقوس التى كانت تزداد كل يوم على  
مر الأزمان ، يحفظها خدام الإله « الكهنة » عن ظهر قلب . وقد  
نصبهم القوم لينهضوا بخدمات بيت الإله ، ولإطعام تمثاله وإلباسه ،  
وللعناية بالحيوانات المقدسة ، ولإقامة الأعياد والمواكب . هذا إلى أنهم  
كانوا يعرفون فن تخمين ما يريد الإله ، ويتزعمون منه بواسطة الوحي  
نبوءات عن المستقبل ، وأحكاماً فاصلة فى قضايا ، وحقائق تتعلق بالخاصات

ما يحرمه الدين .

واجبات الكهنة

وبجانب هؤلاء الكهنة ومساعدتهم كانت توجد طائفة أخرى عظيمة من « المطهرين » في معزل عن عامة الشعب . وأفراد هذه الطائفة كانوا ينادون بهذا الاسم نسبة إلى التطهير بالماء الذى كان يصب عليهم كما يدل على ذلك تصوير اسمهم باللغة المصرية .

وتتقسم هذه الطائفة أربع فرق ، كل فرقة تقوم بخدمة الإله بالتلويح طوال أشهر العام . فكانوا بذلك يشاركون الكهنة في أعمالهم كما كانوا يشاطرونهم دخل المبد وخبراته التى توقف عليه . وقد كان هذا النظام قائما منذ الدولة القديمة ، ومن المحتمل بل من المرجح أنه يرجع إلى عصور أقدم من ذلك ؛ ولا يبعد أنه كان فى الأصل لكل فرد من سكان المقاطعة الحق فى التقرب من الإله ، وأن يكون له نصيب من القربان الذى يقرب له ، وكذلك من الممتلكات الأخرى الخاصة بالإله ، ولكن على كرات الأيام أصبح هذا الحق وقفا على سكان المكان الذى يقطن فيه الإله ، ثم تدرج الأمر بعد ذلك فأصبحت هذه الحقوق وقفا على طائفة مميزة ، ومن ثم أصبح وراثيا فيها ؛ وبذلك أصبح من واجب عامة الشعب الذين يريدون أن يتقربوا من إلههم أن يلجئوا إلى طائفة الكهنة ليصلوا إلى ربهم فى بيته المقدس . ومن المحتمل كذلك أنه كان فى استطاعة الأفراد الذين ليسوا من طائفة الكهنة ويرغبون فى الانخراط فى سلك هذه الطائفة أن يصلوا إلى بغيتهم هذه . إذا توفرت فيهم شرائط خاصة . وقد يجوز أن يصدر الملك مراسيم ملكية بذلك ؛ ولا شك أن

كيفية تأليف طبقات  
الكهنة فى البلاد

طبقة الكهنة ليست  
درائية

هذا هو السبب الذى من أجله لم تصبح وظيفة الكهنة طائفية أى أنها لم تصبح وقفا على أسرهم دون سواها كما كان الحال فى الهند وفى بلاد فارس وعند بنى اسرائيل.

الضحايا الانسانية  
للاله واسبابها

وكان جل هم المصرى فى الحقيقة أن يعمل جهد الطاقة ليصل إلى السبيل التى تنتهى به إلى إرضاء الإله . وكسب عطفه مهما كلفه ذلك ولو ضحى بأخيه الإنسان وأعنى بذلك تقديم ضحايا بشرية . ولقد تضاربت الأقوال والآراء فى هذه المسألة ، ولكن يظهر أن التضحية البشرية كانت أمرا واقعا فى الأزمان السحيقة من عصور ما قبل التاريخ ؛ فيقال إن المصرى كان يقرب أخاه الإنسان قربانا لإلهه عند اشتداد حنقه أو عند ما كان القوم ينفون مساعدته فى مد لهم الأمور العويصة ؛ ولكن كل ذلك كان يحدث فى أزمان بعيدة جدا . وكانت هذه الضحايا تقدم عند قيام حروب بين الآلهة أو فى مواقيت الأعياد الجنازية ؛ وسنرى فيما بعد أن الذين كانوا يناصبون الآلهة العداء كانوا يقتلون بضربة عصا ؛ أما شركاؤهم فى ذلك سواء أكانوا رجالا أم نساء فكانوا يضربون حتى تدمى أجسامهم ، وربما كان هذا يحدث فى الأصل للبشر فى العبادات المأتمية الخاصة ، ولا شك فى أن ختم حيوانات الضحية بجثم مثل عليه رجل موثق فى وتد التعذيب ، وعلى رقبة سكين ، لذكرى تشربان الإنسان كان يقدم يوما ما ضحية فى الأزمان الغابرة . يضاف إلى ذلك أننا نجد على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جدا صورا لم

ختم حيوان الضحية  
بجثم مثل عليه رجل  
موثق دليل على  
قدم الضحايا  
الانسانية

يتغير شكلها تمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جئ بهم أمامه مكبلين  
فى السلاسل والأغلال أمام إلهه ؛ هذا إلى أننا نشاهد صور أبى الهول



صور بعض الحيوانات الخرافية

التي تمثل الملوك ، وصور الحيوانات الخرافية ، تلقى بالأعداء ، على الأرض

وتمزقهم كل ممزق ، ثم نشاهد كذلك صوراً رمزية ممثلاً فيها الفرعون قابضاً  
على نواصى طائفة من الأعداء يضربهم برأس دبوسه أو بمنجرجه المعقوف .  
الفرعون ممثل قابض  
على ناصية الأعداء

كل هذه المناظر والصور والذكريات تشعنا بأن القوم كانوا متعودين  
ذبح الأسرى من الأعداء تكريماً لإلههم . والواقع أننا نجد على أقدم  
الآثار مناظر عدة ممثلة عليها هذه الذبائح ، ويشاهد عليها كذلك جثث  
الأسرى مكدسة ، وقد ذكرنا فى الفصل السابق أن الدمى كانت توضع فى  
المقابر مع الموتى لتحل محل زوجاتهم أو خدمهم الذين كان يظن أنهم  
يذبحون ويوضعون بجانب جثث سادتهم فى الأزمان السحيقة . هذا وتدل  
الوثائق التى فى متناولنا على أنه عند ما كان الإله يفيض الطرف عن رهطه  
عند حلول أية كارثة أو نزول أى وباء ، فإن القوم كانوا يلتجئون خوفاً  
من استمرار شرور هذه المصائب ، إلى الحيوان الذى تقمصه روح هذا



عقاب الحيوان الذى تنقصه روح الآله على يقوده في ضمت إلى الظلام الدامس بطريقة سرية ، ويعملون على تخوفه وإرهابه بالتهديد أولا ، فإذا فشلوا في قضاء بغيرهم عدوا إلى عقابه بالإنداز ثم بالذبح .

السحر وتأثيره في الديانة

على أن السحر لم يعدم القيام بدور هام في تاريخ الديانة ، إذ كان القوم يستعينون به على قضاء حاجاتهم ، سواء أكان ذلك تمييزه الشرائع أم تحومه ، وكان السحر في نظر عامة الشعب لا يتصل بالأشباح العدة التي تسكن في دنيا الأرواح فحسب ، بل كان كذلك متصلا بالمعبودات المحلية وبخاصة الآلهة العظام لأن الفضل في وصولهم إلى السلطان والنصر على الأعداء يرجع إلى فنونهم السحرية . وكان في ركاب هؤلاء الآلهة عدد عظيم من الخدم لا يختلفون في شيء عن الأشباح الخيفة لا في طبيعتهم ولا في أسمائهم ولا في شكلهم الظاهري ، إذ هم في الواقع كانوا مجموعة من الحيوانات المختلفة الأنواع والأشكال إلى حد بعيد . وكانت معرفة صفاتها الخاصة وأسمائها وأساطيرها السلاح الرئيسي في علم السحر ، إذ به يمكن الإنسان أن يجبرها ويقهرها على خدمته ، وتأتي بنتائج لحسابه الخاص لها نفس التأثير الذي كان يصل إليه الإله بنفس الطرق . وقد بقي تراث هذه

الاعتقادات في مصر إلى يومنا هذا في استخدام الجن وخدامها ويرى المطلع على تاريخ الديانة المصرية أنها كانت في بدايتها مصطفة بصفة مظلمة قائمة ، إذ نجد معظم الآلهة تتألف من كائنات خيثة مؤذية تبعث دائما على الخوف والقلق . فنشاهد بجانب الحيوانات الأليفة مثل الثور

عبادة الحيوانات  
المؤذية

والكباش حيوانات أخرى متوحشة مؤذية ، وهى التى كانت تعبد بكل إخلاص وتقان ، كالثعبان والذئب وغيره . ولا غرابة إذا كنا نمجد فى صلوات الأموات ودعائهم ، وكذلك فى التعاويذ السحرية التى تستعمل فى الحياة العامة ، أن دنيا بنى الإنسان وكذلك عالم الأرواح كانت أهلة بالقوى الشريرة ، وهذا الاعتقاد نجده نافذا إلى كل أساطير الآلهة . إذ الحقيقة أن تلك القوى مشبعة بجم الدم وأعمال العنف والشدة ، وقد

الآلهة « رع » وحده  
بين الإنسان

لعب الإله « رع » نفسه دورا عظيما فى أعمال القسوة ، إذ أهلك بنى الإنسان فى سالف الأزمان بواسطة الإلهة « سخمت » التى على شكل امرأة برأس لبؤة ؛ والأسطورة التى حفظت لنا يقال إنها تمثل عين « رع » وإنها نفس الإلهة « حتحور » وهذه الأسطورة هى أحدث الأساطير التى كتبت عن الإله « رع » ، وتظهر فيها الناحية الإنسانية بشكل جلى ، ولذلك هشت على كثير من مقابر الملوك وتتلخص فيما يأتى :

كان « رع » فى سالف الزمان يحكم الالهة والناس على السواء ، ولكن على مر الأيام طعن فى السن وكانت عظامه من فضة وأعضاؤه من ذهب وشعره من اللارورد الحقيقى ، ولكن الناس لاحظوا ذلك وتآمروا عليه ، غير أن الإله عرف نواياهم وقال لأحد أتباعه : ناد عيني وشو ، وتفت ، وجب ، ونوت ، وكذلك الآباء والأمهات الذين كانوا معى وقت أن كنت فى ماء المحيط « نون » ، وكذلك ناد الإله « نون » . . . . . واجلهم يأتون خفية حتى لا يراهم الناس ، وحتى لا يستولى

على قلبهم الفزع . وعليك أن تحضر مع هؤلاء الآلهة إلى القصر ليعرضوا  
وجهة نظرهم . فحضر هؤلاء الآلهة وسجدوا على بطونهم أمام جلالة وقالوا  
تكلم إلينا حتى نسمع ما ستقوله لنا ، وعندئذ قال « رع » إلى « نون »  
أنت أيها الإله أقدم الكل والذي منه ولدت . وأنتم أيها الأجداد  
المقدسون انظروا إلى بنى البشر الذين خلقوا من عيني لقد تآمروا ضدى  
قولوا لى ما الذى تصنعونه ضد هذا العمل ولن أقتلهم قبل أن أسمع  
ما تريدون أن تقولوه ، فقال جلالة الإله « نون » : يا بنى « رع »  
أنت الإله الذى يفوق والده وكل مخلوقاته فى العظم ابق على عرشك  
فإن الخوف الذى تنشره عظيم إذا صوبت عينك ضد المتآمرين .

وعند ما صوب الإله « رع » عينه عليهم هربوا إلى الصحراء لأن  
قلوبهم استولى عليها الهلع مما قاله ، ومع ذلك فإن الآلهة نصحوا إليه  
أيضاً أن يرسل عينه لتتقن أثر المتآمرين لتضربهم ، فأرسل « رع » عينه  
التي نزلت إلى الأرض بصفته الإلهة « حتحور » ، ولكن هذه الإلهة  
عادت بعد أن قتلت الناس فى الصحراء ، وعندئذ قال جلالة الإله :  
أهلاً بقدومك يا « حتحور » ... فأجابته هذه الإلهة بحياتك لقد كنت  
شديدة البأس بين الناس وقد سر ذلك قلبى .

ولكن « رع » خاف أن تهلك « حتحور » الناس عن بكرة أبيهم  
فى الغد ، وقال أيت إلى على وجه السرعة برسل سريعين يعدون مثل  
الظل . فأحضر إليه رسل من هذا النوع على وجه السرعة ، وقال لهم

جلالته : اعدوا إلى الفتين وأحضروا إلى مقداراً عظيماً من مادة « ديدى » وأعطيت هذه المادة لحامل الخصلة ، فى عين شمس فطحنها هذا الملاك فى حين كان الخدم يحضرون الجمعة بالشعير وبعد ذلك صبت هذه المادة « ديدى » فى الجمعة فأصبح لونها كلون الدم ..... وشربت منها « حتحور » حتى ثملت وبذلك كفت عن فناء العالم ، ولكن الإله « رع » المسن بعد أن خلّص البشر من الفناء التام لم يعد يرغب فى الاستمرار فى حكم هؤلاء المخلوقات الذين لا وفاء لهم ، وقال بجبانى أن قلبى قد مل البقاء معهم ، وعندئذ يدخل الإله « نون » ونادى بقربه بنته « نوت » التى على شكل بقرة ، فاعتلى ظهرها الإله « رع » ورفعته إلى السموات العلى وصارت منذ ذلك الوقت هى السماء ؛ ولكن عندما طلت « نوت » من أعلى ارتجفت أعضاؤها بسبب ارتفاعها ولكن « رع » نادى الإله « شو » وقال له يابنى « شو » ضع نفسك تحت بنتى نوت واحملها على رأسك ففعل « شو » ما أمر به ؛ ومنذ ذلك العهد كان يحمل البقرة السماوية التى على بطنها تسطع النجوم وتسبح الشمس فى سفينة. (أنظر صفحة ٢٠١).

« رع » ينحى بنى  
الإنسان

ومنذ ذلك العهد كان يحمل « رع » على جبهته الثعبان السام وهو الصل الخفيف الذى ينفث النار فى وجه الأعداء . كل هذه المظاهر تشرنا بأن الديانة فى بدايتها كانت قائمة مظلمة ، ولذلك يدهش الإنسان للخطوات الواسعة التى خطتها المدنية المصرية نحو الرقى الفكرى عند ما قرأ تاريخهم فى عهد الدولة القديمة ؛ ولكن الواقع أن هذه الحقائق تجذب الرأى القائل ،

أصل الصل ( الثعبان )  
الفرعونى

سبب رقى البلاد

بأنه قد مر على مصر عصر طويل من الثقافة كان لا بد أن تمر به البلاد أولاً لتصل إلى ما وصلت إليه ، في نواحي الحياة الأخرى التي ضربت فيها بسهم صائب ، وكان لها أحسن تأثير في رقيها الفكري والأدبي والمادى ، فمن ذلك أن تربية الماشية وزراعة الحقول وتنمية التجارة التي نتجت عن هذا الرقى والتقدم ، أثر تأثير حسناً في أنظمة الحكومة وفي إقامة العدل وهذب أخلاق القوم ، ومما جعلهم يتركون ظهرياً كل الشعائر والطقوس الوحشية في كل مكان ، حتى أنه لم يبق منها إلا رموزها ، ولا أدل على ذلك من أنه منذ عصر ما قبل التاريخ قد اختفت الضحايا البشرية التي كانت تقرب في الطقوس الدينية ولم يبق دليل على وجودها في سالف الأزمان إلا الدمى التي كانت توضع مع المتوفى في قبره ، أو عادة دفن المقربين من الفرعون معه في القبر ، أو ما نشاهد في عهد الدولة المنفية من بناء العظماء مقابرهم حول هرم ملوكهم .

اختفاء الضحايا البشرية

ويدل تقريب الضحايا في مصر القديمة من بعيد على أن الآلهة كانوا في الأزمان السحيقة يحبون دماء الضحايا وهذا يلاحظ من وضع طعام الضحية بعد ذبح الحيوان أمام المعبد على مائدة القربان أمام الإله ؛ وهذه الأطعمة كانت تشمل على لحوم ومشروبات ، وفطائر وأزهار وغيرها . ولكن أهم شيء كان يقدم هو البخور . وكان يتمتع بكل هذه الأشياء الكهنة المطهرون والكهنة خدام القرين ( الروح المادية ) .

ضحايا الحيوان ذكرى للضحايا البشرية

ورغم ما وصل إليه المصري من المدنية والرفق فإنه استمر محافظاً على

المصرى محافظ  
على القديم

قص الأساطير العتيقة المبهوشة ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن المصرى بطبعه كان محافظا لا ينسى، فكان يحافظ على التقاليد القديمة مهما كانت سخيفة غير معقولة ، وكان يستعملها في أغلب الأحيان في أمور السحر الذى كان من أهم ضروريات الحياة المصرى، ولا يهمه مادام يصل إلى أغراضه أن يتبع كل الطرق السحرية سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة . ولكن رغم هذه الأساطير كانت عند المصرى فكرة تقية صافية عن الإله مما جعل العلاقة بين الناس يسودها وازع خلقي ، سدها العدل ولحمته النظام المستتب ؛ وهذه كانت منحة من الآلهة أيضا ، لأنهم وإن لم يكونوا أنفسهم مثلا عليا للأخلاق فإنهم رغم ذلك حماة النظام الخلقى ، فيعاقبون من يهتك حرمة هذا النظام ، كما يعاقبون من يتعدى حدود تعاليم الطهارة الجسمية .

الآلهة حماة النظام  
الخلقى

آلهة العدل

وقد مثل المصرى العدالة التى تقوم على مبادئها كل المدنية المصرية وحسن سير الجماعة ، منذ فجر التاريخ في هيئة إلهة ( امرأة ) حسناء تحمل فوق رأسها ريشة أو في صورة ريشة فحسب ؛ وأطلق عليها اسم « معات » ونسبتها بنت الإله « رع » إله الكون وزوجها الإله « تحوت » المنشئ لكل مدينة العالم .

المدنية المصرية  
منشأها الدين

والواقع أن نشأة المدنية المصرية التى قوامها العلم والعدل والإدارة الحسنة في نظام الحكم، يرجع إلى أصل ديني ، أو اجتهد المصرى أن يعزوه إلى أصل ديني ، وذلك لأن الدين كان متغلغلا في كل مرافق حياته

ولذلك رمز لكل منها بصورة ملموسة أمام المجتمع يهتدى بهديها . فمثل  
إله العلم «تحتوت» مثل بالطائر إيبس أو القمر وفي يده قلم وقرطاس<sup>(١)</sup> ، ومثل إلهة  
العدل بامرأة تحمل ريشة فوق رأسها رمز الدقة والعدالة ، أما الإدارة  
ونظام الحكم فكان ممثلا في الإلهة « سشات » ( ومعناها التي تكتب ) وتمثل  
على شكل امرأة جالسة على كرسيها ويدها قلم وقرطاس تكتب فيه ، وكانت  
تعد سيدة بيت الكتب ، وتعتبر أول إلهة نقشت ( أى كتبت ) . وكانت  
وظيفتها أن تدون كل الأعمال الجليلة التي يقوم بها الملوك . وكانت تنقش  
أسماءهم على شجرة في معبد عين شمس وهي والآلهة « معات » من رفاق  
الآله تحتوت ؟

---

(١) شبه مقار الطائر إيبس ( أبو منجل ) بالقلم إذ ينقر به ( أى يكتب ) ولذلك سمي إله  
الكتابة والنقش .

## مصادر المقاطعات في العهد الفرعوني وما بعده

من المحتمل جدا أن يكون تقسيم البلاد إلى مقاطعات منذ أقدم عصور التاريخ المصرى هو النظام الإدارى السائد فى بلاد الوجه القبلى . ويظهر أن علماء الجغرافية الذين اهتموا بجغرافية مصر القديمة يعتقدون أن عدد المقاطعات فى البلاد قد بقى على ما هو عليه منذ الدولة القديمة وبخاصة فى الوجه القبلى ما بين « منف » إلى الألفتين ، وقد حدد هذا العدد باثنتين وعشرين مقاطعة كما ذكرنا آنفا ( انظر ص ١٦٩ وما بعدها ) أما فى الدلتا فيعتقدون أن العدد كان يتغير حسب الأحوال ، ولكنه كان على أية حال ٢٠ مقاطعة منذ أقدم العهود ، ولذلك يقول الأستاذ « إرمن » أن تأليف البلاد من اثنتين وأربعين مقاطعة يحتمل رجوعه إلى عهد توحيد الصعيد والدلتا ، وقد يجوز أنه تغير فيما بعد إلا أن التقسيم القديم بقى تقليدا متبعا حتى العهد الرومانى ، ويظهر ذلك جليا فى الاثنتين والأربعين قاضيا الذين كان يتألف منهم قضاة محكمة « أوزير » لمحكمة المتوفى أى أن كل قاض كان يمثل مقاطعة .

ولكن يظهر أن الأبحاث الحديثة بعضها يخالف هذا التقسيم وبخاصة فى الدلتا ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه رغم تحديد عدد مقاطعات الوجه القبلى باثنتين وعشرين مقاطعة منذ الدولة القديمة ، فإن المقاطعتين الحادية عشرة والثامنة عشرة كانتا غالبا تحذفان من قوائم المقاطعات لأسباب دينية وذلك لأنهما يمثلان إله الشر « ست » .

أما نظام عدد مقاطعات الدلتا فإنه لم يتم إلا تدريجيا ، إذا صدقنا ما وجد



على ققوش الدولة الوسطى . إذ لم نعث في معبد الملك « سنوسرت الأول » الذي كشف عن حجارتة مستعملة ثانية في معبد الكرنك ، إلا على ستة عشرة مقاطعة . والواقع أن عدد المقاطعات لم يظهر أمامنا بصفة قاطعة مشتملا على الاثنتين والأربعين مقاطعة ، إلا على معابد الأسرة التاسعة عشرة ، وبقي هذا قليدا حتى عهد البطالسة ومن ثم أخذ يحدث تغيير وتبدل في أسماء المقاطعات وعددها كما سنشرح هنا .

وأهم المصادر التي استقينها معلوماتنا عن المقاطعات هي القوائم التي في المعابد وما كتبه الكتاب الإغريق واليونان .

وقد بدأ البحث في جغرافية مصر منذ أواسط القرن الثامن عشر . وسنذكر هنا أهم المؤلفات التي عني فيها بالمقاطعات المصرية منذ القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا .

1. Bourguignon d'Anville. Mémoires sur l'Egypte Ancienne et Moderne et une carte intitulée Ægyptus Antiqua, 1765 Paris.

دون المؤلف في خريطته قائمة بالمقاطعات القديمة وعددها ٥٣ ، منها تسع وعشرون مقاطعة في الدلتا وعشرة في مصر الوسطى ( هبتو مانا ) بما فيها واحات صحراء لوييا ، و ١٤ مقاطعة في مصر العليا . وقد ذكر في الفصل الخامس من هذا الكتاب الذي وضعه بعنوان وصف مصر مقسمة إلى مديريات ، المصادر التي استقى منها معلوماته وهي ما كتبه « ديدور الصقلي » ، و « استرابون » و « بليني » ، و « بطليموس » ، ثم Deys le periegate, La notitia dignitatum, et synecdemos d'Hieroclés.

2. Description de l'Egypte.

وهو الكتاب الذى ألفته البعثة العلمية التى أتت مع نابليون إلى مصر . وقد جاء فيه فى الجزء الخامس (اللوحة الثامنة والخمسون) قائمة ناقصة بأسماء المقاطعات تقلا عن النقود الرومانية .

3. *Quartremere, Mémoires géographiques et historiques sur l'Egypte*  
2 vol. Paris 1811.

وقد تكلم المؤلف فى كتابه هذا عن المدن والقرى المصرية ولكنه لم يتعرض للمقاطعات .

4. *J. Fr. Champollion; l'Egypte sous les Pharaons, ou recherches sur la religion et l'histoire de l'Egypte avant l'invasion de Cambyse.* 2 vol. Paris 1814.

وقد لاحظ شامبليون فى مؤلفه هذا تغير المقاطعات فى العصور المختلفة حسب ازدياد عدد المقاطعات فى العهد الإغريقى الرومانى ، ولم يكن وقتئذ قد حل رموز اللغة المصرية . غير أنه قال إن البلاد كانت مقسمة إلى ٣٦ مقاطعة ، عشر منها خاص بقسم طيبة و ١٦ بمصر الوسطى وعشر بمصر السفلى . وهذا العدد قليل جدا بالنسبة للعدد الذى ذكره أنفيل (Anville) ولكنه مساو للعدد الذى ذكره «ديدور» و«استرابون» .

5. *Tochon; Recherches sur les Médailles des nomes ou préfectures de l'Egypte;* Paris 1822. (P. 10 - 15).

وقد ساعد هذا المؤلف على تكملة المعلومات التى استقيناهما من الكتاب الإغريقى والرومان عن المقاطعات . ويرجع الفضل له فى أنه أظهر لنا أن أسماء هذه المديرينات قد نقلها الكتاب القدماء مختلفة ، وأن المقاطعات التى ذكرها هردوت واسترابون لم تكن كلها هى نفس التى ذكرها بليني وبطليموس . وأن النقود قد ظهر

عليها أسماء أربع مقاطعات لم تكن معروفة للكتاب المتقدمين الذين ذكرناهم.

6 J. Franz . Corpus inscriptionum græcarum, 1853(P.282 - 284)

وقد خصص المؤلف في مقدمة كتابه فصلا للمقاطعات التي ذكرها

«هردوت»، و«استرابون» و«بطليموس» .

7 G. Parthy. Zur Erkunde des Alten Ægypten 1859. (P. 509-538).

قدم الأستاذ برقي مؤلفه هذا إلى أكاديمية برلين وقد وضعه بست عشرة

خريطة ، الخمس الأولى منها خصصها للمقاطعات التي ذكرها هردوت واسترابون

وبليني ، وبطليموس ، والنقود . أما الخرائط الباقية فمستقاة من الوثائق الحكومية

للعهد الروماني .

8.a. Dumichen, Geographie Inschriften 2 vol.

b. Dumichen, Geschichte des Alten Ægypten, Berlin, 1879.

ولم يذكر لنا المؤلف تفصيلا في كتبه عن المقاطعات وكل ما أشار إليه أن

المقاطعات كان عددها في مصر يتراوح بين ٣٥ و ٤٧ مقاطعة ( انظر ص ٣٠ من

تاريخ هذا المؤلف ) وذلك حسب ما جاء في النصوص المصرية .

9. Brugsch.; Dictionnaire Géographique de l'ancienne Egypte  
1879. Leipzig.

ويعتبر الأستاذ برکش المؤسس الأول في وضع مؤلف شامل لجغرافية مصر

القديمة . ولم يبحث في كتابه موضوع المقاطعات إلا حسب ما جاء في القوائم المصرية

القديمة ويمجد القارىء في أول هذا المؤلف قوائم بأسماء مقاطعات الوجه القبلي ومقاطعات

الوجه البحرى . وما يقابلها في الأطلال الباقية الآن في البلاد وكذلك أسماء الآلهة

التي كانت تعبد في كل مقاطعة.

10. Sayce. The Ancient Empires of the East. 1883. (Herodotus I-III).

ذكر لنا الأستاذ «ساييس» أن المقاطعات كان يختلف عددها حسب العصور .  
وقد وضع قائمة بالاثنتين والأربعين مقاطعة التي ذكرت في النقوش المصرية ٢٢  
للوجه القبلى و ٢٠ للوجه البحرى ودون اسم كل مقاطعة بالمصرية واسم عاصمتها ،  
وكذلك بالإغريقية والعربية . هذا إلى أنه ذكر لنا بعض معلومات عن كيفية الحكم  
فيها منذ أقدم العصور الفرعونية حتى عصر البطالسة .

11. J. De Rougé, Géographie de la Basse-Egypte et memoires des Nomes.

ويعد هذا المؤلف أحسن ما كتب عن جغرافية الوجه البحرى . وقد كشف  
عن كثير من الموضوعات النامضة . ثم تلاه الأستاذ درسى Daressy وكتب  
عدة مقالات ممتعة عن جغرافية مصر السفلى في عدة مجلات وبخاصة مجلة المتحف  
المصرى . وقد جمع أخيراً « ليوفتش » فهرساً بكل كتاباته في هذا الموضوع وغيره .  
Annales du Service « t XXIX P. 18 - 41 »

12. Wiedmann. Herodots zweites Buch p. 442 — 574 .

ولم يذكر لنا في كتابه هذا إلا أن عدد المقاطعات كان يختلف . فيقول أن كل  
من ديدور واسترابون ذكر ٢٦ مقاطعة ، وذكر بليني ٤٨ ، أما بطليموس فذكر  
٤٧ ، وجاء على الآثار ٤٤ مقاطعة .

13. Muller, Geographie de Cl. Ptolomie Paris 1883—1890. Und Atlas

وفى هذا المؤلف نجد قائمة جديدة عن مقاطعات الوجه البحرى .

14. A. Simaika. Essai sur la province romaine d'Egypte, Paris, 1892.

وقد بين لنا الأستاذ سميكة المصرى الجنس لأول مرة الأسباب التي أدت

إلى الاختلافات في قوائم المقاطعات إذ يقول (١) أن مدنا جديدة قد حلت محل مدن قديمة ، ومن أجل ذلك كانت العاصمة تتغير أحيانا . (٢) كان يحدث أن تقسم مقاطعة عظيمة المساحة إلى مقاطعتين أو أكثر . (٣) كان العكس يحدث أن تضم مقاطعتان أو أكثر تحت سيطرة حاكم واحد وذلك أما لصغرهما أو لقلّة عدد السكان فيها . وقد دون المؤلف كذلك قائمة بأسماء المقاطعات .

15. Steindorff. Die Ägyptische gau und ihre politische entwicklung, 1909 Leipzig.

فحص الأستاذ «شتيندورف» التغيرات التي طرأت على قوائم المقاطعات منذ العصر الصاوى حتى العصر الرومانى . وبين أن القوائم التقليدية المنقوشة على معابد البطالسة لا توافق التقسيم المصرى الحقيقى القائم فى البلاد فى عهد البطالسة فثلا ، لم نجد فيها إحدى المقاطعات الهامة جدا وهى مقاطعة الفيوم الحالية إذ بقيت على قوائم المعابد تكون جزءا من المقاطعة الواحدة والعشرين فى الوجه القبلى .

16. Maspero, The Dawn of Civilization, London 1910.

كتب العالم العظيم مسبرو فى كتابه هذا بعض معلومات قيمة عن المقاطعات من ( ٧٠ - ٧٨ ) ورسم خريطة للوجه القبلى وأخرى للوجه البحرى وبين عليهما كل المواقع القديمة وأسماء المقاطعات وما يقابلها فى الأسماء العربية الآن .

17. Ed. Meyer ; Histoire de L'antiquite T. II. L'Egypte jusqu'à L'Epoque des Hyksos. Trad. Monet. 1914 Paris

وقد أفرد هذا المؤلف العظيم فصلا فى كتابه هذا عن المقاطعات وآلهتها

وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة ( ص ٧٤ - ٨٦ ) .

18. a. Petrie Historical studies vol II p.22-29. The nomes of Egypt London 1911.

b. Petrie, Social Life in Ancient Egypt (46—47) London 1923.

درس الأستاذ بترى فى كتابه المطالعات التاريخية نشأة المدن المصرية والمقاطعات ، ثم وضع نتائج فحصة فى قوائم منقولة عن قائمة من القوائم المدونة فى معبد «سيتى الأول» بالعراة وكذلك عن القائمتين الموجودتين فى البردية المالية التى من عهد البطالسة ، وعن قوائم استرابون وبلينى وبطليموس والنقود الرومانية ولم ينقل شيئاً قط عن قائمة هردوت .

أما فى مقاله فى كتاب (الحياة الاجتماعية عند المصريين) فقد ذكر لنا أن سبب ازدياد عدد المقاطعات يعزى إلى ازدياد عدد السكان وبذلك - حسب رأيه - أصبحت الست عشرة عاصمة التى كانت فى القطر منذ أقدم عصور ما قبل الأسرات ، ١٧ ثم ازدادت إلى ٢٥ فى عهد الدولة القديمة ثم إلى ٤١ فى عهد الدولة الوسطى ، ثم ٦٧ فى عهد الدولة الحديثة . أما عدد المقاطعات فإنه نزل من ٦٧ إلى ٥٧ فى العهد الرومانى أى أصبح ٢٢ فى الوجه القبلى و ٣٥ فى الدلتا . غير أن معظم هذه الأرقام لا تتركز على حقائق علمية ثابتة ولذلك لا تحتل النقد .

19. Hohlwein, L'Egypte Romaine Bruxelles; 1912.

وقد جمع المؤلف فى كتابه هذا كل النتائج التى وصل إليها أسلافه عن المقاطعات ثم قال إن كتابات العصر الرومانى وجد فيها ٧٦ إسمًا لمقاطعات ولم يذكر لنا المقاطعات التى حلت محل مقاطعات أخرى .

20. Budge. From Fetish to God in Ancient Egypt, London 1934.

وتكلم لنا الأستاذ بدخ فى كتابه هذا عن الأوثان التى كانت تعبد فى المقاطعات .

21. H. Dessau ; Geschichte des Romischen Kaiserzeit II Band 2  
Abteilung. Berlin 1930.

ويرى هذا المؤلف ( ص ٦٨٨ ) أن عدد مقاطعات القطر لا بد أنه كان  
في العهد الروماني أقل مما كان عليه في العهود التي قبله .

22. Gauthier; Dictionnaire des noms Géographiques contenus dans  
les Textes Hiéroglyphiques, 6 vol. Le Caire 1924.

وهذا القاموس يشمل كل الأسماء التي ورد ذكرها في النقوش المصرية  
سواء أكانت في مصر أم فيما جاورها من البلاد وقد تكلم عن المقاطعات ، كل في  
مكانها حسب الحروف الأبجدية كما جاءت في النقوش المصرية .

23. A. Moret; Le Nil et la civilisation Egyptienne, Paris 1926(P.47-80).

كتب الأستاذ «موريه» فصلاً هاماً عن المقاطعات وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة  
حسبما جاء في النقوش المصرية وتكلم عن نظام المقاطعة من الوجهة الإدارية والدينية  
وكذلك عن كيفية تكوينها بصورة واضحة جلية ثم وضع قوائم بأسماء المقاطعات  
وعواصمها ورموزها وآلهتها . ورسم خريطة لكل من الوجه القبلي والوجه البحري .

24. Budge; Egyptian Hieroglyph Dictionary. 2 vol. 1920.

وقد خصص الأستاذ بدج فصلاً خاصاً لكل الأسماء المصرية الجغرافية  
والمقاطعات المصرية التي جاءت في النصوص المصرية .

25. Sethe; Urgeschichte und Alteste Religion Der Agypter.1930.

أفرد الأستاذ « زيته » في كتابه هذا فصلاً عن مقاطعات مصر وشرحها  
شرحاً علمياً من الوجهة الدينية والاجتماعية ووضع في نهاية كتابه خريطة للوجه  
القبلي وأخرى للوجه البحري وبين فيها المقاطعات.

26. Jacques Pirenne. Histoire des Institutions et du Droit Privé de  
l'ancienne Egypte. Bruxelles 1932.

وقد أفرد في الجزء الأول من مؤلفه هذا فصلا عن المقاطعات حسب التقسيم التقليدي أى ٤٢ مقاطعة ووضع خريطة لكل من الدلتا والوجه القبلى .

27. Gauthier, Les Nomes d'Egypte depuis Hérodote jusqu'à la Conquête Arabe. Le Caire 1935.

وهذا المؤلف يعد أحسن ما كتب فى الموضوع لأنه جمع آراء كل من سبقه وناقشها وتكلم عن كل مقاطعة منذ نشأتها حتى النهاية وكذلك قد وضع الأستاذ جوتييه فهرسا ممتعا لكل ما كتب عن جغرافية مصر فى كتاب سماه :

28. Bibliographie des études de Géographie historique Egyptienne 1920, dans Bull. de la Soc. Sultanieh de Géographie d'Egypte t. IX.



## مصادر فصل الديانة

إن كل ما وصل إلينا من النقوش والكتابات المصرية القديمة يكاد يكون في معظمه دينياً أو له علاقة بالشعائر الدينية ، ولا غرابة في ذلك ، إذ أن ما بقي لنا من تراث القوم قد عثر عليه في المقابر أو المعابد لغرض ديني، ولذلك لا نكون مغالين إذا قررنا هنا أن كل نقش أو كتابة على البردي عثر عليه حتى الآن ، ولو كان في ظاهره خاصاً بالتاريخ أو الطب أو الاجتماع، فإنه وضع في الأصل لقصد ديني أو له مساس بالدين من أجل ذلك سنكتفي هنا بذكر أهم المصادر الأصلية التي لها علاقة مباشرة بالدين ثم نذكر الكتب التي وضعها علماء الآثار عن الديانة المصرية منوهين بقدر ما تسمح به الأحوال عن مضمون كل مؤلف ونظريته في الديانة المصرية ، وكذلك سنذكر هنا بعض المؤلفات التي كتبها العلماء عن بعض الآلهة المصرية سواء أكانت في كتب منفردة أو مقالات في مجلات علمية .

## أهم المصادر الأصلية

1. Le Livre des Pyramides, par Maspero. 1882 - 1892. Rec. Tr.4 - 14  
متون الأهرام . وهي النقوش التي وجدها العالم مسيرو منقوشة على جدران  
أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة في سقارة عام ١٨٨١ . وتعد أقدم مجموعة  
من التعاويذ الدينية التي وصلت إلينا من أقدم العصور . وقد ترجمها الأستاذ مسيرو  
بسرعة .

2. Die Altägyptischen Pyramiden texte. 4 vol. Leipzig. 1908-1922.

متون الأهرام. جاء بعد مسبرو العالم الألمانى «زيت» وطبع متون الأهرام ككرة أخرى بعد أن راجعها وتصحها وكتب شروحا عليها ، ثم أخذ يعد فى ترجمة لها ولكن وافاه القدر قبل أن يتم عمله ، وبعد موته نشر الأستاذ « جربوف » العالم الألمانى ما تركه « زيت » مترجماً فى أجزاء ، ظهر منها أربعة باسم :

3. Sethe; Übersetzung Und Kommentar zu den altägyptischen Pyramiden texte; Glückstadt und Hamburg. 1939.

4. Speclers, Comment faut-il lire les textes des Pyramides Egyptiennes ? Bruxelles 1934.

هذا الكتاب محاولة من مؤلفه لترجمة متون الأهرام بالفرنسية ولكن الفرق عظيم بينه وبين ترجمة الأستاذ « زيت » الذى خصص حياته لدرس هذا الموضوع.

5. Textes Religieux par Pierre LACAU. ( Rec. de Travaux ) Vol. 26 - 31 et Tirage à part, Paris 1910.

هذه النقوش أكبر مصدر لنا عن الديانة فى عهد الدولة الوسطى وهى مكتوبة على جدران التوابيت الخشبية لهذا العصر.

والواقع أن توابيت الدولة الوسطى منبع فياض من المعلومات عن المتون الجنائزية فالتوابيت التى تم نقشها من الداخل فى هذا العصر تحتوى على سلسلة فصول وضعت تحت تصرف المتوفى وقد كتبت بالخط الهيراطيقى وتشغل فى العادة النصف الأسفل من جهات التابوت الأربع ، وأحيانا تشغل كل قعر التابوت والغطاء . وهى تكون جزءا هاما أساسيا من تصميم التابوت ، وهذه المتون فى الواقع منقولة عن متون الأهرام التى كتبت على جدران حجرة الدفن فيها ؛ وبعد ذلك كتبت على جدران المقابر فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، ثم بعد ذلك كتبت فى داخل التابوت

عند ما اعتقد المصرى أنه أصبح مختصراً لحجرة الدفن . وقد صارت القاعدة بعد ذلك فى الدولة الوسطى ولكن فيما بعد عندما أصبح التابوت يعمل على شكل آدمى - كتبت هذه النقوش على ورق البردى ووضعت بجوار الموميا . ومجموع هذه الفصول أطلق عليه علماء الآثار ( كتاب الموتى ) .

ومتون الأهرام وكتاب الموتى ليس فيها إلا فصول قليلة مشتركة . والظاهر أن كلا منهما منفصل عن الآخر ، ولكن متون توايت الدولة الوسطى تشمل على عدد يكاد يكون متساوياً من فصول متون الأهرام ومن كتاب الموتى فهى فى الواقع همزة الوصل بين الاثنين وتبين بوضوح أن كلا من المتنين يشترك فى غرض واحد . وكل محتويات هذه المتون هى تعاويذ من نوع واحد تضمن لمن يعرفها من المتوفين الخلود فى الأحوال المختلفة فى الحياة الآخرة فى القبر .

يضاف إلى ذلك أن توايت الدولة الوسطى تحتوى على عدد عظيم من الفصول لم نجدها لا فى متون الأهرام ولا فى كتاب الموتى ، وبذلك تزيد فى معلوماتنا عن الديانة المصرية . والحقيقة أن الإنسان ليدھش من تدرج المعتقدات الدينية . إذ نجد أن كتاب الموتى يضم أحياناً نحو ١٨٠ فصلاً التى لا يشك فى أنها مختصر لمجموعة عظيمة جداً من الفصول الدينية ، أما متون الأهرام فقد عثرنا دفعة واحدة على ٤٥٣ فصلاً . ولا تزال الفصول الدينية التى من عهد الدولة المتوسطة تزداد بازدياد الكشف ، وقد قام أخيراً المرحوم الأستاذ «برستد» بالإشراف على طبع كل هذه المتون بمقارنة بعضها ببعض ووكّل أمر ذلك للعالم الهولندى « دى بك »

6. De Buck. The Egyptian Coffin Textes, Chicago, 1935.

وقد ظهر منه للآن جزأان .

أما كتاب الموتى الذى أشرنا إليه فقد طبعه أولا :

7. Naville, Das Ägyptische Todtenbuch der XVIII bis XX Dynastie Berlin 1886.

وهذا الكتاب يعرف عند الأثريين خطأ بكتاب الموتى ، والواقع أنه يحتوى على عدة فصول وتعاويد تساعد المتوفى فى آخرته وتعاونيه على الحساب أمام الإله الأكبر « أوزير » ؛ وكذلك لخروجه ودخوله فى القبر وسياحته إلى عالم الآخرة ، وهذه الفصول وجدت مكتوبة على بردى موضوعة مع المتوفى فى تابوته منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وتعتبر هذه التعاويد المرحلة الثالثة فى نمو الأدب الدينى عند المصريين ومعظمها يرتكن على السحر ؛ وقد ترجم كتاب الموتى هذا عدة علماء ولكن أحسن مرجع يمكن الاعتماد عليه مؤقثا هو :

8. Le Page Renouf. The Lifework of Sir Peter Le Page Renouf, IV Vol. Paris 1907.

9. Le livre des morts, dans la Revue de l'histoire des Religions XV

10. Grapow. Religiöse Urkunden 3 Bande, Leipzig 1915 - 1917.

وقد ناقش المؤلف فى هذا الكتاب بعض فصول كتاب الموتى وترجمها .

11. Schott. Urkunden Mythologyschen Inhalts. Leipzig 1929.

ويمتاز هذا الكتاب بأنه يحتوى على متون دينية من العصر المتأخر ولكنها مترجمة.

نتقل بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الآثار من الكتب عن الديانة المصرية

القديمة وأهمها ما يأتى :

1. ERMANN. Die Religion der Ägypter. Berlin 1934.

بعد الأستاذ إرمن من أكبر علماء الآثار واللغة المصرية وقد بحث فى

كتاب هذا الديانة المصرية واستعرض فيه الآلهة المصرية والمعتقدات المتضاربة التي وجدها في ديانة القوم وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية .

2. Wild; La religion des Egyptiens, Paris 1937.

3. Breasted; Development of Religion and Thought in Ancient Egypt. New York. 1912.

يعد هذا الكتاب من أمتع الكتب التي كتبها الأستاذ برستد عن ديانة المصريين وقد بنى كل استنتاجاته على متون الأهرام . وشرح فيه بوجه خاص الفرق بين عبادة الشمس وعبادة « أوزير ».

4. Roeder. Urkunden zur Religion des Alten Aegypter, Iena 1915.

جمع الأستاذ ريدير في هذا الكتاب عدة متون دينية من كل العصور وترجمها . وكتب لها مقدمة ممتعة لمن يريد البحث في تاريخ الديانة المصرية وتطوراتها ويظن أنها ديانة وحدانية .

5. Maspero. Etudes de Mythologie et Archéologie Egyptienne 8 vol. Paris. 1893 - 1916.

ويجد القارئ في هذه المجلدات أبحاثاً عدة في قطوع عويصة في الديانة المصرية القديمة تناولها بمهارته وإلمامه وعلمه المشهور . ويلاحظ في كتابة الأستاذ مسبرو أنه يعتقد أن الديانة المصرية القديمة هي عبارة عن ديانة شرك فيها متناقضات كثيرة إذ نجد عند القوم في عهد واحد الوثنية والشرك ، والتوحيد ، هذا هو رأى الأستاذ إرمين كما ذكرنا آنفاً .

6. Sayce. Religion of Ancient Egypt, Edinburgh. 1913.

ويقول المؤلف إن الغرض من كتابه هذا عن الديانة المصرية أن يفسر

القدسية بين المصريين القدماء وأن الديانة المصرية تفسر قول الإنجيل : إن نور الله ينير لكل من أتى على الأرض .

7. Steindorff. The Religion of the Ancient Egyptian.

هذا الكتاب يحتوى على سلسلة محاضرات ألقاها الأستاذ ستيندورف عن الديانة المصرية وشرح نواحيها وأظهر أنها بشير تقدم الديانة الموسوية والديانة المسيحية . وقد ترجم إلى اللغة العربية وطبع بمطبعة المعارف .

8. Max Muller, Egyptian mythology, Boston 1923.

طبع هذا الكتاب بعد وفاة صاحبه . ويحتوى على كل الأساطير التي جاءت في كتب الديانة والآلهة عند قدماء المصريين .

9. MORET. Le Rituel divin journalier en Egypte, Paris 1902.

وقد بحث في هذا الكتاب الطقوس والشعائر الدينية التي تؤدى في المعابد المصرية .

10. PETRIE; Religious life in Ancient Egypt 1924.

وقد تكلم الأستاذ بترى في هذا الكتاب عن الحياة الدينية في مصر وشرح ديانة الحكومة وديانة الشعب حسبما يرى هو .

11. Reisner. The Egyptian conception of Immortality, 1912.

بحث الأستاذ ريزنر في هذا المؤلف عقيدة المصرى عن الحياة الآخرة بعد الموت وتكلم عن معنى « كا » ومعنى « با » وعن الاستعدادات التي كان يتخذها المصرى ليحيا في قبره .

13. Budge. From Fetish to God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

ضمن الأستاذ « بدج » في هذا الكتاب كل آرائه وانتهى إلى أن

المصرى يعتقد فى إله واحد وأن الآلهة الأخرى ما هى إلا من خلق هذا الإله الأكبر .

14. Wiedemann, the religion of the ancient Egyptian, London 1897.

بحث فى هذا المؤلف الأستاذ « فيدمان » موضوع ديانة المصريين القدماء بطريقة خاصة . ويرى فى كتبه أن المصرى كان لا يفهم الديانة بالمعنى الذى نحن نفهمه أى أنها مجموع عقائد بل يعتقد أن المصرى كان عنده أفكار دينية فحسب ، أما الديانة كما نفهمها فلم تخطر بباله ، وقد جراه فى ذلك الأستاذ نافيل فى كتابه :

15 Naville, la religion des Egyptiens, Paris 1906.

16. Loret, L'Egypte au temps du totémisme. Paris 1906.

وفى هذا المؤلف يبدى رأي الأستاذ « لوريه » بأن الديانة المهرية القديمة يرجع أصلها إلى عبادة الرمز .

ويجب هنا أن نشرح فى كلمات مختصرة الفرق بين لفظة Totémisme ولفظة Fétichisme فالرمز هو الجد المشترك للحيوانات الحية فعلا من نفس جنس الحيوان المقدس وقد يكون إنسانا وفى هذه الحالة يكون رب القبيلة التى هو منها .

ويمتاز الرمز « التوتم » عن الوثن ، أن الأول ليس فيه أية قوة سحرية وأنه إله عادى لا يمثل أية قوة طبيعية ولذلك أمكن اعتبار عبادة بعض الحيوانات فى مصر أنها ترجع فى أصلها إلى رموز كالثور والتمبان والتمساح .

أما الوثن أو الوثنية فهى فى أصلها الاعتقاد بأن تملك شىء خاص يمكن أن يمنح مالكه المساعدة أو الحماية التى توجد فى الروح أو القوة الكائنة فى هذا الشىء . وهناك طائفة من العلماء يعتقدون أن الوثنية هى الفترة الأصلية للفكرة الدينية ؛ على

أن ما يميز الوثنية عن عبادة الأصنام ، أن الأصنام في نظر المستعربين من عبادها ،  
تمثل الإله فحسب أى أنها رمز يرفرف فوقه الروح الإلهية .

17. A. Moret; *Le Nil et la civilisation Egyptienne* Paris 1926.

وقد وضع فيه الأستاذ موريه كل نتائج أبحاثه في التاريخ والديانة المصرية  
وهو في الواقع ملخص كل كتبه التي كتبها طوال حياته عن مصر . ويعتقد أن الديانة  
المصرية مبنية على السحر وقوته في كل كتبه .

18. Le Page Renouf; *Lectures on the origin and growth of Religion*  
London 1880.

يرى المؤلف في كتابه هذا أن الدين المصرى القديم يكُون وحدة .

19. Brugsch, *Religion und mythologie der Alter Aegypten*.

ويعتقد الأستاذ « برکش » أن الديانة المصرية مادية أكثر منها روحية .

كتب عدد عظيم من علماء الآثار كتباً خاصة ببعض الآلهة المصريين أو أفردوا  
لها مقالات متممة في بعض المجلات العالمية المشهورة وسنورد هنا أهمها .

1. Mallet; *le culte de Neit à Saïs* Paris, 1888.

بحث فيه المؤلف عبادة هذه الآلهة من البداية حتى آخر الكشف التي  
عملت في عهده ولكن ظهرت آراء جديدة بعد ذلك .

2. Junker, *Die onurislegende*, Vienne 1917.

وقد كتب الأستاذ « ينكر » هذا المؤلف القيم ردا على مقال كتبه الأستاذ  
« زيت » عن « عين الشمس » . ويعد هذا الكتاب من أمتع ما كتب في الديانة  
المصرية .

3. W. Budge. *Csiris & the Egyptian Resurrection* 2 vol. 1911.



وقد شرح في مقدمته آراء العلماء في الديانة المصرية ثم ختمها بقوله: أن المصريين يعتقدون في إله واحد وأن الآلهة الأخرى من مخلوقاته ثم قال أن الإله «أوزير» تقمص إنسانا ليكون محسوسا عند المصريين ، وكذلك نسب الديانة المصرية إلى أصل إفريقي وأنها لا تختلف عن ديانة أهل السودان.

3. Boylan. Thot, the Hermes of Egypt. London 1922.

تكلم الأستاذ ييلان في كتابه هذا عن علاقة هذا الإله بالإله «أوزير» والإله «رع». وكذلك شرح وظيفته باعتباره إله القمر ويبن مكاته في تاسوع عين شمس ثم شرح مكاته بصفته المؤسس للنظام الاجتماعي والشعائر المقدسة. وموقفه من الآلهة الثمانية في الأشمونين.

4. "SET". E. Meyer. "Set - Typhon" Leipzig 1875.

ورغم أن هذا المؤلف قديم فإنه لا يزال أهم مصدر لمعرفة عبادة الإله «ست»

5. Sethe; Amon und die acht Urgötter von Harniopolis. Berlin 1929.

بحث الأستاذ «زيت» في كتابه هذا منشأ عبادة الإله «آمون» وعبادته المحلية ثم تدرجه إلهاً للدولة ثم علاقته بالآلهة الثمانية التي تعبد في هرموبوليس (الأشمونين الحالية) ، وهذا الجزء الأخير من الكتاب غامض. وقد كتب الأستاذ «ينكر» مقالا انتقد فيه مؤلف الكتاب في بعض النقط وبخاصة أنه أثبت أن زيت قد أخطأ في قوله : إن الإله «آمون» هو إله الهواء .

6. "NUT". BUSCH, Die Entwicklung der Himmelgötten, Nut zur einer Totengothet. Leipzig 1922. A. Z. 67. 1931 P. 52.

شرح في مقاله هذا موقف الإلهة « نوت » إلهة السماء وعلاقتها بالآلهة الأخرى.  
وقد كتب الأستاذ « جريوف » مقالا آخر عن هذه الإلهة تحت عنوان:

7, Die Himmels götter Nut als Mutterschwein'in A. Z. 71 (1935  
P. 45 - 47.)

8. Wiedemann. Maâ, déesse de la verite et son rôle dans le pan-  
theon Egyptien, Paris 1887.

تكلم في هذا الكتاب عن العدالة والصدق ومعنى كل منها عند  
المصري . وموقف الإلهة معات من العدالة في مصر .

9. Isis et Osiris par Plutarque.

ويعد هذا الكتاب المصدر الذي عرفت منه قصة «أوزير» قبل كشف اللغة  
المصرية ، ولا يزال من أحسن المصادر التي يعتمد عليها رغم الشذوذ أحيانا في بعض  
نواحيه .

10. Le febure; Le mythe Osirien, Paris 1874 - 1875.

11. Sethe, "ATUM" als Ichneumon in A. Z. 63. 1928 P. 50 - 53

12. Roeder, Das Ichneumon in der Aegyptische Religion und.  
Kunst. In Egyptian Religion. IV, 1936. P. 1 - 48.

وقد عثر الأستاذ زيته على بعض نقوش ورسوم تثبت أن النمس أوفار  
فرعون كان يمثل الإله آتوم في عين شمس ويسمى بالمصرية «عز» وأنه يتلعب  
الثعبان عدو الشمس عند الغروب .

13. Hopfner, Fontes Historae. Religionis aegyptiacae. Bonn. 1923 -  
1925.

جمع الأستاذ هبفتر كل ما كتبه كتاب اليونان الذين زاروا مصر عن  
الديانة وعمل له فهرساً ممتعا.

14. Wiedemann, Der Tierkult der alter Ægypter, Leipzig 1912.  
15. Theodor Hopfner. Der Tierkult Der alten Ægypter Wien 1913.

أول من كتب عن الحيوانات التي تعبد في مصر القديمة هو الأستاذ فيدمان  
ولكن أتى بعده الأستاذ نيدور هيفتر بعشرين عاما وتناول الموضوع من كل  
نواحيه فكتب عن كل إله منذ ظهوره حتى العصر الأغريقى الرومانى . وتكلم  
بأسهاب عن الحيوان الذى يعبد فى كل مقاطعة .

16. Sethe, Dramatische Texte zur Alteägyptischen mysterien  
spielen Leipzig 1928.

وقد أظهر فى هذا المتن أن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين  
منذ الأسرة الأولى . وهذا المتن فى أصله يرجع إلى عبادة إله واحد فى منف  
وهو الإله فتاح ولكن الأستاذ برستد يقول أنه فى الأصل كان للإله رع  
إله الشمس ثم نسب للإله فتاح رب منف فيما بعد .

## الدولة القديمة

### الأسرات الأولى

بعد المؤرخون «مينا» أول ملك أسس الوحدة المصرية ، وقد كانت له مهابة في قلوب الفراعنة الذين خلفوه حتى أنهم ألهموه بعد موته ، وبقيت عبادته زمناً طويلاً حتى أننا بعد مضي عشرين قرناً على وفاته وجدنا تمثاله يحمل في مقدمة كل تماثيل الملوك الآخرين في احتفال ديني في عهد رمسيس الثالث في معبد المعروف بمدينة هابو في الجهة الغربية من طيبة .

والظاهر أن الملوك الذين حكموا في خلال الأسرة الأولى يبلغ عددهم سبعة واستمروا نحو ٢٠٠ سنة « ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق م . » وكذلك يمكننا أن نقول بأن الأسرة الثانية حكمت ما يقرب من ٢٠٠ سنة أيضاً « ٣٠٠٠ - ٢٧٨٠ ق م . » وسنرى منذ هذا العصر الصحيح أن النظام الحكومي والإداري الذي كانت تسير عليه البلاد كان على أسس متينة حتى أنه بقي نحو ٣٠٠٠ سنة لم يطرأ عليه تغيير هام إلا في فترات قصيرة جاءت عرضاً . وسننكم على هذا النظام بشيء من الإيجاز الآن .

كانت كل القوة مجتمعة في يد الملك ، وكان يهتد بتنفيذها إلى كبار رجال دولته ، الذين كانوا ينوبون عنه ، ومن المحتمل أن هؤلاء العظماء كانوا من الجنس المغير كالمملك نفسه ، وقد كانت الملكية قبل توحيد البلاد وبعدة وراثية ، وكان للمرأة حق وراثته العرش . وكانت حاشية الملك

تؤلف من العظماء في عهده وأفراد أسرته ، ولم تكن منف مركزهم بل من المحتمل جداً أن يكون مركزهم « نخن » ( الكوم الأحمر ) ، وقد نعت « مانيتون » ملوك الأسرتين الأوليين بالطينيين ، ولكن ذلك لا يعنى أن الملوك كانوا من بلدة « طينة » القرية من جرجا ، ولا أن عاصمتهم كانت في هذه البلدة ؛ بل جاء هذا النعت من أن ملوك هاتين الأسرتين قد شيدوا مقابرهم بالقرب من « طينة » المجاورة للعرابة المدفونة وهي التي شيد فيها قبر « أوزير » في المرتفع المسمى « أم القعاب » . والواقع أن أول من اتخذ « منف » عاصمة للملك هم ملوك الأسرة الثالثة والأسرات التي أتت بعدها ، وقد دفنوا في جباتها بسقارة والجيزة ، ولهذا السبب المزدوج قد سماهم « مانيتون » بالأسر المنفية .

بوادر المدينة المصرية

وقد شوهد منذ أول الأمر أن الحاشية الفرعونية قد خلقت حولها جوا صالحاً من المدينة لا بأس به شجع الفنون والصناعات المختلفة فلم يكتف الأهلون كما كان الحال في عصر ما قبل الأسرات بصناعة الآلات والأواني من الحجر والعظم والعاج والفخار والخشب بدقتهم المعروفة ؛ بل تخطوا ذلك إلى صناعة آلاتهم من المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة بمهارة فائقة ، وكذلك نجد أن أعمال النقش والنحت والتلوين والنسيج والتجارة الدقيقة وصناعة العاج والمجوهرات أخذت تتنوع وتكثر بدرجة عظيمة . ونشاهد منذ بداية هذا العصر التاريخي ظهور فن الطب وجمع المتون الدينية وتأليفها ، وكان أعظم من ضرب بسهم وافر في

الفنون هم المهندسون المماريون الذين أظهروا براعتهم في تشييد المقابر الملكية ؛ فكانت مقابرهم في بادىء الأمر حجرات بسيطة من اللبن كافية فقط لأن تضم جثة الملك وأثاثه المائى المتواضع ، ولكننا بعد ذلك نشاهد أنها أخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت ضخمة متعددة الحجرات. ثم أخذت الأحجار الجيرية والجرانيتية تستعمل فى بنائها شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت مكانة هامة فى تكوينها ، وقد كان يقام حول هذا القبر الضخم مقابر أصغر حجماً للأمراء والعظماء من رجال الحاشية وأسرة الملك نفسه ، وكذلك نشاهد مقابر أصغر حجماً من السابقة لعيد الملك وخدمه الذين يعطف عليهم ويجعلهم يدفنون بجواره فى دار الآخرة ، ويجوز أنه كان يعتقد أنهم سيخدمونه فى آخرته وستكلم عن ذلك بأسهاب فى حينه .

## ملوك الأسرة الأولى

أهمهم الملك مينا ويسمى أيضاً « نمرر » وكذلك « عجا » وقد تكلمنا عنه فيما سبق ثم الملك « زرر » و« زرت » فالملك « دن حسبى » ، « ودمو » ثم « عزاب » و« سمرخت سمنبتاح » ( سمبس ) والملك « قع » . وسنذكر هنا ما نعرفه عن هؤلاء الملوك بقدر ما تسمح به معلوماتنا الضئيلة عن هذا العصر .

وأول ملك له أهمية عثر عليه بعد الفرعون مينا هو « زرر » ويقرأ اسمه « خنت » أيضاً . وقد عثر على قبره فى العراة المدفونة بالقرب من باقى مقابر ملوك

الاسرة الأولى. وقد ظن الأثرى «املينو» فى بادىء الأمر أنه قبر للإله «أوزير» ولكن هذا الخطأ قد استدرك عند ما وجدت آثار عدة باسم الفرعون «زر»، ونرى منها أن الفن قد تقدم فى هذا العهد، وقد وصل إلينا عن طريق الرواية أن هذا الفرعون كتب سفرًا فى علم التشرىح وأنه هو المؤسس لمدينة «منف» ولكن هذا الزعم الأخير مشكوك فيه إذ من المحتمل جدًا أن «منف» لم تكن موجودة فى عهده. أما الملك «زت» (الملك الثعبان) فيمتاز عصره بالتقدم الفنى الذى نشاهده فى الأشياء التى عثر عليها فى حكمه وبخاصة اللوحة التى باسمه وهى الآن فى متحف اللوفر وتدل على دقة الصنع بالنسبة لهذا العهد السحيق فى القدم. ومن المدهش أنه عثر على اسم هذا الفرعون منقوشًا على صخرة فى الصحراء الغربية بالقرب من مدينة ادفو ولا نزاع فى أن الذى نقش اسم هذا الفرعون هو رئيس إحدى الكتائب التى كانت ترسل إلى جهات البحر الأحمر، وقد كان الطريق من وادى النيل إلى البحر الأحمر يروده البدو الرحل منذ أقدم العهود. وقد كان يظن أنه وقف عليهم، ولكن هذا النقش قد برهن على أن المصريين كانوا منذ العهد الطينى يرسلون البعوث إلى الصحراء الغربية لاستغلال المهاجر والمناجم التى فيها؛ ولا يبعد أنهم وصلوا فى سيرهم إلى شواطئ البحر الأحمر نفسه.

وقد كشفت حديثًا مقبرة فى نزلة البطران يظن أنها لهذا الفرعون؛ وذلك لوجود بعض آثار باسمه فيها، غير أن ذلك لا يمد دليلًا قاطعًا على أنها مقبرته. وهذه الحالة تماثل القبر الضخم الذى عثر عليه حديثًا فى

سقاره ووجدت فيه بقايا أوان كثيرة باسم الملك « حور عحا » ، وليس هذا دليلا كافيا على أن هذا قبر «عحا» وبخاصة إذا علمنا أنه كشف له عن مقبرة أخرى بالقرب من العرابة المدفونة ووجد فيها آثار كثيرة باسمه .

وبعد هذا الفرعون يأتى الملك « ودمو » الذى كان يسمى أيضاً «دن» الملك دن وهو الذى قام بحملة ضد القبائل الرحل فى شبه جزيرة سينا لمعاقة قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا النورية ؛ والظاهر أنه أول ملك فكر فى تنظيم مياه النيل وفيضانه فى منطقة الفيوم ، وقد فتح أبواب حدود بلاده للتجارة الخارجية بشكل عظيم ، وحصن المدن ونمى موارد البلاد . وكان أول من حبس الأوقاف على المعابد . وبعد أن حكم مدة ثلاثين سنة كلها جهاد فى خدمة البلاد دفن فى مقبرة عظيمة فى العرابة المدفونة ؛ وهذه المقبرة وجدت أرضيتها مكسوة بقطع من الجرانيت ؛ وهذه الظاهرة تعد فريدة فى بابها إذ أن استعمال الجرانيت لم ينتشر إلا بعد زمن من عهد هذا الملك . وقد بقيت ذكراه حية فى نفوس الأجيال التى تلت ، مثل « مينا » نفسه . وقد عزى إليه بعد موته بأجيال أنه ألف فصلا من كتاب الموتى . ومما يجدر ذكره أنه أول ملك ذكر قبل اسمه لقب « نيسوت - ييتى » ويعنى بذلك ملك الوجه القبلى والبحرى .

وقد عثر لهذا الفرعون على لوحة من العاج مثل عليها احتفال بتويج الملك ، وقد جاء ذكر هذا الاحتفال مرات عدة فى حجر « بلرم » . وفى هذه اللوحة يشاهد الفرعون ممثلا وهو لابس التاج الأبيض



للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وهذا رمز لتوحيد القطرين .  
وقد مثل كذلك مرة وهو جالس على كرسي الملك فوق مقعد ، ومثل  
مرة أخرى وهو يجرى بين ست علامات موزعة ثلاثة ثلاثة فى صفين  
عموديين ؛ وذلك بلا شك إشارة إلى الطواف الذى كان يقوم به الفرعون  
حول جدار رمزى ( كما يفعل حول الكعبة الآن ) ، وهذا الاحتفال كان  
من الطقوس التى كان لزاما على الملك أن يقوم بها عند تتويجه .

وفى عهد « ودمو » يشاهد كذلك لأول مرة الاحتفال بعيد « سد »  
الذى كان يحتفل به عادة بعد اقضاء ثلاثين عاماً على تولية الفرعون الحكم .  
ولا نزاع فى أن هذا العيد يرجع تاريخه إلى عهد بعيد جداً قبل « ودمو » .  
وقد عثر على مقبرة ضخمة لزوجته « مرت نيت » ( محبوبة الإلهة نيت )  
معبودة صا الحجر فى الوجه البحرى ؛ ووجدت أمامها لوحة مائتية جميلة  
الصنع ؛ ويعتقد بعض المؤرخين أن ملوك مصر فى هذا العهد كانوا يتخذون  
زوجاتهم من الدلتا لتوطيد العلاقات بين القطرين .

وقد كشف حديثاً فى منطقة سقارة عن مصطبة لأحد الأشراف  
الذين عاشوا فى عهد هذا الملك ويسمى « حماكا » وهذه المصطبة كبيرة  
الحجم إذ يبلغ طولها نحو ٥٧ متراً وعرضها ٢٦ متراً وارتفاعها الحالى نحو ثلاثة  
أمتار ونصف متر ، وهى مقسمة إلى ٤٥ مخزناً تحوى الكثير من المخلفات الرائعة  
التي تدل على مبلغ ما وصل إليه الفن من الدقة والإتقان فى ذلك الوقت ؛  
إذ وجد فيها مجموعة كبيرة من الأسلحة الصوانية لعلها أكبر مجموعة

الوزير « حماكا »

وجدت من عهد واحد ، كما وجد كذلك أقراص من الحجر والنحاس والخشب والعاج تختلف شكلا وحجما وسمكا ، وهى محلاة بمناظر بديعة وبعضها مطعم بقطع من المرمر ، ولم يعرف بالضبط إلى الآن الغرض منها ، ووجد غير ذلك عدد كبير من الأدوات الخشبية من فتوس ومناجل ، وبعض لوحات منقوشة من العاج والخشب ؛ منها لوحة من الأنبوس من عهد الملك « زر » من ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك بعض صناديق خشبية وأكياس من الجلد داخلها أسلحة وألواح خشبية ، وقد وجد على سداة كيس منها ختم الملك « دن » ، فضلا عن كل هذا فقد عثر على قطع من التسيج وسهام من الأنبوس والعاج لها أسنة من العظم والعقيق كما وجدت أنواع مختلفة من الأواني الفخارية مقفلة بسدادات من الطين ختمت بأختام الملك « دن » و« حماكا » معاً ، وكذلك وجدت مجموعة كبيرة من الأواني الحجرية ذات أشكال مختلفة .

كما أنه قد عثر فى سقارة على جبانة لبعض العمال من طبقة الشعب من عصر هذا الملك ، وهى تبين بوضوح الاتصال الفنى بين ما وجد فى مقبرة هذا الملك ومقابر الأشراف فى عهده وبين مقابر هؤلاء العمال ، وقد استدل على هذه النظرية من مجموعة الأواني الحجرية التى وجدت فى مقابر العمال مماثلة لما وجد منها فى مقبرة الملك « دن » ومقبرة وزيره « حماكا » فى سقارة ، وكذلك الأسلحة المصنوعة من الحجر الصوان ورؤوس السهام وأدوات الزينة الأخرى التى وجدت فى هذه المقابر . فنرى من ذلك

أن الديمقراطية في ذلك العصر وصلت إلى الصناعة ؛ فسوت بين ما يصنع للملوك والوزراء وأفراد الشعب مع الفارق في القلة والكثرة وبعض الفوارق في الدقة. وتولى عرش الملك بعد «ودمو» ابنه «عزايب» من زوجته «مرت نيت» . ولسنا نعرف السبب الذي من أجله محا الفرعون «سمرخت» اسمها حيثما وجدنا . وقد ظن البعض أنه كان مقتصباً للملك ، ولكننا من جهة أخرى وجدنا أن اسم «سمرخت» نفسه قد محاه خلفه الفرعون «قع» وفي الوقت نفسه احترم اسم «عزايب» ولم يمحه . ولذلك يرجح أن «سمرخت» كان هو المقتصب ، ولهذا السبب قد أغفل اسمه في قائمة ملوك سقارة .

ولما كانت معظم آثار الفرعون «عزايب» قد محيت ، فإن معظم تاريخه بقي مجهولاً لنا تقريباً ، اللهم إلا بعض تف حفظها لنا حجر بلرم ، أهمها انتصاراته على قوم يسمون «ايوتيو» ومن المحتمل أنهم كانوا السكان الأصليين الأقدمين لمصر .

ولما كان هؤلاء القوم قد هزموا منذ حكم أتباع «حور» وشتت شملهم ؛ وتفرقوا ثلاث فرق : واحدة منهم استوطنت شبه جزيرة سينا ، والثانية في الواحات ، والثالثة في بلاد النوبة ، فإنهم بقوا جيراناً معادين لمصر يغيرون عليها كلما سنحت الفرصة ؛ ولا شك في أن الحملة التي قام بها «عزايب» كانت لصد غارات هؤلاء القوم وتأديبهم وذلك حسب رواية حجر بلرم . وفي حكم هذا الفرعون قد نفذت لأول مرة عملية الإحصاء في التاريخ المصري .

أما الملك « سمرخت » فأهم ما نعرفه عنه أنه احتفل بالعيد « سد » الثلاثيني وقام بجملة إلى وادى مغارة في شبه جزيرة سينا ، وقد بقيت ذكرى هذه البعثة محفوظة إلى الآن في النقوش التي تركها هذا الفرعون في هذه الجهة وتعد أقدم نقش في هذه المنطقة ، وفيها نرى الفرعون مثلاً في ثلاثة مناظر : واحد منها وهو لابس التاج الأبيض ذابحاً الأعداء ، وفي منظر آخر نراه يمشي لابساً التاج الأحمر والتاج الأبيض وأمامه قائده ، مما يدل على أن هذه البعثات كانت تأخذ صفة حرية في هذا العصر . وآخر ملوك هذه الأسرة الفرعون « قع » ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنه احتفل بالعيد الثلاثيني لحكمه .

## ملوك الأسرة الثانية

أول ملوك هذه الأسرة هو الملك « حتب سخموى » وقد عثر له على تمثال راكم من الجرايت مكتوب على كتفه أسماء ثلاثة ملوك ، وفي عهده حدث انفجار أرضى في جهة تل بسطة مات بسببه خلق كثير ؛ ومن المحتمل أنه زلزال وقع هناك لقرب المكان من منطقة أبي زعبل البركانية . وخلفه على العرش الملك « نب - رع - ( كاكاو ) » ، والظاهر أنه دفن في سقارة إذ عثر على أختام له تشير إلى ذلك ، وقد ذكر المؤرخ المصرى مانيتون أن « كاكاو » هذا قد دعا إلى عبادة المعجل

الاسرة الثانية

الملك « كاكاو »

أيس في منف والمعجل « منفيس » في عين شمس ، وعبادة الكباش في منديس ،  
وذلك مما يدل على أن هذه الأسرة كانت متصلة بالسكان الأصليين  
ويحتمل أنها أعادت عبادة الحيوان التي كانت في البلاد قديماً . وقد عثر  
على إناء باسم هذا الملك في معبد « منكاورع » من ملوك الأسرة الرابعة .  
وخلف هذا الملك على عرش مصر الفرعون « نتر - إن » ، وقد  
عثر لهذا الفرعون على بعض آثار قليلة منها إناء للملك « نب - رع »  
أخذه « نتر - إن » لنفسه لغسيله اليومي ، وقد عثر في منطقة الجيزة على  
مقبرة كبيرة وجد فيها خمسة أنواع مختلفة من الأختام لهذا الملك . وفي  
عام ١٩٣٨ عثرت مصلحة الآثار على جبانة تحت الأرض في سقارة  
يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية ، وقد عثر فيها على بعض أوان عليها سدادات  
مختومة باسم هذا الملك . وقد ذكر اسمه كذلك على حجر بلم .  
ونستخلص من النقوش أنه حكم أكثر من ٣٥ عاما من غير شك ، وقد ذكر  
أنه بنى قصرا وأحضر عجل أيس في العام السادس من حكمه ، وآخر في  
العام الرابع عشر . وقد ذكر مانيتون أن هذا الفرعون أمر بأن الملك يمكن أن  
تتولاه أنثى ، وربما كان ذلك من العادات التي كانت مندثرة ثم أعيدت ثانية .  
وكذلك نشاهد في عهده انتظام الاحتفال بالأعياد وبخاصة عيد « حور »  
الذي كان يعد الإله الحامي للمملكة وعيد « سوكر » لأنه إله جبانة  
منف . هذا إلى أن عملية الإحصاء قد أخذت صبغة منظمة فكانت تعمل  
كل عامين .

الملك « نتر - إن »  
ويقرأ كذلك  
« نترمو »

وفى عهد خلفه « بر - إب - سن » حدث انقلاب عظيم وذلك أنه أعاد عاصمة الملك ثانية إلى العرابة وغير اسمه الحورى الذى كان يمد أقدم لقب للفرعون ، إلى اسم الإله « ست » . وهذا الحادث فريد فى التاريخ المصرى . ولا بد أن الملك كان قصده فى ذلك كما ظهر على خاتم أحد موظفيه أن إله أمبوس قد أعطى حكم القطرين إلى ابنه « بر - إب - سن » . أى أن الإله « ست » الذى حكم الوجه القبلى قبل أتباع « حور » هو الذى ولاه على البلاد وليس الإله « حور » ، كما تؤكد ذلك التقاليد الفرعونية فى مصر . وقد دفن الفرعون « بر - إب - سن » فى العرابة . وقد بقيت عبادته محفوظة فى سقارة إلى الأسرة الرابعة بجانب الفرعون « سنرى » الذى لانعرف عنه شيئاً .

وقد ختمت هذه الأسرة بالملك « خع - سخموى » ولم يبق من آثاره إلا بعض أختام ، وهى التى بها أمكتنا أن نعرف سياسته الدينية . ومعنى اسمه ( الاثنان القويان ) أى الإله « حور » والإله « ست » ( رمز لتاج مصر المزدوج ) ولكن الألقاب التى وجدت على هذه الأختام قد جاءت برهاناً ساطعاً على المقصود من انتخابه هذا الاسم . وتفسير ذلك أن الفرعون « بر - إب - سن » قد غير اسمه الحورى باسم « ست » ولكن الفرعون « خع - سخموى » ، رجع إلى السياسة الحورية دون أن يتخلى عن سياسة « ست » فجعل لقبه الحورى الذى كان يوضع على واجهة القصر يجمع بين « حور » و « ست » معاً . غير أننا لا نعرف نتيجة هذه السياسة لقلة المصادر لدينا .

## الأسرة الثالثة

الملك « زوسر »  
وقد مكث حكم « خع سخموى » ١٥ سنة على أقل تقدير ، ثم خلفه على  
العرش فى منف الملك « تترختزوسر » ومن المحتمل جدا أنه كان أخاه الا صغر



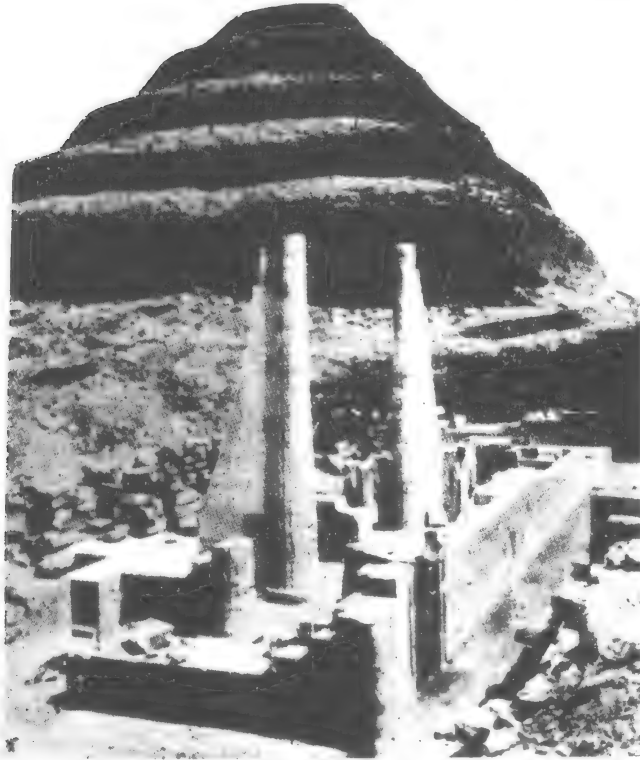
تمثال الملك « زوسر »

لا ابنه . ويعد المؤسس للأسرة الثالثة وقد دام حكمه نحو ٢٩ سنة ، وكان  
من أهم ملوك هذا العصر السحيق . ويعد إلى الآن أول ملك بنى لنفسه  
مقبرتين : واحدة منهما بصفته ملكا للوجه القبلى وكانت على شكل مصطبة  
ضخمة من اللبن مجهزة بمنحدر عميق وتتبعها عدة حجرات تحت الأرض وهى واقعة  
فى شمال العراة المدفونة فى بيت خلاف ، والمقبرة الثانية قد شيدت له باعتباره  
ملكاً للوجه البحرى وهى واقعة على الهضبة التى فيها جبانة «منف» وهى المعروفة

الآن بسقارة ، وهذه المقبرة تعد أقدم هرم عرف إلى الآن في التاريخ ويقول بعض علماء الآثار إن هذا البناء هو الحلقة المتوسطة بين المصطبة والهرم الحقيقي ؛ ويعرف الآن بالهرم المدرج ، والمهندس الذى وضع تصميم هذا البناء الغريب الذى يعتبر أضخم بناء من الحجر فى عصره فى وادى النيل هو « المحوتب » الذى كان زيادة على نبوغه فى الهندسة لما يعلم الطب وراسخ القدم فى الإدارة ، وقد كانت له شهرة عظيمة فى عصره وما بعده حتى أنه اعتبر كإله للطب ، وقد بقى اسمه مخلداً حتى عصر اليونان ولكنه حرف إلى « اموتس » ومثله بـحكيهم المشهور « اسكليپوس » الحكيم « اسكليپوس » وقد عثر أخيراً على تمثال جميل للملك زوسر فى سردابه ، وكذلك كشف عن عدة مبان له وبخاصة معبد الجنائزى ومقبرتى ابنتيه . وهذه المباني تضع المهندس الذى وضع تصميمها فى أعلى مرتبة من الشرف والعلم ، وكذلك تشهد للعمال الذين كانوا يقومون بتنفيذها بالمهارة . والواقع أننا أمام هذه المباني نشاهد أول خطوة انتقال فى تاريخ فن المعمار فى تعميم البناء بالأحجار فى وادى النيل ؛ إذ نرى عندها مضلعة تشبه العمدة الدورىكة فى الفن الإغريقى ومزخرفة بزخرف نباتى ، وإسكتا نشك فى أن روح تلك المباني الحجرية منقولة بذاتها عن المباني التى أقيمت بالخشب واللبن فى عهد الأسرتين الأولى والثانية ، وهذا المعمار الذى يعتبر كأنه نوع من التجارة الدقيقة هو الحد الفاصل بين البناء الأولى باللبن والبناء بالأحجار الضخمة التى ساد استعمالها وبلغت قمتها فى الأسرة الرابعة فى



بناء الأهرام والمصاطب . وقد أرسل « زوسر » حملات الى المحاجر  
والمناجم في شبه جزيرة سينا لإحضار النحاس والفيروز .  
ويعد « زوسر » أول ملك توغل في نوبيا السفلى فيما وراء الشلال إلى  
المحرقة في متصف الطريق إلى الشلال الثاني . وهو الذي ينسب إليه  
اليونان فتح الإقليم المعروف باسم « دوديكاشين » أي المنطقة التي يبلغ  
طولها نحو ١٤٣ كيلو متراً من الفنتين فصاعداً .



الهرم المدرج

وقد عثر أخيراً في دهاليز هرمه المدرج على أوان من الأحجار الصلبة  
من المرمر والجرانيت والديوريت والإردواز وغيرها من أنواع الأحجار الصلبة

النادرة ويبلغ عددها أكثر من ثلاثين ألفا غير أن معظمها وجد مهتما وربما يرجع ذلك إلى زلزال أرضى أو إلى أنها قد كسرت عدداً لأسباب جائرة . وقد وجد من بين هذه الاواني أشكال تم عن منتهى الرقى فى دقة الفن وحسن الذوق والاثانة والتنسيق إلى حد يعجز القلم عن وصفه؛ وقد وجد على بعضها أسماء الأشخاص الذين أهدوها إلى الملك مكتوبة بالمداد الأسود ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن قطع الحجر اللازم لصنع بعض الاواني الكبيرة وتنسيقها ربما استغرق عاماً كاملاً من مجهود صانع واحد . وقد كان لهذا الكشف أثر عظيم فى تحويل آراء علماء الآثار إلى الاهرام الكبيرة وعماءه أن يوجد فيها من الخلفات .



معبد الهرم المدرج بسقارة

وقد خلف « زوسر » بعض ملوك لا يزال تاريخهم غامضاً أولهم « سانشت » ، الملك « سانشت »

وكل ما نعرفه عن « سانخت » هذا أنه بنى لنفسه مقبرة في بيت خلاف بالقرب من مقبرة « زوسر » ولم يعثر له على مقبرة أخرى في سقارة كما كان المنتظر . والظاهر أن هذا الفرعون حكم كل مصر إذ وجدنا اسمه منقوشاً على صخور وادى مغارة في شبه جزيرة سينا .

وتولى العرش بعده ملك يدعى « حابا » ثم الفرعون « نفركا » ، ولا نعرف عنهما شيئاً .

الملك « حابا »  
و « نفركا »

أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو الفرعون « حو » ويدعى « حونى » أيضاً ومعناه ( الضارب ) . وقد أقام لنفسه هرمًا في دهشور في جنوب سقارة وهو الحلقة الموصلة بين الهرم المدرج والهرم الكامل . وقد جاء ذكره في ورقة عثر عليها من عهد الدولة الوسطى تنص على أن « حونى » هذا هو السلف المباشر للفرعون « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة .

الملك « حو »  
أو « حونى »

## الأسرة الرابعة

### عصر بناء الأهرام

لقد بقي تاريخ الأسرة الرابعة محاطاً بشيء كبير من الغموض رغم الملكة «حسب حرس» ظهور آثار ملوكهم للعيان؛ وشهرتها في كل العالم. وقد ظل الحال كذلك إلى أن قامت الحفائر العلمية في منطقة أهرام الجيزة على الهضبة التي أقيمت عليها الأهرام المعروفة بأهرام الجيزة؛ فكان من أهم الكشف إبادة اللثام عن مقبرة الملكة «حسب - حرس الأولى» أم الملك خوفو، وهي



سكس من آثار الملكة «حسب حرس» موجود بالتلف المصري بنت «حوني» وقد تزوجت «حسب - حرس» هذه من الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة، ورزق منها بالملك «خوفو» ثاني ملوك هذه الأسرة.

## الملك سنفرو

هو أول ملوك الأسرة الرابعة، وقد أراد أن يقلد جده العظيم «زوسر» فبنى لنفسه مقبرتين متقاربتين، وكلتاهما على شكل هرمي، وهما لا تزالان باقيتين إلى الآن؛ الأولى في دهشور

جنوبى سقارة ، والثانية فى ميدوم فى الشمال من مدخل الفيوم ، والهرم  
الآخر يطلق عليه الأهالى اسم الهرم الكاذب لعدم انتظام شكله . ونحن  
نجهل تماما فى أى هرم من الاثنين دفن الملك « سفرو » ، وفى عهده قامت حملة  
بحرية عظيمة إلى الموانى السورية رجع منها المصريون بنحو أربعين سفينة  
محملة بالأخشاب للبناء قطعت من غابات لبنان ، وقد كان الخشب يجلب  
من جبات لبنان لمصر بكل الوسائل لخلو جبات القطر المصرى من الغابات ،  
وكانت مصر فى عهد هذا الفرعون مملكة متحدة ثابتة الأركان ، وكانت  
كل القوة مجتمعة فى يد الملك الذى حل محل رؤساء القبائل ، ولما كان  
الملك هو الوارث لمعبود القبائل أصبح القوم يعتقدون فيه أنه إله حقيقى ؛ فعند  
ما ينتقل فى أرجاء قصره أو خارجه كان لزاما على رعيته أن يركبوا أمام  
جلالته الإلهية ، ويقبلوا التراب الذى تحت قدميه ، وعند تنويمه كان  
يقام له احتفال عظيم ويعد يوم التتويج يوم عيد وأفراح - يحتفل به سنويا .  
ولما كان هو الواسطة بين الشعب وآلهته ؛ فكان حقا مكتسبا له أن يقوم مقام  
الكاهن الأكبر فى كل المعابد وفى كل الطقوس الدينية . وكذلك كان الملك يعتبر  
فى أعين عظماء بلاده وحاشيته أنه إله ، وبعد وفاته كان القبر الذى يضم رفات  
موضع تقديس كما يقدس محراب أى إله ، وكانت حاشيته وعظماء  
البلاد تدفن حول قبره أو بالقرب منه حتى يقدموا له خدماتهم فى دار  
الآخرة بنفس الولاء والإخلاص الذى تعودوه أحياء .

أول حملة بحرية

الحكم فى عهد  
« سفرو »

وكانت مصر تنقسم إلى مقاطعات ربما كانت هى التى سكنها القبائل

مقاطعات مصر

منذ عهد ما قبل الأسرات ، وهى التى أطلق عليها اليونان كلمة « نوم »  
أى مقاطعة ، وقد كان الوجه القبلى يتكون من ٢٢ مقاطعة من الشلال الأول إلى  
منف وكان الوجه البحرى يشمل ٢٠ مقاطعة كما ذكرنا آنفاً ، وفى عهد « سنفرو »  
كان لكل مقاطعة حاكم يعينه الملك يقب بلقب « الأول بعد الملك » ،  
وهذه التسمية تدل على أن حاكم المقاطعة كان تحت إدارة الملك مباشرة  
وكان المسئول الوحيد أمامه فى مقاطعته ، لذلك كانت السلطة كلها فى يد  
الملك ، وكان الموظفون يتسلمون الأوامر من الفرعون وحده الذى كان فى  
يده كل شئ ، ولما كان الملك يسكن فى الوجه القبلى فيظهر أنه لم يندب  
أحدًا ليمثله فى تنفيذ أوامره فى هذا القسم من المملكة ؛ على خلاف الوجه  
البحرى فإنه كان ينبى عنه موظفًا كبيرًا يقب بحامل خاتم الملك فى الوجه البحرى ،  
أو حامل الختم كما يسمى فى عصرنا هذا ، وكان ينتخب من الأسرة المالكة .  
وكان تحت إدارة حاكم المقاطعة أو المديرية عدد من الموظفين يساعدونه  
على تصريف أمور المقاطعة ، وأهمهم رجال القضاء والمالية ، والظاهر أن قانون  
الوراثة بين أفراد الشعب كان يجرى على نظام الأمومة ، وكان كذلك عندما  
ينقطع نسل الذكور فى الأسرة المالكة ؛ فإن الملك الذى يتولى من غير الأسرة  
المالكة لا بد له من أن يتزوج بإحدى بنات البيت الملكى ، وكان ذلك من  
الضرورى حتى يأتى خلفه يجرى فى عروقه الدم الملكى .

أصل لقب  
« الأول بعد الملك »

وراثة العرش

وقد كان للآلهة فى هذا الزمن السحيق معابد من حجر على حين أن الملك  
كان يسكن فى مأوى بسيط من اللبن ، أو من طين النيل المجفف فى الشمس ،

ولم يكن لأحد الحق في أن يسكن في مساكن من الحجر إلا الموتى لأنهم كانوا يعدون كآلهة .

نقوش المقابر

وقد كان يظن أن معبد الملك خال من النقوش ولكن الكشف الحديثة دلت على أن معابد الملوك كانت منقوشة مثل الحجر التابعة لمقابر الأمراء وعلية القوم ، وقد بدأت تظهر فيها النقوش البارزة والفائرة وتلون بألوان زاهية منذ الأسرة الثالثة ، وهذه النقوش كانت تمثل مناظر من الحياة اليومية التي كان يشاهدها الميت في حياته ، وكان الفرض منها أن تمثل للملك الحياة كما كان يتمتع بها وهو في دنياه . فضلا عن أن هذه الرسوم تعطينا فكرة تامة عن الحياة الاجتماعية في هذا العصر عند عليّة القوم وعامة الشعب ، فإنها تعطينا فكرة عن الفن في هذا العصر ومقدار ما وصلت إليه الحضارة المصرية من جميع وجوها . وقد ظلت الفكرة القائلة بأن هذه المناظر الاجتماعية ظهرت أولا في مقابر الأعيان والأمراء سائدة إلى أن كشف في العام المنصرم عن الطريق الجنائزى الممتد بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى لهرم الملك « اواناس » آخر ملوك الأسرة الخامسة ، وقد ظهرت على جانبيه نقوش ومناظر تدل دلالة واضحة على أن الملوك قد بدءوا في استعمال هذه المناظر أولا ثم قلدهم الأمراء وعلية القوم ، وسنتكلم عن ذلك في موضعه .

## الملك خوفو

هو ثاني ملوك هذه الأسرة وبانى الهرم الأكبر الذى يعد مع الأهرام الأخرى فى منطقة الجيزة من عجائب الدنيا السبع .

أهرام الجيزة



الملك « خوفو »

وقبل أن تناول الكلام على حكم خوفو وأخلافه سنتكلم بشئ من الإيجاز عن الأهرام عامة ، حتى يتسنى لكل زائر لمنطقة الأهرام أن يعرف شيئاً عنها .

كان أول من أقام هرمًا من ملوك مصر هو الفرعون « زوسر » ،

وهو المعروف بالهرم المدرج بمنطقة سقارة ، وقد أقام بعده « سنفر » هرمين فى منطقتي دهبور وميدوم كما ذكرنا ؛ ولكن خوفو قد ترك هذه الجهات واختار لنفسه هضبة الجيزة ليقم عليها هرمه الضخم ، وربما كان السرفى ذلك أن هذه الهضبة كانت قريبة من عين شمس مقر عبادة « رع » ، وكذلك لأنها متمسة ومرتفعة لتجعل هرمه يشرف على كل ما حوله ، يضاف إلى ذلك ان أحجار هذه الهضبة صالحة لقطع أحجار المبانى لصلابتها ومتانتها ، فكان من السهل عليه أن يقطع الأحجار منها ليقم بها هرمه الضخم ، وبمقارنة أحجار هذه المحاجر بأحجار الأهرام ؛ وجد أنها من



نوع واحد ، وبذلك هدمت النظرية القديمة ، وهي نظرية « هردوت »  
القائلة بأن أحجار الأهرام كانت تجلب إليه من محاجر الجهة الشرقية  
من النيل ( محاجر طره ) . وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه بعض  
الأثريين الحاليين ، والواقع أن الأحجار التى كانت تكتسب بها الأهرام  
هى التى كانت تجلب من محاجر طره ، وكذلك كانت تستعمل أحجار  
هذه الجهة لصنع التماثيل ، ولعمل الأبواب الوهمية التى كان يكتب عليها  
النصوص الهيروغليفية ، وذلك لملاستها وناصع يابضها وسهولة الحفر عليها ،  
ومن ذلك يتضح أن موضوع بناء الأهرام لم يكن من الأعمال التى كانت  
تبذل فيها المشاق العظيمة التى كنا نقرأها فى الكتب القديمة والحديثة ،  
والمحاجر التى قطعت منها أحجار الأهرام ظاهرة واضحة بجوار كل من  
الأهرام الأربعة لمن يريد أن يراها الآن بعد أن أزيلت عنها الرمال  
والأتربة التى غطتها منذ آلاف السنين ، ومما سهل بناء الأهرام كذلك  
كيفية رفع الأحجار عند قدماء المصريين ، إذ قد ظل العالم إلى زمن  
قريب جداً يعتقد أن المصريين كانوا يبنون المزالق فقط لجر الأحجار  
عليها فى بناء الهرم ، ولكن الكشف الحديث برهنت على أن المصريين  
كانوا قد وصلوا فى هذا العصر إلى استعمال « البكر » لرفع الأحجار ،  
وقد عثر فى حفائر الجامعة المصرية على بكرتين إحداها وجدت بجوار الهرم  
الثانى ، والأخرى عثر عليها فى إحدى بيوت مدن الأهرام التى كشف  
عن جزء منها حديثاً شرق الهرم الرابع ، ومن كل ذلك يتضح للقارىء

أن أجدادنا المصريين كانوا قد وصلوا إلى مدى عظيم في فن البناء واستخدام قوى الطبيعة . وقبل أن نصف الهرم الأكبر يجب أن نذكر كلمة عامة عن الهرم وملحقاته والغرض من بنائه .

اختلف علماء الآثار في تكيف شكل الهرم عند قدماء المصريين وأصل بنائه ، والواقع أن أشكال الأهرام تختلف في منظرها وفي تركيبها في كثير من الأحيان . فمثلاً نجد الهرم المدرج في ستارة قاعدته مصطبة مربعة فوقها عدة مصاطب تصغر تدريجياً ، وهناك هرم آخر قاعدته مربعة وفوقه عدة مصاطب مربعة أصغر من الأولى ، ولكن بدون قمة ، وهناك الهرم الرابع ويختلف عن الأهرام كلها ، فإن قاعدته المربعة تحمل فوقها تابوتاً . وأحسن بناء هرمي تام أهرام الجيزة .

ويتبع البناء الهرمي عدة ملحقات مكملة له ومن لوازمه . وبدونها لا يعتبر هرمًا بالمعنى الحقيقي .

أولاً : يكون للهرم في الجهة البحرية أحياناً بابان . واحد في المدايك السفلى والثاني فوقه بقليل ، وكل منهما يوصل إلى حجرة الدفن ؛ ومن المؤكد أنه كان يوجد أمام الباب محراب صغير للعبادة .

ثانياً : في الجهة الشرقية من الهرم كان يقام معبد ضخم يسمى «المعبد الجنائزي» وهذا المعبد كان يتصل بمعبد آخر يسمى «معبد الوادي» بطريق مبنى بالاحجار الضخمة المحلية يبلغ عرضه أحياناً نحو ٢٥ متراً ، وفي وسطه طولاً أقيم ممر ضيق مستوف كان يستعمل لمروور الكهنة الذين كانوا يقومون بالمراسم

الدينية للملك من المعبد الجنائزى إلى معبد الوادى أو بالعكس . وهذا الطريق الذى كان يوصل بين المعبدین طویل جدا ، وقد بلغ طوله نحو ٦٠٠ متراً للهرم الثانى . ولما كان من المستحيل اختراق هذا الطريق عرضاً كان ينحت فى منتصفه نفق تحت الأرض ؛ تسهلاً للذين يريدون أن يعبروا الطريق عرضاً.

المعبد الجنائزى الذى يقام ملاصقاً لجدران الجهة الشرقية من الهرم فكان يقسم قسمين : قسم يُعتبر معبداً للوجه البحرى ، وآخر للوجه القبلى . وعلى جانب معبد الوجه القبلى كان يحفر الملك لنفسه قارين ليقوم فيهما بسياحته اليومية مثل الشمس ، إذ كان الفرعون يعتبر نفسه بعد موته كالشمس ، يولد صباحاً ويسبح فى الأفق طول النهار فى سفينة خاصة ، ثم ينقل عند الغروب إلى سفينة أخرى ليقوم فيها بسياحته ليلاً ، ثم يعود إلى الدنيا ثانية وهكذا . ولما كان المفروض أن سفينة الليل لا ترى فقد أخفاها المصريون عن العيان ، وذلك بأن جعلوا لها سقفاً ، ويبلغ طول سفينة النهار نحو ٢٩ متراً وطول سفينة الليل نحو ٣١ متراً ، وقد وجد فى الجهة البحرية من معبد الوجه البحرى قاربان مماثلان لمركبى الوجه القبلى ولكنها أقل حجماً .

وفى محاذاة الهرم من جهة الشرق كذلك كانت تنحت سفينة ضخمة للحجج إلى العراية (؟) وقد بلغ طول هذه السفينة المحاذية للجهة الشرقية من الهرم الثانى نحو ٤٢ متراً . ثالثاً : وكان من مستلزمات الهرم كذلك أن يقام حوله سور ضخم

حتى لا يقرب منه أحد غير الكهنة ، وهذا السور كان يبنى بالحجر أو بالبن  
حسب مقدرة الفرعون .

رابعاً : وكانت تقام بالقرب من كل هرم مدينة مبنية بالبن للكهنة  
والخدم الذين يقومون بأداء الواجب نحو الملك المتوفى ، وقد عثر أخيراً على  
هذه المدن في الجهة الشرقية من الأهرام ، وكشف عن جزء كبير منها ،  
غير أن معظمها لا يزال مطموراً تحت الرمال ، وربما تكشف لنا عن صفحة  
جديدة في الحضارة المصرية من ذلك العهد الغامض .

ورغم ما عثرنا عليه من التماثيل الجميلة والأواني الفاخرة في معبدى الوادى  
والجنازى للهرم الثانى والثالث فإنه قد وضاع جزء كبير منها إذ قد هشم  
الثوار بها رة السادسة معظم مخلفات الأسرة الرابعة .

وقد بمجوار الهرم الثانى على بقايا أكثر من ٢٠٠ تمثال خلاف  
ما نقله ا لى « ميونخ » و« هلدسيم » من بقايا هذه التماثيل .

ورغم ا كشف حديثاً حول أهرام الجيزة فإن معلوماتنا لا تزال  
ناقصة عن الهرم وكنهه ، وإلى أن يكشف أحد الأهرام من كل جهاته  
كشفاً علمياً تاماً فإننا سنبقى فى الظلام وستبقى الأهرام سرّاً غامضاً .

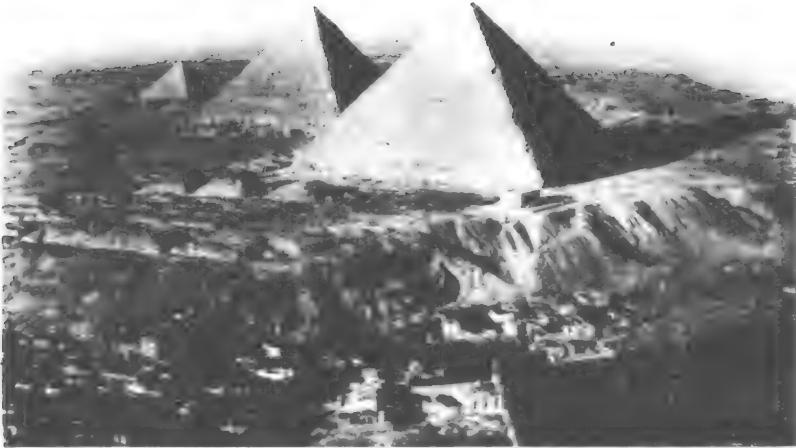
## الهرم الأكبر

يعد الهرم الأكبر الذى بناه الملك « خنوم خوفو » « كيوبس »  
أضخم الأهرام الموجودة فى مصر . وقد زالت كسوته التى شيدت من الحجر

الجبرى الأبيض المقطوع من محاجر طرة . ويبلغ طول قاعدته نحو ٥ و ٢٢٧ متراً ، أما ارتفاعه الحالى فيبلغ نحو ١٣٧ متراً . ويبلغ حجمه نحو مليون ونصف مليون من الأمتار المكعبة . أما عدد أحجاره فيبلغ نحو ٢٠٠٠ و ٢٠٣٠٠ ، ويبلغ وزن كل منها  $2\frac{1}{2}$  طناً ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طن . وإذا علمنا أن سنى حكم « خوفو » لم تتجاوز العشرين عاماً فإننا نقف حائرين أمام هذا المجهود الجبار الذى أقام هذا البناء الضخم فى تلك السنين القليلة . هذا على الزعم القديم من أن الأحجار كانت تجلب لبنائه من محاجر طرة ولكن إذا علمنا أن الأحجار التى استعملت لبناء الهرم قطعت من محاجر مجاورة له ، وأن البكر كان يستعمل لرفع هذه الأحجار ، سهل علينا فهم المجهود العظيم الذى قام به « خوفو » ، وبخاصة إذا علمنا أن جما غفيرا من المصريين كانوا يشتغلون فى بنائه طول مدة الفيضان من كل سنة ، وذلك لحلوم من أعمال الزراعة فى فترة الفيضان ، ولا تزال المساكن التى كانوا يقطنونها تشاهد منحوتة فى الصخرة العظيمة الواقعة قبلى الهرم الأكبر ولا شك أن السرفى إنجاز هذا العمل العظيم بسرعة يرجع إلى تنظيم العمل وإدارته بالطرق الفنية .

ورغم أن الهرم الأكبر يعد أعجب شئ فى مصر ، فإنه لم يكشف عنه من كل جهاته ، ولا يزال معبده الجنازى ومعبد الوادى مطمورين تحت الأرض ، والظاهر أن الطريق الموصل بين المعبدين كان ظاهراً فى عهد « هردوت » ، وقد قال عنه أنه كان أعجب من الهرم نفسه ، والآن

قوم حثائر في الجهة الشرقية من هذا الهرم في المبد الجنائزى اوقت فجاة ،  
وقد عثر على صورة للملك « خوفو » منقوشة على أحد أحجار المبد ، وكذلك  
عثر على بعض قوش وصور تدل دلالة واضحة . على أن المبد الجنائزى  
للملك « خوفو » وجد عليه قوش وكتابات ، وبذلك هدمت النظرية القائلة  
بأن مبد الهرم الأكبر لم يكن عليه قوش ، والواقع أن رسم « خوفو »  
الذى عثر عليه هنا هو أول صورة معروفة له فى التاريخ ، وآخر ما عثر عليه  
سفنتان للشمس يبلغ طول الواحدة منها نحو ٥٥ مترا وسفينة أخرى يتوصل  
إليها بدرج و يبلغ طولها نحوها ٤٠ متراً .



منظر من الجولاهرام الميزة يظهر فيه الهرم الأكبر والأهرام الصغيرة التابعة له فى الجهة الشرقية

أقام « خوفو » هذا الهرم ليكون مأواه الأبدى ، إلا أنه لم يمكث فيه

طويلا ، إذ وجد تابوته المحفوظ فى حجرة دفنه خاليا خلوا تاما من كل شئ ، ولا بد أن حجرة دفنه قد اقتحمت فى عهد الثورة التى قامت بعد تدهور حكم ملوك الأسرة السادسة ، على أننا نجد آثار التخریب الذى قام فى الفترة بين أواخر الأسرة السادسة والأسرة الحادية عشرة ظاهرة فى هذه المنطقة كما سنتكلم عنه فيما بعد .

وربما يتوهم البعض أن بناء الهرم الأكبر قد شغل « خوفو » عن باقى أعمال ملكه ، ولكن الواقع أننا نجد له آثارا باقية فى مدن ملكه مثل « قفط » و « دندرة » و « تل بسطة » وغيرها . وقد ترك خوفو اسمه منقوشا فى مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سينا ، والنقوش التى بقيت فى هذه المنطقة تخبرنا أنه أشعل نار الحرب ضد الساميين الرحل الجائلين فى هذه الجهات ، وهم الذين يعرفون باسم « منتيو » ، ولا شك أنه كان يقوم بهذه الحروب ليحمى الحملات التى كان يرسلها إلى هذه الجهات للحصول على المعادن والأحجار ، وقد كان يضطر أحيانا إلى اقتناء أثر هؤلاء اللصوص إلى مسافات بعيدة شمالا ، حتى أن الفرض سنحت له لأن يختلط بالمدينة الشمالية والشرقية ، ورغم أنه ليس لدينا براهين قاطعة من ذلك المهد المتوغل فى القدم ، على وجود علاقات حقيقية بين مصر وبابل ، فإنه من المؤكد أن المصريين كانوا يملكون شيئا عن المدينة البابلية ، يضاف إلى ذلك أنه كانت توجد علاقات تجارية من حين لآخر فى ذلك العصر بين بعض القبائل التى كانت تسكن الصحراء بالقرب من حافة وادى النيل وبعضها ، وقد كان قيام هذه العلاقة ميسورا وبخاصة

من جهة الجنوب ، لأن النيل كان يسهل هذه التجارة ، أما النوبيون فقد أحجموا عن الإغارات على حدود الفرعون ، ثم قبلوا أن يكونوا تحت سلطانه .

والظاهر أنه بعد وفاة «خوفو» قامت منازعات على الملك ، إذ نجد في قوائم الملوك الملك « دد فرع » التي وصات إلينا أن الملك الذى خلف خوفو هو « دد فرع » ولكن بعض العلماء ينكرون ذلك وقد استمر في الحكم مدة ثمانية أعوام ، ولكن المدهش في أمره أنه لم يبق هرمه في منطقة الجيزة ، بل اتخذ « أبورواش » مكاناً مختاراً له لإقامة هرمه الذى تهدم الآن ولم يبق منه إلا الشيء اليسير . والظاهر أن سبب هذه المنازعات يرجع إلى تعدد زوجات « خوفو » . وقد كان كل ملك يتزوج من عدة نساء ، وكانت له حظايا كثيرات . وفي هذا الوقت كان زواج الأخ من أخته من الأمور المألوفة في الأسرة المالكة ، على أنه لم يكن تولى امرأة عرش الملك مألوفاً ، والأمثلة التى لدينا قليلة معدودة تنحصر إلى الآن في « ختكاوس » في أوائل الأسرة الخامسة ، و« سبك نفرو » آخر من حكم الأسرة الثانية عشرة ، و« حتشبسوت » من الأسرة الثامنة عشرة . ورغم ذلك فإن الملك كان يثبت حقه في الملك حينما تكون زوجته أو أمه من دم ملكي . ولم تكن الوراثة هي الطريق الوحيد لتولى الملك ، بل كانت هناك عوامل أخرى ترجع إلى شخصية الفرد وأخلاقه ، أو إلى المؤامرات التى يقوم بها حريم القصر ، ولذلك كانت وراثة الملك أحياناً مفتوحة أمام صغار أفراد الأسرة المالكة ، بل أمام أفراد



خارجين عنها بتاتاً ، ويظهر أن تولى فرد من غير الأسرة المالكة عرش الملك كان يعد بداية أسرة جديدة ، وكلن هذا المؤسس الجديد يعمل على تثبيت ملكه بزواجه من إحدى قريبات الملك ، أى من الدم الملكى الحقيقى ، وقد كانت التقاليد أو القانون المتبع يقضى بأن تكون الأحقية فى الملك حسب النظام التالى :

١- أن يكون الوارث للعرش ابن ملك ولد من زواج ملك بأخته وكلاهما من الدم الملكى الخالص .

٢- أن يكون الوارث ابن ملك ولد من زواج ملك ليس من الدم الملكى الخالص بابنة ملك من الدم الملكى الخالص .

٣- أن يكون الوارث للعرش رجلاً قوياً تزوج من ابنة ملك من دم ملكى خالص .

ومما سبق يتضح أن تولية العرش فى مصر لم تكن من الأمور الهينة وبخاصة إذا علمنا أن « خوفو » تزوج من عدة نساء ، وأن المنافسات قد قامت بعده بين أولاد زوجاته المتعددات على تولى عرش الملك . والظاهر أن « ددف رع » لم يكن حقه فى الملك قوياً كأخيه « كاوعب » إذ يظن أن « ددف رع » كان ابن ملكة لويية الأصل وليست من الدم الملكى ، وقد تزوج من أخته « حتب حرس الثانية » ابنة الملكة « حتب حرس الأولى » وهى المعروفة بالشقراء ، ولذلك نجد أن ملامح « ددف - رع » تختلف عن ملامح ملوك هذه الأسرة ، والظاهر أن فرع أسرته الأسمى كان فى عداء

ظاهر له ، إن لم يكن في مشاحنات ضد تسلطه على العرش ، على أنه لما توفى وخلفه أخوه « خفرع » لم تسكت على ذلك أسرة « ددفرع - رع » إذ قام ابنه « باكارا » يناهض « خفرع » مدة أعوام بدون جدوى .

## خفرع

عند ما تولى خفرع عرش مصر لم تكن يده مطلقة التصرف بسبب المنازعات الداخلية التي قامت بينه وبين أولاد « ددفرع » غير أن ذلك لم يثن عزمه عن إقامة هرم يضارع هرم « خوفو » في عظمته وفخامته وإن كان أقل منه حجماً بقليل ، والنظر إلى الهرم الثاني الآن يجد أنه في شكله أكثر أناقة واحتفاظاً بروقه من الهرم الأكبر ، إذ لا يزال الجزء الأعلى من كسوته التي أحضرت له من محاجر « طرة » باقياً إلى الآن .

وقد دلت الحفائر التي عملت حديثاً في جهته الشرقية على أن قاعدة الهرم من جهاتها الأربع مكسوة بمدماكين من الجرانيت الأحمر المحبب ، ولا تزال بقايا هذه الأحجار في مكانها من الجهة الشرقية إلى الآن . هذا وقد كشف عن المعبد الجنائزى الملاصق للهرم من جهته الشرقية وكذلك عن الطريق الموصل إلى معبد الوادى ويبلغ طوله نحو ٦٠٠ متر تقريباً ،



المهرم الثانى والطريق المقدس الموصل من المعبد الجنائزى الى معبد الوادى

وبجوار المعبد الجنائزى كشف عن سفن الشمس وسفينة الحج إلى العرابة ، وعثر في المعبد الجنائزى وما حوله على بقايا أكثر من مائتى تمثال « لحفرع » ليس بينها تمثال واحد سليم ، ويرجع السبب في ذلك إلى عصر الثورة التى قامت بعد سقوط الأسرة السادسة فحظمت كل ما كان أمامها . أما التماثيل التى عثر عليها في معبد الوادى المبني بالقطع الضخمة من الجرانيت الأحمر المحجب ، وهو المعبد الملاصق لأبى الهول ، فقد وجد منها اثنان سليان ، ويعد

أحدهما وهو المصنوع من الديوريت من أجل ما أخرجه الفنان المصرى فى كل عصوره ؛ بل ومن القطع النادرة فى عالم الفن .

وقد بقيت أسرة « خفرع » مجهولة فى معظمها إلى عهد قريب ؛ فلم يكن يعرف من أولاده أكثر من ثلاثة ، أما الآن فقد كشف عن معظم أفراد الأسرة ويبلغ عدد أولاده نحو ١٦ فرداً من الذكور والإناث ، وقد وجدت مقابر بعضهم سليمة لم تصل إليها أيدي اللصوص ؛ ومعظمهم قد نحتوا لأنفسهم قبوراً فى الصخر ، وهى إما فى الجهة الشرقية أو الجهة الغربية من هرمه ، وإما بجوار الطريق الموصل بين معبد الجنائزى ومعبد الوادى ؛ والظاهر أن « خفرع » لم يتمكن من بناء أهرام صغيرة فى الجهة الجنوبية من هرمه لزوجاته ، كما فعل « خوفو » من قبله و « منكاورع » من بعده ؛ وربما كان السبب فى ذلك قيام المشاحنات على العرش ، وقد كانت قائمة بينه وبين أخلاف « ددف رع » ، ويظهر ذلك جلياً فى الهرم الذى أخذ فى تشييده بالجهة الجنوبية ولكن لم يتم بناءه ، ويحتمل أنه لم يدفن فيه أحد ، وبقاياه لا تزال موجودة إلى الآن . وربما كان عدم قيامه بحملات إلى البلاد الأجنبية شمالاً أو جنوباً يرجع إلى نفس السبب ، إذ الواقع أننا لم نثر على اسم « خفرع » فى الجهات التى كان فراغة مصر يرسلون إليها البعثات أو الحملات التأديبية أو للبحث عن المعادن . ومما يعزز هذا الرأى أن مقابر أسرته العدة التى كشف عنها حديثاً لم يكن قد تم نحتها عند الدفن ، وبقيت كذلك إلى الآن . وقد كان المفروض أن مقابر الأسرة تعطى عناية عظيمة من الملك فى نحتها ونقشها .

## أبو الهول

جرت العادة عند علماء الآثار والمؤرخين أنهم عند ما يكتبون عن الملك « خفرع » أن ينسبوا إليه تمثال أبي الهول قائلين بأن هذا التمثال العجيب هو للملك « خفرع » بعينه ، ولذلك يعتقد الكثيرون أن المعبد المجاور له هو معبد أبي الهول . والواقع أن تمثال أبي الهول ليس له علاقة قط بالمعبد المجاور له وأنه كان إلهاً يعبده الملك خفرع وله معبد خاص قائم أمامه ، كما سنفصل ذلك فيما يلي .

لم تصل إلينا معلومات عن هذا التمثال من مؤرخي اليونان الذين زاروا مصر قبل الميلاد ؛ بل كان كل همهم موجهاً إلى الأهرام ووصفها ، ولا ندري لذلك من سبب ، فهل كان أبو الهول مغموراً بالرمال أم أنه لم يلفت نظرهم ؟



تمثال أبي الهول

موقعه

يقع هذا التمثال في الجهة الشمالية من نهاية الطريق الممتد بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك خفرع، وهو محفور في قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية، ولكن الناظر إليه الآن لا يصدق ذلك؛ والسبب في هذا أنه رمم في عصور مختلفة، ويبلغ طوله ٤٦ متراً وارتفاعه من الأرض إلى قته ٢١ متراً؛ والظاهر يدلنا على أنه تمثال، رأسه رأس إنسان وجسمه جسم أسد.

تاريخه

أما تاريخ نحتة فقد اختلف فيه المصريون أنفسهم، فهناك نقوش متأخرة تدل على أنه نحت في عهد «خوفو»، ولكن برهن البحث العلمى على أنها نقوش دخيلة من عصر السولة الحديثة وما بعدها؛ وقد غالى بعض المؤرخين فقال إن هذا التمثال قد نحت في عهد ما قبل الأسرات، وقد بقيت الآراء متشعبة في تاريخ نحتة وفي كنهه وما يرمز إليه.

ومما يؤسف له أننا إلى الآن لم نعثر على تاريخ أو نقش معاصر له يدلنا على زمن نحتة بالضبط، ولذلك يعده الأثريون لغزاً من الألغاز في تاريخ مصر، ولكن إذا تأملنا فيما كان يحوطه به ملوك مصر من الاحترام والتقدير وخاصة من أوائل الأسرة الثامنة عشرة إلى آخر عهد الرومان، إتضح لنا أن هذا التمثال لا بد أن يكون معبوداً من المعبودات المصرية القديمة، وإذا كانت الأشياء يحكم عليها بأشباهاها، فلدينا في التاريخ المصرى ما يثبت ذلك؛ إذ منذ الأسرة الخامسة نجد أن الملك كان يشبه بعد وفاته دائماً بالإله «أتوم» الذى كان يعد أعظم الآلهة المصرية قوة وسلطاناً، ولذلك مثل هذا الإله برأس

إنسان أى القوة المفكرة ؛ وجسم أسد أى القوة الجسدية ، هذا إلى أن الملك نفسه كان يمثل نفسه بهذه الكيفية ، وقد بقى هذا التمثيل إلى أواخر العهد الرومانى ، ومن هنا جاء الالتباس بأن « خفرع » هو الذى صنع تمثال أبى الهول ليمثله نفسه وبخاصة لأنه مجوار معبده ، وقد أثبت الكشف الحديث أنه صنع فى عهد الملك « خفرع » وعلى صورته ، ولكنه يمثل إله الشمس عند الغروب ، وقد كان يطلق عليه للمصريون اسم « أتوم » .

ولكن المصريين أنفسهم قد أخبرونا كتابة أن تمثال أبى الهول هو الإله « حور ام اخت » أى حور فى الأفق ( الملك المتوفى ) ؛ وقد ذكره المؤرخون الإغريق باسم « حرماخيس » وليس أدل على ذلك من اللوحة التى كتبها « تحتس الرابع » تعبداً لهذا الإله ، وسرد ما فعله لربه من الخدمات إجابة لطلبه عند ما أظهر « حور أم اخت » رغبته فى إزالة الرمال التى كانت متراكمة حوله ؛ ولا يزال أثر هذا العمل الجليل الذى قام به « تحتس الرابع » باقياً إلى الآن ؛ إذ نجد أنه بعد أن أزال الرمال التى كانت متراكمة حوله ، بنى من جهاته الأربع سوراً من اللبن لا يزال جزء منه باقياً إلى الآن . وعلى مسافة نحو أربعين متراً غرب السور أقام سوراً آخر لحماية السور الأول من إغارة الرمال . وقد جاء بعده ملوك من الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين بنوا مساكن للكهنة الذين كانوا يقومون بتأدية الفرائض الدينية لهذا الإله ، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك هذه الأسر كانوا قد اتخذوا البقعة التى حول أبى الهول مكاناً للصيد والقتل

لشهرتها بحيوانات الصيد ، ولذلك كانوا يطهون على هذه الجهة اسم « وادى الغزلان » . وقد عثر أخيراً على بيت وحمام « لتوت عنخ أمون » فى هذه الجهة ، ربما كان لراحة الملك عند خروجه للصيد ، ولما جاء « رعمسيس الثانى » قش اسمه على هذا البيت بعد أن طمس بطبقة من الجص قوش « لتوت عنخ أمون » . ونجد كذلك أن جسم الحيوان قد رسم فى أزمان مختلفة وبخاصة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين ، وفى عهد الإغريق والرومان . ومباني هذه العصور نراها واضحة فى الترميمات التى أدخلت عليه وخاصة فى جانبيه وذيله .

ومع كل هذا نبقى الاعتقاد عند علماء الآثار سائداً بأن أبا الهول يمثل الملك « خفرع » إلى أن كشف حديثاً عن معبد منفصل تمام الانفصال عن المعبد المجاور له أى معبد « خفرع » ، وموقعه فى الجهة الشرقية من وجه أبى الهول ، وهذا المعبد قد أقيم لعبادة هذا الإله ، وقد نصبت فيه تماثيل للملك الذى أقامه غير أنه لم يبق منها إلا قواعدها تدل عليها .

لكن الواقع أن هذا التمثال يمثل الشمس عند الغروب وهى تعد أكبر المعبودات عند المصريين ، وأن هذا المعبد الذى أنشئ أمامه أقيم خاصة لعبادته ولا يمكن أن يكون قد أقيم لعبادة « خفرع » ، إذ أنه قد أقام لنفسه معبدين أحدهما جنوب هذا المعبد وهو معبد الوادى ؛ والآخر هو المعبد الجنازى الواقع شرق هرمه مباشرة ، ولا غرابة فى إقامة تماثيل أبى الهول فى هذه الجهة إذ كان على مقربة منه بلدة عين شمس التى كانت تعد أكبر

أبو الهول يمثل  
الشمس عند الغروب



مركز لعبادة الإله «أتوم» إله هذه الجهة المحلى . وكان يمثل فيها بشكل أسد رأسه رأس إنسان ، وكان أمام معبده طريق تحفه تماثيل أبى الهول الذى يمثل الإله المحلى لهذه الجهة .

ومما يعزز إلهية أبى الهول أن الأهلين فى عصور مختلفة كانوا يصنعون تماثيل لهذا الإله ويعبدونها تذكراً فى الحفلات الدينية التى كانت تقام له ، وقد عثر منذ بضع سنوات على أكثر من عشرين تمثالا له صغيرة الحجم فى الرمال التى كانت تغطى معبده ، وعلى تماثيل متوسطة الحجم أمام معبد «أمنحتب» الثانى الذى أقام فيه لوحته المشهورة .

والحقيقة إذن أن تماثيل أبى الهول ليس بلغز وما هو إلا الإله «أتوم» وإنما أخذ العالم على عاتقه أن يجعله لغزاً إلى الأبد ، وسيبقى كذلك ولو ظهرت كتابات تدل على أصله وكنهه .

أما العهد الذى نحت فيه أبو الهول فقد عرف على وجه التقريب ، إذ دلت الكشف الأخيرة على أنه نحت بعد إقامة الطريق الموصل بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك «خفرع» ؛ أى أن أبا الهول لا بد أن يكون قد نحت فى عهد «خفرع» باني الهرم الثانى أو بعده؛ وهذا أول تاريخ ثابت فى عمر أبى الهول .

تاريخ نحت أبى الهول

وفى عام ١٩٣٧ قامت مصلحة الآثار بحفائر لتنظيف المنطقة التى تقع حول أبى الهول والحفرة التى هو فيها ، وقد أدت هذه الحفائر إلى كشف القاب عن نيف ومائة وخمسين لوحة تذكارية وآثار أخرى وبعض

مقابر في الجهة البحرية يرجع عهداً إلى الدولة القديمة . وأهم هذه اللوحات لوحة الملك « أمنحتب الثاني » وقد نصبها داخل معبد خاص له تذكراً لزيارته لمنطقة الهرم وأبي الهول ، وفيها ذكر أبا الهول بأنه هو الإله « حور أم آخت » وأنه الإله « أتوم » وتكلم عن الأهرام بأنها أهرام أبي الهول أي أنه نسبها إلى هذا التمثال العظيم بصفته إلهاً . أما اللوحات الكثيرة التي كشف عنها هذا العام فقد استخلصنا منها معلومات جديدة تلقى بعض الضوء على هذا التمثال فيما يلي :

دلت البحوث التي حول هذا التمثال على أن ملوك الفراعنة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية العهد الروماني كانوا يزورون هذا المكان المقدس ، وكذلك كان يتقرب الأهليون إلى أبي الهول بتقديم القرابين ، واللوحات التذكارية ، كما كانوا يتقربون إلى الآله أوزير في العرابة المدفونة . فكانت هذه المنطقة تعد في نظر القوم والملوك أنها بقعة مقدسة وقد كانوا يطلقون على معبد أبي الهول اسم ( المكان المختار ) .

ولاشك في أن فراعنة مصر فضلاً عن تقديسهم لأبي الهول فإنهم كانوا يأتون إلى هذه المنطقة لصيد الغزلان والأسود ، ولا غرابة في ذلك فإن هذه المنطقة كان يطلق عليها اسم ( وادي الغزلان ) ، وتدل اللوحات التي كشفت في هذا المكان على ما ثبت ذلك . فوجد أن من زار هذه البقعة حسب ما وصلت إليه معلوماتنا هو ابن « تحتمس الأول » ثم « تحتمس الثالث » ، « وأمنحتب الثاني » صاحب اللوحة المشهورة التي كشف عنها حديثاً .

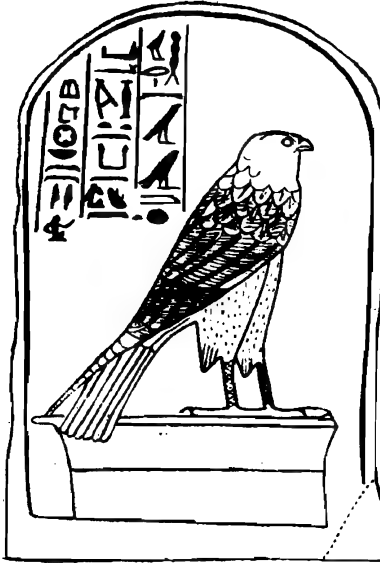
منطقة الصيد التي  
حول أبي الهول

وهي التي يقول فيها إنه أتى بعربته من منف إلى مكان أبي الهول الذي بنيت من أجله الأهرام ؛ ثم «تحتس» الرابع الذي ذكر في لوحته أنه جاء في هذا المكان وهو أمير لم يتول الملك بعد ، وأخذته سنة من النوم في ظل أبي الهول ، وطلب إليه « حور ام اخت » ( أبو الهول ) أن يزيل عنه الرمال عند ما يتولى عرش الملك ، رغم أن «تحتس الرابع» لم يكن الوارث الحقيقي للعرش . وقد بر بوعده . ثم جاء بعده « أمنحتب الثالث » ؛ وقد رسم في لوحة فتيا ، للصيد والقنص ، وكذلك حضر « توت عنخ آمون » إلى هذا المكان المقدس ، وأقام في الجهة القبلية منه مكاناً للراحة بالبن ، وشيد فيه حماماً ليستحم فيه بعد الصيد والقنص . وقد كشف عن هذا المكان حديثاً . غير أن « رعسيس الثاني » كعادته وضع طبقة من الجص فوق النقوش التي نقشها « توت عنخ آمون » على واجهة الاستراحة التي بناها في هذه الجهة ، وكتب اسمه وألقابه . وقد وجدنا النقشين أحدهما فوق الآخر ورغم ذلك فإن « رعسيس الثاني » أصلح ما أفسده الدهر من الأجزاء التي تأكلت من تمثال أبي الهول . وكذلك أتى إلى هذا المكان الملك « آي » ، ثم الملك « حورن ام حب » ، ثم « سیتی » الأول وترك الأخير لنا لوحة عثر عليها في معبد « أمنحتب الثاني » المقامة في الجهة البحرية من أبي هول ، وفيها يذكر صيده للغزال ، والأسود ثم أتى الفرعون « منفتاح » ، وترك لنا نقوشاً تدل على مقدار اهتمامه بأبي الهول ، وهكذا تواترت زيارات الفراعنة ، والاباطرة لهذا المكان حتى عهد الامبراطور « سبتيمس سפרس » ١٩٣-٢١١ بعد الميلاد .

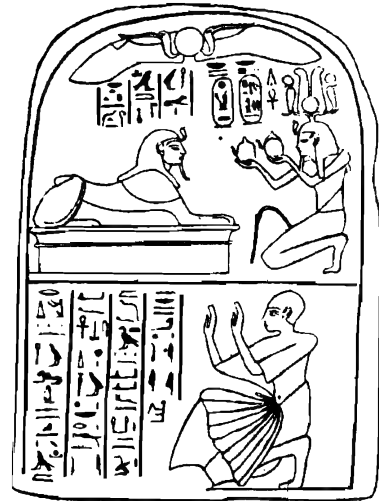
زيارة الملوك لمنطقة  
أبو الهول

وأدهش ما كشف في هذا المكان أن قوماً من الكنعانيين وفدوا على مصر ، وسكنوا في منطقة أبي الهول في عهد الدولة الحديثة. ومن المحتمل جداً أن ذلك كان في أواخر الأسرة الثامنة عشرة كما يدل على ذلك لوحة الفرعون « آي » من أواخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ؛ إذ جاء فيها أنه اقتلع ضيعة للحيثيين في هذه الجهة . وقد دلت اللوحات المكشوفة على أن هؤلاء الكنعانيين ( أو السوريين ) كانوا يسكنون في هذه المنطقة في بلدة سميت باسم إلههم الذي كانوا يعبدونه في بلادهم ، وأعني بذلك الإله « حورون » وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل صقر . ولما كان أبو الهول عند المصريين ، وبخاصة في عهد الأسرة الثامنة عشرة يسمى « حور إم أخت » أي « حور الأثقب » ، وكان يمثل بصقر ، فقد

أبو الهول هو « حورنا »  
إله الكنعانيين



أبو الهول في شكل صقر . وقدس في النقش  
بصفته « حورنا » أو « حور أم أخت »



الملك « سيني الأول » يتعبد إلى أبي الهول . وفي الأسفل  
شخص يتعبد إلى أبي الهول بصفته « حور » أو  
« حور أم أخت » ( حرمحيث )

راعى فيه هؤلاء الآسيويون أنه يمثل إلههم الذى تركوه فى بلادهم ، ولذلك أطلقوا على أبى الهول اسم « حورنا » أو « حورون » أو « حول » ، هو « حور إم أخت » ، ومن ذلك يتضح جلياً أن الأسم الجديد الذى أصبح يطلق على هذا التمثال هو اسم سامى الأصل ؛ ولا غرابة فى أن المصريين عبدوا الإله « حورنا » أو « حورون » فى مصر ، ووحده مع أبى الهول . فإن ذلك له ما يماثله فى هذا العصر إذ عبد الإله « ستخ » ، وهو أسيوى الأصل فى مصر ، وأصبح موحداً مع الإله « ست » إله الحرب ، وكذلك الإلهة « عشترت » ، فهى إلهة سورية نقلت عبادتها إلى مصر ، ووحدت مع الإلهة « حتحور » ، وهكذا كان بعض الملوك فى فترة فتوحهم العظيمة يقربون بين البلاد السورية ومصر بكل الوسائل . ثم أطلق هؤلاء القوم على الحضرة التى فيها أبو الهول اسم « بر - حول » ( بيت حول ) . ومن ثم جاء اسم أبى الهول ؛ ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك أى علاقة بالمعنى الذى نعطيه لأبى الهول فى عصرنا هذا بأنه صاحب الفرع ، والحقيقة كما ذكرنا أنه إسم مصرى سامى يرجع عهده إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة عندما جاء هؤلاء القوم الآسيويون ووحده فى إلههم « حورون » ، أو « حول » . ومن الطريف أننا وجدنا لوحة أقامها « تحتمس الرابع » ، نجد فيها أنه حبس على هذا الإله بعض الضياع فى فينقيا ليقدم منها قربانا له يومياً أى أن الملوك أنفسهم كانوا يعبدون هذا الإله ، ويقال إن اسم الملك « حورن ام حب » يحمل فى تركيبه إسم هذا الإله . هذا

أصل كلمة أبى الهول

وقد تعبد إليه « رعسيس الثانى » صراحة ، وكشفت لهذا الإله مجموعة تماثيل فى جهة « تانيس » مثل فيها هذا الإله على شكل الإله « حور » ، ومعه « رعسيس الثانى » ، ولكن إسم الإله لم يكتب « حور » بل كتب « حورنا » . ولا أدل على وجود مستعمرة من هؤلاء الكنعانيين فى هذه الجهة من اسم القرية التى كانوا يقطنونها فى ذلك الوقت ؛ وقد بقى لنا محفوظا بنصه فى اسم قرية صغيرة بالقرب من أبى الهول فى جنوبه الشرقى وبينهما كيلو متران ونصف ، وهى تسمى الآن « الحارونية » نسبة إلى الإله « حورنا » أى أبو الهول كما ذكرنا ، وهى تنقسم قسمين الحارونية القبيلة والبحرية ، وقد جامت النقوش مؤكدة لذلك إذ وجد على لوحة من اللوحات « حارونية » بالخصص الذى يدل على لفظة بلد فى اللغة المصرية القديمة ، وهى نسبة إلى الإله « حورون » . وقد بقيت شخصية هذا الإله « حورنا » مجهولة عند علماء الآثار حتى جاء العالم « فيرولو » سنة ١٨٣٧ ، ونشر قطعة من قصيدة شعر « رأس شمر » ، وقد ظهر فيها اسم الإله « حورون » بصفة قاطمة ، وظهر أنه كان يعبد فى « صيدا » . ومن ذلك يتضح أن أبا الهول ذلك اللغز العظيم قد اشترك فى عبادته ، وتقديسه بصفته إله الموتى ، وحارس الجبابة ، السوربون ، والمصريون على السواء . ولا نزاع فى أن أبا الهول كان يمثل الآله « رع » عند الغروب أى « آتوم » ، وأنه كان يعتبر فى نظر القوم بأنه حارس الجبابة إذ ورد على تماثيله ما يأتى ، مخاطبا المتوفى : « إبنى أحى مقصورة مدفك ، وإبنى

بلدة الحارونية  
ونسبتا لآبى الهول

أحرس حجرة دفنك ، وإني أقصى كل أجنبي يريد اقتحامها ، وإني أقضى على الأعداء بسلاحهم ، وإني أقصى المؤذى عن قبرك ، وإني أصرع أعداءك فلا يعودون إليه قط .

أبو الهول يحى الموتى

وتدل كل الآثار التى كشفت فى هذه المنطقة حتى الآن ، على أن أبا الهول هو الإله الذى يحرس الموتى فى الغرب ، وأنه مظهر الشمس عند غيابها فى الأفق ، وسنكتفى هنا بهذا القدر عن أبى الهول ، إذ خصصنا له بحثا خاصا فى مجلدين ضخمين سنشرهما عند ما تنبأ الأحوال لذلك إن شاء الله .

## منكاورع

خلف « خفرع » على عرش مصر الفرعون « منكاورع » ، وبقى على أريكة الملك أكثر من عشرين عاما ، ومن المحتمل أنه ابن خفرع ، وعلى أية حال فإن والده ترك له المشاحنات التى قامت بينه وبين أسرة « ددف رع » ؛ ويظن أنه الذى أكل مقابر أسرة والده ، ومقبرة والدته « خع مرر نبتى » فى الصخرة الواقعة فى الجنوب الشرقى للهرم الثانى . ولما استتب له الأمر أخذ فى الاستعداد لبناء هرمه الصغير بالنسبة لهرمى خوفو ، وخفرع ؛ غير أنه وضع تصميمه على أن يكسى بجرانيت أسوان الأحمر بدلا من الحجر السلطانى الأبيض الذى كان يجلب من طرة ؛ ومع ذلك فقد كانت تكاليفه أقل بكثير من تكاليف أهرام أسلافه . غير أنه أثناء قيام هذا العمل

مات « منكاورع » فجأة ، وكان الهرم في تلك اللحظة قد كسى إلى نحو الثلث  
أى ( ١٦ مدمكا ) ، ومعبد الجنازى قد كسى جزء منه من الخارج .  
وكذلك حجرة القرايين فقد كسيت بالجرانيت الأحمر والأسود . أما معبد  
الوادى فإنه لم يتم فى عهده وأتمه من بعده « شيسكاف » باللبن ووضع فى المبد  
كل أدواته من تماثيل وأوان ، غير أن بعضها غير تام . وتدل الحجر الداخلية  
فى هذا الهرم على حصول تغيير فى تصميمها أثناء سير العمل . وقد دخل  
للصوص هذا الهرم عام ١٢٢٦ ميلادية وقد وجدوا تابوته خاليا . . . .  
ووجدوا فى هذا التابوت ( لا بد أن يكون تابوتا آخر ) بعد أن كسروا  
غطاءه ، بقايا جسم إنسان من غير حلى ما ، اللهم إلا بعض ألواح ذهبية  
مكتوبة بحروف لا تفهم . وفى عام ١٨٣٧ دخل الكولونيل « هاورد فيس »  
حجر هذا الهرم فوجد فى الحجرة العليا قطعا من تابوت خشبى تعزى إلى  
« ملك الشمال والجنوب منكاورع حيا إلى الأبد » ومعه بقايا إنسان  
ملفوف فى ثوب من الصوف الخشن لونه أصفر ، وقد وجد كذلك فى  
الحجرة السفلى تابوتا من البازلت ، وهو الذى خيب آمال لصوص سنة ١٢٢٦ .  
وقد نقل التابوت وبقايا الجسم إلى المتحف البريطانى . أما التابوت البازلتى  
فإنه شحن إلى إنجلترا ، ولكن السفينة غرقت به فى « لجهورن » فى  
١٢ أكتوبر سنة ١٨٣٨ ؛ ولا يزال فى قعر البحر إلى الآن .  
وقد كشفت لنا حفائر الدكتور « ريزر » فى معبد الوادى « لمنكاورع »  
عن نفائس فنية ودينية ؛ وهذه المجموعة تعد أنفس مجموعة وجدت فى الدولة

« شيسكاف »  
يتم بناء الهرم الثالث

ما وجد فى الهرم  
الثالث



القديعة من الاسرة الرابعة . ومن بينها مجاميع إلهات المقاطعات ، وكذلك  
تثالان « منكاورع » وزوجته فى قطعة واحدة بالحجم الطبيعى تقريباً من  
الجرانيت ، وهما يعدان أجمل قطع فى الفن المصرى فى هذا العصر . ولم  
يصلنا شئ عن بعثات هذا الملك للخارج سواء أكانت للفتح أم لقطع  
الأحجار . وأهم وثيقة وصلت إلينا من عهده عثر عليها فى مقبرة أحد كبار  
موظفيه المسمى « دبجن » وفيها يقص هذا الموظف الكبير كيف أن مولاه  
قدم له خمسين عاملاً لبناء مقبرة خادمه الأمين . وهذه المنحة وإن كانت  
تعتبر فى أعيننا شيئاً قليلاً لكنها أكبر خدمة يقدمها الملك إلى رجل  
وثيقة فبر « دبجن » خدمه بصدق وأمانة ؛ وقد تعطف عليه « منكاورع » بذلك حينما كان جلالته  
على الطريق التى بجانب هرم « حر » يتفقد حال العمل فى هرمه المسمى  
« المقدس » وهو اسم الهرم الثالث . أما هرم « حر » فلا بد أن يكون  
هرماً آخر له علاقة « بمنكاورع » من جهة ما ؛ وقد ظن البعض أن  
« منكاورع » كان له هرمان كبعض أسلافه مثل « سنفرو » ، وهذا غير  
مطابق للواقع . والحقيقة أن هرم « حر » هو هرم ابنته « خنت كاوس » ،  
وفعلًا عثرنا على الطريق التى تربط الهرمين ببعضهما . وقد كشف منه جزء  
وقد سمي هرمها « حر » أى العالى من مسميات الأضداد إذ الواقع أن هرم  
الملكة « خنت كاوس » فى منخفض وستكلم عليه فيما بعد .

كشف « دجنر »  
عن الهرم الثالث

الهرم « حر »

ومن الطريف أنه جاء فى نقوش « دبجن » هذا أن الملك أمر بإحضار  
بايين وهميين من الحجر ، وكذلك كتلتين لواجهة المقبرة ، وتمثال بالحجم

الطبيعى لتقام فى مقبرته، وقد وجدت كل هذه الهدايا التى أمر بها الملك فى مقبرة « دبحن » عند الكشف عنها فى عام ١٩٣٤ ، غير أن التمثال لم يوجد منه إلا بقايا مهشمة وفى عهده أرسل ابنه « حرددف » ليفحص المعابد المصرية بأجمعها ؛ وقد كشف هذا الأمير فى الأشمونين الفصلين ٣٠ و ٦٤ من كتاب الموتى ( كما فى النسخة الصاوية ) . وكان « منكاورع » يعرف فى الأزمان التى تلت عهده بأنه رجل تقى ، وكان يحترم ويقدر كحكم من الحكماء فى عصر الرعامسة .

## الملك شبسكاف

لما تولى « شبسكاف » عرش مصر بعد والده « منكاورع » لم يشيد لنفسه هرمًا مثل والده على هضبة الجيزة بل رجع إلى مكان أجداده بالقرب من سقارة ، وابتدع لنفسه مقبرة فريدة فى بابها ؛ وذلك أنه بنى لنفسه مصطبة ضخمة وبنى فوقها مصطبة أخرى على شكل تابوت . غير أنه جعل لهذه المقبرة كل الملحقات التى تتبع الهرم . وهذا البناء يعرف عند أهالى جبة دهشور باسم مصطبة فرعون .

مصطبة فرعون

وإذا اعتمدنا على النقوش القليلة التى كشفت وحكنا بأن هذا البناء الغريب هو قبر « شبسكاف » كان أمامنا سؤال لا بد من الأجابة عليه وهو : ما السبب الذى دعا « شبسكاف » إلى المدول عن السنة

المتبعة في بناء القبور على شكل هرمي ، وابتداع شكل غريب كهذا .  
والظاهر في تفسير ذلك أن الهرم قد بني ليكون مقبرة للملك ولم  
يتخذ هذا الشكل اعتباطا بل لأنه رمز لعبادة الشمس في بلدة عين شمس .  
وفي إقامة المقبرة على هيئة الهرم اعتراف بالآهية الشمس وسلطانها العظيم ،  
ووضع المتوفى تحت حمايتها ليصل إلى العالم الآخر . وإذا لاحظنا أنه منذ  
بداية حكم الملك الثالث من الأسرة الرابعة قد دخل في تركيب اسم  
الملك لفظة « رع » أى الشمس ، ولاحظنا أنه في أوائل الأسرة الخامسة  
اعتبر ملوك هذه الأسرة أنفسهم أولاد « رع » مباشرة وخلفاءه على العرش .  
لعرفنا منزلة ذلك الإله في نفوسهم وتأثيره عليهم ولأدهشنا أن نرى  
ثلاثة ملوك لم نجد في تركيب أسمائهم لفظة « رع » كأسلافهم وهم « شبسكاف »  
« وختكاوس » و « وسركاف » ؛ وفي ذلك ما يدل على أن هؤلاء الملوك  
قد تنحوا عن الانتساب إلى عقيدة عين شمس التي احتلت منزلا ممتازا في  
ذلك الوقت ، وما يفسر لنا موقف شبسكاف من قبره ، والمدول عن  
المألوف عند أسلافه في بنائه .

مناهضة عبادة « رع »

وقد كان هو أول من تخلى عن هذه العقيدة ، وأظهرها في بناء قبره  
مقتغا بفكرة أقل روحانية ، وهي أن يخلد في القبر نفسه بدلا من السماء ،  
وذلك بأن يبنى لنفسه قبرا على شكل تابوت ضخم « وهو المكان الذي  
تأوى إليه « الكا » (أى الروح المادية) وتجعل الجسم المادى مخلدا ما دامت تزوره » .  
ولا شك أن هذه الحركة كانت لا بد قائمة ضد كهنة عين شمس الذين

كان سلطانهم يزداد كل يوم على سلطان الملك كما حدث فيما بعد في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وربما كان الواضع لهذه الفكرة هو « شبسكاف » نفسه حصنا له ضد كنة عين شمس . . وفي عهد هذا الملك كان « فتاح شبنس » الذى يمد من أهم الشخصيات التى عاشت فى هذه الفترة وقد ترك لحسن الحظ ترجمة حياته كما كتبها بنفسه مما يلقى بعض الضوء على تاريخ هذا العصر من بعض النواحي ، ولا غرابة فى ذلك فإنه كان أعظم المعمرين بلغ من العمر أزدله إذ أنقضى فى خلال حياته الطويلة ستة فراعنة ، قلب مدة حكمهم فى وظائف عدة ، ولا نبالغ إذا أطلقنا عليه عمد الموظفين . ولقد أحصى الوقت الذى خديم فيه هؤلاء الملوك فوجد أنه يربو على الثمانين حولا . والظاهر أنه كان موظفا حكوميا بالمعنى الذى تتطلبه هذه المهنة فى مصر ؛ إذ كان لا يحسب للبادى أى حساب ؛ بل كان بطبيعة الحال يميل عند تأدية عمله إلى ما يجر له المنفعة الشخصية أولا ، ولا أدل على ذلك من أنه رغم رابطة الرحم التى كانت تربطه بالأسرة الرابعة فإنه لم يجد أى وازع يردعه عن الخدمة تحت لواء ملوك الأسرة الخامسة الذين ربما كانوا هم المتعصبين لعرش الملك منه ؛ إذ كان متزوجا من كبرى بنات الملك « شبسكاف » الذى لم يرزق واراثة ذكرا ليتولى الملك بعده . وقد كان فى استطاعة « فتاح شبنس » فى مثل هذه الأحوال أن يطالب بالعرش لنفسه ، ولكنه كما يظهر لنا ، كان رجلا حريصا عاقلا قنوعا فلم يزج بنفسه فى مثل هذه المغامرة . ورضى

تاريخ جلة  
« فتاح - شبنس »

أن يتقاضى مرتبا دسما تحت لواء أى ملك يقبض على ناصية الأمور ،  
وتاريخ حياة « فتاح شببس » استغرقت عهد ستة ملوك من فراغة الأسرة  
الخامسة خدمهم كلهم موظفا حكوميا مطيعا . ولكن لما كانت أول خطوة  
خطاها نحو الرقى فى الوظائف جاءت فى عهد الأسرة الرابعة فقد أثرنا  
أن نجعله يتكلم هنا بنفسه عن ترجمة حياته كما دونها على مقبرته ، وبخاصة  
إذا اعلنا أنه يعدد فيها لنا أسماء الملوك الذين جاءوا بعد « شببسكاف »  
ووظف فى بلاطهم . فيقول مع ذكر اسمه فى نهاية كل فقرة : ( ولد فى  
عهد « منكاورع » الذى رباه مع أطفال الملك فى الحريم الملكى ) ؛ وكان  
مقربا لدى الملك أكثر من أى ولد - « فتاح شببس » ( وكان لا  
يزال يلبس الحزام ) فى عهد الملك شببسكاف الذى رباه بين أولاد  
الملك فى قصر الملك ، وفى داخل الحريم الملكى . وكان مقربا لدى  
الملك أكثر من أى شاب - « فتاح شببس » ( وقد لقي حظوة عند جلالاته )  
وزوجه جلالاته من كبرى بناته « معات - خع » لأن جلالاته أراد أن  
يكون بصحبته أكثر من أى رجل آخر - « شببس فتاح » .  
( المقرب من « وسركاف » ، كبير كهنة منف ) المحترم من الملك  
أكثر من أى خادم ، فكان ينزل فى كل سفينة تابعة للبلاط ، وكان  
يدخل بطريق القصر الجنوبى فى كل أعياد التويج - « فتاح شببس » .  
التابع « لسحورع » المبجل عند الملك أكثر من أى خادم ، الذى  
كان يعمل أمين سر لكل الأعمال التى يريد إنجازها جلالاته . وهو الذى

كان يسلى قلب سيده كل يوم - « فتاح شبس »  
التابع للملك « نفر إر كا رع » والمبجل عند الملك أكثر من أى خادم  
وعندما يثنى عليه جلالة لأمر ما ، كان جلالاته يسمح له بأن يقبل  
قدمه ، ولم يرض جلالاته أن يقبل الأرض - « فتاح شبس »  
التابع للملك « نفر ف رع » المبجل لدى الملك أكثر من أى خادم  
وكان ينزل فى السفينة المقدسة فى كل أعياد التتويج ، المحبوب من سيده  
- « فتاح شبس » .

المحب لقلب سيده «نوسررع» عاش أبديا فى بلاطه ، المحبوب من سيده  
والمحترم لدى الإله « فتاح » ، وهو الذى يفعل ما يرغب إلهه ، والذى يرتاح  
إليه كل فنان فى عهد الملك - « فتاح شبس » .

ولا جدال فى أن «فتاح شبس» كان رجلا قد أسعده الحظ ، إذا كان  
مقياس السعادة بالحظوة الملكية التى عاش يرتع فى بمجوحاتها ويتقلب  
فى أعطاف نعيمها طوال حياته فى عهد كل هؤلاء الملوك دون أن يغضب  
عليه واحد من بينهم إذا صدقنا ما رواه عن نفسه ؛ على أن أكبر فخر  
نال فى حياة أولئك الملوك ما جاء به الفرعون « نفر إر كا رع » الذى  
سمح له أن يقبل قدمه بدلا من أن يلثم التراب الذى تحت قدميه وهو  
ملتقى على بطنه أرضا حسب التعبير المصرى الصحيح .

على أن أكبر درس اجتماعى نخرج به من حياة هذا الرجل هو ما  
نشاهد فى خلال هذا العصر السحيق فى القدم من أن الوظائف الحكومية

كانت الهدف الذى يرمى إليه كل عظيم منها بلغت درجته ، ولقد بقى هذا الداء العضال يتوارثه المصريون إلى يومنا هذا . نعم إن المصرى كان بطبعه يتمسك بالعادات والأخلاق التى نشأ عليها أجداده ، وكان الابن يرثها عن الأب ولكن سنن الرقى كان من شأنها أن تجعله يتخلى عن بعض هذه العادات الموروثة ، إلا حب الوظائف الحكومية ، فإنه لا يفك يطلبها ويرى أن كل عمل سواها حقير ضئيل ، وأنه فى سبيلها يجب أن يضحي بكل شئ . ولا نزاع فى أن « فتاح شبسب » قد ضرب الرقم القياسى فى ذلك المضمار دون مراعاة أى مبدأ . ولا أكون مبالغاً إن قلت أنه لا يوجد فرد واحد فى مصر عاش فى خلال الأربعين قرناً التى تلت وفاة عميد الموظفين ، يتردد لحظة فى أن يضحي بمبذنه وعقيدته فى سبيل أبهة الوظيفة والتنافس فى نيل رضاء الحاكمين وعطفهم مهما كلفه ذلك غالياً .

عظم مكانة الوظيفة الحكومية عند المصرى

وقد ذكر المؤرخون بعد حكم « شبسكاف » ثلاثة ملوك غير أن الآثار التى كشفت إلى الآن ، لم يأت فيها ذكر واحد منهم ، وهكذا بقيت نهاية هذه الأسرة غامضة لا يعرف عنها شئ حتى عام ١٩٣٢ ؛ وذلك عند ما كشفت بعثة الجامعة المصرية القائمة بأعمال الحفر فى منطقة أهرام الجيزة عن الهرم الرابع الذى دفنت فيه الملكة « خنت كاوس » .

## الملكة خنت كاوس

ومما لا شك فيه أن « خنت كاوس » هي بنت الملك « منكاورع » لأن « شبسكاف » مات ولم يترك له خلفاً من الذكور فقامت « خنت كاوس » مطالبة بالعرش بعده ؛ والظاهر أنه كان لها بعض المنافسين على العرش غير أن الدم الملكي الذي يجري في عروقها جعل لها الأولوية في تولي الملك ولذلك كتبت على باب هرمها « ملك الوجهين القبلى والبحرى ، والأم الملكية وبنت الأله ، وكل شئ تأمر به ينفذ لأجلها » . ويتضح لنا من هذا النص أنها تزوجت بأحد عظماء القوم المنتخب ولياً للعهد ، ولذا سميت الأم الملكية، غير أنها لم تذكر اسم زوجها لأنه ليس من دم ملكي خالص ؛ وأطلقت على نفسها لقب « ملك الوجهين القبلى والبحرى » لا ملكة الوجهين ، كما فعلت الملكة « حثشبوت » في الأسرة الثامنة عشرة وأن هذا يدل على سمو مكانة المرأة عند المصريين القدماء في ذلك العهد .

والظاهر أن عصرها كان حافلاً بالاضطرابات ، والمشاحنات على تولي الملك . وقد ذكرت قوائم الملوك بعض أسماء في نهاية الأسرة الرابعة غير أنها لم تذكر على هذه الآثار (١) .

ولما تزوجت « خنت كاوس » الوارثة الحقيقية للملك وأنجبت « وسركاف » خلصت البلاد من تلك الفوضى السياسية ، وكانت هي الحلقة الموصلة بين الأُسرتين الرابعة والخامسة .

« خنت كاوس »  
مؤسسة الأسرة  
الخامسة

(١) فذكرت ورقة تورين ومانيتون أنه كان هناك ملك حكم البلادين « شبسكاف و « وسركاف » وهو « امحوتب » وقد وجد له نصوص في محاجر سينا .



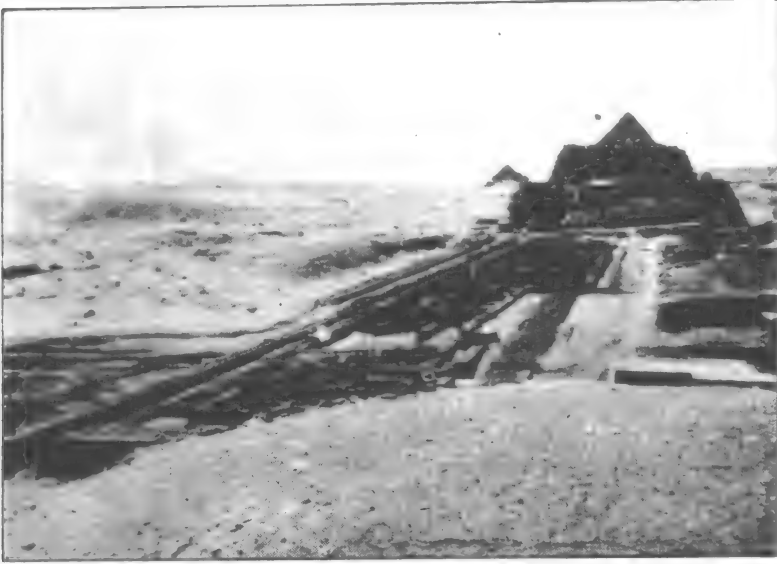
وهناك أقصوصة تكاد تكون خرافة عن أصل الأسرة الخامسة ، وربما كان لزواج « خنت كاوس » من أحد الأفراد أو الكهنة وتأسيس الأسرة الخامسة صلة بها . وذلك أنه جاء في ورقة « وستكار » المنسوبة لأحد السحرة أن « حردذف » بن « خوفو » مثل بين يدى والده ، وهو يقدم ساحرا اسمه « ديدى » ، وقد تبأ هذا الساحر بولادة أطفال ثلاثة ستلهم زوجة كاهن هليوبوليس من « رع » إله الشمس ثم تسميهم الإلهات بأسماء تشبه في لفظها أسماء الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة وهم « وسركاف » ، و« سحورع » و« كاكاو » ، وكذلك تقيت الإلهات بأن كل منهم سيحكم البلاد قاطبة .

ولا شك في أن هذه القصة تنطوى على ارتباك تاريخي إذ لا يعقل أن يولد « كاكاو » ثالث ملوك الأسرة الخامسة في عهد « خوفو » . ولكن المهم في هذه الخرافة أن هؤلاء الملوك الثلاثة هم الذين ورثوا الملك بعد أولاد خوفو وأحفاده كما أخبر « ديدى » الساحر الملك . بقوله « إن ابنك سيحكم وابن ابنك سيحكم ثم واحد منهم » . - يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الملوك قد ولدوا من زوجة كاهن « رع » التى حملتهم من الإله نفسه وان الإله وعد الأم بأنهم سيحكمون وأن أكبرهم سيكون كاهنا أكبر لعين شمس .

ومن المحتمل جداً أن تكون « خنت كاوس » قد تزوجت من كاهن عظيم لعين شمس ، وبذلك يكون الدم الملكى يجرى فى أولادها ؛

ويعزز كهنه « رع » الذين أخذ حظهم يرتفع ، ولذلك أصبح الملك يسمى (ابن الشمس) وربما ادعى الملك نفسه أنه هو ابن الشمس الحقيقي ؛ لأن والده هو كاهن الإله « رع » أو الصورة التي تقمص فيها « رع » .

وقد أقامت « خنت كلوس » في عهد وصايتها على الملك هرمًا خاصًا بها في منطقة أهرام الجيزة ، وهجرت المنطقة التي بنى فيها « شبسكاف » مقبرته النربية في بابها .



الهرم الرابع « لخت كلوس » ومدينته

ولا غرابة في ذلك فإن « خنت كلوس » أرادت أن تكون بجوار والدها « منكاورع » . غير أنها لم تتخذ شكل الهرم تمامًا استحدثت في المعمار المصرى طرازًا جديدًا يجمع بين الشكل الهرمي والهيئة الجديدة التي اختصت بها مقبرة أخيها « شبسكاف » ؛ ولذلك جعلت قاعدة هرمها

مربعة الشكل كما هو الحال في أهرام الجيزة؛ وأقامت على هذه القاعدة شكل تابوت لتحاكي مقبرة أخيها في دهشور ، ويبلغ طول قاعدة هذا الهرم نحو ٤٥ مترا وارتفاعه نحو ٣٥ مترا ، وقد قطعت القاعدة في الصخر المحلى ثم كسيت بالحجر الجيري الأملس من طرة . ووضع معبده الجنائزى فى داخل مربع قاعدته ، ويتجه بابه شرقا ، وقد كسى معظم هذا المعبد بالجرانيت الأحمر ، وتقشت جدرانه بالنماظر الدينية ، والقرايين على كسوة من الحجر الجيري الضارب إلى السمرة . أما حجرة الدفن فقد كسيت بالجرانيت المحبب ؛ ويتوصل إليها بوساطة منحدر مكسوققطع الجرانيت الأحمر . وقد نحتت فى جوانبها سبع حجرات صغيرة للأثاث المائى . ومن الدهش أننا وجدنا باباً وهمياً داخل هذه الحجرة ، وكان بنهايتها من الناحية الغربية حجرة من الجرانيت وضع فيها تابوت الملكة المصنوع من المرمر ، وقد عثرنا على أجزاء صغيرة منه . وأمام الهرم من الناحية الشرقية أقامت « خنت كلوس » مدينة صغيرة لكهنتها لا تزال منازلها المبنية من اللبن حافظة لشكلها وبجوار معبد والدها الذى أقامه فى الوادى شيدت « خنت كلوس » معبدها أيضاً ، وهما متشابهان فى نظامهما وبنائهما من اللبن ؛ وهناك أحواض ثلاثة لماء التطهير أحدهما بالقرب من الهرم والثانى فى وسط المدينة ، والثالث بجوار معبد الوادى . وقد نحتت فى الناحية الجنوبية الغربية من الهرم سفينة تحكى سفن الشمس التى وجدت بجوار أهرام « خوفو » و « خفرع » وغيرها من ملوك الأسرة الخامسة ، ويحيط بالهرم

مدينة هرم  
« خنت كلوس »

سفينة الشمس

والمباني الملحقة به سور عظيم يجمع بينها ويجمعها وحدة قائمة بذاتها .  
وقد أثبتت البحوث التاريخية أخيراً أن « خنت كاوس » ربما كانت  
هى الملكة « نيتوكريس » التى ذكرها المؤرخون ونسبوا إليها إتمام  
الهرم الثالث ، وأن التحريف جاء من النطق فحسب كما سنذكر بعد . ولا  
شك فى أن هذه النظرية يقبلها العقل إذا علمنا أن « خنت كاوس » هى  
بنت « منكاورع » وأنها قد بنت معبدها بمجواره ؛ فلا يتغرب أن تكون  
هى التى يقصدها المؤرخون الأقدمون .

## الأساطير التى قيلت عن الملكة « خنت كاوس » ، يانية الهرم الرابع بمنطقة الجيزة

إن الباحث فيما تركه لنا مؤرخو اليونان عن منطقة الجيزة يلاحظ  
فى الحال أن هناك بعض أشياء تنطبق على الحقيقة تمام الانطباق . على  
أن هناك فى الوقت نفسه أشياء أخرى لا تقوم إلا على مجرد الأساطير .  
فثلاً نرى هؤلاء المؤرخين يعزون الهرم الأكبر إلى « خوفو » والهرم  
الثانى إلى « خفرع » والثالث إلى « منكاورع » . على أننا نرى من جهة  
أخرى أن « ديدور الصقلى » يذكر لنا استناداً على مصادر مصرية ، أو  
يونانية أن الأهرام الثلاثة هى « لأرمايوس » و« أموسس » و« أناروس » .  
وهناك أسطورة أخرى تدعى أن الهرم الثالث كان مقبرة لحظية تدعى

ما رواه اليونان  
عن الأهرام

« رودويس » وقد بناء لها بعض عشاقها من حكام الأقاليم . وظلت هذه الرواية الأخيرة متواترة . وقد ذكر « استرابون » الذى قال أن هذه الحظية كانت تدعوها « سافو » باسم « دورينخا » على حين كان يدعوها آخرون باسم « رودويس » . غير أن « هردوت » فند هذه الأسطورة قائلا أنه رغم الثروة التى جمعتها « رودويس » فإنه كان من الصعب عليها أن تجد الموارد التى تمكنها من أن تقيم مثل هذا الأثر . يضاف إلى ذلك أنها لم تكن معاصرة لبناء هذا الأثر إذ كانت تعيش فى عهد الملك « أماسيس » . وبعد ذلك نجده يقص علينا تاريخ « رودويس » ذكرا أنها كانت امرأة تراقية الجنس ؛ وأنها كانت جارية لشخص يدعى « جادمان » من جزيرة « ساموس » ، وأحضرت إلى مصر حيث أعتقها « كراسوس » أخو « سافو » التى أحضرتها إلى مصر حيث أقامت فيها حظية . وقد ذكر المؤرخ « أفريكانوس » قولا عن مختصر تاريخ مصر للانيتون ، أنه فى نهاية الأسرة السادسة حكمت البلاد الملكة « نيتوكريس » وهى التى أقامت الهرم الثالث وقد وصفها بأنها أقوى وأجمل نساء عصرها ، وأضاف إلى ذلك أنها كانت شقراء . أما نص « يوزيب » ( قولا عن مانيتون أيضاً ) فيصفها بأنها شقراء وردية الوجنتين . ولعل السبب الذى دعا إلى وضع « رودويس » مكان « نيتوكريس » يرجع إلى وصف الملكة « نيتوكريس » بكونها شقراء ذات وجنتين ورديتين لأن لفظة « رودويس » تعنى المرأة ذات الوجه الوردى اللون ، وعلى ذلك يجب ألا يفهم من

الاسم الذى جاء فى هذه الأسطورة الإغريقية أنه اسم علم ، بل يجب أن يفهم منه أنه وصف « لدورينا » . يضاف إلى ذلك أن « نيتوكريس » و « رودويس » توصفان بأنها أجل نساء عصرهما . وقد بذلت محاولات شتى بطرق مختلفة لحل التناقض الذى يظهر لنا فى هذه الروايات فلم تسفر عن شئ ، ولا جدال فى أن « مانيتون » كان يعرف أن الهرم الثالث ينسب « لمنكاورع » وأن اسمه كان يقرأ عليه . وفى قائمة الملوك المصريين يوجد فى بدء الأسرة السابعة اسم « من كارع » وهو اسم يشبه اسم « منكاورع » . وقد ظن هذا الاسم أنه لقب التسويج للملكة « نيتوكريس » التى وضعت تقريبا فى هذا الموضع فى قائمة الملوك . ولكن هذا الفرض مشكوك جدا فى صحته . ويعمل الآخرون النسبة المزدوجة لبناء الهرم الثالث بحقيقة وجود حجرتين للدفن فيه ، إحداهما فوق الأخرى وفى كل منهما آثار للدفن . وأخيرا ظن البعض أن هذه الأسطورة ليست لها علاقة ببناء الهرم بل بأقامته وذلك لأن « ديدور » ذكر أن « منكاورع » مات قبل أن يكمل بناء مقبرته . ولكن ليس من المعقول أن نذكر أن « نيتوكريس » أو أية ملكة أخرى هى التى أتمت الهرم لأنه معروف لدينا أن « شيسكاف » بن « منكاورع » هو الذى قام بإكمال معبد الوادى الذى تركه والده ناقصا . وعلى ذلك فإن الأسطورة القائلة بأن « نيتوكريس » « رودويس » هى بانية الهرم الثالث لم تفسر بعد

والآن أصبح من المحقق لدينا تحديد نسبة هرم الجيزة الرابع .  
فاعتمادا على النقوش المكتوبة على مدخله نعرف أنه « لخت كاوس »  
« ملك الوجه القبلى والبحرى ، وأم الملك » . والآن بعد هذا الكشف  
نرى أن رواية بناء ملكة لهرم يظهر أنها قد نقلت من الهرم الرابع إلى  
الهرم الثالث . وهذا التخمين قد أيده نص « يوزيب » الذى ذكر أنه  
فى الأسرة السادسة كانت « نيتوكريس » تحكم البلاد وكانت ( أقوى من  
كل من كان فى عهدها وأجل النساء جميعاً ) ، شقراء لها وجتان ورديتان  
ويظن أنها بانية الهرم الثالث الذى يشبه تلا .

كشف الهرم  
الرابع يوضح بعض  
الشيء تضارب  
الروايات

ولكننا نرى من جهة أخرى أن الهرم الثالث لا يختلف فى شكله  
عن هرمى « خوفو » و « خفرع » وعلى ذلك يظن أنه قد وقع خطأ فى  
نص « يوزيب » ، وذلك لأن الوصف الذى أورده ينطبق تمام الانطباق  
على الهرم الرابع ، فهو مبنى على قطعة منحوتة فى الصخر ويظهر فى الحقيقة  
على شكل تل .

ولا نستطيع على وجه التأكيد ذكر السبب الذى أدى إلى اختلاط  
الأمر بين الهرمين ومن المحتمل أنه فى النص الاصلى « لمانيتون » ، قد جاء  
ذكر الهرم الرابع . ولكن الكتاب الأقدمين قد اعتادوا أن يتكلموا عن  
أهرام ثلاثة بالجيزة . ويحتمل أنه قد وقع خطأ فى النص فى هذا الموضوع  
فوضع اسم الهرم الثالث مكان الهرم الرابع . ومن المحتمل كذلك أنه قد  
ظن أن الهرم الرابع لوقوعه بالقرب من معبد الوادى للهرم الثالث قد بنى

لأحدى بنات « منكاورع » . وفى عام ١٩٢٧ كشفت حفائر بثة « هارفرد - بوستن » فى مصر شرقى الهرم الأكبر عن مقبرة الملكة « مرسى عنخ الثالثة » . وقد رسم على الجدار الغربى للحجرة الرئيسية صورة أمها « حتب حرس الثانية » زوجة الملك « ددف رع » على شكل امرأة شقراء ترتدى رداءً يختلف عما يرتديه عادة النساء المصريات ، ومن المحتمل جداً أنها من نسل « خوفو » عن طريق زواجه بامرأة أجنبية من أصل لوبى .

أما « مرسى عنخ » ابنة « حتب حرس الثانية » وقد تكون زوجة « منكاورع » فهى ممثلة فى شعرها وجلدها باللون المصرى المعتاد . ولكن يحتمل أن الدم الأجنبى قد تسرب ثانية فى عروق الجيل التالى . وعلى ذلك يرجح أن « خنت كلوس » هى حفيد « حتب حرس الثانية » .

ويحتمل كذلك أن الدم الأجنبى قد انتقل من زوجة « خوفو » الشقراء وبذلك ليس مصادفة أن تتحدث الأسطورة دون اقطاع عن ملكة جميلة شقراء صاحبة هرم إذ أنها قد تكون منحدره من جنس أشقر . وهنا يظهر لنا مرة أخرى شئ من التفاصيل قد يبدو لنا فى ظاهره غير مهم ولكنه ينتقل من عصر إلى عصر لأهميته .

وعلى ذلك فإن كل شئ ، يشير إلى أن ما جاء فى « مانيتون » خاصا بهم الملكة له أساس من الصحة . وإنا جاء التناقض من تشابه الأسماء ووضع أثر مكان أثر ، وعلى ذلك « خنت كلوس » ، « نيتو كريس » هما اللتان أقامتا الهرم الثالث وقد وضع اليونان مكانها « رودويس »



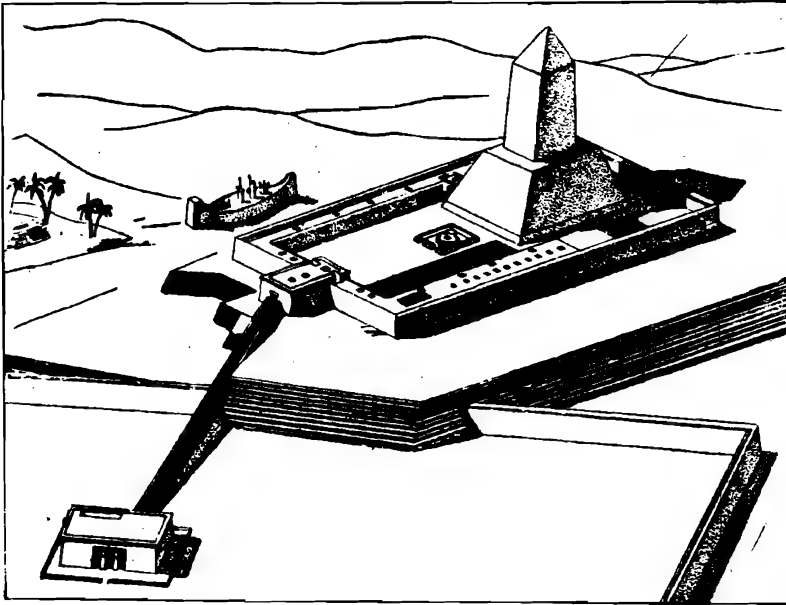
وبهذه الكيفية انتقلت الأوصاف المستهجنة إلى الصورة الروائية للملكة التي ذكر عنها مانيتون أنها كانت تسمى أقوى وأجل النساء . على أن حكاية « رودويس » ظلت متواترة في أسطورة عربية تروى أن الهرم الثالث ينسب إلى روح أنثى تحوم حوله وتذهل عقول الرجال الذين يقعون في حبها .

## الأسرة الخامسة

كان من جراء انتشار عبادة الشمس في البلاد من أقصاها إلى أقصاها ازدياد نفوذ الكهنة في بلدة عين شمس وقد كان الإله « رع » في بادية الأمر الإله المحلى لهذه البلدة ويعرف باسم الإله « أتوم » ؛ وقد جاء في إحدى الخرافات التي وصلت إلينا عن عهد « خوفو » أن أحد أفراد الأسرة المالكة قد تزوج من إحدى بنات كهنة « رع » ؛ يضاف إلى ذلك أن « منكاورع » قد أعلن في أحد ألقابه الرسمية أنه ( ابن الشمس ) مباشرة ، وقد أصبح لقب ( ابن الشمس ) من الألقاب الرسمية التي يلقب بها الفرعون . ولما كان آخر ملوك الأسرة الرابعة قد توفى دون أن يكون له وارث في الملك من الذكور قامت « خنت كلوس » بنت « منكاورع » وادعت لنفسها الملك بصفقتها بنت ملك ، أى يجرى في عروقتها الدم الملكي ، والظاهر أنها تزوجت من أحد علية القوم أو من أحد أفراد الأسرة الذين لهم حق في وراثة الملك ، ومن المحتمل أنه كاهن عين شمس فقامت

بنفسها بأعباء الملك مع زوجها الذى لم يذكر اسمه على الآثار ، ولكنها  
« وسركاف » بن رزقت ولداً كان الوارث للعرش الفرعونى ، وهذا الفرعون هو « وسركاف » .  
« خنت كلوس » (٩)  
وإذا صدقنا رأى القائل بأن « خنت كلوس » هى أم « وسركاف »  
فلا بد أن يكون اللذان خلفاه على عرش الملك هما أخواه « سحورع »  
و« نفر إركا رع » ، والظاهر أنها تمسكا بعبادة الشمس كما يدل على  
ذلك تركيب اسميهما .

ولا أدل على تمجيد الشمس وعبادتها فى هذا العصر من ظهور مبان  
خاصة بنيت لتكون هياكل للشمس ، إذ كان يوجد بجوار الهرم الذى كان  
مخصصا لدفن جثة الفرعون معابد خاصة أطلق عليها علماء الآثار الآن ( معابد  
الشمس ) ؛ وقد كان كل منها يحتوى فى بهوه على مسلة ، وعلى جدران



صورة كاملة لما كان عليه أحد المعابد الشمسية

معابد الشمس

المعبد قد قشت قوارب كبيرة تمثل القارب الذى تسبح فيه الشمس نهاراً من الشرق إلى الغرب والآخر الذى تسبح فيه من الغرب إلى الشرق . يضاف إلى ذلك أن القبر الذى كان يدفن فيه الملك كان على شكل حجر يعرف عند المصريين بلفظة « بن بن » وهو يشبه الشكل الهرمى . وهذا الشكل الهندسى الخاص كان مقدساً فى معبد عين شمس ويعتبر رمز الإله « رع » ؛ ومن أجل هذا السبب اتخذه الملوك شكلاً لمقابرهم وسنفرد فصلاً خاصاً للكلام عن عبادة « رع » فى الأسرة الخامسة . وهؤلاء الملوك الثلاثة المذكورون يضاف إليهم الملك « نوسر رع » هم الذين أقاموا معابد الشمس وبنوا الأهرام التى بجوارها فى ( أبى صير ) الواقعة على مقربة من سقارة . وعلى جدران هذه المعابد نشاهد لأول مرة النجت البارز وكذلك نشاهد لأول مرة عمدا مقامة تحمل أسقفاً وبوابات مصنوعة من الجرانيت الودى وتيجان هذه العمد مزينة بأشكال زهر البردى والبشنين . وهذه الأعمدة الجديدة تختلف اختلافاً تاماً عن الأعمدة ذات القنوات التى أقيمت فى سقارة فى عهد الأسرة الثالثة ، وعن الأعمدة الضخمة المربعة التى أقيمت فى معبد « خفرع » فى الجيزة . وقدبقى شكل الأعمدة ذات التيجان متبعاً فى مصر إلى أواخر عهد الفن المصرى ولم يدخل عليها إلا بعض تغيير طفيف فى الحلية .

الفن فى هذا العصر

وقد شاهدنا كذلك لأول مرة من الوجهة الدينية أن الآلهة المصرية قد رسمت بأشكال لم تتغير حتى انقرضت الوثنية من وادى النيل أى أصبح

الإله يمثل بجسم إنسان ورأس حيوان أو طائر حسب أصله .

## الملك وسركاف

ونعود الآن إلى ذكر هؤلاء الملوك وأعمالهم فنجد أننا إلى الآن لا نعلم إلا شيئا يسيرا عن الملك « وسركاف » خلافا لما ذكر في ورقة « وستكار » التي كتبت بعد نحو ألف سنة من موته وقد عثر منذ بضع سنوات على رأس ضخمة لتمثال من الجرافيت الوردى فى سقارة بالقرب من هرم هذا الملك . وهذا الرأس يعتبر المثل الوحيد الذى وجد لتمثال ضخم أكبر من الحجم الطبيعى بكثير فى المولة القديمة ، وكان قبل توليته عرش الملك كاهنا أعلى لبلدة عين شمس كما جاء فى ورقة « وستكار » والظاهر أن مدة حكمه لم تدم طويلا ، ومن الجائز أنه لم يحكم أكثر من سبعة أعوام ، ولم يترك وراءه ما يستحق الذكر من الأعمال الجليلة فى تاريخ البلاد ، وقد جاء فى نقوش حجر « بلرم » أنه وهب أراضى من أملاكه الخاصة إلى معبد الإله « رع » وأمهدة بالقرايين فى أيام الأعياد الخاصة ( بأرواح عين شمس ) . هذا إلى أنه قد بنى محرابا فى معبد « حور » بمدينة « بوتو » ( تل الفراعين ) وخصص لعبادة البقرة « حتحور » ضياعا فى الدلتا باعتبارها أم الإله « رع » وبنى معبد للإله « سبا » ( الصقر الناصر جناحيه ) وأوقف له ضيعة صغيرة . وعلى وجه عام أظهر العناية

• وسركاف • كان  
فى منصب كهن  
قبل تولي الملك

احترمه للألفه

اللازمة نحو الآلهة ولا سيما أنه ينسب إلى طائفة الكهنوت . وقد عثر على خاتم أسطوانى الشكل محفوظ الآن فى المتحف البريطانى منقوش عليه لقب لهذا الملك نيم عن ميوله الدينية « محبوب الآلهة » وأقام هذا الملك مثل أخلافه معبداً للشمس يحتفل أنه كان فى ( أبى صير ) بالقرب من سقارة ، غير أنه اختفى نهائياً مثل هرمه ولا يبعد أنه استعمل فيما بعد مورداً ومحجراً لمبائى العصور التى تلت ، واسم هذا المعبد « نخن رع » ( بلاط قربان رع ) . وقد عثر على إناء من الرمر الأبيض منقوش عليه اسم معبده فى « سريجو » Cirego مما يدل على أنه كانت هناك معاملات من نوع ما بين مصر وجزر بحر إيجة فى هذه الفترة .

وعثر فى بلدة طهنة على مقبرة لأحد عظماء مصر فى عهد هذا الفرعون اسمه « نكمنخ » ويحمل لقب مدير القصر ، وحاكم المدن الجديدة والكاهن الأعظم للإله « حتحور » وسيمر الملك . ولا شك فى أن « وسركاف » كان محتاجاً فى هذا الظرف الخاص إلى أن يستميل إليه عظماء بلاده ، ولذلك منح « نكمنخ » وظيفتين عظيمتين الأولى أنه نصبه كاهناً للإله « حتحور » فى نفس بلده ، وكذلك عينه كاهناً مشرفاً على أوقاف « خنوكا » أحد عظماء البلاد وأشرفها فى عهد « منكاورع » وقد خصص لذلك أراضى شاسعة تبلغ مساحتها نحو ١٢٠ ستانا (١) ومما يذكر أن « نكمنخ » قد كان رب أسرة كبيرة يبلغ عدد أفرادها ١٣ شخصاً ، وكتب وصيته بتقسيم هذه المنح الملكية بينهم على أن يقوموا

منحة الضياع لاقامة  
الشعائر الدينية

(١) كل ستان واحد يساوى ٣/٢ فدان تقريباً

بالواجبات التي تتطلبها هاتان الوظيفتان ؛ وسنرى أهمية هذه الوصية عند الكلام على الأسرة في عهد الأسرة الخامسة . وبعد تقسيم الضياع بين نسله نقش على قبره ما يأتي :  
لقد كان جلالة الملك « وسركاف » ، الذي جاني بأن أكون كاهنا للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » ، وكان كل ما يجبي للمعبد كنت أنا الكاهن ( الذي يتسلم ) كل شيء يدخل للمعبد . والآن فأن أفراد أسرتي سيكونون من بعدى كهنة للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » كما كنت ، وإني سأذهب إلى الغرب الجليل رجلا محترما تاركا كل هذا في ذمة خلقي من بعدى .

## الملك سحورع

خلف « وسركاف » على عرش الملك « سحورع » ولا نعرف نبتة إليه بالضبط ؛ ويقال إنه أخوه ويعد من الملوك الحريين إذ عثر له في شبه جزيرة سينا على لوحة مثل فيها مرتديا تاج الوجه القبلي ويضرب الأسويين . وكذلك وجد له نقش باسمه في « توماس » ببلاد النوبة مما يدل على أن حدود بلاده لم تكن تنتهي عند الشلال الأول ، هذا إلى أن النقوش التي وجدت له في معبد الشمس الذي أقامه (بأبي صير) تدل على أنه أرسل أسطولا إلى ساحل « فنيقية » . وفي أواخر حكمه ذكر لنا جبر بلرم أنه قام بحملة إلى بلاد بنت عادت منها حامللة ٨٠٠٠٠ مكيال من الروائح العطرية و ٦٠٠٠ مكيال من الذهب ، ٢٦٠٠ عصا ربما كانت من الأبنوس .

وأهم عمل قام به في داخل البلاد هو بناء معبد الشمس العظيم في (أبي صير) بالقرب من منف، ونموذج هذا المعبد كان الميزلمباني معابد الملوك في الأسرة الخامسة؛ وكان مقاما بالقرب من هرم الفرعون، وزين بأشكال المعد الجديدة التي سبق الكلام عنها .

ومن بين النقوش التي لها قيمة اجتماعية في عهد هذا الملك لوحة جنازية لرئيس أطباء الملك «ني عنخ سخمت» . وقبره في سقارة ؛ ورغم أنه قبر متواضع إلا أنه زين بباب وهمي من حجر طرة الأبيض . وقد ذكر الطيب على هذا الباب الجميل ما يأتي معترًا : رئيس الأطباء «ني عنخ سخمت» يقول في حضرة جلالة : ليت شخصك المحبوب من «رع» يأمر بأن أمنح بابا وهميا من الحجر لقبري هذا الذي في الجبانة . وقد أمر جلالة بأن يؤتى له بيايين من حجر طرة وأن يوضعا في قاعة مجلس البيت المسمى «سحورع يضىء بالتيجان» ، وأن يعطيا لكاھني منف العظيمين ، وصناع الجبانة وأن يقوم العمل لإعدادها في حضرة جلالة الملك نفسه . وقد قام العمل فعلا كل يوم ، وكان يفحص ما أنتج يوميا في البلاط . وبعد ذلك لونها جلالة ثم صقلها باللون الأزرق . وقال جلالة لرئيس الأطباء «ني عنخ سخمت» ما دام أنني سليما والإله تحبني فإني أتمنى لك أن تذهب إلى الجبانة بعد عمر طويل مقربا . وقد دعوت للملك كثيراً وصلت لكل إله من أجل «سحورع» . وذلك لأنه يعرف كل رغبات أتباعه . على أن كل شيء يتفوه به جلالة ينفذ،

نقوش الطيب  
«ني عنخ سخمت»  
ومنزاه

لأن الإله وهبه معرفة الأشياء التى فى باطن الإنسان ، ولأنه مبجل أكثر من أى إله ، فإذا كنت تحب « رع » فعليك أن تدعو كل إله من أجل « سحورع » الذى فعل ذلك لى . ولقد كنت مقرباً عنده ، هذا فضلاً عن أنى لم أفعل أى شئ يضر بإنسان ما .

ولا غرابة فى أن نرى رئيس الأطباء يدون مثل هذا النقش على باب وهمى أهدها إليه الفرعون اعترافاً منه بالجليل ؛ ليدل أولاً على خطوته عند الملك ، وثانياً لأن تلك المحاجر كانت خاصة بالملوك ولم يكن فى مقدور الأفراد أن يقوموا بقطعها ، ونقلها منها ؛ وذلك لكثرة التكاليف . فكان الفرعون هو الذى يهب من يشاء من رجال دولته القطع اللازمة لأقامة مقابرهم ، وقد بقيت محاجر طرة وقفاً على الملوك وأسرم ومن هم فى ركبهم فقط . وربما كان « اسم الحجر السلطاني » الذى يطلق على أحجار طرة حتى الآن قد جاءنا من عهد الفراعنة . والظاهر أن الفرعون عند ما كان يهب عظماء دولته حجارة من هذه البقعة أو غيرها من المحاجر كان يأمر بكتابة اسم صاحب الأحجار بالمداد الأحمر بالخط الهيروجليق على كل حجر يقطع ثم توزع على أصحابها فى الجبانة . وقد عثر على مقابر فيها أحجار قطعت من طرة ، منقوش على ظهرها اسم صاحب المقبرة . فقد وجدنا مثلاً فى جبانة الجيزة أحجاراً باسم « وب أم نفرت » صهر الملك « نوسرع » وكذلك وجد اسم « رع ور » على كثير من أحجار مقبرته بالجيزة أيضاً وهو من عهد الملك « فراد كا رع » ثالث ملوك الأسرة الخامسة وهكذا .

محاجر طرة وأهميتها



وكذلك كانت أحجار معابد الملوك وأهرامهم تعلّم بالمداد الأحمر باسم الفرعون وباسم المكان الذى كانت ستوضع فيه ، وأحيانا مقاييسها ، كما نشاهد بين الأحجار التى عثر عليها بجوار الهرم الأكبر وأهرام سقارة نفسها .

ولا يبعد أن تكون المناظر الحربية التى بين الأسويين والمصريين التى على مقبرة « إتا » فى دشاشة ترجع إلى عهد ذلك الملك الحربى .

إذ فى هذه النقوش شاهد المصريون يفزون مكانا فى آسيا يسمى « نديا »

« حروب » شعورع » ( لا يعرف موقعه ) . والمناظر توضح لنا تماما أطوار الحرب المختلفة فى صور ساذجة ؛ فترى أولا المصريين يحاربون الأسويين محاربة القرن للقرن والرجل للرجل ثم ينتهى الأمر بانتصار المصريين . وعلى أثر ذلك يفر

مع الاسويين

الأسويون ويحتمون بقلعة « نديا » فيحاصرها المصريون محاصرة فنية منظمة ثم يتقلبون عليها فيقتبون جدرانها بواسطة خواير مدية من الخشب .

ثم يستعملون سلايم طويلة للهجوم النهائى على القلعة ؛ وبعد ذلك يقبل المنهزمون على رئيسهم فيخبروه بمصير القلعة فيشد شعر رأسه يأسا . وفى أثناء ذلك

نشهد النساء يحملن القتلى ويسفن الجرحى . وبعد النصر النهائى نرى المصريين يقودون عددا كثيرا من الأسرى رجالا ونساء وأطفالا . ويحتل جدا أن

تكون هذه الجملة هى المذكورة على جدران المعبد الجنائزى لهذا الملك فى أبو صير وما يحملنا على هذا الظن أن حملة الملك هذه ضد آسيا لم توصف بالتفصيل ولم يمثل منها على جدران المعبد غير خروجها من مصر ورجوع

النساء تسف  
الجرحى

الجيش منتصرا ؛ إذ نجد الفرعون على رسوم المعبد يتقبل غنائم الأسويين

وفى حضرته شخصيات عظيمة من رجال بلاطه كل ثلاثة يكونون جماعة، ومن بينهم جماعة من موظفي ضياع القصر الملكي عددهم ثلاثة أيضا ، وكذلك نجد فصائل من الجنود كل فصيلة تحمل شعارا خاصا مثل : « ما أجمل سحورع أمام الزينة » ؛ ومثل : « ما أعظم حب سحورع » .

### الملك نفر اركارع ( ناكاو )

تولى الملك بعد وفاة « سحورع » الملك « نفر إد كارع » ، ولم تبق لنا الأيام من هرمه ومعبده الذى أقامه لنفسه فى أبى صير إلا بعض كتل منقوشة عليها ألقاب وأسماء بعض الموظفين المعاصرين له ، واسم معبد « مقررع المحبب » . واسم الهرم « نفر إد كارع ظاهر » وتدل الآثار التى وجدت بعده على أنه كان ملكا محببا لدى رجال بلاطه ، وأنه كان يعنى عناية خاصة بالمحافظة على معابد أجداده ، وييذل الهبات للآلهة . وقد ذكر لنا حجر بلم بعض هذه الهبات ، ومنها هبة عظيمة أوقفت باسم التسوع المقدس أطلق عليها اسم « نفر إد كارع » المحبوب من التسوع المقدس ، وأوقاف أخرى لأرواح عين شمس سماها « نفر إد كارع محبوب أرواح عين شمس » ؛ وهذه الأوقاف كانت تحتوى على ٢٥١ س ( ارورا <sup>(١)</sup> فى المقاطعة ١٤ من الوجه البحرى تحت إشراف كاهنين عظيمين

المحافظة على معابد  
أجداده ومعابد  
الآلهة

(١) الارورا نحو ثلثي فدان تقريبا ، واللفظة المصرية هى ستات كما سبق ذكر ذلك .

من كهنة عين شمس . وكذلك قدم للإله « رع » مذبحا وللإلهة « حتحور » مذبحا و ٢١٠ قرابين مقدسة و ٢٠٣ قرابين من الخبز والنبذ . . . . . وفلاحين تابعين لهذه الآلهة ، وقدم لها كذلك تمثالا من الذهب المخلوط بالفضة . كل ذلك كان في السنة الأولى من حكمه ، وقد قرب قربانا أخرى ، وأوقافا غير أنه بكل أسف نجد الحجر هنا مكسورا .

ومما سبق يمكننا أن نلاحظ أن اهتمام الفرعون كان عظيما بالهة عين شمس وتاسوعها والإلهة « حتحور » مما يؤكد لنا تماما ميل هؤلاء الملوك إلى عبادة الشمس ومقرها بلدة عين شمس ، يضاف إلى ذلك أن عبادة الفرعون في عهد الأسرة الخامسة كانت لها المسكنة الأولى بعد الأله « رع » فلم يكن يحتفل بها في معابد الملك فحسب ، بل كان يحتفل بها كذلك في كل معابد الآلهة في طول البلاد وعرضها حيث كان يقدم كما ذكرنا موائد قربان أو مذابح للإله « رع » وللإلهة « حتحور » والملك معاً .

ولقد بلغ من اهتمام هذا الفرعون بمعابد الآلهة أنه كان يصدر المراسيم لحكام جهات القطر بالمحافظة على حقوق المعابد ، وما لها من ضروب الأعفاء من الأعمال ، والميزات التي كانت تتمتع بها . ويعد هذا المرسوم أقدم وثيقة عثر عليها من هذا النوع إلى الآن وهو كما يأتي : حور أوزير كا و « نفر إد كا رع » .

مرسوم ملكي لرئيس الكهنة « حور » . إني لا أسمح لأى إنسان له السلطة أن يأخذ أى كاهن من الكهنة الذين في المقاطعة التي أنت فيها لأى عمل في المقاطعة تسخيرا أكثر من العمل الذي يقوم به للأله شخصا

مرسوم ملكي  
لنزع السخرة عن  
أوقاف المعابد

فى المعبد الذى هو فيه ، ويجب كذلك القيام بحسن المحافظة على المعابد بواسطة الكهنة القاطنين فيها ؛ ولا يفرض عمل ما تسخيرا على حقل ما من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة ، ولا يؤخذ لأية سخرة كانت فى المقاطعة ، فلاحون أيا كانوا من الذين فى أى حقل من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة . وذلك لأنهم معفون لمدة الأبدية وذلك طبقا لمرسوم ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى « نفر إركارع » . ولا توجد أية وثيقة فى هذا الموضوع فى أية مصلحة .

وكل فرد من المقاطعة سىستولى على كهنة ممن فى حقل الإله المكلفين به فى هذه المقاطعة ويسخرهم فى المقاطعة . يجب عليك أن توجه إلى بيت زراعة المعبد حتى يشتغل فى كل أعمال التسخير الخاصة بمصلحة الحرث هذه فى هذا المعبد ، وهكذا مع كل فلاح فى حقل الإله .

وكل أمير من أمراء الجنوب أو كل موظف ، أو قريب للملك أو رئيس شرطة يعمل ضد تعليمات هذا المرسوم الذى اتخذ لقلعة « حور » ، وذلك بالتصرف فى ممتلكات الإله ، أو فى الرجال أو فى الممتلكات الأخرى أيا كانت مما يملكها ، فإنه سيكون تحت طائلة أى تسخير من أعمال المقاطعة . ختم فى حضرقى أنا الملك فى الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم العاشر . ورغم تعقيد هذا المرسوم فإننا نفهم منه جيدا أن الفرعون كان يعمل على معافاة رجال الدين وفلاحهم الذين فى ضياع المعبد من القيام بأى عمل آخر فى المقاطعة مهما كان نوعه . وسنرى أن تعدد مثل هذا الإعفاء ،

واستقلال الكهنة بالأُملاك التى كانت توقف على المعابد من الأسباب التى أدت إلى ضعف الفرعون فيما بعد وأدت إلى سقوط الدولة القديمة فى النهاية . ومن أهم مظاهر عصر هذا الفرعون العظماء الذين عاشوا فى عهده ، وكانوا معه على أحسن حال من الود والصفاء المتبادل مما جعله مضرب الأمثال عندم فى الرقة وحسن المعاملة ؛ ونخص بالذكر من بينهم أولا « رع ور » الذى كشفت الجامعة المصرية عن مقبرته عام سنة ١٩٢٩ بالقرب من أبى الهول من الجهة القبلية . وهذا القبر يعد أكبر مقبرة ظهرت فى الدولة القديمة إلى الآن . وكان « رع ور » هذا يحمل من ألقاب الدولة ما لا يقل عن ثلاثين لقبا ، منها أنه كان الكاهن للإلهة الوجه القبلى ، والكاهن للإلهة الوجه البحرى وأكبر كاهن فى الدولة ، والسمير الوحيد ، ومدير القصر ، ورئيس أسرار الملك . وكان له خدم وموظفون بنوا قبورهم داخل مقبرته أو حولها . أهمهم « مرسو عنخ » الذى كان مدير ماليته . والواقع أن ما احتواه هذا القبر من الحجرات والتماثيل يكاد يضارع ما فعله الملوك لنفسها إذ عثر فى قبره على ما لا يقل عن ١٢٠ تمثالا معظمها هشما للدهر والسرقة ، وعدد حجراته لا تقل عن ٥٠ حجرة ولا نزاع فى أن نفوذه كان عظيما فى البلاط الملكى ، ومقامه كبيرا عند الملك نفسه يؤيد ذلك القصة التى وجدناها منقوشة على الحجر الجيرى الصلب وقد نصبت فى واجهة جدار أحد سراديبه التى كان يوضع فيها تماثيله بمقبرته ؛ وتفصيل ذلك أن الملك كان يقوم بافتتاح احتفال عيد خاص بمر سفينته

أهمية مقبرة «رع ور»

الوجه البحرى ، وكان « رع ور » فى ملابسه الرسمية وتصادف أن كان بجوار سيده فلطمت عصا الفرعون ساق « رع ور » عفوا . وعندما لاحظ الملك ذلك ، ذعر واعتذر عما بدر منه نحو « رع ور » عن غير قصد . وقال له إنك أحب رجل عندى وأخص الناس بمعطى . ولكن الملك لم يكتف بذلك ؛ بل أراد أن يعترف له أمام الناس ، وأمام الخلف بمكاته عنده ؛ فأمر بتدوين الحادث بفصه ونصه على حجر ، وان يوضع فى قبر « رع ور » بجبانة الجيزة . وقدبقى هذا الأثر مخفيا عن العالم حتى كشف حديثا كما ذكرنا .

ولدينا وثيقة أخرى من عهد هذا الفرعون تدلنا على مقدار حنوه وتقديره لرجاله العاملين . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنها وجدت مهشمة ومشتتة ، إذ يوجد جزء منها فى « ابردين » والآخر فى متحف القاهرة ، والكل كان فى مقبرة بقارة لكبر المهندسين المماريين، ورئيس القضاة الوزير « وشبتاح » . والواقع ان « وشبتاح » نفسه لم يقم هذا القبر بل الذى بناه هو ابنه ؛ وقد ذكر لنا السبب فى ذلك العمل الذى لم يجر عليه العرف كثيرا . ويتلخص فى أن « وشبتاح » كان رجلا متقلا بأعباء الأعمال التى كانت تتطلبها منه المتعددة أمام ملك البلاد ؛ ومن أهمها أعمال العمارة التى كان يشرف عليها بنفسه ، واتفق أنه كان منهمكا فى بناء عمارة هامة ، وتصادف أن جاء الملك وأسرته ذات يوم لفحص هذه العمارة ومشاهدتها . وقد سروا سرورا عظيما بجماها واَعْجبوا أيما إعجاب أكثر مما يتصور ولكن تأمل

فقد أثنى عليه جلالته من أجل هذا . غير أن الإجهاد الذى بذله هذا الوزير أضناه حتى سقط على غفلة مغشيا عليه ، وذلك عند ما كان الملك يتحدث إليه . وعلى أية حال فإن جلالته لاحظ أنه لا يصنع له فصاح قائلا إن « وشتاح » مريض ( وإن كان ذلك لم يذكر فى المتن ) وعند ما سمع أولاد الملك والأصدقاء الذين كانوا من رجال الحاشية استولى على قلوبهم الهلع أكثر مما يتصور .

وفى الحال حمل المهندس المعمارى المصائب إلى قصر الملك الخاص وعندئذ أحضر جلالته صندوق مخطوطات ، ولا ريب أنها كانت أوراق بردى طيبة ، لأن جلالته جريا على التقاليد الموروثة منذ أقدم العصور، كان مفرما بالطب وعلومه ؛ ولكن لم يكن فى وسع أحد إسعافه لأن الحالة كانت على ما يظهر نزيفا فى المخ نتج عن الإجهاد فى العمل . وعندئذ تركه الملك بقلب محزون ليصلى عليه فى خلوته . وقد ذكروا أمام جلالته أنه مات ..... ، وكان قلب جلالته فى شدة الحزن بدرجة لا مثيل لها ، وقال جلالته أنه سيفعل كل شئ حسب رغبة « وشتاح » وعاد إلى حجرتة الخاصة حيث صلى للإله « رع » . وعند ما جاءت النهاية ؛ أمر جلالته بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع ، وهذا لم يصنع لواحد مثله من قبل . وكذلك أمر بتحنيطه أمام جلالته . أما الذى نقش هذا النص فهو ابنه الأكبر الذى كان يحمل لقب « الأول بعد الملك » ، و« محامى الناس » « مرثر نسوت »

عند ما كان يقبره بالجبانة . وقد أمر الملك بأن تكتب على قبره ،  
وقد دعا له ( الابن ) جلالة بسبب ذلك ، وشكر الإله كثيرا ( أى الملك ) .  
وهناك قطعة من النقش تفهم منها أن الملك لم ينس خادمه المتوفى  
لأنه حبس على مقبرة « وشبتاح » أوقافا بالقرب من الهرم  
المسمى « سحورع يضى » .

حقا إن ما ذكرناه من النواذر فى حياة هذا الفرعون مع كبار رجال  
دولته لا يعد فى أعين الكثيرين تاريخا إذ كان التاريخ فى نظرهم لا يعرف  
إلا بالأرقام والحقائق الجافة ، والمواقع الحربية ؛ ولكن إذا نظرنا إلى هذه  
القصص من جتها الاجتماعية والأنسانية ، وما تقف منها عن علاقة الانسان  
بأخيه الانسان منذ أقدم عصور تاريخ الانسان المتحضراى منذ نحو ٤٠٠٠  
سنة ، فإن ذلك يكون له قيمة عظيمة فى نظر المؤرخ الحقيق اكثر من  
آلاف التواريخ ومن كتب مليئة بالحقائق الجافة . ومن اهم مرامى التاريخ  
ان يوفقنا على عهود من سبقنا من أجدادنا وغيرهم ممن عاشوا منذ آلاف  
السنين بعيدن عنا ، وعلى علاقة بعضهم ببعض وحال مجتمهم ، وهل  
كانوا مثلنا من دم ولحم يشعرون ويتألمون ، ويحبون ويخافون ويتعاطفون  
ويتراحون عند ما تدعو الطبيعة إلى ذلك رغم الفوارق الاجتماعية ، وهل  
سيموتون فى النهاية كما نموت . ومن اجل ذلك فإننا نعتبر قص مثل هذه  
الذكريات التى تصيدها من مجاهل الماضى ، وتقننصها من جوف أرض  
مصر مما يبرز لنا صورة واضحة للشعور الأنسانى المتبادل بين الملك ورجال



شعبه العاملين في هذه الأزمان السحيقة ، وبين أفراد الشعب . وفي اعتقادي أن مثل هذه الصور الحية تعد أثمن خلاصة للتاريخ البشرى . ولا عجب فإن « نفر إركارع » قد ضرب المثل الأعلى في هذا المضمار وبخاصة في حسن المعاملة وطيب العلاقة بينه وبين كبار رجال دولته على مرأى من عامة الشعب في واقعتين سجلهما التاريخ ، لم تكونا من وقائع حرب قتل فيها النفوس بل وقائع رحمة وإخاء تؤثر فيها الأرواح .

وبعد وفاة « نفر إركارع » تولى الملك ثلاثة من الفراغة ، يظهر أنهم كانوا إخوة غير أنسابا نعرف قرابتهم للفراغة الثلاثة الذين سبقهم ؛ على أن الاثنين الأولين وهما « شبس كارع » و « نفر رع » . لا نعرف عنها شيئا . أما ثالثهم وهو « نوسرع » فيظهر أنه كان شخصية هامة في تاريخ الأسرة الخامسة ، وقد حكم نحو ٣٠ عاماً ؛ وقد عثر على معبدته وهرمه في أبي صير ووجد مقوشاً على معبدته أقدم رسم لاحتفال عيد « سد » الرسمي ، وهو العيد الذي كان يقيمه الفرعون ، إما عند بلوغه الثلاثين أو بعد حكمه ثلاثين عاماً ؛ وذلك ليعيد إلى نفسه الشباب والقوة الحيوية . ولا يفوتنا أن نذكر أن من بين كهنة هرم هذا الملك الكاهن « تي » بسقارة وقد عثر حديثاً على حجرة دفن ابنه ووجد فيها بعض أشياء قيمة . ، ومقبرة « تي » تمدنا بمعلومات قيمة جدا عن حياة هذا العصر من الوجهة الاجتماعية والدينية .

اخلاف  
« نفر إركارع »

عيد « سد » ومناه

مقبرة « تي »  
بسقارة

وتدل النقوش على أنه حارب في شبه جزيرة سينا حيث ترك لنا لوحة

في وادى مغارة يظهر فيها ممثلا وهو يضرب الأسويين ، وقد قش عليها مايتأتى : « قاهر الأسويين من كل الأقطار » . على حين أن معبد هرمه حروب «نوسرع» في أبى صير كان محلى بالنقوش التى تشاهد عليها انتصاراته على اللويين والأعداء من سوريا .

وقد حفظت لنا النقوش اسما اثنتين من زوجاته «ختى خوى» و« نبت » وكذلك نعرف اثنتين من بناته وهما « خع مرر نبتى » و« مراتس » . ويعتقد بعض المؤرخين أن « فتح حتب » مؤلف كتاب الحكم هو ابن «نوسرع» ولكن هذا الرأى لا يستند على اسانيد تاريخية ، بل الواقع أن هناك ما ينبنى ذلك .

وقد كشف عن بعض قوش من عهد هذا الملك في مقابر رجال عظامه بلاطه ، تكشف لنا بعض نواحى خلقية للمصريين ، ومعاملتهم للموتى فن بين هؤلاء « حتب حرى أخت » ، وكان قاضياً ونائب الملك فى « نخن » . وقد قل هذا القبر إلى ليدن كغيره من قبور الدولة القديمة ، التى كانت مصلحة الآثاء تبيعها بأبخس الأثمان لمتاحف العالم (١) .

والنقوش التى على قبر هذا العظيم تدل على سلامة القلب التى بها يغرى المارين على قبره ليعاملوه كما يحبون أن يعاملواهم فيقول : لقد اقت هذا القبر من متاعى الحقيقى ، ولم أستول على شئ للغير ، فالذين سيقدمون

---

(١) نقلت مبانى مقابر كلمة إلى لندن ، وباريس ، وبرلين وليفن ، وبروكسل وغيرها . كان بعضها يباع بمنزلة جنهات . وتحتوى على روائع الفن المصرى .

إلى قربانا فيه فأنى سأقوم نحوم بالمثل وسأدع لهم الإله لذلك كثيرا جداً،  
وسأفعل ذلك لهم مقابل الخبز والجمعة، والملابس والعطور والحبوب بكيات عظيمة.  
بعد ذلك نرى أن « حتب حرى أخت » يظهر لنا تخوفه على  
قبره فيكشف لنا القناع عن ناحية أخرى من نواحي الخلق المصري في  
معاملة مباني موتاهم ، ومحتوياتها ومالها من الأوقاف . فنجده يرى لزما  
عليه أن يعترف على نقوش مقبرته بأنه لم يسرق مقبرة أى إنسان ،  
وكذلك يحذر كل مار من التعدى على قبره ، أو أى شئ من محتوياته  
فيقول : لقد أقت قبرى هذا على المنحدر الغربى فى مكان طاهر ، بكر  
( أى لم يستعمل من قبل ) ؛ ولم يكن فيه قبر أى إنسان ، لأجل أن  
يحافظ على أملاك الذى قد رحل إلى قريته « الكا » . أما من جهة  
دخول بعض الناس هذا القبر مدعين أنه عقار مائى لهم ، أو إحداث  
أى شئ ضار به فإنهم سيحاكون من أجل ذلك أمام الإله العظيم  
ولقد شيدت هذا القبر لأنى رجل مبجل لدى الملك الذى أحضر لى  
تابوتا . ولعمري فإن هذا المتن يدلنا دلالة واضحة عن مبلغ تخوف  
المصرى مدة حياته وما عساه أن يلحق بقبره بعد مماته ؛ لأنه كان يرى  
بعينه ما يحدث لقبور الغير ، وما كان عليه الخلق المصرى من هذه الناحية،  
ولقد بقى هذا الداء الدفين أهم ما يشكو منه المصريون طوال تاريخ حياتهم ؛  
وقد قطنوا فى الوصول إلى استئصال هذا الداء ، ولكنه كان يزداد كلما  
ازدادت ثروة البلاد ، كما سنرى فيما بعد .

خوف المصرى  
من نهب قبره  
بعد وفاته

تهديد التوفى  
من يحاول الاضرار  
بقبره

## الملك منكاهوهر

جاء بعد « نوسررع » الفرعون « منكا وحر » ، وكل ما نعرفه عنه أنه أرسل حملة إلى شبه جزيرة سينا غير أن قهوشها وجدت مهشة في معظمها ، وما بقى منها هو : « حور منخو » ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى « منكا وحر » معطى الحياة والثبات ..... ، وبما يوسف له جد الأسف أن اسم القائد الذى كان على رأس هذه الحملة وجد ممحوا ، ولذلك لم تتمكن من معرفة اسم أول قائد حملة فى التاريخ المصرى إلى هذه الجهات ، تجاسر أن ينقش اسمه بجوار اسم الملك . وكانت هذه الميزة وقفا على الفراعنة ولكن بعد عهد هذا الملك أصبح القواد ينقشون أسماءهم بجانب اسم الملك على اللوحة التذكارية التى كانت قام فى هذه الجهات تخليدا لعلمهم . ويوجد الآن فى متحف اللوفر قش غائر للملك « منكا وحر » . عثر عليه فى إحدى جدران مدفن السرايوم بسقارة ومن المحتمل جدا أنه اغتصب من معبد هذا الملك الذى اختفى الآن جملة ؛ والظاهر أنه لم يكت على العرش أكثر من ثمانية أعوام .

## الملك إيسى

جاء بعد « منكا وحر » الملك « زد كارع » ( إيسى ) ولا نعرف صلة الرحم بينهما . والظاهر أن عصر « إيسى » كان عصرا حافلا

بالأعمال العظيمة . ففي عهده أرسل المستشار الملكى « باوردد »  
إلى بلاد بنت ( الصومال ) القاصية ومن هناك أحضر قزما من نوع نادر .  
وقد أدمج مع أقزام آخرين للقيام باحتفالات الرقص التى كانت تعمل  
للالهة : وقد كان لهذا القزم الشرف كذلك بالرقص مع الأميرات  
ونساء القصر الملكى اللاتى كن يقمن بوظائف الكاهنات فى المحراب الملكى .  
وعثر لهذا الملك فى شبه جزيرة سينا على ما لا يقل عن أربعة ققوش  
فى وادى مغارة . كتب على واحد منها « ابن الشمس » مما يدل على  
التوغل فى عبادة الشمس ، وأن هذا اللقب أخذ يكثر استعماله ، وأرسل  
كذلك حملة إلى بلاد النوبة كما يدل على ذلك النقش الذى وجد على  
صخرة « توماس » . ووجد كذلك نقش فى وادى حمامات عليه اسم  
هذا الملك . أما النقش الذى يلفت النظر لهذا الفرعون فقد وجد فى سينا  
وقد جاء فى مقدمته التاريخ كما كان يدون وقتها : السنة التى تسلو المرة  
الرابسة لتعداد كل الحيوان : الكبير والصغير عند ما جعل الإله الحجر الثمين  
يوجد فى المنجم السرى - الذى هو لوحة بخط الإله نفسه ، « حور  
زدخمو » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى محبوب الإلهتين « زدخمو » ،  
و« حور الذهبى » ..... عاش أبديا . بعثة ملكية قام بها ضابط  
البعثة « فى عنخ خنخى خت » إلى المرتفع الذى يسمى الدهنخ ( ملخيت ) . ويد  
هذا الضابط أول قائد حملة معروف لنا نقش اسمه بجوار اسم الملك . وقد ظن بعض  
المؤرخين أن الحجر الثمين الذى يشير إليه فى النقش هو حجر بلرم المشهور ولكن

الاقزام ووظيفتهم  
فى عهد الدولة القديمة

حملة إلى سينا

هذا مجرد تخمين لا أساس له .

ومن الطريف أن « فتاح حتب » صاحب التعاليم المشهورة التي تعد أقدم ما وصل إلينا من حكم المصريين للآن ، كان مربى الملك « إيسى » وقد أُملى تعاليمه في شيخوخته وذلك لإعداد ابنه ليتولى بعده وظيفته في البلاط . وسندكر هنا مقدمة هذه التعاليم لتبرز للقارىء السمو بالأسلوب المنق لهذا الشيخ المسن ، والميل الخاص عند الموظف المصرى فى هذه العصور للمحافظة على توارث الوظيفة بقدر ما تسمح به الأحوال . هكذا تكلم إلى جلالة الملك « إيسى » . قد حلت الشيخوخة ونزل هذيانها ، وامتلأت الأعضاء آلاما وظهرت حالة الشيخوخة كأنها شئ . جديد ، وانمحت القوة امام الهزال ، وصمت الفم فلم ينطق ، وغارت العينان وصمتت الآذان ، . . . . . والقلب كثير النسيان غير ذكر الأمس ، والعظام تتألم من كبر السن ، والأنف كتم وأصبح لا ينفس ، والقيام والعود سيان كلاهما مؤلم ، والطلب أصبح خيئا ، وكل ذوق قد ولى . وما يفعله التقدم فى السن مع الإنسان هو أن يصير حاله سيئا فى كل شئ . فرنى أن أصنع عكازا لكبر السن ، ودع ابنى يأخذ مكانى لأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار من سلفوا وهم الذين خدموا السلف فى الأزمان الخالية ، وليتهم يصنعون لك المثل حتى يتقى الشجار بين القوم ، ويخدمك شاطئى النهر ( أرض مصر ) فقال جلالاته : علمه أولا الحديث . . . . . وليته يكون مثالا لأولادى العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكره صواب من يتكلم

مقدمة تعاليم  
« فتاح حتب »

معه ، وليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه .

حب الوظيفة قديم ولا نزاع في أن الملك « إيسى » قد أجاب ملتمس « فتاح حنب »

بعد كل هذه التوسلات ، والتضرعات المؤثرة ، وبذلك نال بغيته وسر؛ لأن الذى كان أعظم ما تصبوا إليه نفسه فى حياته ككل مصرى ، أن ينصب فى وظيفة حكومية يتقاضى منها مرتبا ضخما ويتيه بها على أقاربه الذين لم يسعدهم الحظ بمثل ما أسعده .

ومن عظماء رجال هذا العصر الجديرين بالذكر « سنزم إيب » ، وكان يشغل أعظم مناصب الدولة ؛ إذ كان وزيرا وكبير المماريين ، وكبير القضاة . والواقع أنه كان أعظم رجل فى عهد هذا الفرعون . وقد دون على قبره القريب من هرم « خوفو » ما ناله من الخطوة فى عصر مليكه ، منها خطاب كتبه بخط سيده . وسبب ذلك ان الملك طلب إلى « سنزم إيب » أن يعمل له تصميم بحيرة ؛ فقام هذا المهندس بعمل تصميم بحيرة يبلغ طولها ١٢٠٠ ذراعا ، فسرّ « إيسى » من المشروع سرورا عظيما وأرسل له خطابا يظهر فيه ارتياحه وإعجابه بكبير مهندسيه فيقول « سنزم إيب » : إن جلالة الملك كتب بأصبعه نفسه ليثنى على لائى انجزت كل عمل أصرا بعمله جلالتة بغاية الأتقان والكمال كما يريد قلب الملك أن يفعل له ، وقد كتب له الملك : إن جلالتى قد اطلع على خطابك الذى أرسلته لتخبرنى وأن كل شئ قد تم من جهة المبنى الذى يسمى بحبوبة من « إيسى » وهو الذى بنى لأجل قصر « إيسى » الذى يسمى « نهيت » ، وطولها ٢٠٠ ذراعا ،

الملك يكتب بخطه  
لاحد عظماء دولته

وعرضها ٢٢١ ذراعا حسب الأوامر التي أعطيتك إياها . . . . . حَقًّا إِنَّكَ  
« سنزم إيب » ( فرح القلب ) عندما أدخلت الفرحة على قلب « إيسى » .  
وفي هذا الخطاب تورية بين اسم « سنزم إيب » وفرح قلب الفرعون .  
وقد ذكر ابنه على مقبرة والده ، أن الملك قد خصص له أوقافاً أبدية  
لأبنه « سنزم إيب » وأنه أمر باحضار تابوت له إلى مقبرته بالقرب من  
هرم « خوفو » . والظاهر أن عطاء هذا العصر كان كل ما يحرسون عليه  
أن يدون بعدهم على قبورهم ، التي كانوا يعتقدون ولو ظاهراً أنها أبدية ، ما  
كان ينالهم من الملوك من الخطوة ، وما قاموا به من جلائل الأعمال ،  
مع بعض المبالغة أحياناً ، وهذه الوثائق تكاد تكون مصدرنا الوحيد لتاريخ  
البلاد . وقد مكث « إيسى » ما يقرب من ٢٨ سنة على أريكة البلاد .

الادفان الملكية  
تخصص لرجال  
الدولة

## الملك وناس

يعتبر وناس في نظر التاريخ أنه آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومن  
أعظم ملوكها وقد بقي قابضاً على صولجان الملك حوالي ثلاثين عاماً تقريباً ،  
وتنحصر شهرته في نظرنا في هرمه الذي بناه في سقاره وقد وجدت  
حجرة دفنه التي فيها تابوته ، منقوشة كل جدرانها بتعاويذ وصلوات دينية  
كان الغرض منها أن تحفظ المتوفى في آخرته . وهذه هي أول مرة نجد  
حجرة الدفن في الأهرام مكتوبة بتون دينية ، وقد فتح « مبرو »



العالم القرنى باب هذا الهرم ، وكذلك أبواب آهرام ملوك الأسرة السادسة ،  
وهم « تيتى » و « ييبى الأول » و « مرن رع » و « ييبى الثانى » . وكلها فى  
منطقة سقارة ، وكان ذلك فى عام ١٨٨١ أى بعد وفاة مريت باشا مؤسس  
المتحف المصرى ، وهذه المتون المنقوشة فى حجر دفن هذه الأهرام  
متأشبهة وتحتوى على آلاف من الأسطر . وقد ترجمها « مسبرو » العالم  
الفرنسى . ثم أعاد ترجمة معظمها حديثاً العالم الألمانى زيته ؛ وتعد هذه المتون  
الآن الأساس الأكبر لمعرفة ديانة قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة .  
ولما جاء عصر الدولة الوسطى وجدنا متونا مشابهة لها مكتوبة بالمداد  
الأسود على توايت خشبية لعلية القوم . أما فى عصر الدولة الحديثة فقد  
وجدنا متونا أكثر نمواً وأغزر مادة مكتوبة على ورق بردى كان يوضع  
مع المتوفى فى قبره ، ويسمىها علماء الآثار الآن بكتاب الموتى ، وتقع فى  
أكثر من ١٢٠ فصلاً . وكل هذه المتون فى العصور المختلفة - أصبحت  
مصدراً لا ينفذ لتعرف ديانة القوم ، وأساطيرهم الدينية . ورغم أن هذه  
المتون قد وجدت لأول مرة فى عهد الملك « وناس » إلا أنها تدل على  
أن أصلها يرجع إلى زمن سحيق فى القدم ، وربما ظهر ما يثبت ذلك  
فى المستقبل . ( انظر ص ٢٥٧ - ٢٥٨ )

متون الاهرام

كتاب الموتى

وفى العام الماضى كشف عن المعبد الجنائزى لهذا الملك ثم عن جزء  
من الطريق الموصل لمعبد الوادى ، وفى الوقت نفسه كشف عن جزء من معبد  
الوادى ويظهر أنه أعظم مساحة مما كنا نتصوره . ومن المدهش أن الطريق

الذى يوصل بين المبدین وجد بعض أجزاء مما كشف منه سليمة نوعا ما ،  
وقد كشفت لنا عن صفحة جديدة فى تاريخ المعابد المصرية فى عهد الدولة  
القديمة ، ألفت شعاعا من النور على بعض الحقائق الجنازية والاجتماعية كانت  
محمولة لدينا ؛ فقد وجدنا أولا أن هذا الطريق كان مبنيا بالحجر الجيري  
الأبيض ، ومسقوفا كذلك بقطع ضخمة من نفس الحجر فيها منافذ لأضاءة  
الطريق ، وهذا السقف مزین بالنجوم لتمثل فيه السماء ، أما جانبا الطريق  
فقد تقشا بمنظر غاية فى الأتقان ، بعضها جنازى ، والبعض الآخر يمثل الحياة  
العامة ، وحياة البلاط . فنجده مثلا حاملى القربان يذهبون نحو الهرم ،  
وألمة مختلفين يباركون الملك ، ونجد مناظر تمثل الملك ، وهو يتقبل القربان ،  
وأخرى وهو يحارب الأعداء ويقتلهم ، كما نشاهد رجال البلاط آتين فى  
خضوع للملك كل يقدم طاعته ، فيما يصطف رجال الجيش أمامه كل يحمل  
لقبه ، وفى جهة أخرى نشاهد جنود الملك يقتلون الأعداء من البدو  
بمحاربتهم ومداهم ؛ وهناك نرى مناظر الزرع والحصاد ونباتات كل فصل ،  
وجنى الشهد وتوالد الحيوان ، وفى أحد المناظر نشاهد صيد حيوان الصحراء  
من كافة أنواع الغزلان والأسود من بينهما الزرافة التى لم يكن قد عثر  
على رسمها فى قروش الدولة القديمة . كل هذا كان مهيأ لمنفعة الفرعون ،  
وكذلك نشاهد النيل وفيه كل أنواع الأسماك ، والحقول وما فيها من  
طيور . ثم نشاهد بعد ذلك مناظر قد عنى الفرعون بها خاصة ليظهر لأخلافه  
كيف كان يعنى بتشييد معبديه ؛ إذ نشاهد منظرا لبعض السفن المحملة

المناظر التى على  
طريق مبدى  
« وناس »

بالأعمدة الجرانيتية وقطع الكرانيش التي كانت تستعمل في تشييد المعبد  
الجزائى ، وقد كتب عليها « أعمدة من الجرانيت أحضرت من أسوان » .  
ومن المدهش أن هذه الرسوم تدل دلالة واضحة على أن هذه الأعمدة  
والكرانيش قد صنعت فى أسوان ثم وضعت على زحافات ، وربطت ، ثم  
وضعت فى السفن لتكون جاهزة لأقامتها فى أماكنها بمجرد وصولها ؛ أى  
أنه كان يوجد فى أسوان مدارس صناعات لهذا الغرض ، ولم يشهد التاريخ  
منظرا قبل هذا ولا بعده اللهم إلا مسألة الملكة « حتشبسوت » التى حملت  
من أسوان غير أنها لم تكن قد تم نقشها ، يضاف إلى ذلك أننا عثرنا على صور  
مراكب منقوشة على جدران هذا الطريق أعظم حجما من السفن النيلية ، وقد وجد  
فيها قوم أسيويون شبه أسرى، وهذه المراكب بلا شك آتية من بلاد سوريا مما يدل  
على العلاقة بين البلدين فى هذا العصر بل وسيطرة مصر عليها بعض الشيء . وآخر  
منظر كشفنا عنه هو منظر للسوق المصرى، وتبادل السلع وصنع الذهب ووزنه . وقد  
كشف حديثاً عن مقبرة زوجته « نبت » ، ومقبرة لأحد أولاده المسمى « وناس عنخ »

الجرانيت يجلب  
مصنوعاً من  
محاجر أسوان

العلاقة بين مصر  
وسوريا

### ظهور عبادة الإله « رع » فى الأسرة الخامسة

لاحظنا أنه منذ عهد الفرعون « شبسكاف » قامت نهضة لمقاومة عبادة إله  
الشمس « رع » الذى أخذ فى التهوض والظهور منذ أواسط الأسرة الرابعة؛  
ولكن تدل الأحوال على أن نجم هذا الإله أخذ يعلو فى عهد الأسرة

الخامسة ثانية ، وأخذت عبادته تنتشر حتى أصبحت عبادة الدولة الرسمية .  
 على أن إله الشمس « رع » الذى يحكم العالم لم يكن يعبد فى مصر من  
 قبل إلا عند ما كان يمثل فى الإله « آتوم » معبود بلدة عين شمس المحلى ، ولكن  
 مصر قد أصبحت الآن أمة عظيمة متحضرة تعتقد فى نفسها أنها مركز  
 العالم ، وأن أم المعمورة الأخرى ليس لها أية أهمية . وقد كان كل م  
 الإله « رع » حاكم العالم أن يهتم بالبلاد المصرية وفرعونها . وقد أخذ  
 الآن يحل محل الإله « حور » فأصبح إله الدولة والمسيطر على كل البلاد ،  
 وصارت الآلهة المحلية للمقاطعات كلها دونه وتحت سلطانه ، كما كانت حكام  
 المقاطعات تدين لسلطان الفرعون وإرادته ؛ وقد أدى ذلك إلى القيام بواجب  
 جديد نحوه كان لا بد للفرعون وشعبه من القيام به . وهو أن يعترفوا  
 بفضل الإله « رع » وأن يظهروا هذا بيناء المعابد وتقديم القرابين . وقد  
 كان أول من ضرب المثل لذلك كما ذكرنا الفرعون « وسركاف » ثم قفاه  
 فى هذا السبيل من خلفه . وبعد ذلك أحدث الفرعون « كاكسى » ثالث  
 ملوك الأسرة الخامسة نظاماً جديداً نحو تمجيد إله الشمس والاعتراف به ،  
 وذلك أنه أضاف لاسمه الملكى اسم « نفر إركارخ » ومنه نلاحظ أنه أراد أن  
 ينسب لنفسه صفة من صفات الإله « رع » - « جمال قرين رع » ، وقد  
 أصبح هذا الاسم هو الذى يذكر فى كل نقوشه تقريباً . وقد هذا حذوه  
 كل أخلافه دون استثناء فى خلال هذه الأسرة . ولا يخفى أنه منذ  
 الأسرة الرابعة كان يسمى الفرعون « ابن الشمس » وذلك طبعاً فى أحوال

سيادة عبادة « رع »  
 فى الأسرة الخامسة

تمجيد الإله « رع »  
 فى عهد الفرعون  
 « كاكسى »

فردية . غير أن هذه النسمة أصبحت أكثر استعمالا فى عهد الأسرة الخامسة ؛ ولكن فى خلال الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الأناسية والأسرة الحادية عشرة أخذ هذا القلب يدخل تدريجا فى السجلات الملكية. ولقد شاهدنا الفرعون « نوسرع » عندما أهدى معبده للإله « رع » ، لم يذكر بالتخصيص أن الإله « رع » هو والده كما كان الحال مع الفراعنة الذين جاءوا فيما بعد ، ولم ينسوا أن يذكروا ذلك . ولكن من جهة أخرى نشاهد أن كل فرعون كان بمجرد اعتلائه عرش الملك يقوم فى الحال بإقامة معبد جديد للشمس وذلك مما يدل على أنه كانت هناك علاقة شخصية تربط الفرعون بالإله « رع » . والواقع أن الديانة فى عهد الأسرة الجديدة كان ينظر إليها نظرة مخالفة لما كانت عليه من قبل ، إذ كان أهم واجب على الفرعون أن يسهر على العناية بتمجيدها . ولا أدل على ذلك من المرسوم الذى أصدره الملك « نفرإركارع » وحفظ فى العرابة ، وهذا المرسوم خاص بكل الدولة وفيه كما ذكرنا آفا يحرم الفرعون فرض أى سخرة على الكهنة وفلاحى أى معبد ، أو أن ينتزعوا شيئا من الضياع التابعة للمعابد ؛ ولا نزاع فى أن قصة ورقة « وستكار » خرافة ؛ ولكن إذا كانت تبجل ولادة ثلاثة الملوك الأول من الأسرة الخامسة من زوجة كاهن للإله « رع » ، وإذا كان « رع » نفسه قد أعجبهم حتى يتقلدوا عرش ملك مصر ، وبينوا المعابد للإله ويقربوا الضحايا ، ويضنوا موا القربان بالخيرات التى منها يشرب الإله ، ويحبسوا عليها الأوقاف الطائلة ،

شيوخ استعمال  
لقب « ابن الشمس »

محتويات ورقة  
« وستكار » ترتكز  
على أصل تاريخى

فإننا لا نشك في أن هذه القصة تعتمد على أصل تاريخي ، هذا إلى أن الملك « وسركاف » كما ذكرنا في حينه كان كاهنا أعظم للإله « رع » في عين شمس قبل تولية العرش .

والحق أن العبادة الجديدة قد نشأت في هذه المدينة ، ومنها خرجت عبادة « رع » وأصبحت مهد الحياة الدينية في كل جبات القطر . وكان مثل معابد الإله « رع » في الأسرة الخامسة مثل الأهرام تمام على حافة الهضبة الصحراوية الغربية خلف المدن الملكية في منطقة « منف » . وترتيب بناء هذه المعابد في مجموعه يذكرنا بالتصميم الذي كان متبعاً في المعابد الجنائزية في عهد الأسرة الرابعة . فكان يخرج من المقر الفرعوني طريق منحدر بعض الشيء ينتهي في طرفه بأروقة توصل إلى المبد نفسه وهو مقام على تلة ممهدة رقعته ومثبتة بالأتربة المنقولة ، وكانت تمام في وسط ردهة عظيمة غير مستقوفة مسلة ضخمة يبلغ ارتفاعها نحو ٦٠ متراً على قاعدة تشبه فم الخياط ، وهذه المسلة كانت مبنية من كتل من الحجر الجيري المرصوص بعضه فوق بعض . وأمام هذه المسلة كانت تمام مائدة قربان أو مذبح عظيم الحجم منفرد من المرمر ، وعلى جوانب هذه الردهة كانت توجد مخازن المبد . وطراز هذا الهيكل يختلف عن كل المعابد المصرية ، إذ لا يحتوى على أى تمثال للإله ، ولذلك لم يكن فيه أى « ناووس » أو محراب للتعبد ، وذلك لأن الإله الذي كان يعبد فيه لم يكن مقره على الأرض ، ولم يتقمص أى حيوان ، أو تمثال . ولكنه

معبد الشمس يختلف  
عن كل المعابد

يسطع في السماء كل يوم بكل جلاله وبهائه ، أما المسلة التي يحتمل أنها كانت في الأصل قطعة حجر منصوبة ، فليست إلا رمزاً قديماً لعبادة الشمس القديمة . ومن ملحقات هذا الهيكل سفيتا الشمس وهما اللتان يسبح عليهما الإله في السماء . ، وقد كشفت سفن من هذا النوع منذ الأسر الأولى ، ففي معبد « خفرع » كشفت اثنتان للشمس واحدة للسباحة من الشرق للغرب وأخرى من الغرب للشرق . والثانية مغطاة بالأحجار لأنها تسبح ليلاً ومفروض أنها لا ترى . وكذلك كشف في العام الماضي عن سفينتين لمعبد الملك « خوفو » ويبلغ طول الواحدة منهما أكثر من خمسين متراً كما سبق الكلام عن ذلك ، مما يدل على أن عبادة الشمس كانت شائعة في الأسرة الرابعة تماماً . والطريق المنحدر الذي يتبدى من القر الملوكي عبارة عن طريق مغطى ينتهى عند المرتفع ذى القاعدة المكعبة . ومن هذا المكان يخرج الفرعون من الظلمات إلى نور النهار ، محيياً الإله الذى يبرز من الشرق منذ مطلع الفجر ومعه جم غفير من القوم يحملون أمامه القران إلى المائدة .

سفن الشمس

وفى هبكل الفرعون « نوسررع » نجد على جدران دهليز معبده ، وعلى جدران حجرة متصلة به نقوشاً بارزة ذات جمال خارق لحد المألوف ، وهى تمثل إما احتفال تأسيس الهيكل والعيد الثلاثينى ، أو تمثل نشاط إله الشمس الخالق ما على سطح الأرض مثل حياة النبات ، ودنيا الحيوان وذلك فى خلال فصول السنة الثلاثة . وقد عثر فى العام الماضى على مثل

النقوش التى على جدران المعبد

هذا المنظر في طريق معبد الملك « وناس » في سقارة ؛ ومن ذلك يتضح لنا أن هياكل الشمس هذه لم تبني عبثا ، بل لتحقيق فكرة دينية عظيمة ؛ ولا شك في أن هذه الفكرة قد استعير بعضها من المباني التي سبقها لتعبر عن عناصر قديمة . فمثلا نجد أن هذه الأروقة ، والمهليز هي نفسها التي توجد في المعابد الجنائزية للأهرام . أما مناظر الفصول فقد كانت بلا نزاع على جدران معابد الأهرام كذلك ، ولكن لم يعثر عليها لأن كل مباني معابد الأسرة الرابعة قد اندثرت ، ولم يبق منها إلا أشياء طفيفة جدا . وحقيقة كانت فكرة هذه الهياكل وتصميمها فذة وليس لها نظير في المباني الدينية في كل عصور التاريخ المصري .

ولكن إذا نظرنا إلى ظواهر الأمور وجدنا أن عبادة « رع » التي أدخلها ملوك الأسرة الخامسة قد أضافت إليها جديدا للآلهة القديمة فحب ، وذلك لأن الفراعنة كانوا يحتفلون بعبادة الآلهة الآخرين بنفس الحماس الذي أظهره « لرع » فكانوا يجسسون عليها القرابين والأراضي كما كانوا يفعلون للآله الجديدة ؛ وقد كان يعبد كذلك في هياكل « رع » مئيل له قد اختلط معه فيما بعد وأعني بذلك إله

النور الذي يطلق عليه « حور الأفق » ( حور أختي ) ، وكذلك إلهة السماء « حتحور » ، وقد كان هذا هو الفارق الرئيسي بين عبادة « رع » في هذا العصر ، وبين عبادة « إخناتون » التي أسست فيما بعد . ومع كل ذلك فإنه يجب أن نتعرف في نفس عبادة « رع » خاصيات تجعلها

الفرق بين عبادة « رع »  
وعبادة « آتون »  
في عهد إخناتون



مغايرة تماما لعبادة الآلهة الأخرى . وذلك أن في عبادة « رع » عنصرا خارقا للطبيعة ، أى أن هناك فكرة عالية عن اللاهوت ظهرت في حياة المصريين . هذا إلى أنه في الوقت نفسه نجد أن فكرة الملكية القدسة التى فرضت على الشعب فى عهد الأسرة الرابعة وجدت ما يناهضها فى عبادة « رع » . فإذا كان واجب الفرعون منذ اعتلائه عرش الملك فى عهد الأسرة الرابعة هو إقامة مقبرة ضخمة ؛ فإنه منذ الأسرة الخامسة أصبح عليه واجب آخر لا يقل عن الأول فى صعوبته وخطورته وذلك هو بناء هيكل جديد لعبادة إله الشمس . على أن تأثير هذه الفكرة الجديدة يمكن ملاحظته تماما عند ما بدأ آخر ملوك من ملوك هذه الأسرة يتنحian عن بناء معابد جديدة للإله « رع » . ومنذ ذلك العهد أخذت عبادة « رع » تتضاءل كما سنرى أمام عبادة الآلهة الأخرى ( وبخاصة الإله فتاح ) . وهى الآلهة التى كانت عبادتها راسخة فى ضمائر عامة الشعب . وليس شك فى أن هؤلاء الآلهة قد خضعوا لنفوذ الإله « رع » خلال الأسرة الخامسة كما خضعوا من قبل لعبادة الإله « آتوم » فى عين شمس ، وكان رجال علماء الدين ، والمهذبون من أفراد الشعب يعتقدون أن الآلهة المحلية ليس لها أى نفوذ أو سلطان إلا لأنها مظهر من مظاهر الإله « رع » . أما الآلهات فكانت فى اعتقادهم آلهات السماء ؛ أو بعبارة أخرى أمهلت للشمس . ، وكذلك كان الحال فى فكرة الملكية : فإذا كان الملك يعتبر أنه ابن ملك العالم « الشمس » فإننا نجد سلطانه من هذه الناحية يزداد ؛

مناهضة عبادة « رع »  
 لعبادة الملك

بداية تضاؤل  
عبادة الشمس

ولكن من جهة أخرى نجد شخصيته أصبحت خاضعة لفكرة دينية أكثر سموًا، فلم يصبح موقف الفرعون متساويًا مع والده «رع» في أيهما يستمدان حقوقهما من مصدر واحد ، ( وهذا كان في الواقع موقف الملك بين الملك «رع» وبين الآلهة إذ كان يعتبر «حور» الحى المتربع على العرش ) ؛ بل إن الفرعون أعلن على العكس طاعته وخضوعه وتنفيذه لإرادة والده «رع» وهذا هو السر في أنه لم يعد يطلق عليه اسم «الإله العظيم» فيما بعد كما كان ينادى في عهد الدولة القديمة ، بل أصبح لا ينادى إلا بلقب «الإله الطيب» .

## الأسرة السادسة

لم تكشف لنا الآثار للآن عن أصل قيام الأسرة السادسة والظاهر أن ملوكها قد تولوا حكم البلاد من غير شوب ثورات أو قيام خلاف كبير. وقد ظل فراغتها على عرش الملك ما يقرب من قرنين من الزمان . ويظن أن مؤسسها هو الملك «سحتب تاوى تيتي» ولا نعرف عن حكمه إلا الشيء القليل .

وقد علمنا التاريخ في كل العصور أن كل مؤسس جديد لا بد أن يكون رجلاً ذا بطش وقوة ، ولكن قناع الوجه الذى عثر عليه الأثرى

« كويل » بالقرب من معبد هرم « تيتى » فى سقارة تدل ملاحظه على أن ذلك الملك كان رجلا ناعم الخلق رقيق العاطفة إذا صح أن هذا القناع قد عمل شيها لوجهه لا لإنسان آخر .

ويعزو المؤرخ مانيتون أصل هذه الأسرة إلى منف وربما كان محقا فى ذلك بعض الشئ لأن الأسرة الخامسة كانت كل ميول ملوكها متجهة نحو عباده عين شمس ( الإله رع ) أما ميول ملوك الأسرة السادسة الدينية فكانت تتجه إلى عبادة الإله فتاح فى منف .

وقد وصلت إلينا وثيقتان صادرتان عن كبير كهنة الإله فتاح فى منف وهما تدلان على أن الملك « تيتى » كان متجها بميوله إلى تنظيم كهنوت « فتاح » وقام فعلا بإصلاحات وتغييرات هامة فى نظام كلية الكهنة ، على حين أنه توجد كذلك لوحة فى المتحف البريطانى نقش عليها قصيدة من هذا العصر

نسب فيها أصل كل ما ظهر وما خفى إلى الإله فتاح الإله الواحد الخالق لكل شئ ، ظهور عبادة « فتاح »

وكذلك عثر فى سقارة على مقبرة لكاهن أعظم للإله فتاح فى عهد الملك وناس اسمه « سابوايبي » وقد أخبرنا فى قوشه أنه خدم فى عهد وناس « ثم

أصبح اليوم فى حضرة ابن الشمس تيتى » عاش أبديا ، كاهنا أ كبر

لفتاح ، ومحترما من الملك أكثر من أى خادم آخر . . . . . وكاهن « فتاح »

الأ كبر وحامل كأس الملك ، ورئيس الأمور السرية للملك فى كل مكان .

ومن هذا يتضح أن الكاهن الأ كبر للإله فتاح فى العهد الجديد

كانت له مكانة ممتازة قريبة من الملك ، كان لا يمكن أن يصل إليها

عند ما كان نفوذ عين شمس سائرا في البلاد . هذا إلى أنه عثر على تمثال للملك « تيتي » نقش عليه : « محبوب فتاح » .

على أنه في استطاعتنا أن نستنتج من كل ذلك احتمال قيام حركة رجعية ضد سيطرة بلدة عين شمس ومحبذة لمناصرة مناظرتها منف مقر « فتاح » . وما يؤسف له جد الأسف أن هرم « تيتي » قد نهته اللصوص إذ حرقوا كل ما في طريقهم إلى حجرة الدفن وهشموا الحواجز الجرانيتية .

نقوش هرم  
« تيتي »

وقد نقش على جدران حجرة الدفن سلسلة نقوش ، كثير منها مطابق لما وجد في هرم « وناس » . وهذه النقوش قد كتبت بحروف وإشارات أصغر حجما من التي وجدت في هرم « وناس » . ولم يفلت من يد اللصوص من جسم الملك إلا ذراع وكتف . وقد ذكر لنا مانيتون أن هذا الملك قد قتله الحراس ، ولكن ليس لدينا ما يثبت ذلك اللهم إلا أن الملوك الذين أتوا بعده لم يكتشوا على عرش الملك إلا فترة قصيرة وربما كان سبب ذلك عدم استتباب الأمن كما يحدث عادة عند قيام عصيان في الجيش أو ثورات داخلية .

بداية حياة العظيم  
« ونى »

وفي عهد تيتي بدأ « ونى » حياته وهو يعد من أكبر الموظفين المصريين في هذا العصر وقد عاش في عهد عدة ملوك . وقد دفن في العرابة وترك لنا هناك على أحد جدران مقبرته أطول نقش عن حياة شخص ، ويعد أهم وثيقة تاريخية وصلت إلينا من الدولة القديمة . على أن ما وصل إليه من علو المكانة قد بلغه في عهد الملوك الذين سيأتى ذكرهم بعد ، إذ وصل

إلى رتبة أمير وحاكم الجنوب وتشريفى ، ونائب الملك فى «نخن» وسيد «نخب» والسمر الوحيد.

بداية حياة « ونى » وقد حدثنا « ونى » عن نفسه فى عهد « تيتى » قائلا : كنت طفلا لا يزال متمطقا الحزام فى عهد الملك « تيتى » ، وقد كانت وظيفتى مدير بيت الزراعة ، وكنت أشغل وظيفة مدير ضياع القصر الملكى .

وقد تلا حكم « تيتى » عصر غامض ربما كان سببه الاضطراب الذى حدث بعد قتله إذا صدقنا « مانيتون » ، وكل ما نعلمه عن هذه الفترة أن قائمة الملوك بالعراة ذكرت لنا اسم ملك خلف « تيتى » لا نعرف عنه شيئا مطلقا وهو « وسركارع » . على أننا من جهة أخرى عثرنا على نقش من هذا المصر فى وادى حمامات الملك يدعى « إيتى » . وقد جاء فيه أن موظفا اسمه « فتاح ان كاو » جاء إلى هذه الجهة ومعه ٢٠٠ من الرماة و ٢٠٠ من الحجارين ليقطعوا أحجارا لهرم الملك « إيتى » . وقد ظن بعض المؤرخين أن « وسركارع و « إيتى » ، اسم لملك واحد . ولا نعلم عدد سنى حكم هذا الملك . ويحتمل أنه لم يخلف « تيتى » إذ لم يذكره لنا « ونى » ضمن الملوك الذين عاش فى عهدهم وبخاصة أنه ذكرهم لنا بالترتيب التاريخى وربما كان عدم ذكره لسبب لا نعرفه .

« وسركارع » أحد  
الملوك النكرات

الملك « إيتى »

## الملك بيبي الأول

ظهر بعد هذا الغموض على عرش البلاد ملك فتى يدعى « بيبي » وقد ظل، قابضا على زمام الأمور في البلاد بقوة وعزم نحو نصف قرن من الزمان. وهو يعد بحق من أكبر الفراعنة الذين قبضوا على ناصية الحال في مصر في كل عصور تاريخها بحزم ونشاط . حقا أنه لم يترك لنا وثائق تدل على أعماله مثل « رمسيس الثاني » أو « أحس الأول » ، اللهم إلا نقوش « وني » ولكننا نستفيض عن ذلك بالآثار التي تركها ونقوش المحاجر والتحف التي خلفها وعظماء الرجال الذين عاشوا في عصره مما يلتقي بعض الضوء على عهده وما حدث فيه من جليل الأعمال ، والظاهر أنه كان محبيا إلى أفراد رعيته إذ تسمى الكثير منهم باسمه وربما كان يشبه في ذلك « تحتمس الثالث » وإن كان وجه الشبه هنا ضئيلا لبعد ما بينهما من الزمن ، ولكن رغم كل هذا فإن دلائل الأمور تنبيء بأن بيبي كان محبيا في أعين شعبه وأنه كان الفرعون النابه بين ملوك أسرته .

تمثال « بيبي » أجل  
قطعة فنية في عصره

وقد عثر له على تمثال آية في دقة الصنع من النحاس ولا نكون مهالئين إذا قررنا أن دقة صنع هذا التمثال وقربه من الحقيقة تفوق كل ما صنع قبله من التماثيل حتى التي عثر عليها لفرع . و « منكاورع » . وهو يعد بلا نزاع من أعظم الكنوز التي عثر عليها علماء الآثار في مصرنا الجليل . وقد كشفه الأثرى « كويل » ومعه تمثال آخر صغير من نفس المعدن ،

عند ما كان يحفر في بلدة هيراكنبوليس (الكاب) . والظاهر أن التمثالين منسوبان لشخص واحد وقد ظن بعض علماء الآثار أنها يمثلان « بيبي الأول » نفسه وابنه الأمير « من رع » الذي خلف والده مباشرة أو يمثل الأمير « نفركارع بيبي الثاني » ، ولكن الأستاذ « فلندرز بترى » يعتبر أن التمثالين هما للملك بيبي نفسه ، وذلك لترك الحيار لقرينه أن يلبس جسم الملك في حداثة سنه أو في كهولته .

ويظن بعض المؤرخين أن « بيبي » هو ابن الملك « إتي » وبخاصة إذا علمنا أن الملكة « أبوت » أم بيبي لم تكن زوج « تيتي » ولكن كل ذلك من ضروب التخمين المقبول شكلا ، ويمكننا أن نستدل ببعض الشيء على نشاط هذا الفرعون خلال حكمه الطويل من المباني التي أقامها أو التي أصلحها في طول البلاد وعرضها . ولا نزاع في أن مباني « بيبي » الأصلية قد اختفت بسبب إعادة بنائها في العصور التي تلت ، ولكن على الرغم من ذلك نجد بعض بقايا من آثاره لا تزال موجودة . إذ عثر له في تانيس وتل بسطة والعراة ودندرة وقفط على آثار منقوش عليها اسمه . هذا إلى أنه خلف نقوشا على الصخور حتى إقليم بلاد النوبة السفلية .

مخلفات « بيبي » الأثرية

والظاهر أن « بيبي » لم يكن موقفا في داخلية بيته إذ نجد إشارة في نقوش « ونى » إلى أن الملك أمر بمحاكمة زوجته « إمتس » أمام محكمة شكلت خاصة لهذا الغرض ، ولكن لا نعلم شيئا خلاف هذه الإشارة ، وقد تركنا التاريخ في ظلام حالك عن سبب هذه المحاكمة وكه الجريمة التي

ارتكبها ، ولا يبعد أنها أرادت أن تتآمر على الملك غيرة منها عند ما رأت أنه تزوج من اثنتين غيرها كل منهما باسم « مرى رع غنخس » . وعلى أية حال فإننا سنظل نجعل السر أبديا أو نثر على أثر يكشف القناع عن هذا السر الغامض .

وقد كان المكلف بهذه المحاكمة كما ذكرت « ونى » وقد لمح لها فى نقوشه بكل حذق ومهارة دون أن يحكم على الملكة بالبراءة أو الإِجرام ، وبعد ذلك لم نسمع عنها فى النقوش شرا ولا خيرا ؛ أما زوجتنا الملك الآخرين فإنها كانتا أختين وقد كانتا كذلك سيدتين عظيمتين من نسل أمير وراثى وحاكم ، وكاهن اسمه « خوى » وزوجته « نبت » . والظاهر أن أملاك أسرتهن كانت فى العرابة المدفونة . وقد رزق من كل منهما بوارث للملك . ولا غرابة إذا كنا نجد شقيق هاتين الملكتين الذى ينسب إلى أسرة أمراء بالوراثة قد أثرى ثراء عظيما وأصبح يحمل من ألقاب النبوة أعظمها فكان يحمل « زاو » شقيق الملكتين لقب الحاكم ، وكبير القضاة ، الأمير « زاو » وألقابه ووزير ورئيس الملابس الملكية ، وحافظ خاتم الفرعون ، وغير ذلك من الألقاب فى عهد ابن اخته الصغير « ييبى الثانى » . ولما كان « زاو » هذا مدينا لأخته بالرقى والحظوة التى نالها فإنه أراد أن يعترف لها بالجميل وقد نحنا فى ذلك نحو الطريقة المصرية البحتة . وذلك بإقامة لوحة فى العرابة أشاد فى نقوشها بذكرهما إذ جاء فيها ما يأتى : زوجة الملك . التابعة للهرمسمى « مرى رع ييبى جيلا » . المحبوبة جدا ، المحظوظة جدا . عظيمة الممتلكات .



رفيقة « حور » (الملك) أم الملك ، وقد كان « مرن رع » هو ابن الملكة « مرى رع عنخس الأولى » أما « مرن رع الثانية » فهي التي أنجبت الملك ييى الثانى « نفر كارع » الذى عاش طويلا حتى ناهز المائة وجلس على العرش ما لا يقل عن ٩٤ عاما . وقد ظن بعض المؤرخين أن « مرى رع عنخس الأولى » قد توفيت بعد الوضع مباشرة ولذلك تزوج « ييى الأول » أختها « مرى رع عنخس الثانية » وقد يكون ذلك صحيحا ، كما أنه لا غرابة فى خلق ملوك المصريين أن يجمعوا بين الأختين . وقد بنى « ييى » لنفسه هرمًا فى سقارة وأطلق عليه اسم « الحسن التأسيس » وهو أكبر من هرم « وناس » ومن مميزات هرم « ييى » . وقد نقش على جدران حجرة الدفن الداخلية متون مماثلة لما فى هرمى « وناس » و « تيتى » وكتابه أقل حجما من كتابة هرم « تيتى » ، ويمتاز هذا الهرم بالتفنن فى إخفاء حجرة الدفن والعناية بوضع العقبات فى طريق الوصول إليها ؛ ولكن رغم كل التحفظات التى بذلت فى هذا السبيل فإن اللصوص نفذوا إلى مكان التابوت المصنوع من حجر البازلت وهشموه ومزقوا جثة هذا الفرعون العظيم ، هذا فضلا عن أنهم أزالوا كل خرطوش ملكى فى الممر المؤدى إلى حجرة الدفن ؛ ومن المحتمل أن هذا التخريب البالغ قد حدث فى نهاية هذه الأسرة فى الفترة التى كانت الثورة متأججة فى البلاد بدرجة أن ذكرى « ييى » وعظمته لم تقللا من حدتها عند الثوار . غير أن عمل الثوار هذا قد كشف لنا عن طريقة إقامة هذا الهرم ؛ إذ نجد جدران جسم الهرم من قشور الحجر الأبيض مشوة بقطع صغيرة

من شظايا الجير ، بدلاً من الكتل الحجرية التي بنيت بها أهرام الجيزة العظيمة كلها ، ومن ذلك نعلم أن القصد من بناء الهرم بهذه الكيفية أن يكون ظاهره جميلاً ولا يهم حشوه بعد ذلك من الداخل ، وتلك لعمري إحدى علامات الضعف التي أخذت تدب في نواحي المرافق العامة في البلاد رغم قوتها الظاهرة وعظمتها .

إحدى علامات  
الضعف في الأسرة  
السادسة

وتدل الآثار التي كشف عنها حديثاً على أن أشرف البلاد وعظماؤها أخذ نفوذهم يزداد تدريجاً وينالون الخطوة لدى الفرعون ولم يكن لديهم وسيلة لأظهار سلطانهم وحظوتهم للخلف إلا بتدوينها على مقابرهم التي كانوا يعتقدون أنها ستكون أبدية وأن السلف سيقرءون عليها أعمالهم العظيمة ومكانتهم الممتازة لدى الفرعون . وتلك ميزة امتاز بها المصري عن باقي أمم الشرق ولذلك نجد بصيص ضوء يرسل علينا أشعته من وقت لآخر من الكشوف الأثرية التي تقوم في طول البلاد وعرضها مما خلفه لنا هؤلاء العظماء فيجعلنا نعيش في وسطهم رغم تطاول الأبداء والأجيال . فمن أعظم مخلفات هذا العصر النقوش التي تركها لنا « وني » السالف الذكرو قد عاش في عهد أكثر من ثلاثة ملوك ، وقص علينا ما كان يقوم به من جليل الأعمال وما ناله في عهد كل فرعون من الرقي وما هو الآن يحدثنا عن الحوادث التي جرت له في عهد « يبي الأول » . قال لقد أصبحت كبير بيت الزينة في عهد جلالة « يبي الأول » وقد رقاني جلاليته إلى رتبة سمير وكاهن أعظم لأوقافه الجنازية (أى لأوقاف هرمه) . وبعد ذلك نصبني جلاليته قاضياً لنخن ، ورئيس المجلس الأعظم للسته .

تدوين المصريين  
لأعمالهم على الآثار

« وني » يقص  
ما قام به في عهد  
يبي الأول

وكان قلبه مفعما بى أكثر من كل خدامه الآخرين . وكنت أحقق فى قضاياه  
وليس معى غير الوزير ، بكل تكتم باسم الملك ، وكان ذلك خاصا بالحريم  
الملكى ، وكذلك فى المحكمة العظيمة للسته ، وذلك لأنى كنت محببا  
إلى قلب جلالتة أكثر من كل أشرافه وأكثر من كل عظمائه ومن كل  
خدامه الآخرين .

### إهداء تابوت من الملك .

ولقد رجوت جلالة سيدى أن يأمر بإحضار تابوت لى من حجر  
طرة ، ولهذا الغرض سمح جلالتة بأن يقلع حامل خاتم ملكى ومعه فصيلة  
من البحارة تحت إمرته لإحضار هذا التابوت من طرة . وقد عاد حامل  
الخاتم بالتابوت فى سفينة عظيمة من سفن البلاط ومعه غطاؤه ، واللوحه ،  
وخذتان للباب ، والقاعدة والأرضية . على أن هذا لم يفعل قط لخدام آخر  
لأنى كنت فى منزلة فائقة فى قلب جلالتة ، وكنت محببا لجلالتة ، وكان  
جلالتة يميل إلى .

وعلى حين كنت قاضيا ، وفم بلدة نحن ( اى رئيس مجلس محكمة الستة ) فإن  
جلالتة نصّبنى سميرا وحيدا ، ومدير الأوقاف الملكية ، وبهذا التعيين حلت محل أربعة  
المديرين الآخرين الذين كانوا قبلى هناك ولقد عملت حتى إن جلالتة أثنى على .  
وبمناسبة قضيته فى الحريم الملكى ضد الزوجة الملكية « ورت حنس »  
وقد أديرت سرا . فإن جلالتة قد منحنى القيام بعمل تحقيق ، وقد كنت  
مفرداً وليس معى وزير أو عظيم ، ولكن كنت وحدى . لأنى كنت

مثال الإستقامة ومحبة إلى قلب جلالة ولأن جلالة كان ميالا إلى . وقد كنت أنا الذى أقوم بدور الكاتب ، وكنت وحيداً ومعى قاض واحد ، وفم نحن ، على حين أن وظيفتى كانت : رئيس أوقاف القصر ، ولم يحدث قط أن فرداً مثلى قد حقق قضية سرية خاصة بالحریم المملكى من قبل «ونى» يحاكم الملك ولكن جلالة أعطاها إياى لتحقيقها لأننى كنت ذا مكانة فى قلب جلالة أكثر من كل عظمائه الآخرين ، ومن كل أشrafه ومن كل خدامه الآخرين .

التأهب لمحاربة أهل البدو. ولقد قام جلالة بحملة تأديبية ضد الأسويين رؤساء الرمال وقد جهز جلالة جيشاً مؤلفاً من عشرات الآلاف من الرجال من كل الوجه القبلى من أول الفنتين فى الجنوب حتى إطفح شمالاً ومن الوجه البحرى أيضاً ، وقد جندتهم إدارة جيش المرتزقة بأجمعهم فى القلعة ، فى داخل القلاع ، من بين نوبى بلاد أرث ، والمجا . « وإمام » و « واوات » و « كاوو » ومن بلاد لوية .

مسير الجيش بإمرة « ونى » . وقد وضع جلالة الجيش تحت إمرتى ، على حين أن فيه الأمراء ، وحاملى خاتم الملك فى الوجه البحرى ، والسلا الوحيدين أصحاب القلاع العظيمة ورؤساء القلاع ونوابها فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، والسلا مديرى القوافل ، ومديرى الكهنة للوجه القبلى والوجه البحرى ، ومديرى الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من قلاع الوجه القبلى والبحرى والضياع التى يحكمونها وعلى رأس « النحسى » ( الزنوج ) من البلاد الأجنبية ؛ وقد كنت أنا الذى أسهر على نظامهم مع

كوفي كنت مدير أوقاف القصر وبسبب مكائتي ، لم يأخذ أحد مكان جاره  
ولم يسرق واحد منهم عجيئة أو نعلا من السابلة ، ولم يأخذ واحد منهم  
ملابس من أية بلدة ، ولم تقتصب ماعز أى شخص .

وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال ، وبوابة « إمحوتب » ،  
وصقع « سنفرو » . . . . .

وقد استعرضت كل فيلق من هؤلاء الجنود أمامي ، على أنه لم يحدث  
أن خادما ( الملك ) قد استعرض جنودا من قبل مثلى .

عودة الجيش : لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن خرب بلاد البدو ،  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن نهب بلاد سكان الرمال . لقد عاد هذا  
الجيش سالما بعد أن أزال قلاعهم .

لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن قطع أشجار تينهم وكرومهم .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن حل الحديد والنار بين كل سكانهم .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن ذبح كل جنودهم بمشرات الألوف العدة .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن جاء معه بجنود عدة أسرى .  
ولقد أثني على جلالته لهذا أكثر من أى شئ .

## إخضاع عصيان الاقوام المقهورة

ولقد أرسلنى جلالتة خمس مرات لقيادة هذا الجيش لسلب بلاد البدو،  
فى كل مرة يثورون ؛ ومعى فصائل من الجنود . وقد عملت بطريقة  
امتدحنى جلالتة من أجلها .

## الحملة ضد فلسطين

وقد حدث أن جاءت الأخبار بأن ثورة انفجرت على إثر' حادث  
ما بين المتوحشين فى جبة الكرمل ( بلاد أنف الغزال ) « وعلى إثر  
ذلك أبحرت فى سفن البحر ومعى فصائل جنود . ونزلت خلف مرتفعات  
الجبال الواقعة شمالى بلاد سكان الرمال ؛ وعندما سار هذا الجيش على  
المرتفعات سرت وقبضت على الثوار بأكملهم وقضى على كل العصاة » .  
لقد تركنا « ونى » يتكلم عن أعماله وما حدث له فى عهد الملك  
« ييى الأول » غير أنه يجب علينا قبل تركه إلى عهد « مرن رع »  
أن نشير هنا إلى أن الحملة التى قام بها إلى فلسطين تعد الأولى من  
نوعها فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ العالم على ما نعلم . إذ الواقع أنها  
تعتبر أول حملة اشترك فيها الجيش والأسطول دوتها لنا التاريخ . وقد برهن  
المصريون فى هذه الحملة على أنهم بحارة حقيقيون لا كما يدعيه البعض

بأنهم غير أكفاء في جوف اليم ، ولقد فطنوا بسرعة بل وقدروا الميزة التي يجنيها الجيش من نقله بواسطة البحر إلى نقطة الهدف الذي يريدها ، فتجنسوا الطرق الصحراوية الطويلة الخطرة التي ربما أفنت الجيش وجعلت عودته مغامرة عظيمة ، لذلك يمكننا القول بأن مصر كانت أول دولة في العالم قامت بحملة حارب فيها الجيش المصرى بحميه أسطول .

سبب الحملة إلى  
فلسطين

والظاهر أن سبب قيام الفرعون بهذه الحملة إلى فلسطين ما يقال عن هجرة جم غفير من الشمال الشرقى من بلاد ما بين النهرين (مسوبوتاميا) وتقدمهم في هجرتهم إلى أن وصلوا إلى فلسطين بل والحدود المصرية فاضطر فرعون مصر إذ ذاك إلى منع هؤلاء المهاجرين الآسيويين من دخول مصر . وقبل أن تنتقل بالقارىء إلى عهد الفرعون « مرن رع » سنلقى نظرة خاطفة على نقوش مقبرة من عهد « يبي الأول » لكبير من عظماء البلاد الذين تسموا بإسمه تيمنا وهو « نى عنخ يبي » .

وقد كشف قبره في العام الماضى بسقارة ويحمل ألقاباً ضخمة ؛ فكان يلقب بالسمير الوحيد ، ورئيس الكهنة المرتلين ، ورئيس أوقاف هرم « يبي » . والظاهر أنه بدأ حياته في عهد « وناس » إذ من بين ألقابه « المقرب من ملك الوجه البحرى والوجه القبلى وناس » . وقد عمر حتى عهد « مرن رع » إذ كان اسمه الثانى « نى عنخ مرن رع » .

وقد نحت قبره في الصخر وكبا واجته بالحجر الجبرى الأبيض وقش عليها نقوشا تكاد تكون فريدة في بابها لغرابتها بالنسبة للنقوش التي كشفت

للآن في عهد الدولة القديمة . وذلك لأنها تكشف لنا عند ناحية خاصة وهي مقدار تخوف المصريين من سلب قبورهم بعد وفاتهم واحتياهم على ذلك بتهديد الأحياء بعذاب الآخرة والحساب أو بإقناعهم بأن صاحب المقبرة رجل قوى سيخرج من قبره ويعذب من يضره بكسر عنقه .

وأخيرا يوحى إلى الأحياء بأنه يعرف السحر ويمكنه أن يضر من يؤذيه والنفس كما يأتى . « السمر الوحيد ، المرتل شريف الفرعون » يقول: أما من جهة أى فرد يريد أن يلحق أى أذى بهذا القبر الذى فى المقبرة وهو الذى تابوته مركب فيه الأب فوق أمه (أى الغطاء فوق التابوت) فإننى سأقتاضى معه فى المجلس المبجل الفاخر للإله العظيم رب الغرب ، وسأقبض على رقبتة كما يقبض الإنسان على عصفور ، وسيسرى خوفى فيه أمام كل من على الأرض ، وكل الأحياء سيرتعدون من الأرواح المتأثرة ، وإنى روح ممتازة ، ليس السحر أمامها بالشئ المستعصى ، أما كونى حاذقا فإنى مرتل حاذق ورجل عالم (بأمور السحر) .

وعلى جانب آخر من باب مقبرته يستعطف المارة ويستجديهم ليقدموا له قربانا فإذا لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ماديا فليفعلوه بقراءة التعاويذ التى كان يعتقد أنها تقوم مقام المادة إذ كان مجرد قراءتها يجعلها بقوة السحر تنقلب إلى صورها الحقيقية فيقول « السمر الوحيد والمرتل وشريف الفرعون ورجل البلاط : أنتم أيها الأحياء الذين على الأرض ، والمحترمون المحبوبون من الإله ، الذين سيمرون بهذا القبر ، صبا الماء



والجمعة مما معكم ، وإذا اتفق أن لم يكن لديكم شيء فقولوا بأنفواهم ،  
وضموا مما في أيديكم خبزا تقيا ، وجمعة ، وحيوان قربان وطيورا وبخورا  
تقيا لشريف الملك « نى عنخ ييى » ؛ ولا شك أننا نرى فى هذه المتون  
أن المصرى فى هذا العهد كان يهرب بل يرتعد من نهب مقبرته بعد وفاته  
أو الأضرار بها ، ولا غرابة فى ذلك فقد عثر فى نفس العام الذى كشفت  
فيه هذه المقبرة على مصطبة أخرى لوزير من عهد الملك « وناس » ملاصقة  
لها ، ومن المدهش أن مقبرة هذا الوزير لم تكن قد أقيمت له بل كانت  
لوزير سبقه وجاء هو واغتصبها لنفسه وذلك بمحو اسم سلفه من كل جدران  
حجرة المقبرة حتى فى حجرة الدفن فقد وجد التابوت قد محى من جوانبه  
اسم صاحب المقبرة الأصلى وكتب عليه اسم المقتصب الجديد . وليس  
هناك شك فى أن « نى ييى عنخ » كان حاضرا والوزير « نى كاوو حور »  
المقتصب يمحو اسم الوزير « اخت حتب » من كل مكان فى المقبرة  
ليقتصبه لنفسه ، ولعمري فإن هذا هو السبب الذى دعاه ليكتب هذا  
التحذير على قبره فقد رأى الاغتصاب جهارا أمامه وبجوار مقبرته . وهذا  
مثل من أفضح الأمثلة فى عدم المبالاة بحقوق الأموات والتهكم بالعقائد  
الدنية والحساب والعقاب ؛ وربما كان هذا هو السر فى كثرة التعاويذ  
السحرية التى طفت على الدين فى هذا العصر لأرهاب الناس من مفعولها

مثل من أمثلة التعدي  
على المقابر

## الملك مرن رع

تولى أريكة البلاد بعد « يبي الأول » بكر ولديه « مرن رع » وكان لا يزال صبياً ، ومن المحتمل جداً أن يبي تزوج من والدته في أواخر أيامه . ولقب هذا الفرعون « محتى ام ساف » ومعناه (الإله محتى حاميه) . ولم يملك على عرش الملك أكثر من سبعة أعوام ، ومات وهو لا يزال في بداية العقد الثانى من عمره . ولا نزاع فى أنه قد بدأ بناء هرمه عند توليه الحكم مباشرة كما هو الحال عند كل فراعنة هذا العهد . وسرى أن الرجل الذى كان يشرف على هذا العمل هو « ونى » .

وقد دخل هرمه حديثاً حوالى عام ١٨٨٠ ولحسن الحظ وجدت موميأه سليمة ، وهى فى الواقع أول جثة عثر عليها لفرعون بقيت إلى عهدنا هذا . حقا إنها جردت من كل كنفها بالصوصل الذين نهبوا الهرم فى الأزمان القديمة وقد لوحظ أن خصلة الشعر التى كان يتميز بها الفتيان الحديثو السن لا تزال عالقة بمجمعته مما يدل على أن « مرن رع » كان لا يزال صيماً عند وفاته .

وتدل النقوش التى من عهده على أنه قد وجه جل عنايته إلى الجنوب ؛ وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله عين « ونى » حاكماً ومسيطراً على كل الوجه القبلى بلقب حاكم الجنوب وسندع « ونى » يقص قصته فى عهد هذا الفرعون وما قام به من جلائل الأعمال .

الملك « مرن رع »  
يتولى الملك صغيراً

أول جثة ملكية  
عثر عليها سليمة

« ونى » يتولى منصب  
حاكم الجنوب

ولما كنت موظفًا حاملًا لنعلى ( الفرعون ) فى القصر العظيم ، ونصبني ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مولاى « مرن رع » أميرا ومدير الجنوب من « الفتين » ( أسوان ) جنوبا إلى إطفيح شمالا ؛ لأننى كنت مثلا أعلى فى قلب جلالته ، وما دمت مزدهرا فى قلب جلالته ، كنت ملء قلب جلالته ؛ وقد أثنى علىّ جلالته وأنا حامل نعليه لليقظة التى كنت أقوم بها فى القصر ؛ وقد مدحنى أكثر من أى عظيم ، أو شريف أو خادم . على أن مثل هذه الوظيفة لم تمنح لأحد ما من قبل . وقد قمت بعمل حاكم للوجه القبلى بما يرضيه ، حتى إنه لم يقتصب أحد مكان جاره . وقد أتجزت كل عمل ، وأجريت حساب كل شئ خاص بالخزينة فى الوجه القبلى مرتين ، وكل ساعات السخرة التى كانت تخص الخزينة فى الوجه القبلى مرتين أيضا . وكنت فى ذلك أقوم بعمل وظيفتى على أحسن مثال فى الوجه القبلى هذا . على أنه لم يعمل شئ كهذا فى الوجه القبلى من قبل . وقد عملت كل شئ لأستحق ثناء جلالته .

#### الحملة إلى محاجر « إيهات » ببلاد النوبة ومحاجر الفتين

وقد أرسلنى جلالته إلى « إيهات » لإحضار تابوت ( صندوق الأحياء ) وغطائه ، وكذلك قطعة هرمية صغيرة ثمينة ومحترمة لأجل هرم « مرن رع » الذى يسمى ( خع نفر مرن رع ) . وبعد ذلك أرسلنى جلالته إلى الفتين لأحضر لوحة من الجرانيت وقاعدتها وجانبيها ، وكذلك لأحضر أبوابا من الجرانيت ورقعتها للحجرة العليا لهرم « مرن رع » المسى ( خع نفر مرن رع ) وقد

سحت في النهر من هناك حتى هرم «مرن رع» (خع نفر مرن رع) ؛ بست سفن نقالة وثلاثة قوارب تشد بالأمراس بوساطة ستة عشر رجلا ، كل ذلك تم في بعثة واحدة . على أنه لم تعمل رحلة واحدة قط إلى «إيهات» والفتين دفعة واحدة في عهد أى ملك ما . وكل شئ أمر به جلالاته قد نفذ برمته كما أمرنى به جلالاته .

### البعثة إلى محاجر المرمر في « حنوب » في مصر الوسطى

وقد أرسلنى جلالاته إلى «حنوب» لأحضار مائدة قربان من المرمر؛ وقد سرت في النهر شمالا من أجل الملك لاستخراج هذه المائدة من محاجر « حنوب » في سبعة عشر يوما . وسحت شمالا في سفينة نقالة . والواقع أنى بنيت نقالة لهذا الغرض من خشب السنط طولها ستون ذراعا وعرضها ثلاثون ذراعا . وقد جمعت الأحجار في ١٧ يوما خلال الشهر الثالث من فصل الصيف ؛ ورغم أن ماء النهر كان قريب الغور فإنى وصلت سالما معافا إلى هرم «مرن رع» ( خع نفر مرن رع ) . وقد أتممت كل العمل بنفسى حسب الأمر الذى أمرنى به جلالة سيدى .

وقد أرسلنى جلالاته لحفر خمس ترع في الجنوب ، ولأصنع ثلاث نقالات وأربعة قوارب تبحر بالحبال من خشب سنط أصقاع «واوات» ، وقد كان رؤساء أقطار إرثت ، وواوات ، وإيام ، ومجا ، يقدمون الخشب لهذا الغرض .

وقد أنجزت كل العمل في سنة ، يدخل في ذلك السياحة وتحميل الجرائيت بكية لهرم « مرن رع » المسمى ( خع نفر مرن رع ) . يضاف

إلى ذلك أنى قد حققت الاقتصاد فى الزمن لأجل القصر وذلك بفضل هذه الترع الخمس معاً .

كل ذلك بسبب قيمتى ، وصفاتى الشخصية ، والاحترام الذى أكنه لقوة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مرن رع » عاش أبدياً ، أكثر من كل الآلهة ، لأن كل شىء قد حقق حسب الأوامر التى أعطاه إياى الملك . وإنى محبوب والده ، والمدوح من والدته ، وزينة إخوته أنا الأمير ، حاكم الوجه القبلى المعظم من الإله أوزير « ونى » .

ان رحلات « ونى » ومما سبق يمكننا أن نرى أن « ونى » كان له تأثير فعال فى بلاد الجنوب إذ أصبح يجلب كل شىء من أسوان وبخاصة الأحجار بسهولة دون أن يحتاج إلى عدد عظيم من الجنود .

أما آخر أعمال « ونى » فى عصر هذا الفرعون فهو حفر القنوات الخمس عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التى كانت تعترضها الصخور ، وقد أتم هذا العمل فى سنة واحدة وذلك بمساعدة رؤساء الزوج الذين كانوا على ما يظهر رهن إشارته .

والظاهر أن حفر هذه القنوات كان جزءاً من سياسة عامة شرع فى تنفيذها فى عهد هذا الفرعون ، وتنطوى على كشف كل الجهات الجنوبية كشفاً منظماً وتحسين طرق التجارة والعمل على إنمائها بين مصر وبلاد النوبة . وقد كان آخر عمل قام به « مرن رع » زيارة حدود بلاده . ولا نعلم إذا كانت قد حدثت قبل اعتزال « ونى » خدمة مليكه أو

بعدها، ولكن يفلب على الظن أن « وني » قد شاهد سيده يرى آخر أعماله التي كانت تعد من أكبر مفاخر ماتم على يديه ( حفر القنوات ) وعلى أية حال فإن الزيارة قد تمت وخلدها الفرعون بنقشين عند الشلال الأول . وهذه الرسوم تمثل « مرن رع » متكئا على عصا وخلفه الإله « خنوم » ( إله الشلال ) وأمراء النوبة . ، وتقتست ألقابه الآتية « ملك الوجه القبلي والوجه البحري مرن رع محبوب خنوم رب الشلال » . والتاريخ الذي حدثت فيه الزيارة هو السنة الخامسة ، الشهر الثاني من الفصل الثالث ، اليوم الثامن والعشرون ، ورسم مجيء الملك نفسه وهو يظهر خلف البلاد الجبلية ، حتى أنه يتمكن من مشاهدة ما في هذه البلاد ؛ على حين أن امراء « المجا » ، و « إرثت » ثم « واوات » كانوا يقدمون الخضوع والطاعة ويمتدحونه مدحا عظيما .

ولقد كان من جراء فتح هذا الطريق وتسهيل التجارة بين مصر وبلاد النوبة ، أن قامت رحلات للتوغل في مجاهل هذه البلاد ، وارتداد أقطارها والاتصال بأهلها اتصالا وثيقا . ويمد « حرخوف » أحد عظماء حكام « الفنتين » الذي لا يزال قبره محفوظا لنا للآن على الضفة الغربية من شلال أسوان ، من أعظم أبطال هذا المضمار . وقد قام « حرخوف » هذا بثلاث رحلات في داخل الأقطار الإفريقية قبل وفاة سيده « مرن رع » . وقد كان يحمل لقب ( مدير القوافل ) ؛ وقد قص علينا بنفه المخاطرات المختلفة التي قام بها ، على قبره بكل دقة واختصار وسندعه كطريقتنا في

زيارة الملك  
« مرن رع »  
لحدوده مصر الجنوبية

مثل هذه الأحوال يتكلم بنفسه . وقد بدأ يذكر ألقابه فيقول : الأمير ، السмир الوحيد ، الكاهن المرتل ، التشريفى للملك ، نائب الملك فى « نغن » ورئيس عبادة « نخب » ، حامل الخاتم الملكى ، مدير القوافل ، رئيس كل الأسرار الخاصة بكل أوامر الحدود الجنوبية ، محبوب الملك ، « حرخوف » الذى يحمل كل محصولات الأقطار الأجنبية لسيده والذى يأتى بالجزية التى تستحق ، لأقامة المراسيم الملكية ومدير كل الأقطار الأجنبية فى الحدود الجنوبية ، والذى ينشر سطوة « حور » بين الممالك الأجنبية ، والذى ينفذ كل ما يرغب فيه سيده . . . . . « حرخوف » .

المحمد الاولى : أرسلنى جلالة « مرن رع » سيدى كما أرسل والدى السмир الوحيد والمرتل « إرى » إلى بلاد « إيام » لأ كشف الطريق الذى يؤدى إلى البلاد الأجنبية . وقد قمت بهذا العمل فى ستة أشهر فقط ؛ وقد عدت بكل أنواع الهدايا من هذه البلاد . . . . . وقد أثنى على كثير من أجل ذلك .

المحمد الثانى : أرسلنى جلالاته مرة ثانية وكنت وحدى . وقد سرت على طريق الفتين وذهبت نحو « إرثت » ، و « مخر » وأرض « ترس » ، وذلك فى مدة ثمانية أشهر . وقد عدت بعد أن حملت معى منتجات هذه البلاد الأجنبية بكيات وافرة ، ولم تعرف نظائر لهذه الأشياء قد حى بها من هذه البلاد من قبل . وقد نزلت من مساكن رئيس جهات « سشو » و « إرثت » بعد أن ردت مجاهل هذه البلاد الأجنبية ؛ والواقع أنه لم

يقسن قط لآى سمير ومدير قوافل أن يفعل ذلك ممن وفدوا إلى قطر  
« إيام » من قبل .

الحملة الثالثة : أرسلنى جلالة مرة ثالثة إلى بلاد « إيام » iam ؛ فرحلت من  
« ستشت » ( المقاطعة السابعة من الوجه القبلى ) عن طريق منطقة الواحات (٤) ،  
وقد وجدت رئيس « إيام » الذى قام ضد بلاد لويا « تمح » ليحاربهم  
حتى الحدود الغربية .

وقد سرت بعده لغاية بلاد لويا . وأخضعته لدرجة أنه عبد آلهة  
مليكى . . . . . وبعد أن أخضعت رئيس « إيام » نزلت . . . . . حتى « إرثت »  
وحدود « ششو » ووحدت رؤسا و « إرثت » و « ششو » و « واوات » . . . . ثم  
عدت بنحو ٣٠٠ حمار محملة بالبخور ، والأبنوس ، والزيت ، . . . . وجلود  
الفهود ، والعاج ، . . . وكل المنتجات الطيبة ؛ وعند ما رأى رؤساء « إرثت » ،  
و « ششو » و « واوات » عظم عدد جنود « إيام » وقوتهم ، وهم الذين عادوا معى  
إلى البلاط ، وكذلك الجنود الذين كانوا قد أرسلوا معى ، فإن هؤلاء الرؤساء  
احضروا لى هدايا من الثيران ، والحيوانات الصغيرة وقادونى نحو طرق جبال  
« إرثت » ، وقد كانت عبنى ساهرة بفطنة أكثر من كل سمير ومدير قوافل  
من الذين أرسلوا إنى « إيام » قبل . ومن ثم عاد فى النهر الحادى « خرخوف »  
نحو البلاط . وفد أرسل ( الفرعون ) الأمير ، السير الوحيد ومدير قاعة  
المرطبات المزدوجة ، « خونى » لمقابلته ومعه سفن محملة بنبذ البلح ، والفطير  
والخبز والجمعة . الأمير ، حامل الخاتم الملكى ، والسير الوحيد ، والكاهن



المرتل ، وحامل الخاتم الملكي ، ورئيس اسرار كل أوامر حدود الجنوب ،  
المقرب « خرخوف » .

ولا شك أن الذي يعم في تفاصيل ما جاء في هذه الرحلات لا يتردد  
لحظة في الحكم على « خرخوف » بأنه كان كاشفًا عظيمًا في عصره ، وأنه يمد  
أول من فتح الطريق للكاشفين والرواد العظام في عصرنا للتوغل في  
مجاهل إفريقية وقد جلب الخيرات منها للملك « مرن رع » وسهل سيل  
التجارة بين مصر وتلك الأقطار النائية التي لم يجسر أحد قبله أن يجوب  
مجاهلها ويستفيد منها مثله . ولا غرابة إذن إذا أرسل إليه الفرعون من  
يستقبله وهو عائد من تلك الرحلة الفذة . ولكن أطاع « خرخوف »  
لم تقف عند هذه الرحلة بل سنسمع عنه في عهد الملك الصغير الذي  
تولى زمام البلاد بعد وفاة « مرن رع » .

« خرخوف »  
أول كاشف لمجاهل  
إفريقية

## الملك بيبى الثانى ( نهر كارع )

تدل كل شواهد الأحوال على أن الملك « مرن رع » قد توفي  
وهو لا يزال في بداية العقد الثانى من حياته ؛ وخلفه على العرش أخوه  
« بيبى الثانى » . وقد ذكر لنا « مانيتون » أنه جلس على عرش البلاد  
وهو فى السادسة من عمره . والواقع أن « مانيتون » لم يخطئ فى ذلك ،  
وبخاصة عند ما قال إنه حكم حتى بلغ المائة من عمره ، وبذلك يتكون  
قد حكم نحو ٩٤ عاما إذ كل هذا قد حققته الآثار . ومن الطريف أن

المؤرخ « اراتستونيس » الإسكندري قد أخبرنا أنه حكم مائة عام إلا ساعة واحدة . ولا نزاع في أن « يبي » ضرب بسهم صائب في طول الحكم ، وليس هناك من يضارعه ، غير أنه كما يحدث غالبا ، في مثل هذه الأحوال ، أن نهاية حكمه الطويل كانت نكبة على البلاد ، ورغم تولية الملك صغيرا لم يحدث في البلاط أى اضطراب ، وقد يعزى هذا إلى أن « زاو » خاله ووزيره في آن واحد ، قد حافظ على استتباب الأمن وقع كل خلاف من هذه الناحية . والظاهر أن أمه قد لعبت دورا تمثيلا معه في الحكم في بادئ الأمر ، وربما كان ذلك هو السبب في ظهور اسمها وصورتها معه على إحدى قوش وادى مقارة ، إذ في هذا النقش الذى دون ذكرى لحمة في تلك المحاجر ، نرى أن الملك رغم أنه ذكر بالاسم فإن صورته لم ترسم ، على حين أن صورة والدته قد رسمت . وتدل ألقابها على أمومتها لهذا الملك وللملك يبي الأول : أم الملك ، التابعة للهم المسى « نفر كارع يبقى حيا » ، وروج الملك ومحبوته التابعة للهم « مرى رع يبقى جيلا » « عنخس مرى رع التى يحبها كل الآلهة » .

اشترى الملك  
في حكم البلاد  
لنصر سن الملك

وفى الحق كانت مدة حكم هذا الملك الذى عمر على عرش الملك طويلا مليئة بالبعثات إلى البلاد الأجنبية ، وبخاصة فى الفترة الأولى من حكمه . ولا غرابة فى ذلك فإن سياسة استثمار البلاد الجنوبية كانت قد رسمت من عهد أسلافه وسارت بكل نشاط وفلاح ، ولم يستجد أمام هذا الفرعون ورجال دولته ما يعوقهم عن المضى فى هذا السبيل المتتج ، وبخاصة أنه

كان يدر الخيرات على مصر من تلك الجهات في عهد كانت موارد الملك قليلة نسبيا . ففي السنة الثانية من حكمه قام « حرخوف » بحملته الرابعة وتعد المفخرة العظمى التي توجت تاريخ حياته . والظاهر أنه توغل في داخل بلاد النوبة حتى وصل إلى أقزام أواسط إفريقية وأفلح في اقتصاص قزم أو إغراء واحد منهم ليصحب القافلة إلى البلاط المصري ؛ وقد كان المصريون في كل عصورهم يجعلون لهؤلاء الأقزام أعظم قيمة على أنهم أداة من أدوات الزينة واللهو في البلاط الفرعوني ، ولذلك كانوا يسرون كل السرور عند ما يحصلون على واحد منهم يضاف إلى ذلك ابتهاج صبي صغير في الثامنة من عمره ، فضلا عن أنه كان فرعونيًا ، عند سماعه بإحضار لعبة جديدة حية يتسلى بها ، ولذلك فإن خطابه الذي أرسله إلى « حرخوف » ليسرع في الحضور بالتزم ليس فيه ما يدعو للدهشة بل كان شيئًا طبيعيًا جدًا . ولقد كان من حسن حظ التاريخ أن يكتبه « حرخوف » بنصه على جدران مقبرته مفتخرًا بذلك الشرف العظيم ، وعليه نكون قد وصلت إلينا أقدم وثيقة في التاريخ عن كشف مجاهل إفريقية وارتداد أقطارها التي كانت لم تطرق من قبل . ولا يسعنا هنا إلا أن تقدم للقراء هذا الخطاب الملكي برمته :

الرحلة الرابعة  
لحرخوف

أهمية الالتزام و  
البلاط الملكي

ختم بالملك نفسه في السنة الثانية ، للشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم الخامس عشر .

مرسوم ملكي للسمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، ومدير القافلة « حرخوف » .

نس خطاب الملك  
لخرخوف

لقد فهمت المقصود من خطابك هذا ، الذى أرسلته إلى الملك فى القصر  
لتنبه بأنك قد عدت سالماً معافى من بلاد « إيام » بالجيش الذى كان  
معك . ولقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت معك كل المحصولات  
العظيمة والطيبة ، التى منحتها « حتحور » سيدة « إماو » إلى حضرة ملك  
الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » ( ييى الثانى ) الذى يحيا أبديا ومخلدا .  
وقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت قرزما ( دنج ) يرقص رقصاً  
مقدساً من أرض الأرواح ( تا إخو ) مثل القزم الذى أحضره حامل الخاتم  
المقدس « با وردد » من بلاد « بنت » فى عهد الملك إسيى (١) . وقد قلت  
لجلالتي « لم يحدث قط من قبل أن واحداً مثله قد أحضر من زاروا « إيام » .  
حقاً إنك فعلت ما يحبه ويمدحه سيدك ، حقاً إنك تمضى النهار والليل  
فى عمل ما يرغب سيدك ويحب ويأمر . وجلالته يرغب فى أن يمنحك  
كثيراً من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لابن ابنك أبدياً ، لدرجة أن  
كل إنسان سيقول عند ما يسمع ما فعلته لجلالتي : « هل هناك شئ  
يمثل لما عمل للسميرالوحيد « خرخوف » عند ما عاد من بلاد « إيام » .  
وذلك بسبب القطة التى أظهرها لعمل ما يرغب فيه سيده ، وما يحبه وما يأمر به .  
عد حينئذ فى الحال إلى البلاط نازلاً فى النهر واترك كل شئ آخر (؟)  
ولتخضر معك هذا القزم الذى جلبه معك من بلاد الأرواح حياً وسليماً  
معافى حتى يقوم بالرقص المقدس وليسرى عن القلب وليسر فؤاد ملك  
الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » عاش أبدياً .

(١) كشفت أخيراً مقبرته فى سفارة وفيها رسم قزمية .

وعند ما ينزل معك فى السفينة اعمل على أن يكون رجالك يقظون حوله من ناحيتى السفينة ، واعملى على ألا يسقط فى الماء ، وعند ما ينام فى الليل اعمل على أن يكون رجالك يقظون نائمين حوله فى حجرته ( الكمين ) وقش عليه عشر مرات كل ليلة لأن جلالتي يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل محصولات بلاد « البنت » وكنوزها .

وإذا وصلت إلى البلاط وبصحبك هذا القزم حياً سليماً معافى فإن جلالتي سيقوم بعمل أشياء عظيمة لك ، تفوق التى عملت لحامل الخاتم الإلهى « باوردد » فى عهد الملك إيسى وذلك لرغبة قلب جلالتي فى رؤية القزم . وقد أعطيت الأوامر لحاكم إقليم البلاد الجديدة ، السмир ، مدير الكهنة ليأمر بأعداد المأكولات فى كل قصر بيت المحراث ( ضياع ملكية ) وفى كل معبد دون استثناء .

ولدينا من عهد هذا الملك نقشان اخران لعظيمين من رجال الفنتين لهما أهمية عظمى فإنها يظهران لنا مقدار النشاط فى الكشف الذى كان يقوم به رجال هذا العصر رغم الأخطار التى كانت تحدى بهم ، ورغم انقطاع أخبار بعض الكاشفين ، وكذلك تبرز لنا ناحية خاصة من نواحي التفكير المصرى والعقائد التى كانت تسود هذا العصر . حتى إن المصرى كان يعتقد بأن ارتياد مجاهل البلاد النائية ، كانت من الأعمال الجليلة ، غير أنه كان لا يقبل بأية حال أن يترك جسمه يدفن فى هذه الجهات القاصية ، إذا حدث أن لاقى حتفه فيها ، بل كان يعمل ذووه المستحيل

ليحضره إلى موطنه الأصلي حتى يكفن وتعمل له كل الطقوس والمراسم الجنازية التي كان لا بد منها حتى يكون له نصيب في الخلود بعد الموت، وذلك لأنه كان يعتقد أن خلوده في القبر كان يتوقف على هذه التجهيزات والاحتفالات التي كان لا يتسنى عملها في البلاد القاصية ، ومن أجل ذلك كانت ترسل بعثة خاصة إذا قضت الحاجة لأحضار جثة ، الكاشف المتوفى . وقد حدث أن كاشفاً قد قام بإحضار جثة أحد هؤلاء الرواد فكان الثناء الذي ناله على ذلك عظيماً ولم ينل أى ثناء على إحضار فيل يبلغ طول خرطوميه نحو تسعة أقدام . وليس عجيباً أن يقال في مصر أن التقوى تحمل أولاً ثم تحمل بعدها الفائدة المادية ، وإن كنا أحياناً نشاهد التقوى يضرب بها عرض الحائط إذا تعارضت مع الفائدة الشخصية كما أسلفنا في اغتصاب المقابر . والنقش الأول لموظف كبير يدعى « يبي نخت » وقد قام برحلتين إحداهما إلى بلاد النوبة والثانية نحو شمال البحر الأحمر .

وكان « يبي نخت » يحمل ألقاباً عدة منها أنه كان السميع الوحيد نائب الملك في « نخن » ، ورئيس عبادة « نخب » ومدير كل القوافل والمحترم من الإله العظيم « يبي نخت » . يقول : كنت رجلاً يقول ما هو حسن ، ويكرر ما يجب ، ولم أقل قط شيئاً يسئ إلى رجل قوى ذماً في أى شخص ، لأننى كنت أرغب في أن تعرض الأشياء من جنتى حسنة في حضرة الإله العظيم . لقد أعطيت خبزاً للجائع وكسوت المريان ولم أقض قط بين أخوين بحيث يحرم ابن من متاع والده ، ولقد

الامتنان بفن الجنت  
في مصر واحضرها  
من البلاد الاجنبية  
لهذا الغرض

نقش « يبي نخت »

كنت محبوباً من والدى ، ممدحاً من والدتى ومحبوباً من إخوتى ذكورا وإناثاً .  
لقد أرسلنى جلالة سيدى لأخرب بلاد « إرث » ، فعلت ما  
مدحنى عليه سيدى ، ولقد ذبحت منهم عدداً عظيماً ، من بينهم أولاد  
الرؤساء والضباط المتفوقين من المحاربين (؟) وقد أحضرت معى عدداً  
منهم أسرى أحياء إلى البلاط ، لأننى كنت بطلاً على رأس جيش عظيم  
من الجنود الأقوياء . وقد سر قلب سيدى منى لكل البعوث التى  
وكل أمرها لى .

وعقب ذلك أرسلنى جلالة سيدى لتهدئة الأحوال فى هذه الممالك .  
وقد قت بذلك حتى أن سيدى أثنى علىّ كثيراً أكثر من أى إنسان  
آخر . ولقد أحضرت معى رئيسى هاتين الملكتين سالمتين معافيتين إلى  
البلاط . ومعهما ثيران وماعز حية إلى البلاط . وكذلك أحضرت أطفال  
الرئيسين وضابطى المحاربين الذين نأثوا معها .

أما السبب فى القيام برحلة البحر الأحمر فكان للنجدة ويلخص ذلك  
فى أن أحد الضباط الذين أرسلوا فى حملة إلى سواحل البحر الأحمر واسمه  
« عنخت نينى » وكان يريد أولاً بناء سفينة والسفر بها إلى بلاد « بنت »  
التي كان يمتقد فيها المصريون أنها شبه مقدسة وأن أصلهم يرجع إليها ،  
وعند ما كان « عنخت نينى » هذا منهمكاً فى بناء سفينة غير ملتفت  
إلى ما حوله ، اقتض عليه وعلى رجاله قوة من البدو وقضوا عليهم ؛  
وقد كان من الضروري معاقبة المتعدين على فعلتهم هذه ، ولكن أهم

من ذلك كان إحصار جنة « غنخت نينى » إلى مصر ولعلك أرسل  
« ييبى نخت » ثالثة للقيام بهذه المهمة ؛ فيقول : وعقب ذلك أرسلنى  
سدى نمر بلاد « العامو » ( الأسويين ) لأحضر له السير الوحيد . . . .  
من البحارة « كاعبر » مدير القافلة « غنخت نينى » الذى كان مشغلا  
هناك بيناء سفينة ( للسفر بها ) إلى بلاد بنت ، وقد دامه الأسويون  
الذين ينتمون إلى أهل البدو ، فذبحوه هو وفصييلة الجنود الذين كانوا معه .  
بعد ذلك نجد أن النقش مهشم وكل ما يمكن فهمه هو أنه قام بإنجاز  
المهمة التى أرسل من أجلها . فيقول : لقد ذبحت خلقاً منهم أنا وجنود  
الجيش الذين كانوا معى .

حمة « سبنى » واحضار  
جنة والده

أما ثالث هؤلاء الرحالة من عظماء أسوان فهو « سبنى » قد قام بحملة  
شبيهة بحملة « ييبى نخت » الأخيرة غير أنه لسوء حظه كانت الجثة المكلف  
بإحضارها لمصر هى جثة والده وكان فى هذه المرة قبائل الزوج هم الذين  
سطوا عليه وذبحوه . وقوش « سبنى » مهشمة فى البداية غير أنه فى  
إمكاننا أن نفهم منها المعنى المقصود جملة . ولم يكن « سبنى » عند قيامه  
بهذه الحملة جاهلا بأحوال هذه البلاد التى قتل فيها والده بل يظهر أنه  
كان مدرباً على ارتيادها وكان لا بد له من ذلك ، لأن وظيفة قيادة القوافل  
على ما نعلم كانت وراثية فى حكام هذه المنطقة كما شاهدنا ذلك فى « حرخوف »  
ووالده ؛ فكان الوالد يعلم ولده الأعمال التى كانت تتطلبها وظيفته .  
قام « نغو » والد « سبنى » برحلة ولكنه مات فى خلاها فى



جهة ما فى قلب مجاهل إفريقية فقام ابنه بالبحث عن جثة والده فكتب على مقبرته التى لا تزال إلى الآن بتلال أسوان مع قبر والده يقول :  
الأمير حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، مدير الجنوب ، السمر الوحيد ،  
الكاهن المرتل « سبنى » :

وعندئذ ذهب ضابط السفينة « أتف » ومدير..... « بهكىسى » ليحملوا الخبز ، إن السمر الوحيد والكاهن المرتل « نحو » قد مات وعندئذ صحبت معى جنودا من ضيعتى ومائة حمار وأخذت كذلك عطوراً وشهداً ، وملابس وزيتاً و..... لأقدمها هدايا فى هذه الأقطار وسرت نحو بلاد النحسى (الميد) هذه..... وقد أرسلت أنا سا كانوا عند بوابة الفتين وكتبت خطابات لأخبر الملك بأنى سافرت لأحضر من « واوات » و « أوث »  
واقدم هدايا الأحوال فى هذه الأقطار الأجنبية..... وفى الأقطار...  
التي تسمى « عاتم ثر » . ثم حملت جثة هذا السمر الوحيد على ظهر حمار ثم أرسلته مع فصيلة من جنود أوقافى . وصنعت له تابوتا..... وأحضرت معى..... لأجل أن أقله من هذه الأقطار الأجنبية ، ثم عدت نحو « واوات » و « أوثك » وأرسلت الشريف الملكى « إرى » مع اثنين من ملائكة الفلاحين من ضياعى طليعة ومعها الروائح العطرية..... وحاجز من العاج لأعلم... أنى حملت جثة والدى وكل أنواع هدايا هذه الأقطار . ثم عدت لأضع والدى..... أما من جهة « إرى » الذى كان فى البلاط فإنه أحضر أمراً بتحنيط الأمير ، حامل خاتم الوجه البحرى ، السمر

الوحيد ، الكاهن المرتل «مخو» وقد أحضر..... محنطين ، والكاهن المطهر الأعلى والتشريفي ، والكاهن الأعلى للأوقاف المأتمية والبكائين وكل قربان بيت التخطيط . وأحضر زيت الطقوس الخاص بيت التخطيط ، والأشياء السرية لبيت التطهير المزدوج والخاصة بيت السلاح . وملابس من بيت المال ، وكل الملحقات الجنازية أتت من البلاط كما كان الحال في أمر الأمير « مرو » . وعندما وصل « إرى » أحضر معه مرسوما ليشي على ما فعلته وقد ذكر في هذا المرسوم : « لقد فعلت لك كل الأشياء الممتازة تذكراً لهذا العمل العظيم لأنك أحضرت والملك ..... » ولم يحدث مثل هذا من قبل :

احضار جنة والد  
«سبنى» المسمى «مخو»  
وتجهيزها

ودفنت والدى في هذا القبر من الجبابة ، على أنه لم يدفن رجل في هذه الدرجة بالطريقة التي دفن بها . ثم نزلت في التهرنخو « منف » حاملاً معي متبجات هذه الأقطار الأجنبية وكذلك ما كان والدى قد جمعه ..... جيشى و« النحسى » ( النخاسة ) ..... والخادم « سبنى » قد أتى عليه في البلاط ووجه الملك له مدحاً لأنه كان صاحب خطوة عظيمة عند الملك ..... وقد أعطيت صندوقاً من خشب الخروب يحتوى على عطور وزيت . وكذلك منحت حقيبة من الكتان ..... وملابس . وكذلك أعطيت ذهب الجدارة ، وكذلك تسلمت قرايين من اللحم والطيور ..... وعندما كانت تقرب الذبائح كان يذكر ما فعله لى سيدى .

وقد قيل للخادم « سبنى » : لقد أوتى بمرسوم من الفاضى الأعظم

والوزير . . . . . بلدة « نخب » الكاهن الأعظم « آتى » الذى كان وقتئذ  
 فى « برحتحور رسيث » قائلا : إنه يمكننى أن أحضر والدى فى الحال  
 ويمكننى أن أدفنه فى قبره شمالى « نخب » . ولقد منحت ٣٠ أرورا (١)  
 من الأرض فى الشمال والجنوب وقفا من الهرم المسى « من عنخ فكركارع »  
 تقديرا لى .

ولسنا فى حاجة للتعليل على رحلة « سبنى وما قام به نحو والده فالمتن  
 يعطينا صورة ناطقة عن العادات والشعائر الدينية التى كانت تجرى فى هذه  
 الفترة فى مصر وستترك ذلك للقارىء نفسه .

وقبل أن تتم كلامنا عن عصر « بيبى الثانى » نرى لزائما علينا أن  
 نلقى نظرة إجمالية عن بيت أسرة الأمير « زاو » وهو كما ذكرنا من قبل  
 شقيق زوجتى « بيبى الأول » وخال « بيبى الثانى » ووزيره لفترة من  
 حكمه الطويل . وقد كان أمراء هذا البيت حكاماً وراثيين لمقاطعتى  
 هراكنبوليس ( مقاطعة جبل الثعبان وهى الثانية عشرة بالنسبة لمقاطعات  
 الوجه القبلى ) وكذلك كانوا حكاماً لمقاطعة طينة ( المقاطعة الثامنة من الوجه  
 القبلى وهى العراة ) .

أسرة « زاو » فى  
 المقاطعتين ١٢ ، ٨  
 من الوجه القبلى

والظاهر أن هذه الأسرة يرجع نسبها إلى الوزير « مرى » ، وقد  
 تزوج من إحدى بنات الملك « تيتى » ، وقد بقى عطاء هذه الأسرة  
 يتقلدون فى مناصب الدولة العظيمة حتى تولى « زاو » رئاسة الوزارة فى

(١) الارور مقياس يونانى ويقابله بالمصرية « استات » وهو يساوى نحو ثلاثى فدان تقريباً

عهد « يبي الثانى » وأصبح هو المسيطر على كل الأمور فى البلاد لما له من الصلة الوثيقة بالفرعون الصغير وقد ترك من بعده ابنه « إبنى » وكان فى أول الأمر حاكماً لمقاطعة « هراكنبوليس » ثم المقاطعة « طينة » بالوراثة عن أبيه . وأخيراً عين حاكماً للجحوب . وقد ترك كل من « زاو » و « إبنى » نقوشاً على قبريهما . وهذه النقوش لا تختلف كثيراً عن النقوش التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد ، اللهم إلا بعض جل تخرج أحياناً عن حد المألوف قد جاءت ضمن نقوشها فتلا نجد على مقبرة الأمير « زاو » : إبنى لم أقدم احترامى لأى رجل ولكن احترامى كان يقدمه لى العظماء ، ولقد عمل لى تابوت وقربان ملكية من البلاط بمقدار عظيم جداً فى عهد جلالة الفرعون « مرن رع » .

أما مقبرة « إبنى » فقد وجدنا فى نقوشها الروح التى يظهرها كل مصرى تحايلاً على استمرار بقاء . وقف قبره وعدم الاعتداء عليه ، ولذلك قد استعان بالتهديد وقوة التعاويذ السحرية التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد ، وبخاصة أن الملوك كانوا يستعملونها ويستعينون بها على المحافظة على أهرامهم ، وأوقافها وكذلك كان يبرى نفسه أمام العالم من كل المظالم التى كان يقرتها الناس فيقول : إذا دخل أى إنسان هذا القبر مدعياً ملكيته فإنى سأقتض عليه كطائر مفترس ، وإبنى روح فاتكة ، وإبنى أعرف كل التعاويذ وأسرار البلاط فى الجبانة ، وإبنى المحبوب من والده والمثنى عليه من والدته و«المقرب» «إبنى» ثم يقول : إبنى أعطيت خبزاً للجائع ، وملابس للعريان ، ... وجوباً ،

« زاو » وزير  
« يبي الثانى »

نقوش مقبرة « إبنى »

وثيرانا وفلاحين من أوقافى الخ .

وقد ترك « إى » ورثا له على مقاطعته ابنه « زاوشما » ولكن يظهر أنه لم يعمّر طويلا فورثه ابنه وسمّيه « زاو » ، وكان كذلك حاكما على طينة ؛ وقد دفن مع والده « زاوشما » فى المقبرة التى أقامها له فى جبانة « هراكنبوليس » فى عهد « ييى الثانى » .

وقد ذكر لنا كيف دفن والده بكل عظمة وأبهة ونجد ذلك كثيرا على مقابر هذا العصر ولكن الأمر الذى يلفت النظر فى هذه النقوش أنه أظهر رغبته فى أن يدفن مع والده فى القبر الذى أقامه هو له ؛ ولم يكن ذلك من عجز كما يقول فى عمل مقبرة أخرى له خاصة ولكن حبا منه فى أن يكون على مقربة من والده ويراه كل يوم . فيقول : لقد دفنت والدى الأمير « زاو » بطريقة فاخرة جميلة أحسن من أى فرد من أسرته الذين فى الجنوب . وقد التمت أن يشرفنى جلالة سيدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » ( ييى الثانى ) عاش أبديا بمنحى تابوتا وملابس وعطورا جنازية لوالدى « زاو » هذا ؛ وقد أمر جلالتة مدير الأوقاف بأن يحضر تابوتا من الخشب وكذلك زيت العيد ، وملابس و ٢٠٠ قطعة من الكتان الممتاز ومن كتان الجنوب الرقيق ، وأقشة تصرف من بيت المال ( البلاط المزدوج ) لوالدى « زاو » هذا على أن هذه الأشياء لم تعط قط لأحد فى نفس هذه المنزلة .

دفن الابن مع والده  
فى مقبرة واحدة

وكذلك وصيت أن يكون دفنى فى نفس القبر مع « زاو » هذا

حتى أكون في صحبته في نفس المكان ، ولم يكن ذلك عن عجز  
منى لبناء مقبرة ثانية ، ولكنى فعلت ذلك رغبة منى في رؤية « زاو »  
هذا كل يوم ، ولأنى أريد أن أكون معه في نفس المكان .

هذه صفحات من أخلاق هذا العصر وعاداته وهى فى الحق تكشف  
لنا عن نواح طريقة مختلفة فى حياة المصرى رغم أنها قد كتبت على  
القبور والباحث فى تاريخ مصر لا يمكنه أن يصل إلى معرفة تاريخ البلاد  
إلا بتحليل مثل هذه النقوش واستنباط الحقائق التى نراها قد جات عفوا  
وعن غير قصد . والواقع أنا نجد فى أسرة « زاو » دروساً عدة من  
الوجهة السياسية والاجتماعية والدينية . فقد كانوا هم القابضين على زمام  
البلاد فى عهد « يبي الأول » و « يبي الثانى » لما كان لهم من المكانة  
فى البيت المالك لقربانهم له ولما لهم من المجد القديم ؛ إذ كانوا حكام  
مقاطعتين وراثيتين من أعظم مقاطعات البلاد ، وكذلك لأنه كان منهم  
الوزير وحاكم الجنوب ، ولكن رغم كل هذا فإن عوامل الضعف كانت  
قد أخذت تدب فى البلاد ، وكانت قوة الملك أخذت فى التدهور شيئاً  
فشيئاً مما سنفصله بعض الشيء هنا . إذ بعد اختفاء « يبي الثانى » هوت  
البلاد دفعة واحدة إلى الحضيض ولم تقم لها قائمة مدة طويلة من الزمان  
والأسباب التى أدت إلى ذلك سنشرحها ببعض التفصيل فيما بعد .

وخلف « يبي الثانى » فرعون آخر يدعى « مرن رع محتى إم ساف »  
غير أننا لا نعرف شيئاً عن حكمه وتولى العرش بعده كما يقول « مانيتون »

تعود أسرة زاو

ملكة تدعى « نيتوكريس » التى كانت تعد أجمل نساء عصرها ، وكانت شقراء اللون . وقد تكلمنا عن هذه الملكة والملابس التى حدثت فى اسمها واسم الملكة « خنت كاوس » عند الكلام عن الأخيرة ولا غرابة فإن نهاية الأسرة السادسة كانت غامضة ولم نعر فى الآثار للآن على ما يكشف لنا القناع عن الحقيقة وربمابقى ذلك سرّاً غامضاً إلى الأبد ، لأن خاتمة الأسرة كانت عصر ثورات واضطراب لم يبق فيه من الآثار ما ينبير لنا الطريق .

## مخطوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفراعنة فى الأسرة السادسة آخذة فى التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة فى عهد الفرعون « بيبى الثانى » الذى حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال وقد انتهى الأمر بعده بانحلال البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب فى ذلك إلى أمرين هامين : الأول إغارة الأجانب من البدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم المهرطقة المنكرة التى لحقت بهم فى عهد « بيبى الأول » لم يفقدوا الأمل فى غزو البلاد المصرية التى كانت فى تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد الملك « بيبى الثانى » لنيل ما ربههم إذ كانت الأحوال

مهيئة لهم . فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثيين منهمكا في المحافظة على مقاطعته التي كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة . أما في الوجه البحرى الذى كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفتين حول الملك بعض الشيء ، ودافعوا عن بلادهم ، غير أنه ليست لدينا وثائق تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط ولكن على أية حال كان موقف الحكومة المصرية في هذا العهد في حالة يرثى لها حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة امتد أمدها أكثر من قرنين من الزمان كانت البلاد تزرع خلالها تحت عبء ثقل من الفوضى والخراب إذ كان سلطان فرعون قد زال وأملاكه قد اختفت والحقوق المدنية والدينية قد تولاهما كل من كان في قدرته أن ييسط يده عليها ، وأخذ كل شخص يغير على ما يستطيع أن يصل إليه ، ضاربا بكل نظام وقانون عرض الحائط ، وقد كان من جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط وعم الانحلال الخلقي وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة وليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم إلا معلومات ضئيلة جدا ولكن من جهة أخرى قد أسعقتنا الوثائق الأدبية الشعبية إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على أذهان القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القصاصين فنراهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قاست من ويلات وخراب بعبارات مؤثرة جداً خارجة من الأعماق . وأهم كتاب وصل



إلينا من هذا العصر هو « تحذيرات نبى » وهو من الكتب الأدبية النادرة فى حسن تركيبها وتأثيرها فى النفس حتى أن أدباء المصور التى تلت كانوا يتخذونها نموذجاً أدبياً يدرس فى المدارس، ومن المرحج جداً أنها كتبت فى عهد الأسرة التاسعة والعاشرة . ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه القطعة الأدبية تصف لنا أول انقلاب اجتماعى فى آخر عهد الدولة القديمة الذى كان سببه الفوضى ويشبه فى تصويره حالة البلشفية المتطرفة فى تاريخ العالم . وموضوع هذه التحذيرات هو أنه حاقت بالبلاد مصيبة شنعاء فى عهد أحد حكام الأزمان القديمة فثار عامة الناس على الموظفين وعلية القوم ، وكذلك عصى الجنود المرتزقة من الأجانب قادة البلاد ، ويحتمل أن الأسويين هددوا الحدود الشرقية أيضاً ؛ وبذلك انفحل الحكم المنظم فى مصر جملة . ولكن الملك الطاعن فى السن كان يعيش فى طمانينة فى قصره لأنه كان يغذى بالأكاذيب . وعندئذ ظهر حكيم يدعى « إبور » وأخبر الملك بكل الحقيقة فوصف له البؤس الذى عم البلاد وتنبأ بما سيأتى بعد ، وحرّض سامعيه على أن يحاربوا أعداء البلاد ، وذكّروهم بأن عبادة الآلهة لابد أن تعاد إلى ما كانت عليه .

والعهد الذى حدث فيه هذا الانحلال فى نظام الحكم لابد أن يكون فى نهاية الدولة القديمة وذلك أنه فى ختام الأسرة السادسة ( ٢٥٠٠ ق م ) أخفت مصر عن الأعين فجأة وصارت فى ظلمة كأن مصيبة عظيمة قد نزلت بها . وأن ما ذكر هنا من أن الملك الذى كلن يخاطبه الحكيم كان

مستأً يتفق تماماً مع الحقائق التاريخية ، لأن الملك الذى اختفت معه الدولة القديمة عن أعيننا لا يكون إلا الملك « ييبى الثانى » الذى جلس على عرش الملك فى السنة السادسة من عمره وحكم مدة أربعة وتسعين عاماً كما نقل عن المصريين أنفسهم .

يتبدى المتن بوصف البؤس العام الذى حلّ بالبلاد من سرقة وقتل وتخريب وقحط ، وتشريد الموظفين وتفكك الإدارة ، والقضاء على التجارة الخارجية وغزو الأجانب البلاد وتولية الفوضى مراكز الطبقات العليا فيذكر الحكيم : إن أهالى الصحراء قد حلوا مكان المصريين فى كل مكان وأصبحت البلاد مملوءة بالمصائب حتى أن الرجل كان يذهب ليحرق أرضه ومعه درعه ، وشجبت الوجوه وكثر عدد المجرمين ولم يعد هناك رجال محترمون ، وقد الناس الثقة فى الأمن ؛ وعلى الرغم من فيضان النيل فإنهم أحجموا عن الذهاب لفلاحة أراضيهم خشية اللصوص وقطاع الطرق ، وصارت النساء عاقرات ولم يعد هناك حمل بسبب إغراض الإله « خنوم » عن هذا العمل غير المجدى . وأصبح المعوزون يمتلكون أشياء جميلة بينما نجد الأشراف فى حزن لا يشاطرون أهلهم أفراحهم ، ثم أن القلوب صارت ثائرة والوباء انبث فى كل الأرض والدم أريق فى كل مكان . وكثر عدد الموتى حتى أصبحت جثثهم من الكثرة بحيث استحال دفنها ؛ ولذا فإنها أُلقيت فى الماء كالمشاة الميتة . وأصبح أصحاب الأصل الرفيع مغممين بالحزن بينما امتلأ الفقراء سروراً ؛ وكل بلدة تنادى

قائلة فليقص أصحاب الجاه عنا ؛ وصارت الأرض تدور كمجلة صانع الفخار ،  
فأصبح اللص صاحب ثروة وتحول النهر إلى دماء عاقها النفوس ، ودمرت  
البلاد وصار الوجه القبلى صحراء جرداء ، وأصبحت التماسيح فى تخمة بما  
قد سلبت ، وانتشر حفارو القبور فى كل مكان بسبب كثرة الموتى ، وخربت  
المنازل ، وأصبح المصريون لا يرون الآن ، وصار الذهب واللازورد والفضة  
والياقوت تحلى جيد الجوارى بينما تمشى السيدات النيبالات فى طول البلاد  
يقطن : « ليت لدينا بعض الشئ لئلا نكل ، وصارت أعضاؤهن فى حالة يرثى  
لها لما عليها من الحرق البالية ؛ وقلوبهن تنفطر حزناً عندما يشاهدون أنفسهن  
فى حالتهم هذه . وأصبح مهندسو السفن الملكية يشتغلون عمالاً عاديين ،  
ولم يعد الناس يذهبون إلى « بيلوص » ( وهى جيبيل بلبنان ) لاحتضار خشب  
الأرز لأجل الموميات وأصبحت المدن لا تؤدى الضرائب بسبب القلاقل  
وصارت الخزينة من غير دخل . وقضى على الضحك ولم يعد يسمع ، بينما  
أخذ الحزن يتمشى فى طول البلاد وعرضها ممزوجاً بالأسى ، وكره الناس  
الحياة حتى أصبح كل واحد منهم يقول « ليتنى مت قبل هذا »  
والأطفال الصغار يقولون : « كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد  
الحياة » ، وأولاد الأثماء يضرب بهم عرض الحائط والأطفال الحديثو  
الولادة يلقون على قارعة الطريق ، وانتزعت موميات عليا القوم من مقابرها  
وألقيت فى الطريق العام وأصبح سر التحنيط جهرآ . وألقى المواطنون على  
أحجار الطواحين ، وأصبح الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل يجلدون ،

واضطرت سيدات الطبقة الراقية اللاتي كن يسكن في البيوت إلى العمل الشاق في حرارة الشمس ، وأصبحت اللاتي كن على أسرة أزواجهن ينمن على مضاجع مقضنة وصارت السيدات مثل الجوارى . وتحولت أغاني العازفين إلى أناشيد حزن ، وأصبح الرجل الأحق يشك في وجود ( الإله ) فيقول :  
..... « إذا عرفت أين يوجد الإله قدمت له قرباناً » ، وأصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد ، والرجل يقتل أخاه من أمه ، والطرق شائكة ، فاللصوص يكمنون في الحشائش حتى يأتي المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه حمله ويسرقوا ما عليه ثم يضربوه بالعصى حتى يقطع نفسه ثم يذبح ظلماً .  
وقد انمحي ما كان يشاهد بالأمس واتلفت المحاصيل ، وأصبح القوم يأكلون الحشائش ولم تعد هناك فاكهة ولا أعشاب تقدم للطيور . وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير بسبب الجوع ، وانعدمت الغلال وجرد القوم من الملابس والعطر والزيت وصارت المخازن خاوية ، وسلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة وأذيت التعاويذ السحرية التي كانت ملكاً للحكومة ، ونهبت الإدارات العامة ومزقت قوائمها ، وذبح الموظفون وصار القوم يطأون بأقدامهم قوانين قاعة المحاكمة ، والفقراء يروحون ويحيئون في البيوت العظيمة ( المحاكم العليا القديمة ) دون خوف ولا وجل .

وبعد ذلك يأخذ الحكيم في وصف مصائب حلت بالبلاد تفوق بمراحل تلك التي سبق أن شكا منها ؛ إذ تنهار الملكية وينتصر العامة وهنا يظهر ثانية كيف أن الأغنياء أصبحوا فقراء ، بينما أصبح الفقراء أثرياء فيقول . ( أنظر

فقد حدثت أشياء لم تحدث فيما مضى ؛ إذ اغتصب الفقراء القبر الملكى ، وأصبح الملك النبى دفن كصقر يرقد على نعش ، وآل الأمر إلى أن حرمت البلاد الملكية بسبب بعض القوم الذين لا شعور لهم ، وأظهر الناس العداء للملك الذى جعل الأرضين فى سلام ، وأفتشت الأسرار الملكية وأصبح مقر الملك رأساً على عقب ، وامتلات الأرض بالعصابات ، واغتصب الجبناء الرجال الشجعان ، وأصبح من لم يكن فى مقدوره أن يصنع انفسه تابوتاً يملك قبراً قد اغتصبه لنفسه ، وألقى بأرباب المكان الطاهر ( الموتى ) على قارعة الطريق . وحدث أن الذى لم يكن يستطيع أن يقيم لنفسه حجرة يملك فناء مسوراً ، وطرد حكام البلاد وأصبحوا ينامون فى المحازن ، واضطرت السيدات الكريكات إلى الرقاد على الفراش الخشن وأصبح الرجل الميسور ينام ظمآن ؛ وذلك الذى كان يستجدى منه العقاقير صار يملك الجعة المسكرة ، والذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، وذلك النبى كان لا ينسج لنفسه أصبح يملك الكتان الجميل ، ومن لم يبن لنفسه قارباً أصبح الآن صاحب سفن ، ومن لم يكن له ما يظله أصبح يملك أفياء ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العواصف ، وأصبح من كان يجمل الضرب على العمود يملك قيثاراً ، وذلك الذى لم يكن يغنى له أحد أصبح الآن مثنى عليه من إلهة الموسيقى ، وأصبح من كان ينام أعزب بسبب الحاجة يجد الآن سيدات نيلات ، ومن كان لا يملك شيئاً ، صاحب ثروة ويمتدحه الأمير تملقاً ؛ ومن كانت لا تملك صندوقاً صاحبة

صوان ، ومن كانت تشاهد وجهها في الماء صاحبة مرآة ؛ وأصبح القصابون  
يفشون الآلهة ، فيقدمون لهم ذبيحة من الأوز بدلا من الثيران ولم يعد  
هناك موظف في موضعه اللائق به ؛ وأصبح الناس كالقطع المذخور من  
غير راع . أما الماشية فهي تجول ولا أحد يعنى بها وكل إنسان يأخذ  
لنفسه منها ما يريد ، وأصبح الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه في الضيق  
لينجو بنفسه ، ولم يعد هناك صانع يعمل إذ أن المدود قد حرم البلاد حرفها ) .  
ثم يأخذ الحكيم في حث المحلصين للعرش على مقاومة اعداء الجالس عليه فيأمرهم  
بتدمير خصوم المقر الملكي صاحب الموظفين المتفوقين وصاحب القوانين العدة .  
ثم ينتقل الحكيم إلى تذكير القوم بعبادة الآلهة وكيف كانت تجرى  
فيما مضى وكيف يؤل أمرها في المستقبل : فيذكرهم كيف كانت تجلب  
الأوز سمينة وتقرّب إلى الآلهة ، وكيف كانت تقام عمد الأعلام عند  
مدخل المبد . وتنقش ألواح القربان وكيف كان الكهنة يطهرون المعابد ،  
وكيف كانت ترعى الأنظمة وتذبح الثيران .

ينتقل الحكيم بعد ذلك إلى مخاطبة الملك المسن فيقول له : إن القيادة  
والفطنة والصدق معك ولكنك لا تنتفع بها ، فالفوضى ضاربة أطناها  
في طول البلاد وعرضها ، ولكنك مع ذلك تغذى بالكاذب التي تسلى  
عليك ، فالبلاد قش ملتهب والإنسانية منحلة ، ليتك تذوق بعض هذا  
البؤس بنفسك ) ...

بعد ذلك يصف لنا الوقت السعيد الذي يحفظه المستقبل فيذكر : أنه

لحسن عند ما تشيد أيدي الناس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشئ للآلهة  
مزارع فيها أشجار ، وعند ما يكون السرور شاملا وكبار الموظفين واقفين  
ينظرون إلى الأفراح وهم يرتدون أجمل الثياب ، وعندما تكون الأسرة  
وثيرة ووسادات العطاء محمية بالتعاونيد التي تقيهم الأرواح الشريرة . بعد ذلك  
نشاهد فجوة كبيرة في المتن لا بد أنها كانت تحوى جواب الملك على هذا الكلام .  
ثم يجيبه الحكيم بأن القوم يغطون وجوههم من المستقبل ويستمر في وصف سوء  
حال البلاد واقتحام مقاصير القبور وحرق التماثيل . غير أن المتن مهشم تماماً .

## الأسرتان السابعة والثامنة

مقدمة : يعد العصر الذى تلا الأسرة السادسة إلى ظهور الأسرة الحادية  
عشرة من أظلم العصور في تاريخ مصر . وقد اختلف المؤرخون في تقدير طول  
هذا العصر فقدره الأستاذ فلندرز بترى بنحو ٣٤٤ سنة وذلك من بداية  
الأسرة السابعة الى الأسرة الحادية عشرة . وقدره الأستاذ برستد بنحو  
٣١٥ سنة من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة .

والواقع أن هذا العصر يجذب في الحقائق التاريخية وما ذلك إلا لعدم  
وجود آثار معاصرة وبخاصة في عهد الأسرتين السابعة والثامنة . وكل ما  
يمكن الإشارة إليه من الآثار في عهد هاتين الأسرتين بعض جعارين للفرعون  
« نفر كا رع » الذى يظن أنه من فراغة الأسرة السابعة . وكذلك اسطوانة


من حجر البشم الأخضر تعزى إلى الفرعون « خندو » ويقال أنها من صناعة سورية . وهذا الفرعون « خندو » ينتسب إلى ملوك الأسرة الثامنة . وكذلك عثر على خاتم للفرعون « نفر كا رع تلولو » رب الشمال ، وعلى مراسيم للفرعون « نفر كا و حور » وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد .

عثر على جعران لفرعون اسمه « رع إن كا » وهذا الجعران رغم ما عليه من الإشارات المصرية فإنه وجد عليه رسم يدل على إنه من أصل سامى محض وهو يشبه الرسم الذى على إسطوانة الفرعون « خندو » . وهذه الدلائل التى ذكرناها رغم قلتها مضافة إلى الفوضى التى سادت البلاد فى هذا العصر تزكى الفكرة القائلة بأن البلاد فى هذه الفترة قد غزاها قوم من أهالى سوريا . وهى نظرية يميل إليها الكثيرون من المؤرخين المحدثين .

غزو البلاد فى عهد  
الاسرتين السابعة  
والثامنة

والظاهر أن هؤلاء الفراعنة الذين حكموا البلاد فى خلال هاتين الأسرتين لم يشيدوا مباني عظيمة كأسلافهم فى طول البلاد وعرضها ؛ إذ الواقع أننا لم نعثر لهم فى مجاور سيناء والحمامات على أى أثر من النقوش ؛ إذ كان المتبع فى عهد أسلافهم أن كل ملك من الذين أقاموا المعابد العظيمة ينقش اسمه على صخور هذه الجهات تذكراً للحملات التى كان يرسلها لقطع الأحجار النادرة لمهاراته ومقابره الخالدة . ويظن الأستاذ بترى أن الوجه البحرى وجزءاً من الوجه القبلى قد غزيا فى نهاية الأسرة السادسة بل يقال إن قوماً من الشمال الشرقى من سوريا فتحوا مصر ولا يبعد أن يكون ذلك مقدمة للفزوة العظيمة التى قام بها الهكسوس للبلاد فيما بعد ،



وأهم ما لدينا من الدلائل على حدوث هذه الغزوة ظهور الأزرار التي كانت تتخذ شارات منذ نهاية الأسرة السادسة ثم اختفت في الأسترتين التاسعة .  
والعاشرة . وهذا النوع من الأزرار التي عثر عليها في مصر رغم وجود بعض الأشكال المصرية البحتة عليها أحياناً مثل علامة ( ♀ الحياة ) وعلامة الصقر  - كان الطابع الأجنبي ظاهراً في صناعتها واضحاً .

هذا إلى أن الإسطوانات الخضراء التي عثر عليها من عصر الملك « خندو » هي صناعة أجنبية بغير شك ؛ وإن كان بعض التفاصيل التي عليها مصرية . ولا يفوتنا كذلك ذكر بعض أسماء وجدت في هذا العصر مثل « شامى » و « فى » و « تلولو » و « عانوا » يستدل من تركيبها أنها سامية الاشتقاق . وكذلك كان نفوذ الفرعون قد تدهور تدهوراً عظيماً في نهاية حكم الملك « ييبى الثانى » كما أسلفنا ، وسادت الفوضى البلاد حتى أننا لا نعرف من الآثار التي بقيت لنا من عهد الأسرة السابعة شيئاً محدوداً . وكل ما وصل إلينا كان عن طريق رواية « مانيتون » . فقد روى لنا أن هذه الأسرة كانت تضم سبعين فرعوناً حكموا سبعين يوماً ؛ ولا نظن أن مثل هذه الأسرة كان لها وجود بهذه الصفة ، بل ربما ضرب لنا « مانيتون » ذلك مثلاً للفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة .

#### الأسرة الثامنة القبطية ( ٢٢٨٠ - ٢٢٤٠ ق . م )

أما الأسرة الثامنة فرغم ورود أسماء ملوكها في قوائم الفراعنة فإن تاريخها غامض غموضاً تاماً اللهم إلا بعض حقائق عن بعضهم ضئيلة سنذكرها

فيا بعد . ففى قائمة العراة نجد أسماء ١٧ فرعوناً حكموا زماً فى عهد هذه الأسرة وفى قائمة تورين نجد مذكوراً ثمانية فراعنة فقط ؛ أما المؤرخ « مانيتون » فانه ذكر لنا أن عدد ملوكها ثمانية عشر دون أن يذكر أسماءهم ؛ على حين أن قائمة سقارة لم يرد فيها ذكر فرعون بعد « ييبى الثانى » الى أوائل الأسرة الحادية عشرة ، أى أنها أهملت الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشره ؛ هذا ما ورد فى القوائم ، أما الآثار فإنها لم تذكر لنا ما يشفى غلة . حقا أنه يوجد فى سقارة بعض أهرام لابد أنها أقيمت بعد عهد « ييبى الثانى » غير أننا لم نتحقق من بينها اسم ملك . ولكن إذا حكمنا حسب الأسماء التى ذكرتها لنا قائمة العراة فى عهد الأسرة الثامنة وجدنا أن فراعنة هذه الأسرة قد بقوا محافظين على تسمية أنفسهم بأسماء أسلافهم فى معظم الأحيان . فمثلاً نجد من بين ملوك الأسرة الثامنة خمسة فراعنة تسموا باسم « فركارح » وواحد تسمى باسم « ددف رع » وآخر أطلق على نفسه اسم « فرياد كارح » وهكذا . والظاهر أنه كان من جراء الحركة التى قام بها حكماء المقاطعات للمحافظة على إستقلالهم فى مقاطعاتهم منذ الأسرة السادسة ، أن حاكم مقاطعة فقط آنس من نفسه القوة فضم الى مقاطعة المقاطعات السبع العليا من الوجه القبلى . وأسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة منف . ومما يؤسف له أن « مانيتون » لم يذكر لنا شيئاً مطلقاً عن هذه الأسرة القبطية ويرجح أنها قد مكثت نحو أربعين عاماً . وقد حفظت لنا الآثار أسماء بعض فراعنتها إذ عثر فى فقط نفسها على بعض آثار تدل على أن فراعنتها كانوا يحملون

كل الألقاب الفرعونية . وقد كانت قطعة ضعف ملوكها أنهم كانوا يغفرون وزراءهم الذين كانوا ينتخبون من أسرة خاصة بسلطة واسعة حتى أنهم كانوا في الواقع هم المسيطرون الحقيقيون على شئون هذه المملكة . وقد عثر على مراسيم عدة للفرعون « نفر كا حور » أحد ملوك هذه الأسرة في قفط نفسها ، منها مرسوم خاص بوقف تمثال لفرعون . وقد أرسل الأمر الخاص بهذا الوقف إلى رئيس كتبة الحقول للمقاطعات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من مقاطعات الوجه القبلى لتنفيذه ؛ ولا نزاع فى أن جميع الحقول الفرعونية فى المقاطعات الخمس السالفة الذكر هى المقصودة لتجسب على هذا التمثال مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الممتلكات كانت ضئيلة وإن أملاك الفرعون فى المقاطعات أخذت تتناقص وتتضاءل بسبب ما كان يهبه الفرعون لحكام الأقاليم من أملاكه الخاصة فى هذه الجهات مما زاد فى سلطانهم وقلل من نفوذه وأضعف سلطانه . وكذلك لدينا مرسوم آخر يعد من أهم المراسيم الإدارية التى عثرنا عليها من هذا العصر إذ فيه نصب الفرعون وزيره « شماى » مديرا على الوجه القبلى ووضع تحت سلطانه الاثنى والعشرين مقاطعة التى كان يشتمل عليها صعيد مصر مع ذكر اسم كل منها من البداية إلى النهاية حسب ترتيبها الجغرافى . وبعد فترة عين الفرعون وزيرا آخر لا نعرف اسمه ويحتمل أنه ابن « شماى » ليكون مديرا للوجه القبلى ؛ غير أنه قد حدد اختصاصه بالمقاطعات السبع الجنوبية فقط ، ومن ذلك نرى أن الوزير قد اشترك معه ابنه فى حكم المقاطعات التى

تحت سلطانه ( من المقاطعة الأولى إلى السابعة ) من الوجه القبلى . ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن وظيفة الوزير التى أنشأها الفرعون لكبح جماح حكام الأقاليم أصبحت وراثية يتولاها الإبن عن الأب مما جعل نفوذ الملك صفرا . وقد كان كذلك من حسن الصدف أن عثرنا فى هذا العهد على مرسوم آخر فى قفط لفرعون يدعى « دمراب تاوى » وهذا الفرعون لم يذكر فى قوائم الفرائعة المعروفة لدينا لهذا العهد ، غير أنه من المحقق أنه من هذه الأسرة وقد تأكدنا ذلك من اسم الوزير الذى ذكر معه . وقد جاء فى هذا المرسوم أن الفرعون كان يهدد بالعقاب الصارم كل أهل هذه الأرض الذين يعتدون على الأوقاف أو تلفون أو يهشموا النقوش أو المعابد أو موائد القربان أو تماثيل الوزير « إدى » التى توجد فى كل المعابد والأماكن الدينية . أليس من المدهش أن نرى للوزير « إدى » تماثيل وقربانا فى كل المعابد التى فى الوجه القبلى وأن يحافظ عليها ويعتنى بها بهذه الكيفية ؟

وأدهش من ذلك أنه بجانب العقاب الدنيوى الذى يقام كل من تعدى على حقوق هذا الوزير أن نرى الفرعون يعلق أهمية كبرى على العقاب فى الآخرة . إذ يقول : أن المعتدين لن يجمعهم الإله ؛ مع الملائكة المطهرين بل سيوثقون ويكبلون ويساقون أسرى للإله أوزير ولآلهة مدنهم . وهنا نشاهد أن الإله أوزير والآلهة المحلية كانت تعبد قضاة وقد كانت هذه المكانة محفوظة للإله « رع » حتى هذه الفترة وذلك مما يدل على الإقلا ب الدينى ضد عبادة هليوبوليس ( عين شمس ) ومملكة منف.

وأخيراً نرى أن الفرعون « دمز إب تاوى » يهدد بسخطه وغضبه كل الموظفين بما فيهم الفرعون والوزير والأمراء الذين يعارضون في تنفيذ هذا المرسوم . على أننا سنشاهد مثل هذا التهديد للفرعون في مرسوم في عهد أواخر الدولة الوسطى وهو عصر يشبه الذى نحن بصددده الآن من حيث الاضطراب والفوضى والغزو . ولا شك أن مثل هذه الحالة من العلامات المميزة لعصور الفوضى والاضطراب . ومنذ بضع سنين عشر على مقبرة لأحد حكام مقاطعة أدفو في بلدة المعلقة وقّع في منتصف الطريق بين إسنا وأرمنت على الشاطئ الأيمن للنيل . وتقوش هذه المقبرة لم تنشر بعد رغم أنها في غاية الأهمية من الوجهة التاريخية وربما كانت النقوش الفريدة التى نفهم منها أن الثورة التى قام بها فراغة فقط لم تقبلها حكام المقاطعات الجنوبية الثلاثة - الفنتين وادفو وهيرا كنبوليس - عن طيب خاطر بل حارب أهلها من أجل استقلالهم بكل عنف وبسالة إذ الواقع أن النقوش تدلنا على أن أهلها حاربوا ضد طيبة وقفت في جانب ملك لم نعرف اسمه بكل أسف على وجه التحقيق . وقد ختمت هذه الحروب بانتصار طيبة وقفت طبعاً غير أن نقوش هذا الحاكم لم تذكر لنا هذا الانتصار . ومن المحتمل جداً أن الأسرة الثامنة المنفية قد أختفت حوالى عام ٢٢٤ ق . م . والظاهر أن قبل هذا التاريخ بعامين كانت المملكة الشمالية الصغيرة التى كانت قد حرمت ريفها الخصيب ، قد اقتطعت منها إقليم آخر يحتوى عدة مقاطعات . وذلك أن حاكم مقاطعة إهناس

( هراكليوبوليس ) واسمه « حتى » أعلن نفسه فرعونًا على مصر السفلى ومصر العليا . واتخذ لنفسه لقب « مر إيب » ؛ ولا نعلم كيف انتهت تلك المملكة المنفية على أن شواهد الأحوال كلها كانت تنذر باختفائها إذ كانت فريسة بين الأسويين الذين كانوا يحتلون الدلتا وبين ملوك إهناس الجدد ، ولذلك لم يعد في مقدور ملوكها البقاء وقضى عليها من عالم الوجود . ومن ذلك الحين نرى أن مصر في هذا العهد كانت مقسمة ثلاثة أقسام ففي الشمال كانت الدلتا في يد الأسويين وفي مصر الوسطى كان حكام إهناس هم المسيطرون ، وفي الوجه القبلى نجد أن البلاد كانت ملتفة حول حكام طيبة ولا نعرف شيئاً عن اختفاء أمراء قطع الذين كانوا أصحاب السلطان في المقاطعات الجنوبية . وربما يعزى ذلك إلى ضعفهم وتغلب حكام طيبة عليهم . ويظن الأستاذ « بترى » أن الوجه القبلى في هذا العهد قد غزاه قوم من الجنوب وكان من جراء ذلك أن الغزاة استوطنوا طيبة ؛ وكان منهم فيما بعد سلالة ملوك الأسرتين الحادية والثانية عشرة . وقد اعترف الدكتور هول بهذه الفكرة في كتاباته عن مصر في هذا العهد . ومما يدعم هذا الرأي وجود الدم النوبى في عروق هؤلاء الملوك الذين كان يطلق عليهم اسم « متوحتب » أو « سنوسرت » أو « امنمحيث » . ومن كل ذلك نستخلص أن البلاد في هذا العهد قد اجتاحت بالغزوات الأجنبية من كل الجهات فانقض عليها الأسويون من الشمال والنوبيون من الجنوب واللويون من وسطها وعادت البلاد إلى

سيرتها الأولى من الفوضى والإقسام . ولم يبق فيها تحت سلطان الجنس  
المصرى الحقيقى إقليم واحد . هذا إذا سلمنا بأن ملوك إهناس  
يرجع أصلهم إلى الجنس اللوبى ( ؟ )

## الأرتان التاسعة والعاشر

كان مقر فراغة الأستين التاسعة والعاشر مدينة هيراكليوبوليس وهى  
المروفة الآن باسم إهناس المدينة . ويظن بعض المؤرخين أن ملوكها من  
أصل لوبى وإنهم غزوا مصر عن طريق الفيوم حتى وصلوا إلى مدينة  
إهناس واتخذوها عاصمة للملكهم لما لها من ماض مجيد من الوجهة التاريخية  
والمكانة الدينية فضلا عن أنها كانت أعظم مدينة صادقتهم أثناء زحفهم  
على البلاد . وأهم حاضرة فى وسط القطر . والواقع أن مدينة إهناس كانت  
حاضرة ملوك الوجه القبلى ( نسوت ) قبل توحيد الأرضين . هذا إلى أنها  
كانت من أقدم المواطن المقدسة فى البلاد ، إذ يعزى إليها حسبا ذكر فى  
التقاليد الدينية والأساطير أن الإله « شو » إله الفضاء قد رفع فى هذه  
المدينة السماء عن الأرض وكاتنا رتقا إذ ذاك . وجعل الأرض يابسا .  
وكذلك جاء فى الأساطير الدينية أن الإله رع ( إله الشمس ) أرسل إلى  
هذه المدينة الإلهة « سخت » إلهة الحرب لتهلك بنى الإنسان  
بسبب عصيانهم وثورتهم على هذا الإله المسن . يضاف إلى ذلك أنه جاء

مركز « إهناس »  
السياسى والاجتماعى  
والدينى

فى الاقاصيص الدينية أن الإله « أوزير » والإله « حور » ابنه قد توجا ملكين على البلاد فى هذه المدينة ، وقد ذكر كذلك فى كتاب الموتى فى الفصل ١٣٥ أن أحد القضاة الإثنيين والأربعين الذين يحاكمون الموتى فى قاعة الحساب ويدعى (كاسر العظام) أصله من هذه البلدة . واول فرعون تولى عرش الأسرة التاسعة فى إهناس هو « خيتى الأول » وقد كانت له شهرة سيئة فى التاريخ حبا جاء فى الروايات التى رواها لنا عنه مانيتون المؤرخ المصرى . ومن بعده المؤرخ الإسكندرى إرستاتونيس . فقد ذكر الأول أن من بين الفراغة التسعة عشر الذين حكموا فى إهناس نحو ٤٠٩ سنة كان « اختبوى خيتى » هذا أسوأ أسلافه وقد أنزل الضرر بكل سكان مصر وانتهى أمره بأن جن جنونه واغتال حياته تمساح . وهذا مثل صارخ من العدالة الإلهية إذا كان حقا « خيتى » كما صوره لنا المؤرخون . اما « أرساتونيس » فإنه يروى أن الفرعون السابع والعشرين من ملوك طيبة الذى يطلق عليه اسم « خوتورتوروس » العاتى ، حكم سبعة أعوام ( حوالى عام ٣٦٦٣ ق . م ) وقد ارتكب فى خلالها مظالم كثيرة ولا نزاع فى أن « خيتى » الذى عثرنا على اسمه فى النقوش هو نفس « اختبوس » الذى ذكره « مانيتون » ؛ غير أنه ليست لدينا وثائق تاريخية تؤكد لنا ما وصفه به مانيتون ونسبة اليه زميله من الأعمال . ولكن حوادث التاريخ تعلمنا أن العظماء الذين يقومون بتأسيس دولة باغتصاب عرش غيرهم ، لا يبالون بمن يعترضهم فى طريقهم ولا يقيمون وزنا للظالم التى



يرتكبونها في سبيل الوصول إلى أغراضهم وفتح طريق الفلاح امامهم .  
ولا غرابة إذا كان « خيتي » ظهر بهذا المظهر الوحشي عند تأسيس  
ملكه في إهناس . ولا غرابة كذلك إذا كان هذا الفرعون قد أحاط  
نفسه بهالة من الخوف والفرع حتى لا يقترب أحد منه أو يجزأ على منازعته .  
ومما يؤسف له ان بعض أخلافه لم يكن فيهم شيء يذكر من قسوته  
وفظاظته بل على العكس كانوا على جانب عظيم من التقى والصلاح كما  
سنرى . وإذا كان « خيتي » الذي نحن بصددده الآن هو نفس « نب كا ورع خيتي »  
الذي ذكر في قصة شكاوى الفلاح ؛ فإنه بلا شك كان يمتاز بالنكات  
وحب المزاح ؛ وربما كان للمؤرخ مانيتون عذر في وصفه بما وصفه به اذ في  
قصة الفلاح كان الفرعون يقصد المزاح في شدته معه ؛ ولكن القوم كانوا  
يرون في ذلك شدة وعنفا وظلما حقيقيا . غير أن ذلك لم يحقق ، بل  
يعده بعض المؤرخين آخر ملوك هذه الاسرة . ومما يؤسف له جد الأسف  
أنه لا يمكننا أن نعطي رأيا قاطعا في ترتيب فراغة « إهناس » خلال الأسرة  
التاسعة ولكن المعترف به مؤقتا أن خيتي الاول هو « مري إيب رع » وقد  
حكم نحو ٢٢ عاما ( ٢٢٤٢ - ٢٢٠٠ ق . م ) حسبما وصلت إليه معلوماتنا  
إلى الآن ؛ غير أن البلاد كانت في ارتباك ومشاحنات من طرفيها ولم يكن  
في مقدور فرعون إهناس أن يقبض على زمام الأمور بعزم وحزم . فكانت  
الدلائل كما ذكر لنا « خيتي الثالث » عندما كان ينصح ابنه « خيتي الرابع » في  
حال سيئة ولم يكن في مقدور « خيتي الثالث » إلا أن يهدي الأحوال بعض

حكم خيتي الاول

الشيء، بعد جهد جيد . وقد واثم الحظ في الدلتا فنجح في التلب عليها  
أما في الجنوب فكان حظه عاثرا . والواقع أن سلطان فراعنة « إهناس »  
كان ضئيلاً بل منعدماً فيما خلف حدود مدينة طينة وبلدة العراة المدفونة .  
وكذلك كان نفوذه في شمال طينة نفسها ضعيفاً ويرجع ذلك إلى أن  
الأمراء المحليين في أسيوط وإن كانوا يدينون بسلطان فراعنة « إهناس » إلا  
أنهم كانوا في الواقع أعظم منهم قوة وأعز نفراً . وكانوا يعملون جهد طاقتهم  
على حفظ كيان الفرعون الذي أخذ في التداعي والإنهيار . وقد خلف لنا  
أمراء أسيوط الذين نحن بصددهم وثائق تاريخية هامة عن هذا العصر  
تقشوها على مقابرهم الضخمة ومن بين هذه النقوش ثلاثة خاصة بالمصر  
الذي تكلم عنه الآن . ومما يؤسف له أننا لم نوفق إلى الآن لترتيب  
هذه النقوش حسب مكانها في التاريخ . ولكن الظاهر أن الأمير الذي  
كان يقال بأنه « خيتي الثاني » ( كان أمراء أسيوط في هذا الحين يطلق على  
كل منهم اسم خيتي تيمناً بأسماء فراعنة إهناس ) هو صاحب النقش الأول  
ولذلك يعتبر أول الأمراء الثلاثة ، ثم تبعه « تف إيب » ثم « خيتي الثاني » .  
ومهما يكن من أمر فإن نقوش « خيتي الثاني » تنبئنا عن عصره بأنه كان  
عهد رخاء وهدوء وسكينة مما جعله فريداً في زمن هذه الأسرة حتى ختامها .

وقد حدثتنا النقوش أن أمير مقاطعة أسيوط قد تربى وترعرع مع  
أولاد الفرعون وذكرت لنا بعض التفاصيل الغريبة فيقول هذا الأمير : « أن  
الفرعون أمر بتعليمي السباحة مع أطفاله » . وقد ذكر لنا أنه كان له جيش

وأسطول مؤلف من سفن عظيمة وقد جعلها فى خدمة ملكه كما اقتضت الأحوال ذلك ؛ وأنه قام بأعمال مجيدة لمقاطعته ، وأن البلاد أثرت فى عهده إذ يقول : إن أسبوط كانت مرتاحة مطمئنة لإدارتى ودعى الإله لى أهل إهناس . أما « خيتى الثانى » فرعون البلاد فلا نعلم عنه شيئاً إلا أنه مات فى سلام ودفن فى قبره . تولى بعده الملك « خيتى الثالث » ومنذ اعتلائه أريكة البلاد قام بينه وبين أحد البيوتات الكبيرة فى الجنوب نزاع كان له خطره عليه وعلى أخلافه بل وعلى مستقبل البلاد المصرية والعالم المتحضر فى تلك الفترة . وقد كان مقر حكومة هذا البيت العظيم الذى ظهر فى الجنوب بلدة طيبة وكان حاكمها فى هذا العهد فى الغالب هو « أنتف » العظيم ( أنتف عا ) ابن « أنتف الأول » مؤسس هذا البيت .

تولى  
« خيتى الثانى »  
الملك

وكان « أنتف الأول » هذا هو الحاكم الحقيقى على المقاطعات الجنوبية لمصر وأن لم يكن يدعى لنفسه لقب الفراعنة والواقع أنه كان يحمل عدة ألقاب عظيمة وهى : النبيل بالوراثة حاكم مقاطعة طيبة ، والذى يشبع كل أغراض الفرعون ، وحارس بوابة الحدود ، وعمود الجنوب ، والحاكم الإدارى ، والذى جعل كل أراضيه تحيا ، ورئيس الكهنة . وهذه الألقاب كانت تمنح لكثير من عظماء الدولة المخلصين . وليس لدينا من المعلومات ما يحملنا على الظن بأن « أنتف » هذا كان غاضباً على الفرعون أو خارجاً عليه ، وبخاصة بعد أن علمنا أنه يحمل لقب « الذى يشبع كل أغراض الفرعون » . ورغم ذلك فإن ظواهر الأحوال كانت تدلنا على أنه ذو قوة عظيمة

« أنتف عا » أول  
مؤسس لبيت طيبة

كما نشاهد ذلك في « خيتي الثاني » أمير أسيوط . وربما كان الفرق بين  
الأميرين أن « خيتي » أمير أسيوط كانت تربطه رابطة شخصية بفرعون  
إهناس ، إذ تريا معاً في البيت الفرعوني أما الثاني فكان لارابطة بينهما إلا  
ما يوجد بين الفرعون وأحد أمراء مقاطعاته . وفي الحق أنه لم يكن هناك  
ما يدعو أمير طيبة للخضوع لفرعون البلاد ولذلك كان يتحين الفرص ليشق  
عليه عصا الطاعة ويعلمن استقلاله . ولم يكن ذلك ليحدث إلا على يد  
أمير طموح وقد حانت الفرصة فعلاً عند ما تولى « أنتف العظيم » حكم طيبة  
وكان تواقاً للمعالي والعظمة كما يشعر اسمه بذلك . وكانت طيبة في هذا  
المهد تشغل مكانة ضئيلة من حيث الشهرة بالنسبة لما وصلت إليه فيما بعد .  
فكان سكانها في درجة منخفضة من حيث الثقافة إذا ما قرنت بالمدن الشمالية  
منها التي كانت دائماً على اتصال بالحركة العلمية في عهد الدولة القديمة .  
وكان لا بد أن تتغير هذه الحال وفعلًا بدأت في مراقي التقدم حتى وصلت  
إلى درجة من الحضارة لم تبلغها مدينة مصرية في كل عصور التاريخ المصري  
إلى أن تدهورت البلاد وضاع استقلالها . ومن المحتمل جداً أنه لم يمض  
طويل زمن على تولى « أنتف العظيم » حتى قامت المشاحنات بين فراعنة  
إهناس وبين أمراء طيبة . وقد بدأ النزاع من جانب الفرعون كما ذكر لنا  
« خيتي الثالث » مظهرًا أسفه وحزنه على ما بدر منه وأن كان كل هذا  
قد حدث عفواً ولم يشعر بنتائجه حتى حلت الكارثة . وقد استقينا معلوماتنا  
عن هذا الحادث من تعاليم الفرعون « مري كارع » قلا عن بردية

مكانة طيبة في هذا  
المهد

تدعى ورقة « بطرس برج » ويرجع تاريخ كتابتها إلى حوالى عام ١١١٦ ق. م ) وهذه البردية قد وصلت إلينا منقولة عن نسخة يرجع تاريخها للأسرة الثامنة عشرة . وقد عزي المؤرخون تأليف هذه التعاليم إلى الفرعون « خيتى الثالث » وقد كتبها ينصح بها ابنه « خيتى الرابع » ويعلى عليه تجاربه حتى تكون درساً له . وفى هذه الوثيقة نجد أشارتين إلى سبب النزاع الذى قام بين « خيتى » ملك إهناس وأمير طينة الذى كان يعد من رعاياه فى الظاهر ؛ فى الإشارة الاولى نجد « أن مصر تحارب فى الجبانة وتخرب المقابر . . . وقد فعلت ذلك نفسى ، وقد حدث ذلك فعلاً . وهذه إشارة الى انتهاك حرمة المقابر ولا بد أنها تشير الى مدينة طينة المقدسة ويقول عنها الفرعون : إئتى استوليت عليها بالهجوم كالصاعقة . وبعد ذلك بقليل يقول خيتى : تأمل لقد حلت فى زمنى كارثة خربت احياء طينة . وقد حدث ذلك فعلاً وقد كنت انا السبب وقد احسست بجرمى بعد أن اقترفته وكان ذلك من سيئاتى فاحذر ذلك لانه من عمل سيئة يجزى مثلها . والواقع اننا لا نعلم ما جرى بالضبط لأن المتن غامض ولكن يمكن أن نقرأ بين السطور ما يأتى : كان كل من « خيتى » فرعون إهناس و « أتف » العظيم امير طينة يدعى لنفسه السلطان على طينة والعراة المدفونة التى تتاخها . فكان الفرعون يوء آزره « تف إيب » أمير اسيوط يعتقدان أن هاتين البلدين يعدآن حصن باب الجنوب لاملأكهما . أما « أتف العظيم » فكان يراها الباب المؤدى الى الشمال لاملأك الفرعون . ومن المحتمل جداً أنه قامت

تعاليم  
« الثالث خيتى »

بعض مشاحنات بين القابضين على إدارة تلك الجهة من كلا المتعادين ، مما  
أدى إلى نشوب حرب وجعل « خيتي » يشير في تعاليمه لابنه عن هذا  
الحادث المؤلم . اذ كانت نتيجة أن نهبت المقابر الفرعونية المقدسة التي  
كانت في تلك الجهة . وقد حزن « خيتي الثالث » لأرساله الجنود الذين ارتكبوا  
تلك الفظائع . وقد شعر بجرمه غير أنه لم يكن يعلم الحقيقة إلا بعد  
وقوعها ، ولا غرابة فإن كل البلاد لا بد قد ارتاعت من تخريب الاماكن  
المقدسة التي كانت تمد اقدس بقعه دينية في البلاد المصرية قاطبة . وقد  
انتهز « أنتف » هذه الفرصة للکید لعدوه ؛ إذ حمله مسئولية تخريب الاماكن  
المقدسة ونهبها على جنوده وأعوانه مما أشعل نار الغضب في قلوب الرأى  
العام ضد « خيتي » مناهضه . ومن هذا العهد نجد أن « أنتف » أخذ  
يحمل لقب « حور » الفرعوني فسمى نفسه « حور واح غنخ أنتف عا » .  
وقد قام « أنتف العظيم » هذا بحملة نيلية في أسطول سار به شمالاً مظهرأ  
العصيان الصريح ضد فرعون البلاد وكذلك لينتقم لنفسه وشرفه ودينه ؛  
ولكن محاولته هذه كان مآلها الفشل التام ؛ وفي ذلك يقول أمير أسيوط :  
إن أول مرة حاربت فيها جنودى المقاطعات الجنوبية طاردوا فيها  
الأعداء إلى أقصى الحدود الجنوبية ؛ وعند ما وصلت إلى المدينة هزمت العدو  
وأقصيته حتى حصن باب الجنوب . وقد حاول قائد « أنتف العظيم »  
كرة أخرى أن يغير على بلاد الفرعون فكان نصيبه الفشل التام والهزيمة  
المنكرة وقد قصّت القروش علينا ذلك قلا عن أمير أسيوط عضد الفرعون

سبب الحرب بين

« خيتي » و « أنتف »

ظهور « أنتف العظيم »  
وتلقيه بلقب الملك

أول موقعة بحرية  
في التاريخ

إنتصار « أتف »  
العظيم على « تف »  
إيب و « خيتي »

الاعظم إذ يقول : « وقد جاء آخر كانه العهد المقدس بجيش ثان مؤلف من أحلافه فخرجت لملاقاته ولم أتوان لحظة عن منازلته في سفنى وقد حاولت استخدام ريج الشمال وريج الجنوب وكذلك الريج الشرقية والريج الغربية حسب الأحوال الجوية . وقد انتهت هذه الحرب بأن غرق العدو وسفنه في النيل وكانت جنوده تفر كالثيران عندما تهاجها الحيوانات الوحشية رافعة ذيولها إلى الأمام » . وتعد هذه الموقعة الأولى من نوعها في المواقع البحرية في التاريخ ولا غرابة إذا كان أمير أسيوط يفخر بها . والواقع أن أهالى الصعيد كانوا في حاجة ماسة إلى رجل قوى الشكيمة ليصدم ويكبح جماحهم ويذيقهم الذل والهوان وقد قيض الله لهم « أتف عا » ( أتف العظيم ) في حينه . وقد كان من سوء طالع « تف إيب » وسيد فرعون إهناس أن أمير طيبة لم يخضع لها حتى بعد أن هزم في الواقعتين السالفتين بل سار بجيشه شمالا ككرة أخرى ، وفي هذه المرة يقص علينا « أتف عا » ما حدث بنفسه إذ يقول : « لقد جعلت حدودها الشمالية ( أى مملكته ) حتى إطفيح وقد رسيت بسفنى عند الوادى المقدس واستوليت على كل مقاطعة طيبة وفتحت معاقها وجعلتها باب الشمال لأملاكي بعد أن كان « تف إيب » قد اتخذ منها حصناً لباب الجنوب بالنسبة لأملاك فرعون إهناس .

أما « خيتي الثالث » فكان لا يزال يشعر بوخز ضميره وكانت ترتعد فرائضه في قصره بإهناس كلما فكر في جرم انتهاك حرمة الأمماكن

المقدسة وبخاصة إذا علمنا أنه كان رجل تقي وورع . ولقد ظهر أثر ذلك في تعاليمه لأبنه إذ يقول : « إن الضربة تقابل بمثلها » . والواقع أنه ربما كان يظن أن « أتف عا » قد قابل فعلة « خيتى » بمثلها واستفاد منها أيضاً . وهذا ما يقرره الواقع ؛ إذ نرى أن « خيتى » قد قد سلطانه على بلاد « أتف العظيم » وفي الوقت نفسه كان يشعر بالآم قسية لما أحاق بطينة والعرابة من التخريب والهب يضاف إلى ذلك أن هذه البقاع المقدسة أصبحت مغلقة في وجهه ؛ وكان لزاماً على كل مصرى بعد موته أن يحج إلى تلك الأماكن المقدسة التي كانت تعد بمشابة طريق إلى الجنة في السماء . وقد أحزنه حرمانه ذلك ولكنه رضى الواقع ، وعدّه عقاباً من الإله على ما ارتكبه في حياته ضد هذه البقعة الطاهرة المقدسة ؛ ومن المدهش أن الفرعون « حور واح عنخ أتف عا » لم يتقدم في سيره في الغزو بعد استيلائه على طينة والعرابة ؛ وربما يعزى ذلك إلى أنه كان من الرجال العظماء الذين لا يغالون في أطعامهم ويعرفون متى يجب أن يقفوا عند حدودهم . وقد كان صمم على أن يححو عن نفسه عار انتهاك حرمة الأماكن المقدسة حتى بعد أن هزم دفتين . والآن وقد واثاه الحظ وانتصر على عدوه نصرأ لم يكن يحلم به فقطد معه صلحاً وكفّ عن دفع الجزية التي كان يحملها سنوياً للفرعون في إهناس وسمح له أن يستخرج ما يلزمه من حجر الجرانيت من محاجر أسوان التي كانت ضمن المقاطعات التي تحت سلطانه . وقد رضى بذلك « خيتى الثالث » ونصح خلفه

انتصار « أتف »  
الظيم وعقد صلح  
مع « خيتى »



بأن لا يهاجم عدواً أقوى منه وأكثر بطشا وسلطاناً . وقد أشار إلى ذلك مرات عدة في تعاليمه . إذ يقول : لا تخفن أسباب عدا بينك وبين الأرض الجنوبية لأنك تعلم ما تنبأ به مقر الملك من هذه الناحية . وقد يحدث ذلك كما حدث فعلاً ( أى هزيمة نفسه ) . كن لين الجانب معها لأن ذلك خير للمستقبل ، كن على وئام مع الأرض الجنوبية وبذلك يأتى إليك القوم محملين الهدايا . وقد قضيت فى ذلك أثر الأجداد . ورغم أنه ليس لديها ما تقدمه لك من القمح فإنه من الخير أن تبقى وأن يظهر أهلها لك الضعف والاستكانة . واقنع بما عندك من خبز وجعة ( أى لا تحرك هؤلاء القوم ضدك للشر ) بمجملهم يدفعون إليك الجزية . هذا إلى أن الجرائنيت الاحمر يأتى إليك دون عائق ( أى يجب عليك أن تحمد الله على هذا لأنه فى يدهم ) . ومن المدهش أننا نرى أن هذا الفرعون المسن يشير فى تعاليمه إلى عادة كانت فاشية فى مصر فى كل عصورها وكانت تعد من أكبر الجرائم التى كان يقرؤها الفراعنة والأفراد على السواء وأعنى بذلك أن يستولى على ما قام به الفراعنة وغيرهم من عليّة القوم من المباني والحفلات التى كانت كمقابر أو معابد لهم دون مراعاة حرمة فى ذلك . ولعمري لو كانت نصيحة الفرعون « خيتى » هذه قد أصغى إليها أخلافه لتغير وجه التاريخ المصرى تغيراً عظيماً من الوجهة ( الممارية ) والتاريخية فكم من مباني عظيمة اختفت نهائياً وكم من وثائق تاريخية كانت منقوشة عليها ضاعت إلى الأبد ولو وعى مثل هذه النصيحة

الملك ينصح باحترام  
المباني الدينية وعدم  
اغتهاها

« رعمسيس الثانى » ومن بعده « مفتاح » ابنه لمرفنا كثيراً من تاريخهما على الوجه الحق فيقول « خيتى » : لاتعدين على آثار غيرك بل إقطع لنفسك أحجاراً من طرة ولا تشيدن قبورك من أقاض غيرك ، . ولكن « خيتى » كان رجلاً عاقلاً حنكته التجارب مفعم قلبه بالتقى ولم يكن نداؤه هذا إلا صوت رجل ينادى فى الصحراء ولم يعمل به أحد . ففصى الأمير والفرعون كل فى طريقه يتخرب وينهب معابد أسلافه ومقابرهم كلما دعت مصلحة إلى ذلك . بعد أن برأ « خيتى » نفسه أمام ربه من الذنوب التى ارتكبها فى الوجه القبلى أخذ ينصح ابنه شارحاً الحالة التى كانت عليها أجزاء البلاد الأخرى . والواقع أنه وإن كان قد أساء التصرف فى الجنوب إلا أنه عزى نفسه بتحسين الأحوال فى الدلتا إذ يقول : لقد هدأت كل الجهات الغربية إلى حافة البحيرة . وكذلك ساد الأمن الجهة الشرقية من الدلتا ؛ حيث كانت الأحوال قد ساءت فقسمتها مراكز ومدن وأصبحت السلطة التى كانت فى يد حاكم واحد فى أيدى عشرة ( الظاهر أن أمراء الدلتا وأشرافها الذين كانوا يشعرون بقوة أكثر مما يجب . قد أخضعوا ) ، فصاروا يقدمون الآن كل أنواع الضرائب وأصبح الكهنة يملكون الحقول والضرائب تجبى لك دفعة واحدة . ولن يحدث أن يأتى أعداء أشرار ولن يأتى النيل منخفضاً فتتأثر البلاد بسببه وسيكون لك محصول بلاد الدلتا . أما فى شرق الدلتا فإن الفرعون المسن كان يشعر أنها آمنة مطمئنة . بعض الشيء ؛ وما ذلك إلا بفضل الميزات الخاصة التى كانت يمتاز

نظام الحكم فى الدلتا  
فى عهد « خيتى »

بها العرب الرحل وكانت هذه الصفات سليقة في نفوسهم وما زالت منذ القدم باقية فيهم لم يطرأ عليها أى تغيير إلى يومنا هذا إذ يقول : تأمل لقد وطلبت سلطاني في الشرق فصارت الحدود من « هيتو » إلى ممر « حور » معمورة بالمدن الآهلة بالسكان من صفوة رجال البلاد وخيرتها وما ذلك إلا ليصدوا غارة الأسويين ... وقد ذكر هذا كذلك للأقوام المتبربرين : « إن الأسوي الحاسى أينما حل يتبعه الشقاء في الأرض التي يحل بها حيث الماء الآجن ولا يمكن المرور في أرضه بسبب كثرة أشجارها وكذلك الطرق فإنها وعرة بسبب جبالها وهو لا يسكن في مكان واحد بل يرنح لساقيه العنان ، ومنذ أقدم المصور فإنه يحارب ولكنه لا يهزم ولا يهزم ولا يعلن اليوم الذى سيشن الغارة فيه » . ولعمري ليس هناك وصف أدق لأهل السادية من وصف « خيتى » لهم في هذه الجبل الموجزة .

« خيتى » يصف  
أهل البادية

وقد هدأ « خيتى الثالث » في نصائحه روع ابنه « خيتى الرابع » من جهة قوة اهل البادية الضعيفة الأثر في الحاق الضرر والأذى إذ يقول : « لا تتعب نفسك من جهته ( البدوى ) فإنه لا ينهب إلا مسكنا منزلا وليس في مقدوره ان يستولى على مدينة آهلة بالسكان » . ولقد كان الجنوب في الواقع هو مصدر الخطر الذى يهدد الفرعون المسن باستمرار إذ كان يعتقد أن أية ثورة تقوم ضده في مصر الجنوبية ستقضى قضاء عاجلا على كل الاعمال العظيمة التى قام بها في الدلتا اللهم إلا اذا اتخذ العدة في

الدلتا نفسها وقد كان فعلا بعيد النظر من هذه الوجهة إذ أقام عدة مدن محصنة ، الغرض منها كبح جماح أى إقليم يقوم بثورة أو عصيان . وقد كتب لابنه فى نصائحه مشيرا إلى ذلك فيقول : إذا قامت بلادك من جهة الجنوب بثورة فإن ذلك يكون حافزا لقيام الأجانب فى الشمال بحروب ضدك فمليك إذن أن تقيم مدنا فى الدلتا . ولا يكون اسم الرجل صغيرا بما فعله من جلائل الأعمال ؛ والبلد الآهلة بالسكان لا تمس بسوء ، فابن مدنا . والواقع أن « خيتى » كان يقدر حرج مركزه اذ كان يقع بين شرين : أهالى الجنوب فى الصعيد والبدو فى الشمال ؛ ولذلك اتبع سياسة حكيمة لم تتح لابنه فرصة إقتنائها من بعده .

إنشاء مدن محصنة  
فى الدلتا

ولا نزاع فى أن أغرب شئ فى تعاليم الفرعون « خيتى الثالث » هو نصائحه لابنه فى كيفية إدارة سكان البلاد سياسا إذ يقول : أما من جهة الرجل الذى له اتباع عدة وتنظر اليه عبيده وخدمه بعين الحب والمودة ويتكلم كثيرا « فاقض عليه ، واقتله ، وامح اسمه واقتلع ذكره وذكرى أتباعه الذين يحبونه ؛ لان الرجل المشاغب يكون دائما مصدرا للقلق بين سكان المدن . وهو الذى يخلق فريقين متافرين بين الشباب ، واذا رأيت الشبان ينضمون اليه فما عليك إلا أن تذكر اسمه امام رجال البلاط ثم اقض عليه اذ هو فى الواقع عدو أيضا » .

سياسة القضاء  
على أصحاب الجاه فى  
البلاد وقت الشدة

ولا نزاع فى أن هذه هى السياسة الخازمة فى مثل هذه الأوقات المضطربة ، ولكن بكل أسف لم يكن لدى « خيتى الرابع » الفرصة ليستفيد

من هذه النصائح وتجربها في الحياة وقد كان « خيتي » يرى أن يكون رجال الحكم ممن عديم كرامة وعفة وطهارة ذيل ويعود فيقول ناصحا ابنه: « اجعل مستشاريك عظماء حتى ينفذوا قوانينك لان الرجل الغني في بيته لا يتحيز في حكمه، وذلك لانه مثر فلا يحتاج الى شيء، ولكن الرجل الفقير لا ينطق بالحق، والحاكم الذي يقول ليت لي، لا يكون عادلا، اذ ينحاز الى من يغريه بالمال. وعظيم الرجل العظيم الذي يكون مستشاروه عظماء. وقوى ذلك الفرعون الذي له محكمة (من الطراز الصحيح). تكلم الصدق في بيتك حتى يخافك الأشراف الذين يتسلطون على البلاد، والسيد الذي له قلب سليم تصلح أحواله. وما في داخل البيت هو الذي يوحى بالرهبة في خارجه » .

سياسة انتخاب  
المستشارين

وكذلك نلاحظ في هذه التعاليم أن « خيتي » يرى الإله موجودا في كل امور الناس؛ وقد اتخذ ذلك اساسا لاعتداله في الحياة فيقول: « إحذر ان تعاقب إنسانا خطأ ولا تقتل احدا فان ذلك لا يجديك نفعا، وعاقب بالضرب والسجن (من لا يمكن اصلاحه) والإله يعرف الشقي وينتقم منه بأشد العقاب (على ذلك فالعقاب المحتم يمكن تركه لله) والإله يقول: إني انا المنتقم وسأعاقب كلا بذنبه. وعلى الإنسان ان يعمل كل ما يريد؛ على ألا ينس الحساب الأخير عند ما يشرف « تموت » إله الحكمة على المحاكمة. والقضاة الذين يقتضون للظلم يوم القيامة فإنك تعلم بأنهم ليسوا متهاونين في ذلك اليوم الذي يقضون فيه للتمس وبخاصة عند ساعة

الله في كل شيء

النطق بالحكم . ولم تكون الطامة كبرى اذا كان المتهم هو الواحد الحكيم .  
ولا تعتمد على أنك ستعمر سنين عدة فإنهم ينظرون الى مدى حياة  
الإنسان كأنه ساعة زمن . ويعيش الإنسان بعد الموت وتكون اعماله  
بجانبه مكدسة . وسبق هناك أبد الآبدين ، وانه لأحق من يستخف  
بهم ( قضاة قاعة العدل ) . اما الإنسان الذى يدخل عليهم دون أن  
يرتكب خطيئة فإنه سيقى هناك كإله ويتقدم امامهم بخطى ثابتة إلى الامام  
كإله الأبدية . هذه هي تعاليم الفرعون « مرى كارع خيتى » وتعد من أعظم  
الذخائر العلمية التى عثر عليها وبخاصة فإنها تلقى ضوءاً على مستوى الفكر  
الإنسانى فى هذا العصر وعن الفكرة التى كان ينظر بها الفرعون فى طريق  
حكم البلاد . ومن المحتمل أن قارئ هذه التعاليم ربما يحكم على « خيتى  
الثالث » بأنه كان فرعوناً مذنباً أمام الله لانتهاكه حرمة طينة المقدسة ،  
ولذلك أراد أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والصفرة . على أنه فى الواقع لم  
يتمز عن باقى فراعنة مصر الذين سبقوه فى شئ من الأمور الدنيوية ،  
ولكنه كان رجلاً يمتاز بأخلاقه الدينية وصلاحه . ورغم كل ذلك فإن  
الصورة التى رسمها لنا تعد من أحسن الصور التى تصور لنا فرعوناً وليس  
لدينا ما يفوقها إلى الآن فى مخلفات المصريين وحقاً إنها رغم قائص مؤلفها  
الظاهرة تشعنا بعد قراءتها بأننا قربنا من فهم صورة الفرعون الإنسان ،  
لا الآلة الحكومية .

أعمال الانسان  
تنفع له يوم الحساب

اخلاق « خيتى »  
ومركزه فى التاريخ

ومما يؤسف له جد الأسف أن إينه « خيتى الرابع » لم يستفد من نصائح

والده وتجاربه ولم يكن ذلك عن ضعف منه ، بل لأن مركز إهناس كان  
مرعزاً رغم مؤامرة أمراء أسيوط لها . وكل مالدينا من الوثائق التاريخية  
عن آخر فرعون فى الأسرة التاسعة وصل إلينا من نقوش « خيتى الثانى »  
ابن « تف إيب » أمير أسيوط . وقد قفا هذا الأمير خطوات والده  
واستمر يعضد عرش إهناس الذى كان فى حاجة لكل مساعدة . ولا  
نعلم كيف بدأ هذا النزاع بالضبط من نقوش « خيتى » . والظاهر أن  
القتال الذى قامت ، كانت قد بدأت فى عاصمة البلاد نفسها أى فى إهناس ؛  
ثم تخطتها إلى الجهات الأخرى غير أن أمير أسيوط بقى فى خلال ذلك  
على ولائه للملكه وسار بجيشه وأسطوله النيل فقتل عرش البلاد الذى كان  
آيلاً للتداعى . وكان أول عمل قام به أن أخضع الثورة التى كانت فى  
إهناس نفسها ، وبعد ذلك سار الفرعون وأمير أسيوط نحو الجنوب بجيشهما  
حتى الحدود . والظاهر أنهما هدّأا الأحوال هناك مؤقتاً ثم عاد الفرعون  
المنتصر وحليفه أمير أسيوط إلى الشمال . وقد كان أسطولهما العظيم يغطى  
النيل مسافة عدة أميال كما يرويه أمير أسيوط . إذ يقول : « لقد أدّبت  
مصر الوسطى وذلك طلباً لمرضاة ( الفرعون ) وأصبحت كل البلاد تدين  
له ( كما دان له ) أمراء مصر الوسطى وعظماء إهناس وإقليم سيدة الأرض  
( الإلهة المحلية ) وهم الذين جاءوا ليكبّحوا جراح المسىء . وقد كانت  
الأرض فى ذعر واستولى الخوف على مصر الوسطى . وكان كل الأهلىن  
فى وجل والقرى فى فزع وتسرب الخوف إلى أعضائهم أما موظفو العرش

أعمال أمير أسيوط

فكانوا فريسة للخوف والمقربون ضحية للذعر في إهناس ( أى أن العصيان كان بين كبار رجال البلاط ) وكانت البلاد تَحترق بلهبها . . . . . ولم يحدث أن مقدمة الأسطول وصلت إلى « شطب » على حين أن مؤخرته كانت لا تزال في ( ؟ ) ولقد نزلوا بالماء ورسوا في إهناس وجاءت المدينة فرحة مستبشرة بسيدها وابن سيدها . واختلط الرجال بالنساء والشيوخ بالأطفال . وقد كان هذا البصيص من النجاح آخر ضوء سطع على أسرة إهناس الفرعونية ثم تلتها فترة هدوء وسكنية وطأنينة كأنها برق خلب قام في خلالها ولاية الأمور ببعض أعمال عامة في البلاد ، ففي مدينة أسيوط أقيم معبد للإله « وبوات » الإله المحلى للمقاطعة ( معناه فاتح الطريق أو دليل الموتى ) أما الفرعون فإنه شيد هرمًا له بسقارة وصنع لنفسه تماثلاً . ومن المحتمل أن أمير أسيوط قد مات في خلال تلك الفترة دون أن يرى نذير الشر الذى كان يقترب من البلاد إذ أن ختام نقوشه يدلنا على الثراء والخير والفلاح الذى كانت تنعم البلاد فيه فيقول : « إن إله مدينتك يحبك ، أنت يا خيى تف إيب » . . . . ما أسعد ما حدث في وقتك ، والمدينة راضية عنك ، وما كان قد أخفى عن الناس فإنك قد فعلته علنا حتى يقدم هدايا لمدينة أسيوط حسب رأيك فقط . وكان كل موظف قائماً في عمله ، فلم يكن هناك من يحارب أو من يفوق سها . ولم يهن الطفل على مرأى من والدته ، ولا المدنى على مرأى من زوجه . ولم يكن هناك مسيء في . . . ولا إنسان يرتكب أى عنف في بيته ، وإله

وصف ثروة أسيوط  
ورخاؤها في عهد  
« خيى تف إيب »



ظهور أول ملوك  
الأسرة الحادية  
عشرة

مدينتك هو والدك الذى يحبك ويرشدك » . وفى خلال هذه المدة توفى « أتف العظيم » وخلفه إثنان من الأمراء حكم كل منها مدة قصيرة حدث فى خلالها بعض قلاقل واضطرابات . ثم خلفها فرعون يدعى « متوحتب الثانى » . وقد جاء فى نقوش له عثر عليها فى « الجبلين » أنه قبض على أمراء الأرضين وأنه المسيطر على الجنوب والشمال وعلى الأرض المرتفعة وعلى القطرين وعلى قبائل البدو التسع وعلى الأرضين . ومن ذلك نعلم أن المصيبة التى حاقت بفراغة بيت إهناس الذين حكموا مصر فى عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة لا بد أنها حدثت فى المدة التى ظهر فيها « متوحتب الثانى » فرعوناً على عرش مصر فى طيبة .

ولست لدينا معلومات عن كيفية حدوث هذا التغير وكل ما نعلمه أن « مانيتون » ذكر لنا أن الأسرة العاشرة فى إهناس كانت تتألف من ١٩ فرعوناً حكموا البلاد نحو ١٨٥ عاماً . وهذه معلومات لا يعتمد عليها قط إذ ليس لدينا من الآثار ما يثبتها ، وكل ما وصل إلينا من مخلفات هذه الأسرة من الآثار ثلاث جعارين بإسم ملك يدعى « شنيس » ويحتمل أن يكون من فراغة هذه الأسرة . والواقع أننا فى هذه الفترة نواجه عهداً كانت البلاد فيه منقسمة ضد نفسها ولم يكن هناك دواء ناجع للقضاء على عللها إلا حروباً داخلية تطهر البلاد وتمكن بيت طيبة الناشئ الفتى من بسط نفوذه ووضع البلاد تحت حكم سلطة قوية منظمة تسير بها نحو الفلاح والمجد .

الحاجة إلى حكومة  
حازمة

## مراجع للتاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة

تنقسم مراجع تاريخ مصر فى عهد الدولة القديمة قسمين . مصادر أصلية وهى النقوش التى عثر عليها منذ حل رموز اللغة المصرية وقبلها ؛ ثم مصادر ثانوية وهى الكتب التى استنبطها علماء الآثار والمؤرخون من هذه النقوش ونظموها على شكل تاريخ للبلاد متتابع حتى بداية الفتح الفارسى للبلاد عام ٥٢٥ ق م .

ويرجع الفضل فى جمع كل النقوش التاريخية المصرية منذ ظهور الكتابة حتى الفتح الفارسى وتنظيمها وترجمتها إلى الإنكليزية ، إلى الأستاذ « جيمس برستد » جمعها فى خمسة مجلدات ، ولم يترك شاردة ولا واردة خاصة بالتاريخ إلا وضعها فى مؤلفه هذا . وقد كان أكبر مساعد له على جمع هذه النقوش وترجمتها بطاقات قاموس اللغة المصرية الذى كان ولا يزال يؤلف فى برلين . إذ منذ عام ١٨٩٧ . أخذ المجمع العلمى الألمانى يجمع مواده من كل متاحف العالم وما كشف من الآثار المصرية حتى يومنا هذا وقد ظهر أول جزء منه فى عام ١٩٢٥ تقريبا وتم الآن طبعه وقد اشترك فى جمع مواده أكثر من ثلاثين عالما كل فى اختصاصه ، وقد جمع الأستاذ برستد ما هو خاص بالتاريخ من بين هذه المواد الضخمة فى كتاب سماه : *Ancient Records of Egypt. 5 Vol. Chicago, 1906.* ولم يترك أى نقش خاص بالتاريخ معروف لديه إلا دونه . والجزء الأول

منه جمع فيه كل نقوش الدولة القديمة حتى عام ١٩٠٥ (من صفحة ٥١ - ١٩١). وبعد هذا التاريخ ظهرت نقوش عدة من الحفائر التي عملت في منطقة سقارة وأهرام الجيزة - وقد جمع كل هذه النقوش الأستاذ «زيت» في مجلد خاص حسب ترتيبها التاريخي تحت اسم: «وثائق الدولة القديمة»، Urkunden des Alten Reiches, Leipzig, 1932. والواقع أن هذا الكتاب أكبر مصدر عن تاريخ الدولة القديمة وتوجد ترجمة معظم نقوشه في كتاب «وثائق التاريخ المصري» للأستاذ برستد السالف الذكر.

يضاف إلى ذلك بعض نقوش لم تطبع بعد، كشف عنها في منطقة الأهرام وفي سقارة وقد أشرنا إليها في خلال كلامنا عن تاريخ الدولة القديمة. أما أهم المصادر الثانوية التي يمكن الاعتماد عليها في تاريخ الدولة القديمة فهي ما يأتي:

1. J. Pirenne. Histoire des Institutions de l'Ancienne Egypte, 3 Vol. Bruxelles 1935.

بحث القانوني «بيرن» في هذا المؤلف المتع كل الأنظمة المصرية الحكومية في عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة، وقد استند في استنتاجاته على النقوش المصرية وهذا الكتاب يعد فريداً في بابهِ إذ لم يترك باباً من نواحي الأنظمة المصرية إلا تناوله بكل دقة ومهارة من البداية حتى النهاية، اللهم إلا بعض هفوات صغيرة لا تقلل من قيمة مؤلفه.

2. Breasted, A history of Egypt. 1905.
3. « A history of the Ancient Egyptians, 1908.

(١) مكتب الأستاذ « برستد » الكتاب الأول : مطولا عن تاريخ مصر مستندا إلى المصادر الاصلية التى جمعها فى مؤلفه العظيم .  
(٢) ثم كتب مختصراً له مستندا نفس المصادر . وما كتبه الأستاذ برستد عن تاريخ مصر يعد أكبر مصدر يمكن الاعتماد عليه ، ولكن منذ آخر طبعة ظهرت آثار جديدة جعلت كتبه تحتاج إلى تغيير غير أن المنية عاجلته منذ عامين قبل أن يدخل التغييرات على كتبه . وكان آخر ما كتبه فى التاريخ بعض فصول عن تاريخ مصر فى كتاب :

4. Cambridge Ancient history, 1924-36.

وقد كتب فى هذا المؤلف بعض علماء الآثار عدة مقالات . عن تاريخ مصر القديم نخص بالذكر منهم الأستاذ هول Hall ، والأستاذ إدراك بيت Eric Peete .

5. Ed. Meyer. L'Egypte jusqu'à des Hyksos. Paris, 1914.

هذا الكتاب يعد من أحسن الكتب التى ألفت عن مصر فى عهد الدولتين القديمة والمتوسطة . وقد ترجمه إلى الفرنسية عن الألمانية الأستاذ « موريه » A. Moret .

6. Maspero, The dawn of civilisation Egypt & Chaldaea, Translated by Sayce, London, 1910.

وقد كتب فى هذا المؤلف الأستاذ « مسبرو » فصولاً ممتعة عن تاريخ مصر فى عهد الدولة القديمة ، وترجمه إلى الإنكليزية الأستاذ « سايس » بعد أن أضاف إليه كل المعلومات الجديدة التى ظهرت فى عالم الآثار بعد الطبعة الأولى الفرنسية . وهو يعد من أكبر المصادر الغزيرة المادة فى

## التاريخ المصرى .

7. Gauthier, Précis d'Histoire d'Égypte, le Caire, 1932.

هذا المؤلف قد كتبه عدة علماء ولكن الجزء الفرعونى منه اختص به الأستاذ « جوتييه » من صفحة ٥١ - ٢٥١ وهو مختصر لا بأس به عن تاريخ الفراعنة .

والجزء الأول منه خاص بالدولة القديمة .

8. Petrie. A history of Egypt, 3 Vol. London.

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بكثرة المصادر التى يذكرها فى أول كل باب أو أول حكم كل ملك .

9. Weigall, A short history of Egypt, London, 1934.

يمتاز كتاب الأثرى « ويجول » بأنه من نوع التاريخ السهل الممتنع ولكن مؤلفه يترك لنفسه الخيال كثيرا فى موضوعات شتى لا تتركز على أصل تاريخى

10. Moret, L'Égypte Pharaonique dans Hanotiaux, Histoire de la Nation Égyptienne, t. II Paris, 1932.

هذا المؤلف تناول تاريخ مصر فى العهد الفرعونى ، ويمتاز بأنه قد تناول موضوع الدين المصرى فيه أكثر من أى شىء كما هو عادة مؤلفه فى كل كتبه .

11. Weidmann, Ägyptische Geschichte, Von den Ältesten zeiten bis zum Tode Tutmes III, Gotha, 1884.

وقد جمع فيه تاريخ مصر باختصار ويمتاز بكثرة مصادره .

12. James Baikie, A history of Egypt, Vol II, London, 1929. From the earliest times to the end of the XVIIIth Dynasty.

يمتاز كتاب المستر « ييكى » بأنه يتركز فى معلوماته على المصادر الأصلية  
ثم يحللها وإن كان أحيانا يخطئ فى النقل . وعلى العموم فهو من الكتب  
القيمة فى عهد الدولة القديمة .

13. Junker Delaporte, Volker des Antiken Orients Freiburg im  
Breisgan, 1933.

كتب الأستاذ « ينكر » فى هذا الكتاب الجزء الخاص بمصر تحت  
عنوان : Geschichte der Ægypter فى ١٧٤ صحيفة وقد ضمن فيه كل  
آرائه الخاصة عن التاريخ المصرى القديم .

والجزء الخاص بالدولة القديمة يحتوى على نواح جديدة فى التاريخ  
المصرى وبخاصة عهد وانتقال الحكم من الأسرة الرابعة للأسرة الخامسة .

## مقاطعات الوجه البحرى

رسم المقاطعة <sup>(١)</sup>	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١- « إنب حز » الجدار الابيض	العجل أيس، الإله فتاح، الإلهة سخمت، الإله نفرتم، ثم إله الجبانة «سكر»	« إنب حز » ثم « من نفر » ( البدرشين ، وميت رهينة )	Memphis منفيس
٢- « دواو » الفخذ	الصقر المخطط ، « حور خنتى إرتى »	« سخم » ( هيكل الإله حور ) بلدة أوسيم الحالية	Letopolis ليتوبوليس
٣- « إمن » ( الغرب ) ريشة نعم	« أمنتى » ، إلهة الغرب وعلى رأسها ريشة	« بجدى » دمنهور الحالية	Hermopolis Parva هرموبوليس برقا
٤- سما الجنوب	الإلهة « نيت »	« زكا » ( بالقرب من منوف ؟ )	Prosopites بروزوبيتس
٥- سما الشمال	الإلهة « نيت »	« ساو » صالحجر	Saïs سايس
٦- « كاخاست » ثور الصحراء	الإله « رع » ، « آمون رع »	« بوتو » ( ابطو ؟ ) تل الفراعين	Xoïs أكسوويس ( سخا )
٧- الخطاف الغربى	(١) « حا » إله الجبل (٢) الثالوث اوزير وإيزيس وحور الطفل	« برحانب أمنتى » ( فوه ؟ ) نيت الإله ( سيد الغرب ) « حا »	Metelis ميتيليس ( فوه )

(١) رسم رمز كل مقاطعة موجود على خريطة الوجه البحرى والوجه القبلى المرفقتين بالكتاب

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
٨- الخطاف الشرقي	الإله «آتوم»	(١) نكو (٢) «برآتوم» (بيت آتوم) بالقرب من أبي الهول؟ (بيت الإله حورون)	Patamos. Pithom Heroonpolis بتاموس «بتوم» «هيرون بوليس» (بيت الإله حورون)
٩- «عزتي» == الحامي	إله على رأسه ريشتين يسمى «عزتي» ثم الإله «أوزير»	«بر أوزير نب زد» (بيت أوزير سيد «زد»)، أبو صير القريسة من سنود	Busiris «بوزيريس»
١٠- «كمور» الثور الأسود العظيم	«حور خنتي خت» (حور الذي يسيطر على الجسم المقدس)	«حت تا حزي» (قصر الإقليم الوسط) بنها الحالية	Athribis اتريبيس (تل إتريب الحالي)
١١- «كاحسب» == ثور حسب	«حور مرتي» والثور العظيم	«حسبت» (شدنو) هر يبط	Pharboetus فار بوتس
١٢- عجل ثور	«أنحور» (أنوريس) والإلهة إزيس	«زبات تتر» (هيكل الإله) سنود الحالية	Sebennytos سبنوتس Iseum إزيوم
١٣- «حكا عز»	(١) الفتكس (٢) الثور منفيس (٣) آتوم (٤) رع والتاسوع	«إيون الشمالية» (عين شمس) ثم «بر رع» (بيت رع)	Heliopolis هليو بوليس



رمز المقاطعة	آلهة العاصم	العاصم	إسم المقاطعة اليوناني
١٤- «خت إياي» = نهاية الشرق	الصقر « حور »	« زبات مح منست » ثم « بمحدث محت » « هيكل الوجه البحري » للإله « حور »	Sele Djalou زيله ( زالو ) تل ابو سفا ( تانيس )
١٥- « تحوت » « أيس »	الإله « تحوت »	« بر تحوت » تلة بلة ؛ ( البقية ؟ )	Hermopolis Parva هرمو بوليس برفا
١٦- الدرفيل	اليس « خنوم » ثم « أوزير »	« بر بانب زد » ( بيت روح سيد زد )	Mendes منديس تل الربيع الحالية
١٧- « محدي » معبد حور	« أنويس » ، ثم « حور » ، ثم « آمون رع »	« بمحد » و « بر إيو إن إمن » ( بيت جزيرة آمون ) ( البلمون ؟ )	Diospolis Parva ديسبوليس برفا ( شرق بحيرة البرلس )
١٨- « إموختي » ( الطفل الملكي العلوي )	الآلهة « باست » ( القطة )	« بر باست » تل بسطا الزقازيق الحالية	Bubastis بوسطس
١٩- « إموبحو » ( الطفل الملكي السفلي )	الآلهة « وزيت » الآله « وبوات » الآله « حور الطفل »	« إمت » ثم « بوتو » ( تل نبيشة الحالي ) في الجنوب الغربي من صان الحجر ( تانيس )	Bouto « بوتو »

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
٢٠- «عخم» تمر محنط على سرير	«حور سبد»	«بر سبد» صفت الحنا	Arabia العرب
<b>مقاطعات الوجه القبلي</b>			
١- تاست أرض الآلهة «ست»	(١) الكبش «خنوم» (٢) الآلهة «ست» (٣) الآلهة «عنوقيت» (٤) الآله «ست»	«آبو» مدينة الفيلة ( أمبوس )	Elephantine الفتين
٢- «وتست حر» ( عرش حور )	(١) «حور حراخق» «حور بحديتي» (٢) الآلهة «حتحور» (٣) «أحي» ابنها «حور» قاهر «ست»	«زبات بحدت» «مست» هيكل الوجه القبلي للقصر	Apollinopolis أبولونوبوليس ادفو
٣- «نخن» ؟ ريشان	(١) الآلهة «نخت» (٢) الآله «حور» (٣) الآلهة «نيت» «إيونيت» وهي اسنا	«نخب» على الشاطئ الأيمن للنيل و«نخن» على الشاطئ الأيسر ثم «إيونيت» وهي اسنا	التياسبوليس هراكنبوليس
٤- «واس» الصولجان عليه ريشة	(١) الآله «متو» (٢) «أمون رع» (٣) الآلهة «موت» على شكل نسرو الآله (٤) خنسو (القر) ابنها	(١) «بر متو» (أرمنت) (٢) «إيون شمع» عين شمس الوجه القبلي (٣) «واست» مدينة الصولجان ونسي «نت آمون» مدينة آمون (طية)	Latopolis لاتوبوليس Hermonthis (هرمنتس) Diospolis magna ديوسبوليس مينا - طية

رمز المقاطعة	أثر العاصمة	العاصمة	اسم المقاطعة اليونانية
٥ - « تروى » الصقران	(١) « مين حور » (٢) إزيس الأم للإله « مين » « ست » و « نوبي »	« جتيو » بلد رجال القوافل قفط	Kop tos قبتوس Ombos أمبوس
٦ - « زام » التمساح وعلى رأسه ريشة	(١) « حتحور » ، (٢) « حور بجلتى » ، (٣) « إيمى » ابنهما	« تا إيونت نترت » عمود الآلهة	Tentyris تاتيريس دندرة
٧ - « سشت » رأس بقرة ثم شخصيخة	(١) « نبت حث » فتيس (٢) « حتحور »	« حث » بلدة هو ( الحالية )	Diospolis parva ديوس بوليس برفا
٨ « تا ور » الأرض العظيمة ثم « آب »	(١) « خنت - أمنتى » (٢) أوزير ( فى الجبانة ) على شكل ذئب	( تني ) : طينة الجبانة : « أبدو »	Abydos أيدوس العراة المدفونة
٩ « خم » صاغة الإله « مين » ، والريشة	« مين »	« آبو » إخميم	Panopolis بانو بوليس
١٠ « زيت » ثعبان على رأسه ريشة	البقرة « حتحور »	« زيتى » بلدة النملين (أبوتيج) ؛ « بر وازت » بيت وازت فى الوجه القبلى ( كوم إشتاوا الحالية )	Aphroditopolis أفروديتو بوليس
١١ « ست » حيوان الإله « ست » وفى رأسه سكين	(١) « ست » (٢) الكبش « خنوم »	« شاس حتب » شطب الحالية	Hypselis هيسيليس

اسم المقاطعة اليوناني	العاصمة	آلهة العاصمة	رمز المقاطعة
Herakonpolis هراكنوبوليس Antiopolis أنتيوبوليس	« بر حر نبتى » بيت حور نبتى قاو الكبير	« حور نبتى » ، « حور » قاهر « ست » الآلهة « ميتيت » على هيئة لبؤة	١٢- « زوحفت » جبل النعبان ، أو « زوف »
Lycopolis ليكو بوليس	« ساوتى » ( سيوط )	« وبوات » لمصر العليا	١٣- « آتف خنت » شجرة البطم العليا
Kousai كوساى	« جسا القوصية »	« حتحور »	١٤- « آتف بحوت » شجرة البطم السفلى
Hermopolis Magna هرمو بوليس مجنا	« ونت » بلدة الأرنب البرى ، « خنو » بلدة تحوت الأشمونين الحالية	« تحوت »	١٥- « ون » الأرنب البرى
Hibis هيبس	« حبنو » زاوية الميتين	« حور » قاهر المها	١٦- « ماحز » وهى المها الأبيض يحمل الصقر فوق ظهره
Cynopolis كينوبوليس ( سينو بوليس )	« كاسا » القيس الحالية « حت نيسوت » قصر ملك الوجه القبلى	( ١ ) « أنويس » ( ٢ ) « حور »	١٧- « أنويس » ( على ظهره ريشة )

رمز المقاطعة	آلة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
١٨- « سبا » مقر محلق	« حور »	« سبا » ثم « حت بنو » قصر الفنكس	Hipponos هيبونوس الحية الحالية
١٩- « وابهو » الصوجلان	« ست » « ارو شبسس » ( الصورة الفخمة )	« واب سب موى » أو « بر مزد »	Oxyrhynchos او كسير نيكوس الهنسا
٢٠- « نمرت خنت » ( شجرة النخيل أو المان العليا )	الكبش « حشف » ( الذى على بحيرته )	« حن نيسوت » بلد طفل الملك ( إهناسيا )	Herakleopolis magna هراكليوبوليس مجنا
٢١- « نمرت بموت » شجرة النخيل أو المان السفلى	« حور » والكبش « خنوم »	« شدت » « بر شدت » الفيوم « بيت التماسح » أو « سمن حور » (١) كفر عمار الحالية (؟)	Crocodilopolis كروكوديلوبوليس الفيوم
٢٢- « دما ت » السكينة	« حت حور » « إزيس »	« بر حمت » بيت البقرة « حمت »	Aphroditopolis افروديتوبوليس الشالية أطفيح الحالية

(1) J.E.A. vol. III, p. 142.

## فهرس (الجزء الاول)

الأهداء ، المقدمة . قائمة بأهم التواريخ

- الفصل الأول مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ - ٧ . مصر والنيل - ١٣ . عصور ما قبل التاريخ - ١٦ . العصر الأيولي أى عهد فجر العصر الحجري القديم - ١٧ العصر الحجري القديم - ١٨ . العصر الحجري الحديث - عصر بداية استعمال المعادن - ١٩ . مدينة العصر الحجري القديم - ٣١ . العصر الحجري القديم - ٣٦ . العصر الحجري القديم الأعلى - ٤٧ . العصر المزيولي ( المتوسط ) - ٤٨ . العصر الحجري الحديث - ٦٣ . عصر بداية المعادن - ٦٩ . مدينة الوجه البحرى - ٧٠ . مدينة الوجه القبلى - البدارى - ٩٢ . ديانة عصر بداية المعادن - ٩٥ . الفن - ١١٢ . المدنية فى عصر بداية استعمال المعادن - ١١٦ : مراجع فصل ما قبل التاريخ - ١١٧ . المصادر العامة . ١٢٥ حل رموز اللغة المصرية القديمة - ١٤٠ . مصر وأصل المصريين ١٤٦ . نحو توحيد البلاد - ١٥٢ . تنظيم نتيجة السنة الشمسية . ١٥٤ . مينا وتوحيد البلاد - ١٥٧ . مصادر التاريخ المصرى القديم ١٦٦ . الألقاب الرسمية للفرعون - ١٦٩ . مقاطعات القطر المصري منذ أقدم العهود - ١٧٤ . تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم - ١٧٨ . رموز المقاطعات وآلهتها - ١٨٩ . آلهة المقاطعات . ٢١٤ . نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية - ٢٤٧ . مصادر المقاطعات فى العهد الفرعونى وما بعده - ٢٥٦ . مصادر فصل الديانة - أهم المصادر الأصلية

٢٦٧ . الدولة القديمة (الأسرتان الأوليان) - ٢٦٩ . ملوك الأسرة الأولى -

مينا - عحا - زر - زت - ودمو عز إيب - سمرخت سمنتاح - قع - الوزير حاكا  
٢٧٥ . ملوك الأسرة الثانية - حتب سخموى - نب رع (كاكاو

نتر إن - بر إاب سن - خع سخموى - ٢٧٨ . الاسرة الثالثة - الملك  
زوسر - خع با - نفر كا - حو (حوفى) - ٢٨٣ . الأسرة الرابعة - عصر

بناة الأهرام - الملك سنفرؤ - ٢٨٧ . الملك خوفو - ٢٩١ . الهرم الاكبر - ٢٩٥ .

الملك ددف رع - ٢٩٧ . خفرع - ٣٠٠ . أبو الهول - ٣١٠ . منكاورع -

٣١٣ . الملك شبسكاف - ٣١٩ . الملكة خنت كاوس - ٣٢٣ .

الأساطير التى قيلت عن الملكة « خنت كاوس » بانية الهرم الرابع بمنطقة

الجيزة - ٣٢٨ . الأسرة الخامسة - ٣٣١ . الملك وسركاف - ٣٣٣

الملك سحورع - ٣٣٧ . الملك نفر إركارع (كاكاو) - ٣٤٧ . الملك

منكاوحر - الملك إيسى - ٣٥١ . الملك وناس - ٣٥٤ . ظهور عبادة

الإله « رع » فى الأسرة الخامسة - ٣٦١ : الأسرة السادسة -

٣٦٥ . الملك بيبى الأول - ٣٧٣ . إخضاع عصيان الأقوام المقهورة -

الحملة ضد فلسطين - ٣٧٧ . الملك مرن رع - ٣٧٨ . الحملة إلى محاجر

« إبهات » بيلاد النوبة ومحاجر الفنتين - ٣٧٩ . البعثة إلى محاجر المرمر

فى « حتوب » فى مصر الوسطى - ٣٨٢ . الحملة الأولى - الحملة الثانية -

٣٨٣ . الحملة الثالثة - ٣٨٤ . الملك بيبى الثانى (نفر كارع) -

٣٩١ . حملة « سبنى » واحضار جثة والده - ٣٩٥ . « زاو » وزير « بيبى

الثانى » - ٣٩٨ . سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية - ٤٠٠ . تحذيرات

نبى - ٤٠٦ . الأسرتان السابعة والثامنة - ٤٠٧ . الملك « خندو » -

- الملك « نفركارع » - الملك « رع إن كا » - ٤٠٨ . الأسرة الثامنة القفطية .  
٤١٤ . الأبترتان التاسعة والعاشرة - ٤١٥ . « خيق الأول » -  
« خيق الثاني » - ٤١٨ . « أنتف عا » المؤسس لبيت طيبة -  
٤٢٠ . « خيق الثالث » - ٤٢١ . ظهور أنتف العظيم وتلقيه بلقب  
الملك - ٤٣٣ . مراجع التاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة - ٤٣٨ .  
( قائمة ) بمقاطعات الوجه البحرى - ٤٤١ . ( قائمة ) بمقاطعات الوجه القبلى -  
٤٤٥ . فهرس الجزء الأول - ٤٤٨ . خطأ وصواب :  
خريطة الوجه البحرى - خريطة الوجه القبلى .



الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤٦	١	وسأدع	وسأدعو	٣٠	٢	البرودة	البرودة
٣٤٦	١٧	يشكوا	يشكو	٢٠	١١	تلى	تلا
٣٤٩	١٢	ينفس	يتنفس	٣٤	١٠	فقد	قد
٣٤٩	١٧	شاطئ	شاطئا	٣٧	هامش (١)	مزين	مزيئا
٣٥٢	٥	متشابهة	متشابهة	٧٢	١	والهامش	هامة
٣٥٢	١٣	ينفذ	يفذ	١٢٢	٥	مبانى	مبان
٣٦٤	١٢	الحجارين	الحجارين	١٢٥	١	عاما	عام
٣٧٥	١	عند	عن	١٣٩	٥	معهدا	معهد
٣٨٢	١	الأحول	الأحوال	١٤١	٩	أنحاء	أنحاء
٣٨٣	٩	رؤساو	رؤساء	١٦٦	هامش (٣)	العقاب	العقاب
٣٩٤	الهامش	ثلاثى	ثلاثى	١٨٠	٥	ذات	ذو
٣٩٦	٢	وريئا	وارثا	١٨٤	١٤	كل	كلا
٤٠٢	٨	يشاهدون	يشاهدن	١٩٤	الهامش	عشر	عشرة
٤٠٩	١٥	مقاطعة	مقاطعة	٢٠٦	١	متمصينها	متمصينا
٤١١	٩	يهشمو	يهشمو	٢٠٨	١٣	من	إلى
٤١٤	١٦	الالهة إلهة	الالهة إلهة	٢٢٨	الهامش	أوزير	إزيس
٤١٥	١٧	ونسبة	ونسبه	٢٣٩	الهامش	قابض	قابضا
٤١٩	١٤	يمضى	يمض	٢٩١	٩	وضاع	وضاع
٤٢٠	١٧	هاتين	هذين	٢٠٣	٨	نحوها	نحو
٤٢٥	٤	مفعم	مفعما	٣١٦	٦	اعلمنا	علمنا
٤٢٥	١٢	مدن	مدنا	٣٣١	١٦	معبد	معبد
٤٢٨	١٧	ينس	ينسى	٣٣٤	١٣	لاعدادها	لاعدادها
٤٣٥	٣	مستندا ...	مستندا على	٣٤٣	١٣	يوقفنا	يقفنا

نأسف لأن عين الطابع قد غفلت عن بعض الأخطاء وقد صدعنا المهم منها هنا والباقي لا يخفى على فطنة القارى.

رقم الإيداع بدر الكتب ٢٠٠٠/١٠٤٠٩

---

ISBN 977-01- 6754-1